بسم الله الرحمن الرحيم

[قال أبو مُعاذ :

(إذَا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ   مَشَيْنَا إليـــه بالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ
وأرْعَنَ يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حدِيدِه   وتَخْبِسُ أبْصَارَ الـكُمَاةِ كَتَائِبُهْ
تَغَصُّ بِهِ الأَرْضُ الفَضَاءِ إذا غَدَا   تُزَاحِمُ أرْكانَ الجِبَالِ مَنَاكِبُهُ
رَكِبْنَا لهُ جَهْرًا بِـكُلِّ مُثَقَّفٍ   وأبْيَضَ تَسْتَسْقِى الدِّمَاءَ مَضَارِبُهُ
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا   وأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ)

قوله كأن مثار النقع] (١) نحوه قول مسلم (٢)

فى جَحْفَلٍ تُشرق الأرض الفضاء به   كالليل أنجمُـه القُضْبَانُ والأسَلُ

وأخذه منصور (٣) النـَّمَرىُّ فقال :

ليلٌ من النقع لا شمس ولا قمرٌ   إلاَّ جبينك والمذروبة الشُّرَّعُ

وأخذه العتَّابىّ فقال :

يَبْنِى سنابكها من فوق هامهمُ   ليلا كواكبه البِيْضُ المآثيرُ (٤)

(١) ما بين القوسين زيادة منا نقلناها من حماسة ابن الشجرى لان الـكتاب مفقود أوله والموجود منه أول الـكراسة الخامسة ، وأولها فشبهت غرة البطل بالنجم وسيفه بالنجم أيضا ونحوه قول مسلم الخ وقد استنتجنا من الشرح أنه شرح لهذه الابيات التى زدناها كما يرى القارئ "

(٢) ديوانه ١٩٥ والعكبرى ١ — ٨٣ والمعاهد ١ — ١٤٣

(٣) العكبرى ١ — ٣٧٩ والصناعتين ١٩٠ والمعاهد ١ — ١٤٣ والأغانى الدار ٣ — ١٩٦ والحيوان ٣ — ٣٩

(٤) البيت فى الشعراء ٤٧٩ والعكبرى ٢ — ٤١٣ والصناعتين ١٩٠ والـكلمة فى الأصل المياثير مصحفة وقد صحفت فى غير الأصل أيضاً ففى الشعراء المناثير وله وجه وفى العكبرى البواتير ولا يجىء البواتير ، والسيف انما يوصف بالمأثور وجمعه المآثير

ومثله قول الآخر (١) :

نسجتْ حوافرُها سماءً فوقها … جعلتْ أسنّتَها نجومَ سمائِها

وقال فيه البُحترى (٢) :

مدّ ليلاً على الكُماة فما يمـ … شون فيه إلاّ بضوء السيوفِ

ونحوه منه قول العَكَوَّك :

فرّجْت سُدْفَتها بوجهك مُعلِماً … وجعلتَ عاليةَ الرماح ذُبالها

وقول ابن المعتزّ (٣) :

وعمّ السماءَ النقعُ حتى كأنه … دخان وأطراف الرماح شرارُ

ونحوه قول الآخر :

كأنّ (٤) سموّ النقع والبيضُ تحته … سماوة ليل أسفرت عن كواكبه

وأخذه المتنبّى (٥) فقال :

يزور الأعادى فى سماء عَجاجة … أسنّته فى جانبيها الكواكبُ

وكرّره المتنبي فقال (٦) أيضاً :

وعجاجةً ترك الحديدُ سوادَها … زنجا تبسّم أو قَذالاً شائبا

فكأنما كُسِيَ النهار بها دُجى … ليلٍ وأطلعتِ الرماحُ كواكبا

وأخذه ابن (٧) أبى فَنَن فقال :

ترى للنقع فوقهم سماءً … كواكبها الأسنّة والنُصولُ

---

(١) العكبرى ١ — ٧١ والمعاهد ١ — ١٤٣ والواحدى ١٢١

(٢) ديوانه ١ — ١٧٧ والعكبرى ١ — ٣٧٩

(٣) ديوانه ٣٧ والمعاهد ١ — ١٤٣ وغرر الخصائص ٢١٥

(٤) المرتضى ٤ — ٣٩ والكلمة بالأصل شموس مصحفا — قال الميمنى الظاهر البيض السيوف ولا أستبعد البيض بالفتح المغافر

(٥) ديوانه ١ — ٧١ والمعاهد ١ — ١٤٣

(٦) ديوانه ١ — ٨٣ واليتيمة ١ — ٩٥

(٧) المعاهد ١ — ١٤٣

وبيت (١) أبى معاذ أفضل وأحسن وأصنع وأرصنُ، وهو من محاسن شعره، وأفراد أبياته.

وأما قوله :

وأرعن يغشَى الشمسَ لونُ حديده

البيت (٢) والذى يليه فمثلهما قول الشاعر

لقينا بنى عمرو [وَ] أفناء مذْحِجٍ لدى الحرَّة الرجلاء فى طرَف العُقُر
بجيش تضلُّ البُلْقُ فى حَجَراته ويغشى شعاعَ الشمس بالأنجم الزُّهر

يعنى بالأنجم الأسِنَّة ومثله لأوس (٣) بن حجر

صبحنا بنى عبس وأفناء (٤) مَذْحِجٍ بصادقة جَوْدٍ من المـــاء والدمِ
بأرعنَ مثلِ الطوْد غير أُشَابةٍ تَنَاجَزَ أولاه ولمَ يتَصَرَّمِ

وللناشئ فى هذا المعنى ما أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله :

مَلأتْ بِقاعَ الأرض خيلُ جنوده فقرونهـــا مقرونة بحدُودهِ
كتموُّجِ الأجناح سُوْدُ بُنُودِه وتبلُّجِ الاصباح لَمْعُ حديده
فكأنما جَمَعَ النهـــار بضوئه والليـــلَ فى أغْوَاره ونُجوده
يَعْيا عن الأبصَار حَصرُ قريبـه ويُعاجز الأفكارَ نيـلُ بعيده
يغـدو ويتبعَهُ الرَّدَى فصدوره بصدوره وَوُرُوْدُه بوروده

ومثله قول الآخر :

فى جحفل بسواد الليـل منبعقٍ فيه الرَّدى وهو بالأبطال منعقِدُ
لا يجمع الطرفُ أُولاه وآخِرَهُ ولا يُسايره التحصيلُ والعَدَدُ
إذا أناخَتْ على قوم كلاَ كِلُه لم تُطْفَ جَمْرَتُه إلاَّ وقد خمدوا

(١) لعل الكلام على قوله كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
(٢) عجزه وتخلس أبصار الكماة كتائبه أنظر حماسة ابن الشجرى ٥٧
(٣) لا يوجد البيتان فى ديوانه وانما فيه (الرقم ٤٣) البيت الأول وهناك صبحن بنون المؤنث والثانى فى اللآلى ١٦٦
(٤) بالأصل ابناء مصحفا

ونحوه قول مِرداس بن شُمَيخ :

صبحنا بنى شيبان والحىُّ يَشكرًا سحابةَ حربٍ تُمْطر الموتَ والدما

تَداعت لهم أفناءِ عمرٍو فمزَّقَتْ ملاءَتَهم فى ساطعٍ قد تضرَّما

قَرَيناهم شهباء يُسكْرَهُ وِرْدُها إذا ما القِرى عن طارق الحى أعتما

صبحناهم جمْعاً كأنَّ عِراكه حريقٌ زَهتـه ريحه فتضرَّما

وأحسن (١) الناشىءُ أيضاً فى صفة جيش فقال :

جيشٌ يفوت الظنَّ حتى لا يُرى ما غاب من أقطـاره محدودا

ويَجيشُ حتى لا يَظُنَّ عديدَه أحدٌ لكثرة جمعه معـدودا

وكأنّما جعل الالهُ رَواسِيَ الـ أعْلَامَ أعلاماً له وبنُودَا

تَقضِي على الأعداء خيفةُ بأسِه قبلَ اللقـاء تَهدُّدًا ووعيدًا

وتَرى وتسمع لمعـه وحفيفه فتظنُّ فيه بوارقاً ورُعودا

وكأنما رَمزُ الخيول بِجنْوِهِ موجٌ يدفّع فى الغمار مُدودا

من لم يكن متأيدًا يوم الوَغى بدِفاعه لم يَعرِفِ التـأييدا

تَلْقى الرَدَى بلوائه متَعَصباً والعِـزَّ فى راياته معقودا

وإذا عَلتْ أكَماً نزائعُ خيْله غَادَرْنَ حَزْنَ صَعُوْدِهِن صعيدا

معنى هذا البيت من هذه الأبيات مأخوذ من قول النابغة (٢) :

جيش يظَلُّ به الفَضَاء(٣) معضّلا يدَع الأِكامَ كأنّهن صَحَارِى

وأحسن المتنبىّ(٤) فى صفة جيش فقال :

ورُبَّ جواب عن كتاب بعثتَهُ وعنُوانه للناظرين قَتـامُ

تَضيق به البيداء من قبل نَشره وما فُضَّ بالبيداء عنه ختام

حروف هجاء النـاس فيه ثلاثةٌ جوَاد ورُمْح ذابل وحُسَام

---

(١) الخمسة الأولى من هذه الأبيات فى غرر الخصائص ٢١٥ معزوة للببغا

(٢) العقد الثمين ١٤ والعكبرى ٢ — ٢٥١ والمعاهد ١ — ٤٧

(٣) بالأصل مفصلا (٤) ديوانه ٢ — ٢٧٨

وقد أومأ إلى هذا المعنى أبو الحسن بن الخيـــاط فيما أنشدنيه لنفسه من قصيدة :

إذا عارضتَ ذا قولٍ بفعلٍ فإنّ الصمتَ عنـه به خطابُ
وحسبك من جوابك حَدُّ سيفٍ إذا جرّدته عُرِفَ الجواب
بجيش حِلْيَةُ الفرْسان فيـــه سَراةُ الناس والخيلُ العِراب
أُسُــودُ خفيّةٍ فى حسْنِ خلْقٍ عليهـا من رماح الخطّ غابُ

ولما جعل المتنبي الجيش جواباً عن الكتاب استعار له ما يكون للكتاب من العنوان والحروف والختام والنشر فجعل عُنوانه القتام ، لأنّ القتام يدُلّ على الجيش كما يدلُّ العنوان على الكتاب بمَنْ هو وإلى من هو ، وجعل البيداء تضيق به وهو مجتمع ملموم كاجتماع الكتاب فى حال طَيه لِكِبرِه وعِظَمه ، وقوله قبل نشره فنَشْرُه تفرّقه وإغارته وانْبثاث فرسانه ، وجعل حرُوفه الخيلَ والرِماحَ والسيوف فأعْطى الاستعارة قِسْطَها ووَفّى الصنْعةَ حقّها كما فَعَلَ فى نحو من هذا الضرب عمرو بن قعاس فى قوله (١) :

وكنتُ إذا أرى زِقّاً مريضاً يُناح على جنـــازته بكيتُ

وهذه طريقة تخفُّ على أرْوَاح أهل الآداب وتحدث عند سماعها الاطراب ، وأنشدنى أبو الحسن علىُّ بنُ جيشِ الشَّيْبَانِىُّ لنفسه من قصيدة (٢)

خميسٌ إذا أخفى سَنَا الشمس نقعهُ أضاء وأبْدَاه الحَديد المُسرّدُ
توَاجِههُ هُوْجُ الرياح فتنثنى وتحمله الأرض الوَقورُ فتَرْعَدُ

وقال ابن (٣) المعتز فى صفة جيش :

وَجيش كمثل الليل تَسوَدُّ شمسُه ويَحمرُّ من أعنـاته البرُّ والبحرُ
شهدتُ بطِرف أعوَجِىّ وطِرّفة وعَضْب حسام الحدّ فى متنه أثرُ
وَلمّا التقى الصفّانِ فرّق بيننا حريقُ ضراب البيض والأسَلُ السُمْرُ

---

(١) السيوطى ٧٧ والاختياران رقم ٣٦ والبيت من قصيدة عمرو بن قعاس التائية فى الخزانة ١ — ٤٦ (٢) البيتان فى غرر الخصائص ٢١٥ غير منسوبين (٣) ديوانه ٤٤

فوَلّوا وقد ذاقوا التى يعرفونها　　فكان لهم عُذْرٌ وكان لنا فخرُ

ونحو هذا فى صفة جيش ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن علىُّ بنُ محمد بنِ الخيّاط مدح بها الأمير انتصار الدولة وهى :

وإنّ يَدِى رَهنٌ لهم منك بعد ما　　يُضايقه كالنار او جَمْرُها أحرْ
من التاركاتِ الأرضَ بالحربِ جُذْوةً　　إذا كانت الأعشابُ فيها من البَشرْ

وأعاد أبو الحسن ذكر ذلك فى صفة يوم حرب بما أنشدنيه من قصيدة له فى انتصار الدولة أيضاً :

ويارُبَّ يوم له مُسْعِرٌ　　إذا خَمَدَتْ نارُه أوْقَدا
تخاف به الرِّجْلُ من أختها　　ولا تأمَنُ اليَدُ فيها اليَدَا
وتَرْمِى رِجال بأعضائهم　　فثَنَى تَرَاهُنَّ أو مَوْحَدَا
تَرَى السيفَ عريانَ مِنْ غمدِه　　وتحسِبه من دم مُغْمَدَا

وكذلك قوله أيضاً فى مثله من قصيدة فى مدحه أيضاً ، وذكر فيها ظفره بخارجى خرج عليه :

ظنَّ الإمارة ُظلّةً فاذا بها　　حرب يكاد أُوارها يتأجّجُ
ومُهنَّدات كالعقائق ماؤها　　مُتَرقرِقٌ ولَهيبُها متأجّج
لا تستقرّ العين فوق متونها　　فكأنّما هى زِئبق متدحرجُ
ومَداعِسٌ للخيل يرمح وَسْطها　　من غير فارسه طِمِرٌّ مُسْرَجُ
عَقرَى وسالمةً تعاثَرُ فى القنا　　العَسْجِدىُّ وذو الخار وأعوجُ
طرحَتْ فوارسَها على أذقانهم　　طرْحَ الكِعاب فمفرداً و(١)مزوج
فى موطن سَلَبَ الحليمَ وقارَه　　فكأنّما هو مستطار أهوجُ

ويروى بيت ابن المعتز :

ويخضرُّ من أعنائه البر والبحر　　ومن أعدائه

---

(١) كذا ولعل الأصل ومزوج قاله الميمى

وأعناؤه وأعداؤه نواحيه

قال القتّال الكلابى شاهدا فى الأعناء أنها النواحى :

عفَتْ قَرْدة من أهلها فَجَنابها   فحرّة ليلى سهلها وهضابها
فَرَمّانُ إلاّ كلَّ أسفعَ ناشطٍ   فأعناء سلمى مِيثُها فلِصابها

وتفسير هذين البيتين قوله : عفت درست وقردة اسم موضع وحرة ليلى معروفة بأرض بنى كلاب وللعرب حرار كثيرة معروفة عندهم كحَرّة واقم وحرة سُوْران(١) ونحوهما والحرّة الأرض السوداء التى تخلطها حجارة سوْد وهى مع ذلك كثيرة الحرّ والهضاب جمع هَضْبة والهضبة الجُبَيْل الصغير كالتَّلِّ من الحجارة ورَمّان اسم موضع أيضاً وسَلمى أحد جَبَلَىْ طىء واسم الآخر أجا مقصور على وزن فَعَلٍ وأعناؤه نواحيه، والميثُ جمع مَيثاء وهى الأرض السهلة اللينة الكريمة ذات الرمل، واللّصاب جمع لِصْبٍ واللّصب والشّعب والشقب الشّقّ فى الجبل والأسفع الناشط يعنى الثور الوحشى والسفعة أن يكون فى وجهه سواد يَضرب إلى الحمرة ، وقيل له ناشط لأنه يخرج من بلد إلى بلد ومثله الناشص والناشز لأنه نشص ونشز من بلد إلى بلد أى ارتفع فيقول . عفت هذه المواضع من أهلها إلا من هذه الثيران الوحشيّة التى هذه صفتها .

وقول أبى معاذ :

(إذا لاح الصّوار ذكرتُ سَلْمَى   وأذكرها إذا نَفَحَ الصِوارُ
كأنّك لم تَزُرْ غُرَّ الثنايا   ولم تجمع هواكَ بِهِنَّ دارُ
يُرَوِّعُه السّرارُ بكُلّ شىءٍ   مَخافة أن يكون به السّرار
كأنَّ فؤاده كُرَةٌ تَنَزَّى   حِذار البين لو نَفَعَ الحِذار
أقول وليلتى تزداد طولاً   أمَا لِلّيل بعدهمُ نهار

(١) كذا فى الأصل وفى البلدان ٣ — ٢٥٨ سوران بالشين المعجمة والمسان مشور أيضاً

كأنَّ جفونه سُمِلَتْ بشَوْكٍ فليس لنومه فيها قَرَارُ
جَفَتْ عيني عن التغميض حتَّى كأنَّ جفونها عنها قِصار)

قال اسمعيل بن احمد: ورأيتُ بعد نظرى فى اختيار الخالديين وما اخترتُه منه شعرا منسوباً إلى بشار فيه من هذه الأبيات أبيــــاتٌ تخالف هذه الرواية وهى :

(يَكادُ القلبُ من طَرَبٍ إليهم ومن فَرْط الصَّبابة يُسْتَطَارُ
وفى الحىِّ الذين رأيتُ خَوْدٌ لَعُوب الدَّلِّ آنِسَةٌ نَوارُ
بَرُودُ العـارضَين كأنَّ فاها بُعَيْدَ النـوم عاتِقَةٌ عُقَار
جفَتْ عينى عن التغميض حتَّى كأنَّ جفونها عنهـا قِصـارُ
إذا نادَى المُنادِى كاد يَقْضِى حِذارَ البين لو نفع الحِذار
وَوَدَّ الليلُ زِيدَ إليـه ليلٌ ولم يُخلَقْ له أَبَدًا نَهـار)

فهذه الأبيات كما ترى رواها أبو العباس المُبَرِّد ونسبها إلى بشار وهذا شرح ما فى الأبيات الأولى من الغريب : الصِّوار الأول قطيع البقر والثانى قِطع المسك فيقول أذكر هذه المرأة إذا رأيتُ قطيع البقر وإذا نَفَحَتْ ريح المسك أمَّا البقر فيذكِّرُنى أعيُنُهنَّ حسنَ عينها، وأما المسك فأذكرُ به طِيبَ نشرها، والسِّرار مصدر سارَرْته مسارَّةً وسِرارًا ونحوه السِّواد ومنه قول الشاعر (١) :

ويفهَمُ قولَ الحُكلِ لو أنَّ ذَرَّةً تساودُ أُخرَى لم يفُتْهُ سِوادها

أى لم يَفتْه سِرارُها وتنزَّى توثب يقال نَزَا يَنزُو نَزْوًا ونزَوانًا وتنزَّى تفعَّــلَ منه

(١) لسان م حكل بغير عزو والحيوان ٤ — ٨ للمعانى

أخذ قولَه يروّعه السرار البيت أبو نواس فقال :

تركتْنى الوُشاةُ نَصْبَ المُشيريـــن (١) وأحدُوثةً بكلِّ مكان
ما أرَى خالِيَيْنِ فى الناس إلا قلتُ ما يخلوان إلاَّ لشانى

قال بعض المتعقبين قيل لبشار مِنْ اين أخذتَ هذا المعنى ؟ فقال من قول أشعب الطامع وقد قيل له ما بلغ من طمعك ؟ فقال ما رأيتُ قط اثنين يَتسَاران إلا ظننتهما يريدان أن يامرَا لى بشىء وهذا أحسنُ إلا أن الأشبه عندى أن يكون مأخوذاً من قول (٢) عُبَيدِ بن أيُّوبَ العنبرى :

لقد خفتُ حتى كلَّ نجوَى رأيتُها أرَى أننى من أمرها بسبيلِ

ومثله قول جرير (٣) :

حمَلتْ عليك حُماةُ قيس خيلَها شُعْثاً عوابسَ تحمل الأبطالا
تركوكَ تحسِبُ كل شىء بعدَهم خيلاً تَكُرُّ عليكمُ ورجالا

ذُكِرَ عن الأخطل أنه لمَّا أُنشدَ لجرير هـذا البيت فى هجائه إياه قال سَرَقه الخبيث من كتابهم من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم [هم العَدُو]

ومنه قول الآخر : (٤)

كأنَّ بلاد الله وهى عريضة على الخائف المطلوب كِفَّةُ حابِلِ
يُؤَدَّى إليـــه أن كلَّ ثَنِيَّةٍ تَيمَّمَها تَرْمى إليه بقاتِلِ

---

(١) كذا بالأصل وله وجه والبيان فى الأغانى ٣ — ٥٨ وفيـه السرين بالسين المهملة والأغانى الدار ٣ — ٢٢٣ ومع الخبر فى الحصرى ٣ — ١٦٥

(٢) حماسة البحترى ٢٦١

(٣) ديوانه ٢ — ٥٦ والثانى فقط فى العكبرى ١ — ٢١٣ والنويرى ٣ — ٣٤٩ وحماسة البحترى ٢٦١

(٤) فى الـكامل ٥٠٨ من غير عزو وحماسة البحترى ٢٦٠ للقتال الـكلابى ومجموعة المعانى ١٣٨ للطرماح أو لعبيد بن أيوب العنبري

وأخذه الناشئ فقال في صفة سَبُع :

آثاره تحمى البقاعَ وزأرُه قبلَ اللقــاء يُقطِّع الأنفاسا
يُومِى إلى البَطل الكَمىّ بلحظه فيحول خاطِرُ فكره وَسواسا
ترتاع أبصار الورَى من خوفه فترى نواظرُها الضُحى أغلاسا
تُخْشَى بَوادرُ بأسِه حتى يُرى بالخوف منه كلُّ شىء باساً

وقوله : كأن فؤاده كرة تنزّى معنى مطروق منه قول الفرزدق :

وخافوْكَ حتى القوم تنزو قلوبهم كنزْوِ القطا ضُمّتْ عليه الحبائلُ

ونحوه ما أنشدنيه الربعي أبو الحسن بن الخيّاط لنفسه من قصيدة :

فى مثل يوم الحساب تحسَبهُم سَكْرَى وكالسُّكْر بعضُ ماشرِبا
كأنما أرضهم قلوبهم فكلُّها قد أُجيلَ فاضطرَبا

وملّح وأحسن فيه وأغرب بقلبه التشبيه، ومثله قول عبد السلام بن رغبان ديك (١) الجن :

كأن على قلبي قطاةً تذكّرَتْ على ظمأٍ وِرْداً فهزّتْ جناحها

وقول المجنون (٢) :

ودَاعٍ دَعا إذْ نحن بالخيف من منى فهيّج أحزانَ الفؤاد وما يدْرِى
دَعا باسم ليلى غيرَها فكأنّما أثار بليلى طائرًا كان فى صدرى

وقوله (٣) أيضا :

كأن فؤادى كلما مرّ راكبٌ جَناحُ عُقابٍ رامَ نهضاً إلى وكرِ

ونحو منه قول (٤) الشماخ :

وبات فؤادى مُستخَفًّا كأنهُ خوافِى عُقاب بالجناح خفوق

---

(١) مجموعة المعانى ٢١٠

(٢) ديوانه ٤ والقالى ٢ — ٦٤ والمصارع ٢١٤ والعينى ١ — ٣٠٥ والشعراء ٣٦١ والأغانى الدار ٢ — ٢٥٥ وفى حماسة ابن الشجرى ١٥٦ لمحمد بن النمير

(٣) ديوانه ٢١ باختلاف والعينى ١ — ٣٠٥ ليحي بن طالب الحنفى

(٤) ديوانه ٧٠ وفيه القافية مرفوعة



ومثله لابن (١) ميّاده :

أَلاَ ما لِقلبي لا يزال كأنه ... يدًا لامعٍ أو طائرٍ يتصوّبُ

وقال توبة (٢) بن الحُمَيِّر :

كأن القلبَ ليلة قيلَ يُغْدَى ... بليْلى العامريَّة (٣) أو يراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذبه وقد علِقَ الجَناح

ومثله لعرْوة (٤) بن حزام :

كأن قطاةً عُلِّقَتْ بجناحها ... على كبدى من شِدة الخَفقان

ونحوه منه قول ابن المعتز :

ما لقلبي كجَنَاح قد عَلِقْ ... شَرَكاً مُكِّنَ منه فَخَفَقْ
يشْتكى الهجْرَ بزَفرَاتٍ كما ... جَمْجَمَ الأعجمُ شكوى إذْ نَطق

وذكر أبو نواس (٥) الخفوق وأضاف إليه السهرَ والبكاء فقال :

ما بالُ قلبك لا يقرُّ خفوقاً ... وأرَاكَ تَرْعى النَّسْرَ والعيُّوقا
وجفونُ عينك قد نثرْنَ من البكا ... فوقَ المَدَامع لؤلؤاً وعقيقا
لو لم يكن إنسانُ عينك سابحاً ... فى بحر عبْرَته لمَاتَ غريقا

ومعنى الخفوق كثير جدًّا إلاّ أنّ بشّاراً أغربَ بذكر الكُرَة وذكر علّة الخفوق وأخبر أنه غير منتفعٍ بها ولا وادعٍ بسببها وكلُّ ذلك فى بيت

---

(١) فى القالى ٢ — ٦٣ لعدى بن الرقاع وفيه تصرف وفى اللآلى ١٧٠ لجران العود

(٢) القالى ٢ — ٦٣ للمجنون وفى ديوان المجنون ٥٣ والكامل ٤٥٠ للمجنون ونسبه الأخفش لابن ذريح والمجنون فى الأغانى الدار ٢ — ٤٨ و ٦٢ وفى الحماسة المصرية ٣ — ١٥١ لنصيب

(٣) بالأصل فوق هذه الكلمة الاخيلية بخط دقيق

(٤) القالى ٣ — ١٦١ وهناك القصيدة بتمامها والأغانى ٢٠ — ١٥٥ والشعراء ٣٥٨ والكامل ٤٥٥

(٥) الزجاجى ٦٤ وفى ديوان ابن المعتز ١١٠ له

فكأنه استظهر شيئاً على الجماعة ، بتمكن بيته في الصناعة ، ونحوه في ذكر سبب الخفوق قول الآخر :

كأنَّ بين ضلوعي حين أذكرُهم   جَنَاحَ إحدَى القَطامن أجْلِ أوجالى

وأما قول بشار أقول وليلتي تزداد طولا البيت فكقوله أيضاً في طول الليل :

(خَلِيلَيَّ ما بالُ الدُّجَى ليس يَبْرَحُ   وما لِعَمُودِ الصبح لا يَتَوَضَّحُ

أَضَلَّ النهار المستَنيرُ طريقَه   أَم الدهر ليلٌ كلُّه ليس يَبْرَح

وطال عليَّ الليلُ حتى كأنَّه   بليلَيْن موصولٌ فما يَتَزَحْزَحُ)

ونحوه قول العبَّاس (١) بن الأحنف :

أيُّها الراقدون حولى أعِينُو   نى على الليل حِسبةً واتْجارَا

حَدِّثونى عن النهار حديثاً   أو صِفوهُ فقد نسيتُ النهارا

ومنه قول ابن رُمَيْلة الضبيِّ :

أرِقتَ ولم تنم عنك الهُمومُ   وعاد فؤادَك الطَّرَبُ القَدِيمُ

فهلْ ذهب النهارُ فعادَ ليلاً   وهل تركَتْ مطالعَها النجومُ

ونحوه قول (٢) جعدة بن طريف وكان لِصًّا فأخِذَ وسُجِنَ فقال في السجن :

يا طولَ ليلى ما أنام كأنما   فى العين منّى عائرٌ مسجورُ

أرْعى النجومَ إذَا تغورُ كوكبٌ   كَلأً لآخرَ ما يكادُ يغورُ

إنْ طالَ ليلى فى الاسار لقد أتى   فيما مَضَى دَهرٌ علىَّ قصير

العائِر الرَّمدُ وكذلك العوّار ومعنى هذا البيت الأخير كثير يقول الأيام دُوَلٌ والأحوال سِجال ، وما أنا فيه من استطالة الليل بالهموم بما

---

(١) القالى ١ — ١٠٢ والنويرى ١ — ١٣٨ وديوانه ٧٨ وابن الشجرى ٢١٥ وثمار الأزهار ٢٣

(٢) مجموعة المعانى ١٣٩

سَلَفَ لى من قِصَر الأوقات المديدة بالسرور ومن المعنى الأوّل قول خالد (١) الكاتب :

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للساهرِ   وليـلُ المحبّ بلا آخرِ
ولم تدْرِ بعد ذهاب الرُّقا   د مافعـلَ الدّمعُ بالناظرِ

مثل قول خالد وليل المحب بلا آخر قول أبى معاذ :

تَبِيتُ تُرَاعى الليلَ ترجو نَفاده   وليس لليل العاشقين نَفَادُ

وما أملحَ قولَ أبى دُلفَ فى هذا المعنى :

نِضوُ همومٍ بكى وَحقّ لهُ   دَمعاً بَراه الهوَى فأسْلهُ
وطال ليل الهوَى عليـه وما   أمدّ ليلَ الهوَى وأطولَهُ
فباتَ يَستمطر الدموعَ وإنْ   كانَ ارْفضاضُ الدموع أنحَلَه

وقال الوزير أبو الحسن جعفر بن محمد المُصحفىُّ فى طول الليل وذكر الثُّرَيّا فأغرب وملّح (٢) :

سألتُ نجومَ الليلِ هل ينقضى الدُّجى   فخطّتْ جواباً بالثُّرَيا كخطِّ لا
وما عن هوًى سامرتُها غيرَ أننى   أنافِسُها المجرَى إلى الرُّتبِ العلاَ

أخذ قولَ أبى معاذ — أضل النهار المستنير طريقه — أبو الحسن على بن جيش الشيبانى فأنشدنى لنفسه من قصيدة :

ليلٌ أضلَّ الفجرُ فيه سبيله   حتى حسِبْتُ به الكواكبَ قُفَّلاَ
ما تنقضى عَذَباتُ نُقْبةِ آخرِ   من جِنْحه (٣) حتى تعيد الأوّلا
وإذا نظرتُ إلى المَجَرّة لم أجد   إلا حَبِيًّا بالبروق مُكلّلا

---

(١) القالى ١ — ١٠١ والعكبرى ١ — ٣١١ الأول وقال الميمنى هما فى الثمرات بهامش للستطرف ١ — ٦٤ والفوات ١ — ١٩١ ومن غاب عنه المطرب ٢٥٧ وانظر خاص الخاص ٩١ ونسب فى الثار ٢٣ للعباس بن الأحنف خطأ وفى تاريخ الخطيب ٨ — ٣٠٨ و٣١١ بزيادة وخبر

(٢) نفح الطيب ١ — ٣٩٧   (٣) بالأصل فوقه ليله

وكأنَّ مُدَّرِعاً يُجَرِّدُ مُنْصُلاً   من لمعِ بارقةٍ ويغمد مُنْصلا

ومنه ما أنشدنيه أبو الحسن بن الخياط من قصيدة :

بل رُبَّ ليلٍ بِتُّ أنْشُدُ صبحَهُ   فكأنني أضللتُ منـــه تليفَا
ليلاً حسبتُ به المَجرَّةَ جدْولاً   وحسبتُ أنجُمَها حَصًى مرْصوفا

وقد كرر ذلك وبسطه بما أنشدنيه أيضاً فقال :

عرفتُ طريقَ السُّهْد عرفاني البكا   فهل لطريق النوم من أثرٍ يُقْفى
فناهيك من ليـلٍ بطيءٍ مدارُه   تبيت ركاب النجم في أُفْقه وَقْفا
حنادسُ لم يبقِ السَرارُ بجوِّها   سنًا تبصر العينان في نُوره الكَفَّا
يُقَهقرُ فيهـــا كلُّ نجم كأنما   يُرَى كلَّ قُدَّامٍ لحَيرته خَلفا

ومنه قول الآخر :

ما بال أنجم هذا الليـــل حائرةً   أضلتِ القصدَ أم ليستْ على فلكِ
عادتْ سوَاريه وَقفاً لا حَرَاكَ بها   كأنها جثثٌ صرْعَى بمُعْتَرَكِ

وعلى ذكر هذا الشعر الكافيّ فقد كنتُ بمدينة مالَقَة من بلاد الأندلس سنة ست وأربعمائة، فاعتللتُ بها مُدَيدة انقطعتُ فيها عن التصرّف، ولزمتُ المنزل وكان يُمرِّضُني حينئذٍ رفيقان كانا معي، يَلُمَّان من شعثي ويرْفُقان بي، وكنت إذا جنَّني الليل اشتد سهري وخَفَقَتْ حولي أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية، واختلطت الأصوات بالغناء فكان ذلك شديداً عليّ وزائداً في قلقي وتألمي، فكانت نفسي تعاف تلك الضروب طبعا وتكره تلك الأصوات جِبِلةً وأودُّ لو أجدُ مسكناً لا أسمع فيه شيئاً من ذينك[1] ويتعذر على وجوده لغلَبة ذلك الشان على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم وإنى لساهر ليلةً بعد إغفاءة في أول ليلتي وقد سكنتْ تلك الألفاظ المكروهة وهدأت تلك الضروب المضطربة وإذا ضرب خفيٌّ معتدل حسنٌ لا أسمع

(١) كذا بالأصل والظاهر ذلك ، ولذينك وجه بعيد

غيره فكأن نفسى أنِستْ به وسكنت إليه ولم تنفِرْ منه نِفَارها من غيره، ولم أسمع معه صوتاً، وجعل الضرب يرتفع شيئاً فشيئاً ونفسى تتبعه وسمعى يُصْغِى إليه إلى أن بلغ فى الارتفاع إلى ما لاغاية وراءه فارتحْتُ له ونسيتُ الألم وتداخلنى سرور وطرب خُيِّــلَ إلىَّ أن أرض المنزل ارتفعت بى، وأن حيطانه تمورُ حولى، وأنا فى كل ذلك لا أسمع صوتاً فقلتُ فى نفسى أما هذا الضرب فلا زيادة عليه فليتَ شعرى كيف صوت الضارب وأين يقع من ضربه ولم ألبث أن اندفعت جارية تُغَنِّى فى هـذا الشعر بصوتٍ أندى من النُّوَّار، غبَّ القطار، وأحلى من البارد العذْب، على كبد الهائم الصبّ، فلم أملكْ نفسى أن قمتُ ورفيقاى نائمان ففتحتُ الباب وتبعتُ الصوت وكان قريباً منى فاطلعتُ من وسط منزلى على دارٍ فسيحةٍ وفى وسط الدار بستان كبير وفى وسط البستان شَرْبٌ نحو من عشرين رجلا قد اصطفوْا وبين أيديهم شراب وفاكهةوجوارٍ قيام بعيدان وطنابير وآلات لهوٍ ومزامير لا يُحرّكنَها والجارية [1] جالسة ناحيةً وعوْدُها فى حجرِها وكلٌّ يرْمقها ببصره ويوعيها سمعـه وهى تغنى وتضرب وأنا قائم بحيث أراهم ولا يرونى وكلما غنتْ بيتـاً حفظتُـه إلى أن غنتْ عِدَّةَ أبيات وقطعتْ فعـدْتُ إلى موضعى يشهدُ الله وكأنما أُنشطتُ من عِقال وكأن لم يكن بى ألمٌ وقد وعيتُ الأبيات وهى :

ما بالُ أنجم هذا الليل حائرةً ... أضَلَّت القصدَ أم ليست على فلكِ
عادتْ سوارِيهوقفاً لاحرَاك بها ... كأنما جِئْنَ صَرْعى بمُعْترَكِ
ما تنقضى ساعة منه فتُطْمِعَنى ... به وَلا هوَ فى وجْهٍ بمنْسلكِ
هل من بشير بنور الصبح تُنقِذُنى ... بُشرَاه من طول وجدٍ غيرِ متَّرَكِ
فقد أجَدَّ التوَاءُ الليل لى شجناً ... وأضجعتنى تباريحى على الحسَكِ
خُذْ يا شَمُولَ كؤوْسَ الراح مترَعةً ... فَسقِّنيها ولا تسألْ عن الدرَكِ

(١) كذا بدل وجارية قاله الميمى

وهيجٌ بألحانك الطُّنْبُورَ إنَّ له ... على شجون المُغَنِّى سطوةَ المَلِكِ

ثم انصرفتُ فى صباح تلك الليلة فلقيتُ صديقاً لى من أهل العلم قرطبيا سكن مالقةُ فأخبرتُه الخبر وأنشدته الشعر ووصفت له الدار فاغرورقت عيناه وقال الدار للوزير فلان ابن وخَشُوْن ، والجارية فلانة البغدادية إحدى المحسنات من جوارى المنصور بن أبى عامر وصارت إلى هذا الوزير بعد موت المنصور وتمزُّق مملكته ، والشعر قاله محمد بن قُزْمان (١) فى سعيد بن أبى قنديل الطنبورى وكان ابن قرلمان يهواه قلتُ فما ذِكْرُ شمولٍ فى هذه الأبيات ؟ فقال شمول غلام صَقْلَبِىٌّ من صقالبة المنصور وكان جميلا فلما غُنِّى المنصورُ بهذا الشعر قال لمن غنَّاه إياه اجعل مكان سعيد شمولا وكان يغنى به كذلك ، وجرت الجارية فى غنائها على ما كان أمر به مولاها ، والبيت الأول من الشعر الكافىّ والذى بعده قريب من قول العلوى :

كأن نجوم الليل سارتْ نهارها ... ووافتْ عشاءً وهى أنضاء أسفارِ
فَخَيمْنَ حتى تستريح رِكابها ... فلا فلكٌ جارٍ ولا كوكبٌ سارى

ومنه قول الآخر (٢) :

ليلٌ تحيرَ ما ينحطُّ فى جهةٍ ... كأنه فوق متن الأرض مشكولُ
نجومه ركَّدٌ ليست بزائلة ... كأنما هنَّ فى الجو القناديل

وملَّحَ فيه العباس (٣) بن الأحنف فقال :

والنجم فى أُفْقِ السماء كأنه ... أعمى تحيَّر ما لديه قائدُ

---

(١) هذه الكلمة غامضة بالأصل فهى اما قرلمان أو قولمان ويعتقد صديق العلامة المستشرق الشهير كرنكو أنها قزمان بالزاى المعجمة والميم بعدها ويؤيده صديق العلامة عبد العزيز الميمنى وقد رأيت فى نثار الأزهار ٨٠ ابن قزمان بالزاى اسما لشاعر وقال الميمنى وقد رأيت ديوان ابن قزمان طبعه بعض المستشرقين عن نسخة الصفدى

(٢) القالى ١ — ٩٩ لحندج بن حندج المرى والحماسة ٧٩٥

(٣) ديوانه ٤٩ واليتيمة ١ — ٩٢ والعكبرى ٢ — ١٦٢ لبشار باختلاف كلمتين

أخذه منه أبو الطيب المتنبي (١) أخذ إغارة فقال :

ما بال هذى النجوم حائرةً   كـأنّها العُمْىُ مالها قائد

وأما قول أبى معاذ :

وطال علىّ الليل حتى كأنه   بليلين موصول فما يتزحزحُ

فمأخوذ من قول عدىّ (٢) بن الرقاع العاملىّ :

فكأنّ ليلى حينَ تغرُب شمسُه   بسوادِ آخرَ مثلِه موصولُ
أرْعى النجومَ إذا تغوّر كوكبٌ   أبْصَرْتُ آخرَ كالسراج يجُول

ومثـله (٣) :

فى ليلِ صُولٍ تَساوَى (٤) العَرْضُ والطول
كأنما ليـله بالليـل موصولُ

وأخذه على بن الجهم فقال ليلة وفاته بحلب فيما روى عنه (٥) :

أسَالَ بالليـل سَيْلُ   أمْ زيدَ فى الليل لَيلُ
ذكرْتُ أهلَ دُجَيلٍ   وأين مِنّى دُجَيـلُ

دُجَيل نهر بالعراق كانت دار على بن الجهْم شارِعةً عليـه وتجاوز القاضى (٦) التنُوخى هذا فقال :

وكَمْ ليالٍ قد لقيتُ هوْلَها   بِهِمّةٍ فوقَ السماء كالسَّما
طالت دَيَاجيها فخلْنا أنهـا   تعطِفُ منهنّ علينا ما مَضى

---

(١) ديوانه ١ — ٢٨٢ واليتيمة ١ — ٩٢

(٢) الوزرى ١ — ١٣٩ ط الميمنى والتنار ٢١

(٣) البيت من أبيـات حندج التى سبق منها بيتان آنفاً وهو فى القـالى ١ — ٩٩ والحماسة ٦٩٣ والعينى ١ — ٢٣٨

(٤) كذا بالأصل وفى القالى وغيره تناهى ولا يخفى حسنه (٥) الأغانى ٩ — ١١٤

(٦) من المقصورة للتنـوخى الـكبير ذكرها المسعودى فى مروج الذهب ٨ — ٣٠٦ والياقوت فى الأدباء ٥ — ٣٣٩ عارض بها مقصورة ابن دريد

. وسلك أُسلوب التنوخى وزاد عليه سعيد بن حُمَيد (١) الكاتب فقال :

يا ليلُ بل يا أبَدُ أنائمٌ عنك غدُ
يا ليل لو تَلقى الذى ألقى بها أو تجد
قَصَّرَ من طولك أَوْ ضَعَّفَ منك الجَلَدْ
أشكو إلى ظالمة تشكو الذى لا تجد
وَقفٌ عليها مُقلتى وقف عليها السُّهُد
ويروى : وَقفٌ عليها ناظرى وَقفٌ عليه السهد

وقول التنوخى : تعطف منهن علينا ما مضى ،

مأخوذ من قول العَجَّاج (٢) فى وصف ليلة :

ستُّ لها يَقظَانَ واقسأنَّت إذا رجوتُ أن تضيء اسوَدتِ
دُوْنَ قُدَامَى الصبح وارجَحَنَّتِ منها عجَاساء إذا ما التجَّت

حَسبتُهَا ولم تَكُرْ كرّتى

اقسأنتْ اشتدَّت ، وقدَامَى الصبح أوائله مستعار من قدامى الطائر وهن أوائل جناحه ، وارجحنتْ ثقُلَتْ ولم تبرح ، وعجاساء الليل هَناتٌ منه يقال مرتْ عجاساء من الليل ، والتجَّت اختلطت ماخوذ من اللجة وهى اختلاط الأصوات ولو أخذه من اللجة وهو مُعْظم الماء فشبَه تراكُمُ الظلمة بتراكم الماء وكثرته لكان حَسَناً سائغاً

وقال أبو معاذ مُنكّباً عَمّا كان ذهب أوّلاً إليه وآخراً لِملّة طول الليل عليه :

(لم يطلْ لِيلى ولكن لم أنمْ ونَفى عنّى الكَرَى طيفٌ أَلَمّ)

---

(١) العالى ١ — ١٠١ والنويرى ١ — ١٣٩ ثلاثة أبيات

(٢) ديوانه ٦

أخذه من قول الفرزدق [1] :

يقولون طالَ الليلُ والليل لم يَطُلْ ... ولـكنَّ منْ يبكى من الشوق يَسْهَرُ

وكرَّره أيضاً بشَّار فقال :

(طالَ هذا الليلُ بل طال السَّهَرْ ... ولقـد أعْرِفُ ليلى بالقِصَرْ

لم يَطلْ حتى جفـانى شـادِنٌ ... ناعم الأطراف فتّـانُ النَظر

فـكانَّ الهـمَّ شخصٌ ماثلٌ ... كلما أبصره النـومُ نفَر)

وارد أبو الحسن على بن جيش الشيبانى أبا معاذ فى معنى هـذا البيت الأخير فقال [2] أنشدنيه لنفسه أولا قصيدة فى وصف طيف :

رَعَى اللهُ من ليلَى خيالاً تأوَّبا ... وإنْ كانلم يَشفِ الفؤَادَ المعَذَّبَا

سَرَى والذى بى من جوًى كلما بدا ... أطار الـكرَى عن ناظرى فتحجَّبا

ألـمَّ بمهجورٍ فصادفَ رِقْبَةً ... بجَفْنيه من تسهيده فتنكبّا

وأصل المعنى الأول قول الحارث [3] بن خالد :

تعالَوْا أعِينُونى على الليل إنَّـه ... عَلَى كل عينٍ لا تنـام طويلُ

ومثله قول العَجَّاج [4] :

تطاوَل الليـلُ على منْ لم يَنمْ ... وَاحتَمَتِ العينُ احتِمامَ ذى السَّقَمْ

وأخذه الفضل بن سلمة النحوى فقال :

وقد طال ليلى بعد فَقْدِ أحبتى ... وما طوله إلا لأنى سَاهِرُ

ووَصف المتنبى [5] طول الليل فأبدَع وافتنَّ فى صفته واخترع فقال :

أعزمى طال هذا الليل فانظرْ ... أمِنك الصبْحُ يفرَق أن يؤُبا

(١) القالى ١ — ١٠٠ (٢) كذا بالأصل والمعنى واضح والعبارة قلقة ولعل الصواب وقد أسدنى أول قصيدة لنفسه وكرر هذه الأبيات بعد

(٣) الزجاجى ١٠ لعبد الله بن مسلم بن جندب (٤) ديوانه ٥٥

(٥) ديوانه ١ — ٩٠

كأنّ الفجر حِبٌّ مُسْتَزار ... يُراعى من دُجُنَّتِه رقيبا
كأن نجومه تجلّى عليه ... وقد حُذِيَتْ قوائمه الجَبُوبا
كأنّ الجوّ قاسَى ما أقاسى ... فصار سَواده فيه شُحُوبا
كأن دجاه يَجذبُها سُهادى ... فليس تغيب إلاّ أن يغيبا
أقَلبُ فيه أجفانى كأنّى ... أعُدُّ به على الدهر الذُّنُوبا

وهو كثير متَّسِع وتقصِّيه غير ممتنع لولا أنّ الاطالة داعية إلى الملالة

وأنصف ما قيل فى الليل قول ابن (١) بسّام:

لا أظْلِمِ الليلَ ولا أدَّعِى ... أنّ نجومَ الليل ليست تَغُورْ
ليْلى كما شاءتْ فانْ لم تزُرْ ... طالَ وإنْ زارتْ فليلى قَصيرْ

وأخذه ابن بسام أخذ إغارة على لفظه ومعناه من على (٢) بن الخليل وهو قوله:

لا أظْلِمُ الليل ولا أدَّعى ... أنّ نجوم الليل ليست تَزُولْ
ليلى إذا شاءت قصيرٌ إذا ... جادَتْ فانْ ضَنَّتْ فليلى طويلْ

ونحو هذا قول (٣) الآخر.

أنام إذا ما الوصل مَهَّدَ مضجَعى ... وأفقِدُ نومى حين أُجفَى وأُهجَرُ
فكم ليلة طالت علىّ بصدّها ... وأخرَى ألاَقيها بوصل فتَقصُرُ

وأصل هذا المعنى قول (٤) جميل.

يطول اليومُ لا ألقاكِ فيه ... وحولٌ نَلْتَقِى فيه قَصيرُ

(١) القالى ١ — ١٠١ والنويرى ١ — ١٣٥ والحصرى ٣ — ١٦٧ والمعاهد ١ — ٩٠ لعلى بن هشام قال الميمنى مصحفا وهى ثلثة معزوة فى القالى واللآلى ٧٤ لبشار وفى الشريشى أيضاً ٢ — ١٥٣ ولعله عنهما والصواب أنها لابن بسام وانظر النثار ٢٣ وطرة النسخة المغربية من اللآلى وبغير عزو عند ابن الشجرى ٢٧٤ وقد سلخهما من على ابن الخليل. (٢) الحصرى ٣ — ١٦٧ والنويرى ١ — ١٣٥ والمعاهد ١ — ٩١
(٣) المعاهد ١ — ٩١ لابن الخليل (٤) الحماسة ٥٩٤ لأبى دباكل الخزاعى قال الميمنى الصواب ابن أبى دباكل وهو سليان والقالى ١ — ٢٠٦ لجميل باختلاف والعكبرى ١ — ٣٢١

ومثله قول الوليد (١) بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .

لا أسألَ اللهَ تغييراً لما صنَعَتْ نامتْ وقد أسهرَتْ عينَيّ عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقِدُها والليل أقصر شيء حين ألقَاها

قال اسحق بن ابراهيم المَوْصلي : دخلتُ على الرشيد وهو مُستَلقٍ وهو يقول : أحْسَنَ والله أظرَفُ قريش (٢) وفتاها وأسخاها وأشعرها وأغزلها فقلتُ من هو يا أمير المؤمنين وفى أىّ شيء فقال : أمّا بعد ما سمعتَ منّى من وصفه فلا أسَمّيه ولكنّى أذكر الشعر فانْ كنتَ تعرفه فاكتُمْ ما سمعتَه منّى هو والله الذى يقول وأنشدنى :

لا أسأل الله تغييرا لما صنعت — البيتين — وقال أتعرفه : فقلتُ بصوت ضعيف لا ، قال بحياتى ، قلتُ بلَى وحياتك هو الوليد بن يزيد فضحك وقال والله ما قلتُ فى وصفه إلاّ دون ما يستحق ، ولكن المُلْكَ عقيم ، وعلى ذكر هذا المعنى الأخير فى بيتَيْ الوليد ، فذكر محمد بن عبد الله بن طاهر قال حضر عمى عبيد الله وأبو عبادة البحترى عند أبى العباس بن بِسطَام فغنّتْ جارية من وراء الستارة .

أرَى اليوم حولاً لا أرَى فيه وجهَها وإنْ كان شهراً خلتُه مائتى شهر

فاستجاد عَمّى الشعر واستحسن الصنعة فيه فشرب رِطلا وتناول القلم فكتب :

ويومٌ من الأيّام لم ألقَها به وليس سواء فُرقة ولِقاء
كعامٍ من الأعوام أمّا نهارُه فصَيْف وأمّا ليله فشِتاء

أشار ابن المعتزّ إلى معنى بيت الوليد الاوّل فقال :

لا أرّق الله من أهدَى لِيَ الأرَقا ووَادعَ القلبَ نارَ الحُبّ فاحترَقا
بَدْرٌ تعرّض لى عمداً ليَقتُلَنَى تَذُبُّ أنوارُه عن وجهه الغَسَقا

(١) المكبرى ١ — ٤٠ والنويرى ١ — ١٣٥ والحصرى ٣ — ١٦٧
(٢) بالأصل افناها ولا يجيء أفعل من الفتى فالصواب فتاها كما فى اللآلى

تعاونتْ فيه من قَرنٍ إلى قَدَمٍ محاسِنٌ بِدَعٍ تستوقفُ الحَدَقا
فكم تحيَّرَ من عقل ومِنْ نظَرٍ فيه وكم تاهَ من قلب وكم خفقا

أردتُ معنى المصراع الأوّل ، وما بعده من الأبيات فضل يُمتِعُ الأسماع ويُحرّكُ الطباع ، مثل قول ابن المعتز محاسن بدع تستوقف الحدقا ، ما أنشدنيه أبو الحسن على بن محمد الخياط لنفسه من قصيدة :

ومُشْتَارٍ بعيُون الوَرَى مُسْتَنفرٍ كالرَّشاء الأغيَدِ
تَزْدَحِمُ الألفاظُ في وجهه كأنّما استحضرنَ في مشهدِ
مثلَ هلال الفطر يَرْقُبُنَهُ فهنّ يأتين على موعد

وقد ملَّحَ أبو نواس فى إبداع معنى غير هذين وهو أنّه جعل اشتغال المُحِبّ بهواه ومكابدتَه فيه لما يلقاه قاطعاً عن الاخبار بالسهَر ووصْفِ الليل بالطول أو القِصر فقال (١) :

لستُ أدْرِي أطالَ ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يَتقلَّى
لو تفرّغتُ لاستطالة ليلى ولِرَعيِ النجوم كنتُ مُخَلَّى

وقال البحترى(٢) جارياً على النهج المألوف ومستعملا للمعنى المعروف :

مَا الدهرُ أطولُ مِن ليلٍ على كَلِفٍ ولا الأسِنّةُ أمضى من جوَى الشغَفِ
ماذا تُوارى ثيابى من أخى دَنَفٍ كأنما الجسم منه قامة الألِفِ
ما قال يعقوبُ من وجدٍ أيا أسفَا إلاّ لِدُونِ الذى ألقَى منَ الأسفِ

فردّ عليه عبيد الله بن طاهر متّبعاً لأبى نواس فقال :

هيهاتَ ما ذُقتَ طعمَ الهمّ والدنفِ ولا رُميتَ بِرَوْعَات من الأسف
لو كان قلبك مشغولا بلَوْعَته ما اعتاد طرفُك رَعى النجم فى السُدَف
ما للمُحِبّ ورعى النجم يرقُبه حسْبُ المُحِبّ بما يلقى من الدنَفِ

(١) محاضرات الراغب ٢ — ٤١ لخالد الكاتب وفى الشريشى ٢ — ١٥٣ لابن العريف
(٢) البيت الثانى فى أدب الكتاب للصولى ٦٤ لمحمد بن عبد الملك الزيات

ونحو من هذا ما أنشدنيه أبو الحسن الرَّبغي من قصيدة له .

لو أنَّ للحبِّ فيما بيننا حَكَمَا إذاً لبيَّنَ حقا أيّنا ظلما
عتبٌ ولا ذَنْبَ إلاَّ أنْ تأوَّبَنى طيفٌ تزوَّدتُ من المامه لَمما
قالت لَو انَّك صبٌّ كنتَ ذا سَهرٍ ولم تكن للكرى والطيف مغتنما
فالحبُّ أعظم شُغلاً عند صاحبه من أن يذوقَ مناماً أو يَرَى حلُما
يا ويلتــاه أمحظُورٌ على دَنِفٍ متيّمٍ أن يُداوِى بالكرى سقَما

وأمَّا قول أبي معاذ :

جفت عيني عن التغميض حتى كأنَّ جفونَها عنهــا قصارُ

فمن قول (١) جميل .

كأنّ المُحب قصيرُ الجفونِ لِطول السُّهاد ولم تَقْصُرِ

الا أنَّ بشَّارا أحسن فيــه فصار أحقَّ به وتناوله العتَّابى (٢) فأفسده بقوله :

فى مَآقِيَّ انقباضٌ عن جفونهما وفى الجفون عن الآماق تقصيرُ

وأخذه المتنبي (٣) فقال :

أعيدُوا صباحى فهو عند الكواعب وردُّوا رقادى فهو لحظ الحبائبِ
فانَّ نهــارى ليلة مُدلَهِمَّة على مقلةٍ من فقدكم فى غياهبِ
بعيــدة ما بين الجفون كأنَّمَا عقَدْتم أعالى كُلِّ هدبٍ بحاجبِ

فجاء به مليحاً وأغرب اغراباً حَسَناً غير أنَّ ابن وكيع عابه عليه وقال : هذا تكلُّف وتعسُّف ويدلّ على شَعر حواجبه أنه طويل يمكن فيه العقد

---

(١) الحصرى ٣ — ١٦٥ بغير عزو
(٢) الأغانى ١٣ — ٩ والحصرى ٣ — ١٦٥ و ٤ — ٨٥
(٣) ديونه ١ — ٩٥ و ٩٦ والحصرى ٣ — ١٦٥

قال : وكان يجب عليــــه أيضاً أن يذكر أنَّ لِشعَرِ جفَن عينه من أسفَلَ ما يرتبط به حتى يتَقبَّحَ وقال ألاَّ قال كما قلتُ وأنشد لنفسه :

لمَّا جفَا النومُ جَفْنَ عيني   فخالَـفَتْ عادةَ العيُونِ
لَمَستُ منها الجفونَ شَكًّا   قلتُ عَسَاها بلا جفونِ

قال اسمعيل بن احمد : وعندى أنَّ تعسُّف ابن وكيع لهذا التأويل أبشع وتكلّفه إيّاه أشنع ولا عيب على المتنبي فى بيته عندى ولا يلزمه ما قاله ابن وكيع ؛ لِأَنَّه إنما قال هذا على التشبيه المجازى والتوسعة المباحة للشعر لا أنه أخبر عن العقد الحقيقى وأنَّهم فعلوا ذلك بعينه وحاجبه ومَجرَى بيته عندى مَجرَى بيت امرئ القيس وإن اختلف المعنيان قال امرؤ القيس(١) :

فَيَالَكَ من ليلٍ كأنَّ نجومه   بكُلِّ مُغَار الفتل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

فهل يسوغ لقائل أن يقول : هذا يَدُلّ على أنَّ للنجوم عُرًى وفى الجبل أواخِىَّ بها يمكن العقد فيهـــا ويستحكم السند (٢) ولله دَرُّ البحترى (٣) حيث يقول :

والشعر لمحٌ يكفى إشارتُه   وليس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُه

بل يرحم الله ابن المعتز إذ قال :

إنَّ ذا الشعرَ فيه ضيقُ نِطاقٍ   ليس مثل الكلام من شاء قالاَ
يُكْتَفَى فيه بالخَفِىِّ مِن الوَحى   وَيَحتَال قائلوه احتيــالاَ

وأخذ معنى بَشّار أبو الحسن على بن محمد التهامى (٤) فقال .

قَصُرَت جفونى أم تباعدَ بينها   أم صُوِّرَت عينى بلا أشفارِ
جفَت الكرَى حتى كأنَّ غِراره   عند اغتماض العين حَدُّ غِرارِ
ولو استزارت رَقدَةً لَدَحَا بها   ما بين أجفـــانى من التيَّارِ

(١) العقد الثمين ١٤٨   (٢) كذا وصوابه التدقاله الميمى
(٣) ديوانه ١ — ١٣٣ والحصرى ١ — ١٩٥   (٤) ديوانه ٣٠

وأعاده المتنبي (١) أيضاً فقال :

كأنَّ الجفون على مقلتى ثيابٌ شُقِقنَ على ثاكِلِ

أى باعدَ السَهَر ما بين أجفانى فما تلتق فكأنها ثياب مشقوقة على ثاكلٍ فأجزاء مشقوقها متباعدة غير متدانية وهذا نحو قوله أيضاً (٢) :

قد علَّمَ البَـيْنُ منَّا البينَ أجفانا *

وأخذه من المتنبي الوزير المهلّبي(٣) فقال :

تَصَارَمت الأجفان لمَّا صَرمتَني فما تلتقي إلاَّ على عبْرةٍ تجرى

فملحَ بذكر العبْرَة ، وبيت أبى معاذ أرجح ولفظه فيه أملح وكلُّ منْ أخذ هذا المعنى منه فقد وقع دونه وقصر عنه

وقول بشار من قصيدة :

(وأخٍ فُجِعْتُ به وكان مؤمَّلا فمضى فتُذْكرك الحوادث ما مَضى
وَلقد جَريتُ مع الصِبا طَلَقَ الصبا ثم ارعويتُ فلم أجد لى مَرْكضاً
وعلمتُ ما علم امرؤ من دهره فأطعتُ عاذلتى وأعطيتُ الرضا
فاشرَبْ على تَلَفِ الأحبَّة إننا جَزَرُ المَنيَّةِ ظاعنين وخُفَّضا
ما كُلُّ بارقةٍ تجود بمائها وكذاك لو صدَق الربيعُ لَرَوَّضا
ومُنيفةٍ شَرَفاً جعلتُ لها الهوى إمَّا مُكافاةً وإمَّا مقْرِضا
حتّى إذا شربَتْ بماء مودَّتى وشربتُ بَرْدَ رُضابها متبرِّضا
قالت لِتِرْبيْهَا اذْهبا فتحسَّسَا ما بَالُهُ تركَ السلامَ وأعْرَضَا

(١) ديوانه ٢ — ٣٠
(٢) ديوانه ٢ — ٤٢٣ والمعاهد ٢ — ١٣١
(٣) العكبرى ٢ — ٣٠ واليتيمة ١ — ٩٢ و ٢ — ٢١

وَيلى عليه وويلى من بينه   كانَ المُحِبَّ وكنتُ حِبًّا فانقضى
قد ذُقتُ أُلْفَتَه وذقتُ فراقَه   فوجدتُ ذا عَسَلاوذا جَمْرَ الغضا)

الطَلَق والشَأْوُ والشوط بمعنًى يقال : أجريتُ الفرس شأواً وَطلَقاً وشوطا إذا أجريته مرة واحدة ، وارعويتُ أقصَرْت وأقلعْت عمَّا كنتُ عليه ، والمركض مصدر رَكَضَ الفرس يَرْكُضُه رَكْضاً وَمركضاً والجزَرُ جمع جزَرَة وهى الشاة المذبوحة . والظاعنون جمع ظاعن وهم المسافرون ، والخُفَّضُ جمع خافض وهم الوادعون المقيمون فيقول : نحن جَزَر المنية أقمنا أو ارتحلنا لاَ بُدَّ لنا من الموت ، وروّض الربيعُ أنبت رياضا والمُقَرّض اسم الفاعل من أقرض ، والقرض اسم الشيء المقرض للجزاء قال الله تعالى « من ذا الذى يقرِضُ الله قرْضاً حَسناً فيضاعِفَهُ لهُ » فالقرض اسم وليس بمصدر والمصدر إقراض والتَبَرُّضُ التقلّل من الشيء وهو مأخوذ من البرْض وهو الماء القليل ، والغضا ضرب من الشجر له جمر باقٍ على الوَقود

كرر بشار معنى قوله ولقد جريت مع الصبا البيت فقال .

(تفوّقتُ أخلاق الصبا وتقدّمتْ   هُمومى حتى لم أجد متَقدَّما)

وأخذ البحترى (١) صدر بيته :

ما كلُّ بارقة تجود بمائها فقال :

خَفِّضْ أسًى عمّا نآك طِلابُه   ما كلُّ شائِم بارق يُسْقَاهُ

ومثله للخُرَيْمى :

ورُبَّ بارقةٍ سَهرتَ لَهــــا   وسقى بلادَ سِوَاكَ وابلها

---

(١) ديوانه ١ — ١٩٢

وردَّه (١) الخُرَيمى أيضاً فقال :

لئن ألوَى بوعدك طولُ مَطلٍ ... تُسَبُّ به إلى يوم الفعَالِ
فكم من بارقٍ فى السَّهْـل شِمْنا ... مَخايلَه فَخيَّمَ بالجبـــالِ

ونحوه قول عبد المطلب بن الفضل الرقَّاشى (٢) لخالد بن دِيْسَمٍ يعاتبه وكان والياً على الرىّ :

أخالدُ إنَّ الرىَّ قد أجحفت بنا ... وضَاق علينا رَحبُها ومَعاشُها
فلا غيمها يُصْحى فييأسَ طامع ... ولا ماؤُها يأتى فيروَى عِطاشُها

ولبشار من قصيدة أولها :

(أأبْـكاكَ داعٍ فى الصباح سميعُ ... وطيفُ سَرَى من نَهروانَ يَريعُ)

قـــوله :

(وَقائلةٍ إنَّ العيال مُعَــوِّلٌ ... عليك فلا تَقْعُدْ وأنت مُضيعُ
فقلتُ لها كُفِّى سيكفيكِ وافدٌ ... أشَمُّ لأبواب الملوك قَرُوعُ
وما أنا راضٍ بالهوان إذا احتَوَى ... على الذُلِّ فى دار الهوان رَتُوعُ
إذا الأمر لم يُقْبِلْ علىَّ بوجهه ... فلى مَسْلَكٌ باليَعْمَلَاتِ وَسيعُ)

يقول فيها فى صفة الممدوح :

(وزُرْتُ هُمَاماً يُصْبِحُ القومُ حَوْلَهُ ... عُكوفا عليهم ذِلَّةٌ وخضوعُ
ولمَّا الْتَقَيْنَا سابَقَ الحمدَ جُوْدُهُ ... فأجْدَى وَجُوْدُ الطالبين سريعُ
وأملاكُ صِدْقٍ أَلْيَسْتَنى طِرازَهم ... قصائدُ مالى غيرهنَّ شـفيعُ

---

(١) الصواب ردده قاله الميمنى

(٢) العيون ٣ — ١٤٥ بزيادة بيت بينهما لعبد الصمد بن الفضل الرقاشى والرائد مع الأخير اختلاف فى ص ٨٠ من هذا الكتاب لبشار وفى العقد ١ — ٩١ كما فى العيون

وغيثٌ إذا مالاح أَوْمَضَ برقُه ... كما أومضت تحت الرداء خَرِيعُ
إذا حاجةٌ أَلْقَتْ علىّ بَعَاعَها ... رَكِبْتُ وحَسْبِى مُنْصُلٌ وقَطيع
يُرِدْنَ امرأً قد شذّب الحمدُ مالَه ... أغرَّ طويلَ الباع حين يبوعُ
وما ضاع مال أورث الحمدَ أهلَه ... ولكنَّ أموال البخيل تضيعُ
على خشبات الملك منه مهَابة ... وفى الدِّرْعِ عَبْلُ الساعدين قَرُوعُ
يَشُقُّ الوغَى عن وجهه صدقُ نَجْدَةٍ ... وأبيضُ من ماء الحديد وَقيعُ
إذا خزن المالَ البخيلُ فإنَّما ... خزائنه خَطِّيَّةٌ ودُرُوعُ
وَبِيضٌ بها مِسْكٌ مكانَ بنانه ... ولكنَّها ريحُ الدماء تَضُوعُ
تروح بأرزاق وتغدو بغارة ... فأنتَ ذُعَافٌ مرةً ورَبيعُ)

المضيع اسم الفاعل من أضاع يقول: لا تقعد عن التماس الرزق فتكون قد أضعْتَ عيالك وقد عوّلوا عليك إذ لا كاسب لهم غيرك، والشمَمُ ارتفاع أرْنَبَةِ الأنف، والعرب تمدَّحُ به وتستعمله فى موضع العزّة والأنفة، وقَرُوع اسم الفاعل من قَرَعَ الباب فهو قارع وقَرُوع كضارب وضَروب وشارب وشَروب، وكذلك رَتوع وراتع، واليَعْمَلات النُّوقُ التى يُعْمَل عليها فى الأسفار واحدتها يَعْمَلة، ووسيع وواسع بمعنى مثل قدير وقادر وعليم وعالم وشهيد وشاهد، وعُكُوفٌ جمع عاكف كجالس وجُلُوس وقاعد وقُعُود، والعاكف على الشىء المقيم عليه ويكون العكوف أيضاً مصدر عَكَفَ يَعْكُفُ عُكُوفاً، وأوْمَضَ البرق ووَمَضَ إذا لاح، والخريع المرأة اللينةُ المَفاصِل والعِظَام المُتَكَسّرةُ تَخرّعت المرأة إذا تكسّرت وتَثَنَّتْ وكُلُّ مُتَكَسّرٍ مُتَثَنٍّ فهو مَتَخرّعٌ وهى الخَرّاعة والخَرُوعُ وقالوا: الخريع الفاجرة والخريع العُصْفُورَة وفى حديث أبى سعيد الخدْرى

لو سمع أحدكم ضَغْطَةَ القبر لخَرَعَ أو خَرُعَ ، أي لانكسر وضَعُفَ ومنه الخِرْوَعُ النَبْتُ المعروف وإنّما سمي خِرْوَعا لتَثَنّيه وتَخَرُّعِه وقوله

اذا حاجة ألقَتْ عليّ بعاعها ٭

أي ثِقْلَها يقول . ألقىَ السحابُ بموضع كذا وكذا بَعَاعَهَ وأرْوَاقَه وعَبَالتَه وشَرَاشِرَه إذا ألقىَ ثِقله ، والمُنْصُلُ السيف والقطيع السوط ، وقوله شذّبَ الحمدُ مالَه أي فرّقه وأصله في النخل والشجر يقال : شذّب النخلةَ والشجرةَ إذا نقّاها وقطع عِيْدَانها وألقىَ ذلك عن أصلها ويقال لِمَا يسقُط منها من العيدان الشَّذَبُ (١) ، ويبوع يمُدُّ باعه وهو قامته وانما يريد أنّه طويل اليد بالعطايا والهبات ، والنَجْدَة الشجاعة يقال : رجل نَجِدٌ ونَجُدٌ ونَجِيْدٌ وجمع نَجِدو نَجُد أنجاد وجمع نجيد نُجَدَاء ، والوَقِيعُ الحديد يقال وَقَعْتُ الحديدة أقَعُها وَقْعاً فهي موقوعة ووقيعة اذا أحدَدْتَها ورقّقتها بالمِيْقَعَة وهي المِطْرَقَة،وقَعْ نصْلَكَ يا هذا أي وقّعه بالميقعة وحُدَّه ، والبنان احدته بنانة وهي أطراف الأصابع وسُمِّيت بنــانا لثبوتها في الكف واشتقاقها من قولهم بَنَّ بالمكان وأبَنّ اذا أقام به ، وتضوّع يتضوّع بمعنىً أي تفوّح وتعبّقَ وأصل التضوع التحرُّك ، والغارة الخيل المُغِيرة ، والذُعاف القاتل يقال : سمٌّ ذُعاف اذا كان وَحِيٌّ القتل سريعه أما قول أبي معاذ ٭

اذا خزن المال البخيل البيت فمأخوذ من قول ليلى (٢) بنت طريف ترثى أخاها الوليد بن طريف :

أيَا شجر الخابُور مَالَكَ مُورِقاً ... كأنّكَ لم تجزعْ علَى ابْنِ طريفِ
فتىً لا يُحبُّ الزاد الاّ مِن التُّقى ... ولا المال الاّ من قناً وسيوفِ

ومات الوليد مقتولا قتله ابن عمه يزيد بن مَزْيد الشيباني ، وسبب قتله

(١) الشذب محركا .

(٢) الاغانى١١ — ٩ بزيادة بيت والمعاهد ٣ — ٥٠ و٥١ اربعة عشر بيتا والسيوطى ٥٤ و ٥٥ والحصرى ٤ — ١٠٥ وحماسة البحترى ٢٧٧ والصناعتين ١٣٣ لبعض العرب والقالى ٢ — ٢٧٨ بغير عزو

إيّاه أنّ الوليد بن طريف كان خرج على الرشيد فدعا الرشيد يزيد بن مَزيَد فقال له يا يزيد من القائل [1] :

لله مِنْ هاشم فى أرضه جَبل وأنتَ وابناك رُكنَا ذلك الجبل
قد عظّموكَ فمــا تُدْعى لَهيّنةٍ إلاّ لمُعْضلةٍ تَسْتَنُّ فى العُضَلِ

قال : هو فى شعر مسلم بن الوليد قال فى من قاله مسلم قال : فى عبدك يا أمير المؤمنين قال : دعوتُك لحرب الوليد بن طريف الشيبانى ، فقال يا أمير المؤمنين لو نَدَبْتَ له رجلا من غير عشيرته فقــال الرشيد : إنى لم أدْعُك للمشاورة فقال : يزيد السمع والطاعة ، فخرج حتى شارف عسكر الوليد بن طريف فكتب الوليد اليه مراراً ينهاه عن قتاله ويستعطفه ويُوبّخُه ويدعوه الى الخلاف على الرشيد وقال له فى بعض الكتب اليه : أما تستحى أن تكون عوناً للظالمين على الدُعاة الى الحق والنــاصحين لله ولرسوله وأنا ابن عمك فوالله لئن أنت وافقتنى على هذا الأمر فاجتمعنا عليه لا أطاقنا أحد ، وانْ أنت لم تفعل فوالله لئن قتلتنى لَتُوْهِيَنَّ عِزَّك ولئن قتلتك لأوْهِينّ عزّى فلم يلتفت اليه يزيد وقاتله حتى ظفر به وهزم أصحابه وكتب الى الرشيد بالفتح فسُرّ الرشيد بذلك وابتهج له ورَمَى بكتابه الى عيسى بن جعفر فقال له اقرأ فلما قرأه عيسى قال : يا أمير المؤمنين أتدرى مايقول هذا وقومه ؟ قال وما يقولون قال يقولون : لولا نحن لاَنْكَفَتِ الأرض بأهلها ، فقالت ليلى أخت الوليد . أيا شجر الخابور — وقيل بل الشعر لامرأة الوليد فيه

وقال الوائلى فى معنى بيت بشار :

كنوزُ أبى المُعَمَّر سابغَاتٌ وخَيلٌ ضُمَّرٌ ومثقّفاتُ
وأسيافٌ اذا انتُضِيتْ لحرب تألّقَ فى مَضاربهــا المماتُ

وقريب منه قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى :

---

(١) ديوان الصريع ١٩ والشعراء ٥٣٠ والمعاهد ٢ — ١١ وفيهما الأول فقط

ولمّا حضرنا لاقتسام تُرَاثه   وجدنا عظيمات اللهى والمآثِر(١)

أى لم نجد مالا وانما وجدنا فَعالا ، ومن هذا القبيل قول ابن(١) المعتز :

وهل مزجت صفائى للصَديق وهل   أودَعْتُ يا هندُ غير الحمد خزَّانى

ومن المعنى الأول قول (٢) حاتم الطائى :

سأذخرَ من مالى دِلاصاً وسابحاً   وأسمَرَ خطِّيًّا وعضباً مُهَنَّدَا

وقوله (٣) أيضاً :

متَى ما يجِئ يوما إلى المال وارثى   يجِدْ ضَبْثَ كفٍّ غيرَ مَلْأى ولا صفرِ

يجد مُهرةً مثـــل القناة قويةً   وعضبا اذا ماهزَّ لم يَرْضَ بالهَبْرِ

ورمحا رُدينيًّا كأنَّ كعوبه   نَوَى القَسْبِ قد أردى ذراعا على العشر

ضَبْثُ كفٍّ قبضة كف ، ضَبَثَ على الشيء يضبِثُ ضَبثاً اذا قبض عليه ، ومضابثُ الأسد مخالبُه وسُمّى الأسد ضبَّاثاً لشدة قبضه ، والصفر الخالى والهَبر القطعُ والهَبرةُ من اللحم القِطعة وسيف هبَّار اذا كان يقطع اللحم فقوله لم يرض بالهبر أى لم يرض بقطع اللحم وحده حتى يُصَمّمُ فيقطع العظم مع اللحم ، والقسبُ ضرب من التمر ، وأردى زادَ وكذلك أرمَى وأربَى اذا زاد

ومثله قوله (٤) أيضاً :

ولله صُعلوكٌ يُساور همّه   ويمضى على الأحداث والدهر مُقدِما

يَرَى رمحه ونَبـــله ومجنّه   وذا شُطَب عَضْبَ الضريبة مِخْذَما

وأحناء سرجٍ قاترٍ ولجامَه   عَتاد فتًى هيجا وطِرْفاً مُسَوَّما

يقال سرج قاتِر وعُقَر (٥) اذا تُرك على الدابة فيَعقِرُها ، واحناؤه يعنى

(١) الحماسة ٤٠١

(١) ديوانه ٧٠   (٢) العينى ١ — ٣٧١ وديوانه ٢٤

(٣) ديوانه ٢٨ والحماسة ٧٧٨ والعكبرى ١ — ٤٠٧

(٤) ديوانه ٢٦ والعيون ١ — ٢٣٤ والعينى ٣ — ٧٧

(٥) العبارة قلقة والمعنى واضح

قَرَبُوسَ السرج وآخرته سُمّيا بذلك لانحنائهما وانعطافهما ومنه حِنو الوادى وهو مُنْعَطَفه ويقال حنوتُ العودَ وحنيتهُ اذا عطفته

ومنه قول مروان (١) بن أبى حفصة الأكبر فى معن بن زائدة :

ولم يك كنزه ذهبا ولكِنْ حديدَ الهند والحَلَق المُذَالا

وقول زينب (٢) بنت الطثَرية فى أخيها يزيد :

مضَى ووَرِثناه دَريس مفاضةٍ وأبيض هنديًّا طِوالاً حمائِلهْ

المُفَاضة الدِرع الواسعة التى أُفِيضَتْ أى وُسِّعَتْ ، والدَرِيْس الخَلَق وكذلك الدَرْس والدِرْس بكسر الدال اسم للثوب الخَلَق ، فاذا فتحت الدال كان نعتا فتقول عندى دِرْس أى ثوب خَلَق ثم تقول عندى ثوب دَرْس كما تقول عندى ثوب جَرْد وسَحْق وما أشبهه تريد ثوبا خَلَقا

وقال عبيد (٣) بن أيّوب العنبرى شاهدا فى الدرس :

رَأَتْ خَلَقَ الدَّرْسَيْنِ أسودَ شاحباً مِنَ القوم بَسّاماً كريمَ الشمائلِ

تعَوَّدَ من آبائه فَتَكَاتِهِمْ وإطعامَهُمْ فى كُلِّ غَبْرَاء شامِلِ

وأخذه أبو (٤) الطيب فقال يرثى فاتكا :

كنّا نظُنُّ دياره مملوءة ذهباً فمات وكلُّ دار بَلقَعُ

وإذا المكارم والصوارم والقنا وَبَنَاتُ أعوَجَ كُلُّ شىء يجمعُ

فلم يأت بطائل أكثر من جمع هذه الأشياء فى بيت ، وذلك لمن هو دونه سهل متسع وممكن غير ممتنع ، وفضل اللاحق إنما هو فى حسن العبارة ووضوح الاشارة وتلخيص المعنى بأحسن لفظ وتهذيبه وإدنائه من الفهم وتقريبه ،

---

(١) العكبرى ١ — ٤٠٧ (٢) الحماسة ٤٦٨ والعكبرى ١ — ٤٠٧

(٣) الشعراء ٤٩٤ باختلاف وهناك سبعة أبيات واس أبى الحديد ٤ — ٤٤٦ تسعة ابيات (٤) ديوانه ١ — ٤٠٧ والحصرى ٤ — ١٠٧

والفضل عندى فى هذا المعنى لليلى بنت طريف بالاختراع ، واستغراقها إيَّاه بأحسن لفظ فى مصراع .

وأما قوله :

وبِيضٌ بهـا مسك مكان بنانه ولـكنَّها ريح الدماء تضوعُ

فمأخوذ من قول أعرابى وهو من أجود ما قيل فيه :

لَوْعَبَقَ الناسِ مِسْـكاً مِنْ أعِنّتِهِم ومِنْ ذَوَائب(١) سِيلاَنَاتِهم عَبِقُوا

وأخذه ابن (٢) المعتز فقال :

مُلوكٌ إذا خاضوا الوَغَى فسيوفهم مَقَابضها مِسْكٌ وسائرها دَمُ

ومثله قول أبى تمام .

لِدَمِ العَدُوّ علَى نِصال سيوفهم سَهَك وريح المسك فوق مقابِضِ

ومن أبيات بشار قوله :

(وجَوَارٍ إذا تَحَلَّيْنَ لم تَدْ رِ جَوَارٍ فى حَلْيِها أم ظِباء

يَتَعَرَّضْنَ لى بِفَاتِرة الطَرْ فِ إذا أقبلَتْ ثَنَاها الحَيَاء

وحديثٍ كأنه قِطَعُ الرَوْ ضِ ففيه الصفراء والحمْرَاء)

وهذا كقوله أيضاً :

(وكأنَّ رَجْعَ حديثِهـــا قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا

وكأنَّ تحت لسانهـــا هاروتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرَا

وتَخَالُ ما جَمَعَتْ عليـ ـه ثيابَها ذَهَبـاً وعِطْرَا)

---

(١) الدوائب جمع ذؤابة وذؤابة السيف علاقة قائمة والسيلان بالكسر سنخ قائمة السيف والسكين ونحوهما

(٢) ديوانه ٦٥ وحماسة ابن الشجرى ١١٣

وقوله أيضاً :

(وحَوْراء المَدامع من مَعَدٍّ كأنَّ حديثها ثَمَرُ الجِنانِ
إذَا قامَتْ لِمِشْيَتِهَا تَثَنَّتْ كأنَّ عظامها من خيزُرانِ)

ذُكر أنَّ بشَّارا أنْشدَ قول كُثَيِّر [1] بن عبد الرحمن :

ألا إنَّما ليلَى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكُفِّ تَلينُ

فقال : ما لأبى صخر قاتله الله يزعم أنها عصاً ويعتذر أنها خيزرانة والله لو قال : عصا مُخٍّ أو عصا زُبْدٍ لكان قد هجَّنها بذكر العصا ، هلاَّ قال كما قلت وأنشد — وحوراء المدامع من معد — والبيت الذى بعده .

وهذه القِطَع الثلاث حَسَنَة فى معناها ، وأمثالُها فى حُسْنِ الحديث كثيرة جدًّا ومثل مقطوعته الأولى :

وحديثٍ كأنه قطع الرو ض ففيه الصفراء والحمراء

قول الفضل بن الربيع :

رُبَّ يومٍ قطعتُه ناعِمَ البا لِ وليلٍ إلى سُقُوط الرِدَافِ
فى حديث كالرَوْض حُمْراً وصُفْراً وهَنَاتٍ مُـكَتَّمَاتٍ لِطَافِ

يريد بالرِداف أرْدَاف الثُرَيَّا وهى الدَبَرَان . ومثله قول الآخر [2] :

وبِـكْرٍ كَنُوَّارِ الرياض حديثُها تَرُوقُ بوجهٍ واضح وقَوَامِ

وفى حُسْنِ الحديث يقول كُثَيِّر [3] بن عبد الرحمن :

وأدْنَيْتِنى حتى إذا ما فتنتِنِى بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

---

(١) المصرى ١ — ١٧ والكامل ٢٩٧ مع الخبر

(٢) العقد ٣ — ١٧٧ لبشار

(٣) الحماسة ٥٧٢ والقالى ٢ — ٢٣٢ والأغانى الدار ٢ — ٩٠ وفى ديوان المجنون ٥٨ له وكذلك فى الشعراء ٣٦٣ والعيون ٣ — ٧٨ و ٤ — ١٣٩ والعقد ٣ — ١٦٦

تناءيْتِ عنّى حين لا لِىَ حيلة   وخلّفتِ ما غادَرتِ بين الجوانحِ

ويروى إذا ما سبيتنى ، العُصْم جمع أعصَمَ وهى الوُعُول ، ومَحَالُها رءوس الجبال، والأوْعَار المُتَمَنِّعة ، ولا تكاد تقرب السهل خوفاً من القنّاص ، نقل أبو الحسن على بن محمد الخياط قول كُثيّر : يحل العصم سهل الأباطح إلى صفة خمّار فقال فيما انشدنيه من قصيدة له :

هذا واسمط رَبٌّ دَسْكَرَةٍ   رَحبِ الفِناءِ لِكلِّ مَنْ امَّا

مُسْتَنزِلِ جلبابَ زائرةٍ (١)   بشاشــةٍ تستنزل العُصْمَا

ضفنَا به ذَرعاً فَهَبَّ لنا   بزُجاجة خِلْنَا بها نجْمــا

ولَوَ انَّ ملك الأرض تحت يدى   لجعلتُ كُلَّ نباتها كَرْما

حتى تكونَ الأرض مَنْهَلَةً   تغنَى الصَّوادى عن زُلال الما

وتذاكرنا ما جاء فى حُسْنِ الحديث فأنشدنى من أول قصيدة له :

مِنْ دَوَاعى الغَرام كرُّ العِيانِ   فاحْتَرِس من بوائق الأجفانِ

والحديث الذى يُهَزَّل منه   فى الهَوَى أرْيَحِيَّةُ النَشوَانِ

أنتَ من سِحر ساحر فى أمانِ   إنّما السِحر كلّه فى اللسَانِ

نُبذٌ مِن حديث مَن تَشتَهِيه   نائبات عن لذّة الرشفَانِ

وأنشدنى فى نحو ذلك لنفسه :

ما ضَرَّ من قُتَّه حديثك أن   يُحرَمَ قُوتاً بقيــة العُمُرِ

يقول هذا فى أبيات صنعها فى الغزَل فأطرب فيهــا وعفــَّ، وأحسن الوصف ، وها أنا أثبتُّها ههنا وإن خرج أكثرها عن الباب الذى أفضنا فيه إرادة الامتاع ، وإتحاف الأسماع قال وأنشدنيه :

فى أىِّ قلب يصون حُبّك لو   كنتَ بما فى ضميره تَدرِى

حدٌّ هواه ما بين سالِفــةٍ   منك فما دونهــا إلى الصدر

---

(١) الظاهر زائره

فإن تناهت به مآخذه ... فآخر الحدِّ معقدُ الخصرِ
وقدّس الله تحت ذلك ما ... ضُمّتْ عليه معاقد الأُزْرِ
لا شيء إلا لحظٌ أمتّعه ... فى روضة مُتّعت من القَطرِ
حيث بدا الوَردُ والبَهار على ... خدّك والأقحوانُ فى الثغرِ
والسوسنُ الغض ناعماً خضِلاً ... على مناط السلوك فى النحْرِ
يكادُ ماء النعيم يقطُرُ منْ ... سُنّة وجهٍ كسُنّة البدْرِ
كأنّ قُبطيّةً نثرتَ بها ... خِلطَين من فضة ومن تِبرِ
فى كلّ حُسنٍ مُنِحته شبَهاً (١) ... مستَلَبٌ من سُلافة الخمرِ
اللونُ والنَشرُ والمذاقة والسـ ... ـرُّ الذى أودعتْ من السُكرِ
تشكُل فنُون أخذت نُسختَهُ ... عن مَلَكَىْ بابِلٍ من السحْرِ
ما ضَرَّ مَنْ قُتّه حديثك أنْ ... يُحرَمَ قُوْتاً بقيةَ العُمْرِ
يا حبّذا المسجدُ الذى جمعَتـ ... ـنَا فيه مقصورةٌ إلى العَصر
ما كان إلاّ بستانَ تلهيةٍ ... لولا مراعاة حُرمة الشهرِ
اللّحظُ راحٌ واللفظ فاكهةٌ ... والخدُّ رامُشْنةٌ (٢) من الزَهرِ
فى ساعة لم تكن على عِدَةٍ ... فكيف جادت بها يدُ الدهرِ
وليتَها مُوْطِلَت بنا أبداً ... بل كُلّ شيء إلى مدًى يجْرِى

رجع، ومن حسن الحديث قول سُدَيف (٣) مولى اللّهَبِيّينَ :

وإذا نَطقنَ تخالهُنّ نَواظماً ... دُرّاً يُفَصِّلُ لؤلؤاً مكنونا
وأصحُّ ما رأت العيونُ جوارحاً ... ولهُنّ أمرَضُ ما رأيتَ عيُونا

(١) كذا بالأصل
(٢) قال الخفاجى فى شفاء الغليل ٩٤ هى ورقة آس لها رأسان
(٣) الحصرى ١ — ١٥ ستة أبيات والثانى فى النويرى ٥ — ٦ لاسحاق الموصلى

وقول الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان الأندلسي :

حديثٌ لو انَّ العُصْمَ تُلْحَى به انثنت ... وقد مُلِئَت أحشاؤهنَّ حَنينا
جرَى حيث لم تجر العيون فأو ... دَعَ المَسامِعَ سحرا والقلوبَ فُتُونا

وقوله أيضاً :

وما كان من عَطْفٍ عليَّ حديثُها ... ولكن لتعذيب الفؤاد المُعذَّبِ
حديث لو استسقت به الصخرَ جادها ... بأعذبَ من صوْبِ الغَمام وأطيَبِ

وقوله أيضاً :

إنْ فَاهَ أشربتِ الضلوعُ هَوًى ... حتى كأنَّ جميعها أُذن
لا تُنكروا كَلَفَ الضلوع به ... لحديثه لوُجيها سكَنُ

ومنه قول الآخر (١) :

هي الدرُّ منثوراً إذا ما تكلَّمت ... وكالدُّرّ مجموعا إذا لم تَكلَّمِ
تُعَبِّدُ أربابَ القلوب بِدَلِّها ... وتملأُ عينَ الناظر المُتَوَسِّمِ

وأخذ هذا أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي القيرواني الكاتب فأنشدني لنفسه :

تحدَّثتْ فرأتني ذُبتُ فابتسمت ... فقلتُ عقدكِ مقسوم على فيكِ
أمنه حدَّثت أم عنه ابتسمت فقد ... مَلات سمعي وعيني من لآليكِ

وقال أيضاً :

حَدَّثَتني فظلتُ أنكُتُ في الأر ... ضِ فقالت هلاّ سمعت إليّا
قلتُ قد خلتُ ما نطقت به دُرْ ... را نثيراً فقلتُ ألقُطُ شيّا
فاستعادَتني الحديث وقالتْ ... عذْرُ كان لي فصار عليّا

(١) الحصري ١ — ٢٠٥ والمرتضى ٢ — ١٥٨ الأول

وهذه تدخل فى خفَارَة بيتيه قبلها فإنهما فى غاية الملاحة، وعذُوبة اللفظ وقوّة الصنعة والرَجاحة، ونحو هذا قول عبيد الله (١) بن إسمعيل بن بدر الأندلسى :

أشكو إلى الله من سمعى ومن بصرى ... ما يَجْلبان إلى قلبى من الفِكَرِ
قدكنتُ أسمع عَمّنْ لستُ أذكُرهُ ... خوفاً عليه من التصريح بالذِكرِ
سمعتُ حتى اذا أبصرتُ قلت له ... يا حاش لله ماهذا من البَشَرَ
يَمَلّ سمعىَ إلاّ مِنْ تَحَدُّثه ... وليس يَمْـلأ إلاّ حُسْنُه بَصَرى

وقول (٢) أبى حيّة النُمَيرى :

ولـكنه والله ما طَلّ مُسلماً ... كغُرّ الثنايا واضحاتِ الملاغِمِ
اذا هُنّ ساقطنَ الحديثَ حسبْتَهُ ... كمثل حَصَى المَرجان من كفّ ناظم

ونحوه (٣) من هذا قولُ مؤمن بن سعيد الأندلسى :

سبتْك بحُسن منطقها مَهَاةٌ ... كأن حديثهـا شُهْد مَشُورُ
عَشيةَ زالت الأستارُ عنها ... فلاحَ لنـاظرٍ قمرٌ منيرُ
اذا نطقتْ تساقط لفظُ فيهَا ... كما يتَساقط الدُرُّ النثيرُ

ومنه قول عبد الرحمن بن دارة أوعدى بن الرقاع :

وفى الخُدُور مهاً حُورٌ مُصوَّرةٌ ... خُلقن أحسن ممّا قال من يصفُ
اذا كَرَرْنَ حديثاً قلن أحسنه ... وهُنّ من غير سُوءٍ يُتّقى صُدُفُ

ونحوه قول الآخر :

يُساقطن قولاً يُمرضُ القلبَ كُلُّهُ ... له زاهرٌ ان كان للقول زاهرُ
تراهُنّ من فرط الدلال دَوانياً ... اليك وهُنّ المانعاتُ الحرائرُ

---

(١) اليتيمة ١ — ٣٦٥ و ٣٦٦ الثلاثة الأولى

(٢) القالى ٢ — ٢٨٤ والحصرى ١ — ١٤ و ١٥ والمرتضى ٢ — ٩٨ والكامل ٤

(٣) الظاهر ونحو من هذا — قاله الميمنى

وقول جميل :

من البيضِ معطارٌ كأنّ حديثها ‏ ‏ ‏ صُبابةُ شُهد ذاب من ضَرَب النحل

الضرب . العسل الأبيض ونحوه قول أبي حية (١) :

حديثاً اذا لم تخشَ عيناً كأنّهُ ‏ ‏ ‏ اذا ساقطتهُ الشُهدُ أو هو أطيبُ

لو أنك تستشفي به بعد سكرة ‏ ‏ ‏ من الموت كادت سكرةُ الموت تذهبُ

وقول مروان (٢) بن ابي حفصة الأكبر :

ألا رُبّما غرّتك عند خطابها ‏ ‏ ‏ وجادت عليك الآنساتُ الخرائدُ

تساقطُ منهنّ الأحاديثُ غضّةً ‏ ‏ ‏ تساقُط دُرّ أسلمتهُ المعاقدُ

وقال البحتري (٣) :

فمن لؤلؤٍ تُبديه عند ابتسامها ‏ ‏ ‏ ومن لؤلؤٍ عند الحديث تُساقطه

وزاد أبو الطيب (٤) على هذا فقال :

فتاة تَساوَى عِقدُها وكلامُها ‏ ‏ ‏ ومبسمها الدُرّيُّ في الحسن والنظم

ونكهتُها والمَنـدلُ وقَرْقَفٌ ‏ ‏ ‏ مُعتّقة صهباء في الريح والطعمِ

ومنه قول (٥) ابي تمام :

تُعطيك منطقَها فتعلمُ أنّهُ ‏ ‏ ‏ لِجَنَى عُذُوبته يمُرُّ بثغرِها

وأظنُّ حَبل وصالها لِمُحبّها ‏ ‏ ‏ أوهَى وأضعف قُوّةً من خصرِها

وقول أبي الفضل بن أبي طاهر .

لها مُزاحٌ ولها كلامُ ‏ ‏ ‏ كجوهرَ ألّفه النظّامُ

---

(١) الحصرى ١ — ١٥ ‏ ‏ ‏ (٢) المرتضى ٢ — ١٠٦ باختلاف فى الأول

(٣) ديوانه ١ — ١١٦ والعكبرى ٢ — ٣٠٩ والحصرى ١ — ١٨ و ٢٠٥ والنويرى ٢ — ٧١

(٤) ديوانه ٢ — ٣٠٩ والحصرى ١ — ١٢ ‏ ‏ ‏ (٥) الحصرى ١ — ١٦

فيــه لآلٍ كُلها تُؤَامُ   يُسْكِرُنَا كأنَّـه مُدَامُ
له بِقَلْبِ المصْطَلى ضِرامُ   فهو حلال غِبُّه حرامُ
يَشفِي سقاما وهو السَّقَامُ

ومنه قول أحمد (١) بن عبد الله الأندلسى .

يا ليلةً ليس فى ظَلمائها نُور   إلاّ وجوه تُضَاهيها الدَّنانيرُ
حُورٌ سقَتْنِى بكأس الموت أعيُنُها   ماذا سقَتْنِيه تلك الأعيُنُ الحُورُ
اذا ابتسمن فدُرُّ الثغر مُنْتَظِمٌ   وان نطقن فدُرُّ اللفظ منثورُ

وقال أبو الحسن جعفر بن عثمان الوزير :

وكلامُها ماء الحيـاة وبَرْدُهُ   يُهْدَى لِظمْآن الضلوعِ مَشُوقِ
روضٌ يَدُلُّ جَناه أنَّ بِقَاعَه   ممطورة من عَذْبِ ذاك الريقِ
وبأنَّ ذاك الثغْرَ مِنْ حَصْبَائه   وثَرَاه من ذاك اللّما الموموقِ

وقول أحمد (٢) بن فَرَج الأندلسى .

حدَّثَتْنى فقلتُ دُرٌّ سقيطٌ   وتأمَّلتُ عِقدَها هل تَنَاثَرْ
فازْدَهاها تَبَسُّمٌ فأرَتْنى   عِقْدَ دُرٍّ من التَّبَسُّمِ آخَرْ
فتبلَّهْتُ لَستُ أدرِى أحَقٌّ   ما بدا لى أم (٣) من الحُسْنِ ساحِرْ

وقوله أيضاً .

تَبَسَّمُ عن دُرٍّ كدُرٍّ كلامها   فللهِ سِمْطَا لفظها وابتسامها
اذا ضحِكَتْ أو حدَّثت قلتُ هذه   جواهرُ فُضَّتْ من حُلىٍّ نِظَامها

---

(١) العقد ٣ — ٢٠٢ بغير عزو واليتيمة ١ — ٤٢٢ لأحمد بن محمد بن عبد ربه
(٢) نفح الطيب ١ — ٣٩٧ الأولان للمصحفى والنويرى ٢ — ٧١ لعلى بن عطيه البلنسى
(٣) كذا ولعل الأصل أم لى — قاله الميمنى

ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى لفظا وأتمه معنى قول القُطَامىّ (١) :

وفى الخُدور غَمَامات بَرَقْنَ لنا   حتَّى تَصَيَّدْنَنَا من كل مُصْطَادِ
يقتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يعلمه   من يَتَّقِينَ ولا مكنونُه بادِى
فهنّ (٢) يَنْبِذْنَ من قول يُصِبْنَ به   مَوَاقع الماء من ذى الغُلَّةِ الصادِى

وأحسن فيه كلّ الاحسان علىّ بن العباس الرومى (٣) فقال :

وحديثُها السِحْرُ الحَلَال لَوَ انَّه   لم يَجْنِ قتلَ المُسلم المتَحَرِّزِ
إنْ طال لم يُمْلَلْ وإن هى أوجَزَتْ   وَدَّ المُحَدَّثُ أنَّها لم تُوجِزِ
شَرَكُ العقول ونُزْهَة ما مثلُها   للمطمَئنّ وعُقْلَةُ المُسْتوفِزِ

أخذ الرَّبعى أبو الحسن معنى هذا البيت الآخير فزاد عليه قال وأنشدنيه :

ليتَ شِعْرِى ماطَعْمُ رِيقِك قُلْ لى   أخليطانِ سُكَّرٌ ورَحيقُ
روضة تجمع النوَاوِيرَ والريحانَ   فى وجهه وقدّ رشيقُ
وحديثٌ كأنما هو منه   رُطَب يانِع وخمر عتيقُ
شَرَكٌ يَقْنِصُ العقولَ فلا يَسْلم منه إلاّ فُؤادٌ وَثيقُ
ليتَ قُوْتِى ولا أريدُ سِواهُ   منكَ لو نلتَه حديثٌ ورِيقُ

وأنشدنى فى نحو منه أيضاً :

حديثه فاكهةٌ رطبةٌ   وخَدُّه روضٌ وعيناه خَمْرْ
ما جَمَعَ اللهُ فنونَ الهَوَى   بالحُسْنِ فى وجهك إلاّ لأمْرْ

ومنه ما أنشدنيه أبو الحسن على بن جيش الشيبانى لنفسه :

خليلَىّ كم صارمتُ ليلى فصدّنى   عن الهجر من ليلَى شفيعٌ مُشَفَّعُ

(١) ديوانه ٨ والشعراء ٤٥٣ والحصرى ١ — ١٠

(٢) هذا البيت فقط فى النويرى ٢ — ٧١ والعقد ٣ — ١٧٧

(٣) ديوانه ٤٠٩ والقالى ١ — ٨٥ والعسكرى ٢ — ٢٩٨ والحصرى ١ — ٩ والنويرى ٢ — ٧١

وكم قد تناجينا فأحدث صبوة — حديث له من حبة القلب موقع
حديث كماء المزن يروى من الصدى — ويبرد من حر الغليل وينقع
وما يعترى سمع المحدث نبوة — وإن جعلت فيه مراراً ترجّع
يطول فلا يزداد إلا حلاوة — ويقصر أحياناً فيلهي ويمتع
لعمرك ما الغمر الأجاج بمقنع — وفى العذب للصادى وإن قل مقنع

وهو كثير جداً :

وقول أبى معاذ من قصيدة

(شربنا من فؤاد الدن حتى — تركنا الدن ليس له فؤاد
وليس الجود منتحلاً ولكن — على أعراقها تجرى الجياد
ويوم فى بنى جشم بن بكر — نعمت به وندمانى زياد
إذا ماشئت غنانى كريم — له حسب وليس له تلاد)

يقال نديم وندمان ، وجمع نديم ندماء كظريف وظرفاء وشريف وشرفاء وجمع ندمان ندام كعطشان وعطاش وظمآن وظماء وهو الصاحب على الشراب ، والحسب ما يعد للرجل من المآثر ، رجل حسيب أى ذو مآثر وشرف وأصله من العدد يقال حسبت الشيء حسباً وحسباناً وحسباناً اذا عددته والمعدود حسب يقال . قد دخل هذا فى الحسب أى فى الشيء المحسوب ، فالحسيب فى الرجال من تعد له أفعال حسنة أو آباء أشراف ،والتلاد ما ولد عندك وهو خلاف التليد لأن التليد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فثبت عندك

أخذ النظام (١) قوله شربنا من فؤاد الدن حتى : البيت فقال :

(١) العقد ٣ — ٤٠٩ والشريشى ٢ — ٢٨٦ وقراضة الذهب ٣٢ وفى المعاهد ١ — ١٨٩ لأبى نواس

مازِلتُ آخذُ رُوحَ الزِقّ فى لُطُفٍ   وأستبيحُ دَماً من غير مجروحِ
حتّى انثنَيتُ ولى روحان فى جَسَدى   والزِقُ مُطَّرَحاً جِسم بلا رُوحِ

وقريب منه قول (١) عمرو بن قِعاس :

وكنت إذا أرَى زِقًّا مريضاً   يُنَاح على جِنازته بَكَيتُ

وقول ابن المعتز :

والزِقُّ فى روضة تسيل دَماً   أوْدَاجهُ جاثياً على الرُكَبِ

وَيَتطَرّقُ هذا المعنى قول الشريف (٢) أبى القاسم الرَسّىّ :

إذَا التَحَفَ الجوُّ بِالأدْكَنِ   وغَنَّى الحمائم كالأُرْغُنِ
وهبّتْ رِياح الصَّبَا بُكْرَةً   بِرَيّا القَرَنفُلِ والسوْسَنِ
وَحنَّ إلى القصْفِ ألافُهُ   فبادِرْ إلى شيخِك المنحنى
فَقَسْ عن الخنقِ أوْدَاجه   وَسَقَّ النَدَامَى ولا تَنسَني

الأرْغن للروم خاصة وإذا سُمعَ لم يَتمالك سامعه أن يطرب ويقال: إنه بقيةٌ من مزامير آل داود عليه السلام . وذُكر أنَّ اسمعيل بن الهادى دخل يوماً على المأمون وهو طائش العقل مستطار اللُبّ فقال له المأمون: مالك ويحك يا اسمعيل فقال: يا أمير المؤمنين كنتُ أكذِّبُ بأنَّ أرْغُنَ الروم يَقتُلُ طرَباً وقد صدّقتُ الآن بذلك فتبسّم المأمون . وقال ليس الأرْغُن ما سمعتَ إنما هى عمتك علية تلقِي على عمّك ابراهيم صوتاً من شعرها وهو :

ودّعتُ من أهوَى ورُحْتُ بحَسْرَةٍ   عجباً لقلبى كيف لن يَتصَدّعا
لاَ وجْدَ إلاَّ دُونَ وجْد نَالنِي   يومَ الفراق وقد خرجتُ مُوَدِّعا

---

(١) مضى البيت فى ص ٥
(٢) اليتيمه ١ — ٣٣٠ لابى محمد القاسم بن احمد الرسى

فاذَا الأحبّةُ قد تَولّتْ عيشُهُمْ وبقيتُ فرداً والهاً متفجّعا

وكرّر أبو معاذ معنى قوله : على أعراقها تجرى الجياد ، فقال :

(تَجْرِى عَلَى أحسابهم والعُودُ يَنْبُتُ فى لحائِهِ)

وهو مأخوذ من قول زهير (١) :

وهل ينْبت الخَطِّىّ إلاّ وشيجه وتُغْرَسُ إلاّ فى مَنابتها النَخْلُ

ومثله لنهشل (٢) بن حَرّىّ :

أرَى كُلَّ عُودٍ نابت فى أرُومة أبَى نَسَبُ الفِتْيَان أن يتغيَّرَا
بنُو (٣) الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدْق تلْقَهم حيثُ سُيِّرَا

ونحوه قول الكُمَيْت (٤) :

لا ينْبتُ الفرعُ إلاّ فى أرومته ولا ترَى ثمرَ القنْوَانِ فى السَلَمِ

وقول الآخر (٥) :

إذا ماتَ منَّا سَيد قام بعده لنَا خَلَفٌ يكفِى السيادة بارعُ
من ابنَائنا والمرء يُشْبِه جدَّهُ ووالدَه والفرْعُ للأصْل نازِعُ

وقال المُؤمّلُ الكوفى :

يَنْشَا الصغيرُ على ما كان والدهُ إنّ العُروق عليها ينْبتُ الشجرُ

وقال المتوكّل (٦) الليثى :

أمْضى على سُنَّةٍ من والدى سلفتْ وفى أرُومته ما ينْبتُ العُودُ

---

(١) العقد الثمين ٩١ والشعراء ٥٩ والحصرى ١ — ٤٧ وحماسة البحترى ٢١٨
(٢) حماسة البحترى ٢٢٠ ثلاثة أبيات والأغانى الدار ٢ — ٣٣٧ لابن ميادة باختلاف
(٣) هذا البيت فى الحماسة ٥٥ لجيل بن معمر
(٤) حماسة البحترى ٢١٨ (٥) المرتضى ٣ — ٢٧ وحماسة البحترى ٢١٨ للربيع بن أبى الحقيق اليهودى (٦) الصناعتين ٤٨ للمرار

وأشار اليه أبو (١) تمّام فقال :

فَبُعْدُ الغَايِ منْ حَظِّ العِتَاقِ

وقول أبي معاذ من أخرى :

(خفّض على عقب الزمان العاقب ليس النّجاحُ مع الحريص الدائبِ
تأتى المقيمَ — وماسعَى — حاجاتُه عَدَدالحَصَى ويَخيبُ سَعْىُ الطالبِ)

يقول فيها :

(أحسنْ صحابتَنا ولا تك جافياً فالدَّرُّ يقطعه جفاء الحالبِ
وارجعْ كمارجع الحليم ولا تكن كمُقَارِفٍ ذنباً وليس بتائبِ)

مثل قوله تأتى المقيم وما سعى حاجاته *

قول البحترى (٢) :

وعَجِبْتُ للمحدود يُحْرَمُ ناصباً كلِفاً وللمجدود يُرْزَقُ قاعِدَا

ومثله ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن من قصيدة له :

الرِفقُ ألطَفُ ما اتَّخذْتَ رفيقاً ويَسُوءِ ظَنُّكَ أن تكونَ شفيقَا
خُذِ المحَارَ (٣) من الزمان وأهلِه ودَعِ التَعَمُّقَ فيه والتحقيقَا
وإذَا سألتَ الله صحبةَ صاحبٍ فاسألْه فى أنْ يُصْحِبَ التَوْفِيقَا
وانظُرْ بعينك حازِماً متَعَذّراً فى حيث شئتَ وعاجزاً مَرْزُوقَا

ونحوه قول ابن المعتز :

يا أيها الطَالبُ المُعَنى أذلَّ من فَقْرِكَ السؤَالُ
كم راقد مُوقَظ برزق وذى اجتهاد ولا يَنالُ

---

(١) ديوانه ٢١٤ أوله وتخويق نوى عرضت وطالت (٢) ديوانه ٢ — ١٦٣
(٣) كذا والصواب المجاز

ونحوه ما أنشدنيه الربعي له :

أللهَ فَاسْألْ يَجدْ عليك فقد يَمْنَعُ منك الجَوَادُ ما يَهَبُ
قد يَعْثُرُ الجِدُّ بالحريص عَلَى الـ حِرْمَانِ والحرص جاهد كَلِب
ويُرْزَق الحَظَّ ذو التوكُّل والرِّ فْقِ ومن لا يَكُدُّه طَلَبُ

ونحوه قول الآخر (١) :

قد يُرْزَق الخافض المقيم وما شَدَّ بِعَنْسٍ رحلاً ولا قَتَبا
ويُحْرَمُ الرزقَ ذو المَطِيَّة والـ رَّحْلِ ومن لا يزال مُغتربِا

ونحوه أو قريب منه ما أنشدنيه الربعي لنفسه :

وتقول التى تخاف رحيلى رُبَّ ناءٍ نجاحه فى التدانى
إنَّ شَمْلا مُؤَلَّفاً وكَفَافا لك خير من قُرْعة الحَدَثان

وأما قوله : فالدرُّ يقطعه جفاء الحالب ، فمأخوذ من قول الآخر (٢) :

نُبِّئْتُ عَمْراً غير شاكر نعمتى والكفر مَخْبَثَةٌ لنفس المنعِمِ

وردَّده (٣) أيضاً بشار فقال :

(احلبْ لبونك إبساساً وتَمْرِيَة لا يقطع الدَّرَّ إلاَّ شرُّ محتلبِ)

وأعاده أيضاً فقال :

(تُعطى الغَزِيرة درَّها فاذا أبتْ كانت مَلامتها على الحَلاَّب)

والإبساس صُوَيت يستعمله الحالب عند الحلب يُسكَّن به الناقة ، وقال العتَّابى لمَّا دخل على الرشيد فامتحنه بمسائل فصمت ولم يجبه عنها فقال

---

(١) الحماسة ٥٣٥ للحكم بن عبدل الاسدى والزجاجى ١٢٦ والشريشى ١ — ١٠٣ لمحمد بن بشير (٢) حماسة البحترى ١١٠ لعنترة والموشح ٢٢٣ والبيت من معلقته

(٣) كذا موضع ردده ـ قاله الميمى

له تكلّم يا عتّابى فقال : يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الابساس لا يُمدح الرجل بأوّل صوابه ، ولا يذم بأوّل خطئه لِأنّه بين كلام زوّره أو حَصَر اعتوره

وقولـــه :

(من راقب الناس لم يظفرْ بحَاجته   وفَازَ بالطيّبات الفاتكُ اللَهِجُ
قالوا حرامٌ تَلاقِينا لقد كَذَبوا   ما فى التزامٍ ولا فى قُبْلة حَرَجُ)

ذُكر أنّ سلماً الخاسر كان تلميذاً لبشّار وكان قريباً منه فلما أخذ معنى قوله : من راقب الناس لم يظفر بحاجته . وقال (١) :

من راقبَ النـاسَ مات غماً   وفازَ باللذّة الجَسُورُ

غضب بشار عليه وجفاه وأبعده عن مجلسه وأقصاه فسأله بعض أهل الأدب أن يعيده إلى منزلته وأن يعود له إلى حسن رأيه فيه فأبَى وقال لا أفعل لِأنّه يأتى إلى معانىّ التى أتعب فى اختراعها وأسهر ليلى فى ابتداعها فيأخذها ويكسوها حُلة من لفظه فتُروى له ويُطرح قولى واللهِ لا أعدتُه أبداً إلاّ أن يأتى فأبول فى أذنه ثم يُقسِم لى أنه لا يعود إلى شيء مما فعل فقيل إنّ سلماً أتى بشارا فوقع تحت شرطه وأعاده إلى موضعه

وأخذه ابن المعتز فقال :

صَاحِ إنْ أمْكنَتْكَ لـ   ذّة عيش فـلا تَذَرْ
وتقدّمْ ولا تخَفْ   فاز بالحُبّ مَنْ جَسَرْ

ومثله قول أبى العتاهية :

فَاجْسُرْ فانّ أخا اللذّات مَنْ جَسَرا .

وكان سلم هذا وجماعة معه من مجيدى الشعراء يَتْبَعون بشارا ويصبُّون

---

(١) الأغانى ٦ — ١٢٦ والأغانى الدار ٣ — ٢٠٠ والمعاهد ٢ — ١١٩ والنويرى ٣ — ٨١ والعكبرى ٢ — ٢٥٩ لمسلم قال الميمنى مصحفا

على قوالب معانيه منهم أبو نواس وداود بن رَزِين وغيرهما وكانوا رُبَّما نَبَّهَ بعضهم على بعض فى الأخذ منه واتِّباع طريقته

قال أبو نواس (١) فى داود بن رزين :

إذا أنشــد داودُ   فَقُلْ أحسنَ بَشَّارُ
له من شعره الجَمّ   إذا ما شاء أشعارُ

وأما قوله قَالُوا : حَرَامٌ تلاقينا البيت فمثله ما يُحكى عن الشافعى رحمه الله أنَّه وقفت عليه امرأة برقعة فتناولها فاذا فيها (٢) .

سلُوا المفتى المكّىَّ هل فى تزاوُرٍ   وضَمَّةِ محزونِ الفؤاد جُنَاحُ

فردَّها عليها بعد أن قرأها وكتب تحت البيت .

مَعَاذَ إلٰهِ الناس أن يُذهِبَ التقَى   تلاصُقُ أكبادٍ بهنَّ جِراح

وأنا أرتاب بهذه الحكاية عن الشافعى رحمه الله على كثرة إسنادها إليه وتعليقها به على أنه قد وُجِّهَ لها وُجَيْهٌ فقيل : المعنى مَعَاذ الله أن يَفعل هذا تقِيٌّ فيُذهِبَ تُقَاهُ فعلُه إيَّاه كقولك : معاذ الله أن تفعل فيُسْقِطَ جاهَك شربُ (٣) الخمر وما أشبهه أى معاذ الله أن تفعل فيَسقطَ جاهُك وفى هذا بعض الغموض فتَنَبَّه له ونحو من هذا الأسلوب وإن لم يكن المعنى نفسه ما جاء فى الحديث : إذا لم تستح فاصنع ما شئت قال المازنى : معناه إذا صنعتَ ما لا يُستحيا (٤) من مثله فاصنَعْ ما شئتَ وليس على ما تذهب العوامّ إليه

وقوله من قصيدة :

(هل تعلمينَ وراء الحُبِّ منزلةً   تُدْنِى إليك فانّ الحبَّ أقصانى

---

(١) ديوانه ١٨٠   (٢) الكامل ١٦٤ وتزيين الأسواق ٧ والأدباء ٦ — ٣٨٤

(٣) الكلمتان شرب الخمر ومعاذ الله متأخرتان أفسدتا ما فى الأصل وقد اصلحناه

(٤) كذا وانظر

يا رِئْمُ قُولى لمثل الرئم قد هجرت ... يقظى فما بالُها فى النوم تغشانى
لهفى عليها ولهفى من تذكُّرِها ... يدنو تذكُّرُها منّى وتنآنى
إذ لا يزال لها طيف يؤرّقنى ... نشوان من حبّها أو غير نشوانِ)

أمّا البيت الأوّل من هذه الأبيات فليس لبشّار، وإنما استعاره وبنى عليه سائر أبياته، وهو ليعقوب بن عبد الرحمن المخزومى وقد ادّعاه أيضاً غيرُه قبله قال الزُّبير بن بكّار: حدثنى عمّى مصعب قال: كتب ابن أبى مُرّة الشاعر إلى أهل مكة بيتين وقال أجيبونى عنهما وهما [١].

هذا كتاب فتًى طالت بليّتُه ... يقول يا مُشْتَهَى بَثّى وأحزانى
هل تعلمين وراء الحُبّ منزلةً ... تُدنى اليك فانّ الحبّ أقصانى

قال: فلمّا ورد الكتاب على أهل مكة نظروا اليهما فاذا الثانى منهما ليعقوب ابن عبد الرحمن المخزومى صاحب عمر بن أبى ربيعة فقال فتًى منهم: أنا أحفظ هذه الأبيات قالوا هاتها فأنشأ يقول:

قال الوُشاة لهند كى تصارمنى ... ولستُ أنسى هوَى هند وتنساني
يعقوبُ ليس بمتبول ولا كَلِفٍ ... وَيْحَ الوُشاةِ فانّ الحُبَّ أضنانى
مابى سوى حُبّ هندٍ لا وَلو بَخِلت ... حُبّى لهند بَرَى جسمى وأبلانى
قد قلتُ لما بدا لى بُخْلُ سيّدتى ... وقد تبالَغَ بى شوقى وأحزانى
هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تُدنى إليك فانّ الحب أقصانى
قالت تَدَعْنَا بلا صُرْمٍ ولا صِلةٍ ... ولا صدودٍ ولا فى حال هجران
حتى تَشُكّ وُشاةٌ قد رَمَوْك بنا ... فأعلنوا بك فينا أىَّ إعلانِ

قال ثُمّ وَجّهُوا بالشعر إلى المدينة وارتفعوا إلى عاملها، فأدّبه على سرِقة

(١) النويرى ٤ — ١٩٨ للواثق بالله

البيت ، فهذا ابن أبي مرة شاعر مقدّم على بشار وقد ادّعاه قبله وأدّب على سرقته إيّاه

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي النحوى قوله ـ تَدَعْنَا ـ مجزوم بلام مضمرة وذلك جائز فى ضرورة الشعر ومعناه لِتَدَعْنا ، قال وأنشد سيبويه (١) :

مُحَمّدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ما خفتَ من أمرٍ تَبَالاَ

وذُكر أنّ بشارا كتب بهذا البيت إلى قينة كان يهواها :

هل تعلمين وراء الحُبّ منزلة تُدنى إليك فانّ الحب أقصانى

فكتبت إليه :

نعم أقول وراء الحبّ منزلة حبُّ الدراهم يُدْنى كلَّ إنسانِ
من زاد فى النقد زِدْنا فى مَوَدَّته لا تَبْتَغِي الدهرَ إلاّ كلَّ رُجْحَانِ

فأمّا قوله — يا رئم قولى لمثل الرئم — فهو مثل قول الآخر :

يا شبيه الرئم قُولِي لِرَشَا لم يزدنى الحُبُّ إلاّ عَطَشَا

وقوله — يدنو تذكرها (٢) منى وتنآنى — معنى متّسع ، منه قول الحَكَم بن قَنْبَر أو الخليل بن أحمد :

إن كنتَ لستَ معى فالذكر منك معى يرعاك قلبى وإنْ غُيّبْتَ عن بصَرى
العين تُبْصِر من تهوَى وتَفْقِدُه وناظر القلب لا يخلو من النَّظَرِ

ومثله قول الآخر (٣) :

أمَا والذى لو شاءَ لم يَخْلُقِ النوَى لَئِنْ غِبتَ عن عينى لَمَا غبتَ عن قلبى

---

(١) الخزانة ٣ — ٦٢٩ لحسان أو أبى طالب أو الأعشى والعينى ٤ — ٤١٨ والسيوطى ٢٠٤ والعكبرى ٢ — ٤٤٢

(٢) القالى ٢ — ١٩٩ للخليل حتما والحصرى ١ — ١٣٨ للحكم حتما والغيث ٢ — ١٩١

(٣) القالى ٢ — ١٩٩ والحصرى ١ — ١٣٨ والعيون ٤ — ٨٦ لأبى العتاهية

تُرِينِيكَ عينُ الذكر حتى كأنما ... أناجيكَ عن قُرْبٍ وإن لم تكن قُربي

ونحو هذا قول عبد الصمد بن المُعَذَّل :

مَنْ لِدَانٍ هواهُ نَاءٍ هَوَاهُ ... قد شَكتهُ شكواهُ مِنْ شكوَاهُ

ومَرَى شوقُهُ المدامعَ حتى ... صار يبكيه مِنْ بُكَاهُ بُكَاهُ

بَأبى غائبٌ بشوقى وفكرى ... فيه ألقاهُ حين لا ألقَاهُ

مَثَّلتْهُ المُنَى لقلبى وطرفى ... فكأنى أراه إذ لا أرَاهُ

يا أبا جعفرٍ لقد نال من لم ... يَرَ يوماً مُنَاهُ فينا مُنَاهُ

ومنه قول ابن المعتز (١) :

يقولون لى والبُعْدُ بينى وبينهَا ... نَأتْ عنكَ شرٌ وانطوَى سببُ القُرْبِ

فقلتُ لهم والصبُّ يَفضَحُهُ البكا ... لئن فارقتْ عينى لقد سكنَتْ قلبى

وقول عبد الملك بن سعيد المرادى (٢) :

يا أقربَ الناسِ من وهمى ومن ذكرى ... وإنْ تَغَيَّبَ منه الشخصُ عن بصرَى

إن غاب عنّى ولم أظفَرْ برؤيته ... فإنّه قائم التِمثال فى فِكَرِى

إنّى لأستصغِرُ البَلوَى وإنْ عظُمَتْ ... فى حُبّه وأرَى الحِرْمانَ بالظَفَرِ

وقول أحمد بن عبد الملك بن مروان :

أستودعُ اللهَ إلْفاً كان لى ظَعَنَا ... لم تألَفِ العينُ مذْ فارَقْتُه وَسَنَا

وَلّى فأسْلَمنى فرداً فَوَاحزَنَاً ... إذ لم أمُتْ عند توديعى له حزَنَا

لم أنْسَه سَكَنَاً فى القلب مَسْكنُه ... وكيف نسيانُ مَنْ فى القلب قد سَكنَا

ولو تناسيتُه ما زلت أذكُرُه ... إذا رأيتُ الدُجَى والبَدْرَ والغصُنَا

بل كلّما رأتِ العينانِ من حَسَنٍ ... وهل تَرَى العينُ شيئاً بعدهُ حَسَنَا

---

(١) ديوانه ٨٣ (٢) من شعراء اليتيمة ١ — ٣٦٤

وقول الفقيه أحمد بن عبد الله اللؤلؤيّ :

كتمتُ تباريحي فصرّح عن سرّي ... سوافح نمّتْ عن غرامي ولا تدْري
لئن غابَ(١) عن عيني وأعجزَ ناظري ... لما غابَ عن وهمي ولا بانَ عن فكري

وقول أبي الحسن جعفر بن سليمان الوزير :

بأبي مَنْ إذا تباعدَ عنّي ... زادَه الشوقُ من فؤادي دُنُوّا
ما هفَتْ بي ريحُ التذكُّ إلاّ ... راحَ قلبي إليْهِ يهْفُو هفُوّا
لم أزَلْ حانِيَ الجوانح والقَلْـ ... ـبِ عليه مُذ بانَ عنّي حُنُوّا

وقول محمد بن عبد العزيز العتْبيّ :

أيا شمْعَ محراب وبدرَ دُجُنَّة ... وشمس غمامات ودُمْية راهبِ
لئن كنتَ عن عيني وسمعيَ نائياً ... فما أنت عن فكري وقلبي بغائبِ

وقول أحمد بن محمد بن عبد ربّه :

ودّعتَ فارْكبْ جناحَ البيْنِ في سفَرِهْ ... هذا الفراق وهذا الموت في أثَرِهْ
من يشتكي البينَ لا يشكو غوائلهُ ... قلبٌ يراك إذا ما غبتَ عن بَصَرِهْ

وقول أحمد بن عبد الملك بن مروان :

تَوَلّى الصبرُ عنّي مُذْ تَوَلّى ... وعاوَدَني من الأحزان عِيدُ
فقيــد وهو موجود بقلبي ... فيا عجبا لموجودٍ فقيدُ(٢)

وقول الوزير عبيد الله بن يحيى بن إدريس(٣) :

ما إن يغيب فأشكو فقْدَ رؤيته ... وَجهٌ تَنَعّمُ قلبي في تذَكُّرِهِ
من ليس ينأى على بُعْد المزار به ... وليس يُدنيه منّي قربُ محضَرِهِ

---

(١) البيت مع بيت آخر في اليتيمة ١ — ٤٠٤

(٢) أي هو فقيد فلا إقواء وهذا البيت فقط في نفح الطيب ١ — ٢٤٧ لابن شهيد وقال الميمني أرى أن الأصل أموجود فقيد

(٣) اليتيمة ١ — ٣٦٤

وقول أغلب بن شعيب :

يا بعيداً يُدْنيه لِى الفكر حتَّى . يتراءى توهُّما كالعيانِ
لا رأيتَ الصدود فى عقْب وصلٍ لا عرفت البِعاد بعدَ التدانى

وقول الوزير أبى مروان عبد الملك بن جهْوَر (١) :

يا غائباً لمَّا فُجِعتُ بقُرْبِه جادَ الضميرُ به على مفجوعهِ
فأقامه لى ماثِلاً فرأيْتُــه كالبدر وافَى سَعْدَه بطلوعهِ
فَاعْجَبْ لبُعْد مزاره ودُنُوِّهِ حتى اغتدَى فى القلب بين ضلوعهِ

وقوله :

نفسُ مؤَكَّلَةٌ به مملوءةٌ من حُبِّه عنوانُهــا بلسانى
ما غاب عن ذكرى بِطُولِ مَغيبه فكأنَّنى ألقــاهُ أو يلقَانى

وقال فيه أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم (٢) فأحسَنَ ما شاء :

لئن راح عن عينىَّ أحمد غائباً لمَا هو عن عين الضمير بغائبِ
له صورة فى القلب لم تُقْصِها النَّوَى ولم تَتَخَطَّفْها أكُفُّ النوائبِ
إذا ساءنى منه نُزُوحُ زيارةٍ وضاقت علىَّ فى نَواه مذاهبِى
عطَفَتُ على شخص له غيرِ نازحٍ مَحَلَّتُه بين الحشا والترائبِ

ومنه قول ابن المعتز (٣) :

وخليلٍ كان مَرْعَى الأمانى ورِضَى النفس وحَسْبُ الاخاء
أغرقتْنى لُجَّةُ البين عنــه فتعلقتُ بحَبــل الرجاء
غير أنَّا بالنوى فى افتراقٍ وبلُقيَا ذكرِهِ فى لِقــاء

---

(١) من شعراء اليتيمة ١ — ٣٥٨
(٢) الحصرى ١ — ١٣٨ والأدبا ٤ — ٢٣١ والوفيات ١ — ١٧
(٣) ديوانه ١٢٣ قال الميمنى : ولـكن من قصيدة فى غير هذا الوزن وراجع

وعلى ذكر ابن العباس عبد الله بن المعتز رُوِي : أنّ أحمد بن يحيى ثعلباً كان أحدَ مُؤدِّبيه فقطعه وقتاً ، فكتب إليه ابن المعتز يتشوّقه (١) :

ما وَجدُ صادٍ بالحبال مُوثقِ ... كماء (٢)، مُزْنٍ باردٍ مُصفّقِ
بالريح لم يُكْدَرْ ولم يُرَنَّقِ ... جادت به أخلافُ مُزْنٍ مُطبِقِ
بصخرة إنْ تَرَ شمساً تَبرُقِ ... فَهوَ عليها كالزُّجاج الأزرقِ
صريحُ غيثٍ خالصٍ لم يُمذَقِ ... إلاّ كوجدى بك لكنْ أتقى
يا فاتحاً لكل علم مُغلَقِ ... وصَيْرَفِيًّا عالمـا بالمنطقِ
إنْ قال هذا بَهْرَجٌ لم يَنفُقِ ... «إنّا على البعـاد والتفرّقِ
لنَلتقِ بالذكر إن لم نلتقِ »

فأجابه ثعلب أخذتَ أطال اللهُ بقاءك أوّل هذه الأبيات مما أملَلتُه عليك لجميل من قول جميل (٣) :

فما صاديات حُمْنَ يوما وليلةً ... على الماء يَخْشينَ العِصيَّ حَوَانى
لوَاغِبُ لا يَصدُرْنَ عنه لوِجْهَة ... ولا هنَّ من بَرْدِ الحياضِ دَوَانى
يرَيْنَ حَباب الماء والموت دونه ... فهُنَّ لأصوات السُّقَاة رَوَانى
بأكثر منّى غُلّةً وصَبَابَةً ... إليك ولكنَّ العدُوَّ عدَانى

وأخذتَ آخرِها من قول رُؤْبَة بن العجّاج (٤) :

إنّى وإن لم ترنى فإنّنى ... أخوكَ والراعى الذى استرعيتَنى
أراكَ بالوُدّ وإنْ لم ترَنى

(١) ديوانه ١٤٩ والحصرى ١ — ١٥٨ مع الخبر
(٢) كذا والصواب لماء — قاله الميمنى
(٣) الحصرى ١ — ١٥٨ وديوان المجنون ٣١ و٣٢ له باختلاف قال الميمنى والصواب يخشين العصى حوانى
(٤) ديوانه ١٦٣ باختلاف وحماسة البحترى ١٠٨ والعكبرى ١ — ١٥٣

فاستخفنى (١) فى ذلك وكان ممّن ساء أدبه بالأدب ، وذُكر أنّ ثعلباً كتب إليه بعد ذلك (٢) :

أبلغ أخاكَ وإن شطّ المزارُ به أنّى وإن كنتُ لا ألقاه ألقاهُ
فإنّ طرفى موصول برؤيتـــه وإن تباعَد عن مَثْواى مَثْواهُ
الله يعلم أنّى لستُ أذكــره وكيف يذكُره من ليس ينساهُ

مثل أبيات جميل قول الآخر (٣) :

وما وَجْدُ مِلْواحٍ من الهيم حُلِّئَتْ عن الوِرد حتّى جوفُها يَتصلصَلُ
تَحُومُ فتغشاها العِصِىُّ وحولها أقاطيع أنعـــام تُعَلُّ وتُنْهَلُ
بأكثر منّى لَوْعَةً وتقطعًا إلى الوِرد إلاّ أنّنى أتجمّلُ

وقريب منه قول ابن المعتز (٤) :

وإنى على اشفاق عينى من العِدَى لَتَجْنَحُ منّى نظرةٌ ثم أشفِقُ
كما حُلِّئَتْ عن بَرْدِ ماء طريدةٌ تَمُدُّ اليـه جيدَها وهى تَفْرَقُ

تفسير ما مرّ فى الأبيات من الغريب — الصادى العَطْشَان تقول : صَدِىَ يَصْدَى فهو صَدٍ وصادٍ و صدْيَانُ إذا عَطِشَ قال النابغة (٥) :

زعم الهمام ولم أذُقْهُ أنّه يُشْفَى بِرِيقَتِهامن العَطَشِ الصَدِىْ

وقال القُطَامى (٦) :

فهن يَنْبِذْنَ من قول يُصِبْنَ به مَوَاقعَ الماء من ذى الغُلّةِ الصادِى

---

(١) بالأصل فاستجفى وفى الحصرى قال فاستخفنى فى ذلك وهو الصواب

(٢) غرر الخصائص ٢٧٨ والعيون ٣ — ٢٧ لعلى بن الجهم باختلاف والصناعتين٣٢٣ بغير عزو والعقد ١ — ٢٢٧ لعبد الصمد بن المعذل

(٣) الحصرى ١ — ١٢٩ والحيوان ٣ — ٣٢ لاعرابى

(٤) النويرى ٣ — ١٠٠ والحصرى ٤ — ٢٨ بتغيير القافية فهى هناك أطرف

(٥) العقد الثمين ١٠ والحصرى ١ — ٢٠٦

(٦) ديوانه ٨ والشعراء ٤٥٣ والعيون ٤ — ٨٢ والمعاهد ١ — ٦٤

وقيل : إنّه لا يشتَدُّ العطش حتى ينشقّ الدماغ ، قالوا : وكذلك تنشقُّ جِلدةَ جبهَة من يموت عطَشاً والصَدَى اسم العَطش ، والصَدَى أيضاً ذَكَر البُوم ، والعرب تزعم أنّ القتيـل إذا لم يُثْأرْ به خرج من رأسه طائر يسمى الصَدَى فلا يزال يصيح : اسقُونى حتى يُثْأرَ بالقتيل الذى خرج من رأسه قال الشاعر (١) :

يا عمرو إلاّ تدَعْ شَتْمِى ومنْقَصَتى أضْرِبْكَ حيث تقول الهامة اسقُونى

أى انْ لا تدع ذلك أضربْ رأسك بالسيف ، والصَدَى أيضاً الصوت الذى يجيبك بمثل صوتك اذا صوّتّ عنـد جبل أو نَهَرَ أو بيت خال أو ما أشبه ذلك قال الشاعر (٢) :

ومُسْتَنْبِـحٍ بات الصَدَى يَسْتَتِيهُـه إلى كُلّ صوتٍ وهو فى الرَحْل جانحُ

وهـذا بيت معنى ، وتفسيره أنّ المُسْتَنْبحَ الرجل يَضِلُّ ليلاً فيَنْبَحُ طمعاً أنْ تسمعه كلاب حىٍّ فيُجيبه منها مجيب فيقصد قصده ، وقوله يستتيه يُتَوّهُهُ الصَدَى أى اذا سمع صوت صداه ظنّه صوت رجل ينـاديه أو كلب يجيبه بمثل نُبـاحه فيتبعه فيزداد ضلالا فهو ليلَه جانح فى رحله أى مائل الى اصاخة الأصوات وتوقعاً لها (٣) واذا سمعها وتبعها أدّتْهُ الى حىٍّ فاهتدى به والصَّدَى بدن الانسان وجمعه أصداء قال حاتم الطائى (٤) :

أماوِىّ انْ يُصْبِحْ صَداىَ بقفْرَةٍ من الأرض لا ماء لدىّ ولا خَمْرُ

ويقال للرجل اذا كان حسن القيام على الابل جيّد النظر فى اصلاحها : انه لَصَدَى مال ، هذه كلها مقصورات غير مهموزات يكتبن بالياء ، والصّدَاً

---

(١) القالى ١ — ١٢٩ لذى الأصبع العدوانى والكامل ٢١١ والنويرى٣—١٢١ والقصيدة فى المفضليات ٣٢١

(٢) الحماسة ٦٨٥ لعتيبة بن بجير المازنى (٣) كذا بالأصل ولعل الصواب متوقعاً

(٤) ديوانه ١٩ والشعراء ١٢٨ والكامل ٢١٣

صَدَأُ الحديد مهموز مقصور يكتب بالألف يقال صَدِيء الحديدُ يَصْدَأُ صَدَأً وصَدْءًا وصَدْأة قال الشاعر :

مرّةً فوق جسمه صدأ الدِرْ ع ويوماً تجرى عليه العَبِيرْ

وقال الآخر :

صَدَأُ الحديد على أنوفهم يَتَوقّدون تَوَقُّدَ النَّجْمِ

وكذلك الصُدْأة مصدر فَرَسٌ أصْدَأُ ، والمُزْن السحاب واحدته مزنة والمُصَفَّق الذى صفقته الريح وأزالت القَذَى عن وجهه ، ويقال : صَفَّقْتُ الخمر إذا مزجتها قال الأصمعى: صفقْت الخمر اذا حوّلتها من إناء الى إناء لتصفو وترقّ والمُصَفّق هنا المُصَفَّى ، ويقال كَدِرَ الماء وكَدُرَ وكدَر والكسر أفصح ، والرَنَقُ الكدَر ويُرَنِّقُ يكدّرُ ، والدَّجْن دوام الغيم وإلباسهُ السماء ، ومنه دَجَنَ بالمكان دُجُونًا إذا أقام به ، وبعيرٌ داجنٌ وشاةٌ داجنٌ إذا أقاما فى مكانهما ، وجمع دَجْن دُجون وأدجان ، والدُجُنَّة الظُلمة وليل مِدْجان مُظْلِم والأخلاف جمع خِلْف وأصله للناقة واستعاره ابن المعتز للسحاب ، والصريح الخالص من كل شىء الذى لم يَشُبْه غيره يقال ماء صريح ولبن صريح ونسب صريح أى لم تَشُبْه شائبة ولم يختلط بغيره . وأصل الصريح اللبن الذى قد ذهبت ، رَغْوَته ثم استعمل فى كل شىء خالص : فقيل عربى صريح وصرّح بعد أن لوّح قال الشاعر (١) :

أَلمْ تَرَ أنّى يوم فَارَقتُ مُؤثِراً (٢) أتانى صريحُ الموت لو أنّه قَتَلْ

أى خالصه ، والمَذِيق والممذوق أصله اللبن أيضاً يُخْلط بالماء فاستعير لكُلّ مشوب غير خالص ، والبَهْرَج والسَّتُّوق الدرهم الردىءُ وأصله فارسى فعُرّب ، والصاديات جمع صادية وهن العِطاش ، وحُمْنَ دُرْنَ حول

---

(١) الحماسة ٤٥٦ لزويهر بن الحارث

(٢) بالأصل موبرا والصواب موثر اسم ابن أخى الشاعر

الماء من العطَش يقال: حام يَحُوم حَوْماً وحِياماً وحَوَمَاناً وحُؤُوماً إذا دار حول الماء من شدة العطَش وحام الطير فى الهواء كذلك أيضاً ، والحَوْمُ الكثير من الابل وغيرها يقال : مال حَوْمٌ إذا كان كثيرا ومثل حام يحوم لابَ يَلُوب لَوْباً ولُوَاباً إذا حام حول الماء من العطَش قال الشاعر (١) :

يُقَاسُونَ جيشَ الهُرْمُزَان كأنّهم قَوارِبُ أحواضِ الكُلاب تَلوبُ

الكُلاب اسم ماء لبعض العرب ، والقوارب جمع قاربة وهى الابل التى تسرى ليلةَ القَرَبِ يقال : قَرِبَتِ الابلُ الماءَ تَقْرَبه قُروباً وقرابة إذا طلبتَه ليلةَ القَرَب وأقْرَبَها أهلها فهم قاربون قال الأصمعى : ولا يقال مُقْرِبون وهذا شاذّ وقال أبو على القالى : إنما قالوا قاربون لأنّهم أرادوا ذوى قُرْب وأصحابَ قرب ولم يبنوا على أقْرَبَ ، وَليلةَ القَرَب هى الليلة التى يُصبح الماء فى غدها قال الشاعر :

وتَنْسَى ليلةَ القَرَبِ

أى ينسَى الساهى اللاهى ليلة موته وقال نُصَيْب (٢) :

أقول لرَكْبٍ قافلين لَقِيتُهم قَفَاذاتِ أوْشالٍ ومولاكَ قارِبُ

واللواغب جمع لاغبة واللُغوب الاعياء ، ورَوانٍ جمع رانية والرُنُوُّ إدامة النَظَر ، وعَداه صَرَفه ، والمِلْوَاح العَطْشى مِفعال من اللُوح وهو العطش ، والهِيم الابل العِطاش من داء يصيبها يقال له الهُيَام فهى تشرب الماء ولا تَرْوَى يقال : بعير أهْيَمُ وناقة هَيْماء اذا كانا كذلك وحُثْحِثَتْ طُرِدتْ ، يتصلصل أى يُسْمع لجوفها صلصلة من يُبْسه كما يُسْمَع للشىء الصَلْصَال إذا نقرته بيدك صوت ، تُعَلَ تُسقى ثانياً وتُنْهل تُسقى أوّلاً يقال: نَهِلَ يَنْهَلُ نَهَلاً فهو ناهل ونَهْلَان إذا شرب أوّل شَرْبَةٍ ويقال للعطشان

(١) الأغانى ١٢ — ٣٩ باختلاف عظيم المخبل من قصيدة والقالى ٢ — ٢٤٨ بغير عزو

(٢) راجع ص ١٢٣ من هذا الكتاب للتخريجات

أيضاً ناهل ونَهْلَان والجميع نِهَال قال الأصمعي : قيـــل للعِطاش نِهَال على التفاؤل أي أنها تنهَلُ أي تُسقَى ، والعَلَل الشُرب الثاني والنَهَل الشُرب الأوّل وهو من الأضداد

وقول أبي معاذ من أخرى :

(طرقتنا ذات البنـان الأحمّ   حبذا النوم للخيال المُلِمّ
وحديثٍ نَمَا إليهـــا فلم تر   قُبْ بياناً وباطلُ القول يَنْمِى
لو سقتْنى ممّا لقلتُ دَعُوها   لا يَضُرُّ الحُوارَ وطأةُ أُمّ)

مثل صدر هذا البيت ما يُروى عن مَهدِيّ بني العباس في جارية تغضَّبَتْ عليه فقال لها :

أما يكفيكِ أنكِ تملكيني   وأنّ النـــاس كلهم عَبيدى
وأنّك لو قطعت يدى ورِجْلى   لقلتُ مَحَبّةً أحسنتِ زيدى

وأبلغ من هذا قول العُذْرِيّ (١) :

لو حُزَّ بالسيف رأسى فى مَودّتها   لمرّ يهوِى سريعاً نحوكم راسى
ولو ثَوَى تحتَ أطباق الثرَى جسدى   لكُنْتُ أَبْلَى وما قلبي لكم ناسى
أو يقبضُ اللهُ روحى صار ذكركم   رُوحاً أعيش به ما عشتُ في الناس
لولا نسيم لذكراكم يُرَوّحُنى   لكنت مُحترقاً من حَرّ أنفاسى

ومثل عجزه قول الآخر (٢) :

دَعِ الحِبَّ يَصْلى بالأذَى من حبيبه   فكُلّ الأذَى ممّن يُحَبُّ سُرورُ
غُبارُ قطيع الشاءِ في عَيْن ذئبها   إذا ما تلاَ آثارَهُنّ ذَرورُ

---

(١) القالى ٢ — ٥٠ لرسيان العذرى البيت الأول والأغانى الدار ١ — ١٧٤ كذلك وفى الحصرى ١ — ٢٢٩ أربعة أبيات كما هنا (٢) الحصرى ١ — ١١

ومثل قوله — حبذا النوم للخيال الملم — قول موسى بن سعيد :

يا حبّذا طيفٌ له يعتادنى   لولا رجاء لقـائه لم أرقُدِ

وقول أحمد بن إبراهيم (١) :

هل تُعتِبِ الأيّام منك بنظرةٍ   تغدو بسرّاء على ضرّاء
لولا مُحاباة الخيال بزَورةٍ   من طيفها لطوَى الردَى حَوبائى
ياليتَ أيّام الهوَى عادَتْ كرَى   فأنالَ من طيف الحبيب شفائى

ومنه ما أنشدنيه أبو الحسن الربعى من أول قصيدة له :

أهلاً بطيفِ حبـابة من زائرِ   أهلاً به هَجَرَتْ وليس بهاجرِ
مُتَجَمِّلٍ لمّا أراد زيارةً   أهدى الرُّقاد إلى جفون الساهرِ

وهذا ضدّ ما أنشدنيه على بن جيش الشيبانى من أول قصيدة له (٢) :

رعَى الله من ليلَى خيالا تأوَّبا   وإن كان لم يشف الفؤاد المعذَّبا
سَرَى والذى بى من هوًى كُلما بَدا   أطار الكرَى عن ناظرى فتحجبا
ألمّ بمهجور فصادفَ رِقبَةً   بجفنَيه من تسهيده فتنَكّبا

ومنه قول أغلب بن شعيب :

كم خيالٍ سَرَى فعَانَقتُ منـه   تحتَ جنح الظلام شمساً وغُصْنَا
أستَلِذُّ الالمام منـه وإنْ أو   هنَ صبرى به إذا زار وَهْنَا
شرّدَتْـه كفّة السُّهادِ فقد أصْـ   ـبح جُلّ المُنَى اذا الليل جَنّا

وقوله أيضاً :

نمتُ ولولا الذى يُنوّمنى   من شِرّة الكفر (٣) فيه لم أنمِ
فزارنى فى ثيـاب مستترٍ   مُدّرعٍ بالظلام مُلْتثِمِ

---

(١) اليتيمة ١ — ٤٠٠ لاحمد بن ابراهيم بن قلزم
(٢) سبقت هذه الأبيات   (٣) كذا ولعل الأصل من شدة الفكر قاله الميمنى

وقول أبى معاذ :

(كأنما خُلِقَتْ من ماء لُؤْلُؤَةٍ فكُلُّ أعضائها وَجْهٌ بمِرصادِ
تُلْقَى بتسبيحةٍ من حُسْنِ ما خُلِقَتْ وَتَسْتَفِزُّ حشا الرائى بارْعَادِ)

مثل قوله — فكل أعضائها وجه بمرصاد — قول البحترى (١) :

ومُحترسٍ من حيث رُمتَ اغترارَهُ وجدتَ له سهماً إليك مفَوَّقا

وأخذه آخر فقال :

نُصِبَتْ جفونُك للمُحِبِّ ظُبًى من حيث مالاقَى لَقَى حَدًّا

ومثل عجز الأول وصدر الثانى من بيتى بشار قول الناجم فى وصف قينة :

مَحاسنُها كيف ما قوبلَتْ وألحانُهـا سُبْحَة السامعِ

وأخذه ابن الرومى فقال :

وَجْهٌ اذا ما بدَتْ للناس سُنَّتُهُ كانت مَحاسنُهُ حَوْلاً لهم سُبَحا

ومن عجز الثانى قول ابن طاهر فى وصف غناء :

وصوتٍ يُرَقِّص قلبَ الحليم وإنْ سكنَتْ منه أطرافُهُ

ونحوه قول ابن المعتز فى وصف كاتب (٢) :

يُقَطِّر أقلامه من دمٍ فيَعلم بالظنّ ما لم يكُنْ
وظاهر أطرافه ساكنٌ ومن تحتها حركاتُ الفِطَنْ

وعكسه قول الناجم فى وصف قينة :

تأبى أغانِى عاتِب (٣) أبداً بأفراح النفوسِ
تَشْدو فتزمرُ بالكُؤو سِ لهافترقُصُ بالرُءوس

(١) ديوانه ١ — ١٧١ (٢) ديوانه ٣٣٢

(٣) عاتب اسم قينة

وقول أبي معاذ :

(يُكلِّمها طرفي فتومي بطرفها فيُخبرِ عمَّا في الضمير مِنَ الوَجْدِ
فانْ نظر الواشون صدَّتْ وأعرضَتْ وإنْ غفلوا قالت ألستَ على العهدِ)

هذا كقول الآخر :

شكى بعضُنا لمّا التقينا تَستُّرًا بأبصارنا ما في النفوس إلى بعض
إذا غفلوا عنَّا نطقنــا بأعيُنٍ مِراضٍ وإنْ خفنا نظرنا إلى الأرض

ومنه ما أنشدنيه الربعي أبو الحسن من قصيدة له :

وما أنسَ لا أنسَ اغتفالَ رقيبه مُخالسةً باللحْظ ساعةَ ودَّعا
وأحسبه لولا عيونُ وُشاته لصعَّدَ أنفاساً وصوَّب أدمُعا

ونحو منه ما أنشدنيه من قصيدة له :

ولقد أحُكُّ العين أوهِمُ بالقَذَى واللحْظُ بين جفونها متواترُ
ولرُبَّما غفلوا فَفُزْتُ بنظرة عَجِلاً كما قصَّ الجناحَ الطائرُ

وهـذا معنى فيما أراه مخترع وتشبيه مبتدع أعنى عجز بيت أبي الحسن هذا ومثله قول الآخر :

إذا ما التقَيْنا والوُشاة بمجلس فليس لنا رُسْلٌ سوى الطَرْف بالطرفِ
فانْ غفل الواشون فُزْتُ بنظرة وإن نظروا نحوى نظرتُ إلى السَّقْفِ

ومثــله :

سارقَتْ بالسلام عينَ الرقيبِ وأشارَتْ بلَحْظ طرفٍ مُريبِ
وشكَتْ لَوْعة النَّوَى بشُجون أعربَتْ عن لسان قلبٍ كئيبِ
رُبَّ طرفٍ يكون أفصحَ من لفـ ظٍ وأبْدَى لمضمراتِ القلوبِ

ومثله لأبى المطّلب البصرى :

ومنتظرٍ رَجْع السـلام بطرفهِ إذا ما انثَنَى يحكِي لنا الغُصُنَ اللَّدْنا
إذا جعل اللحظَ الخفىَّ كلامَه جعلتُ له عينى لتفهَمَه أذْنَا
فلسنا على حمل الرسـائل بيننا نُرِيد سوانا مُفْهِماً حيثما كُنَّا
كَـفَتْنا بلاغات العيون حديثَنا فضُمِّنَ محاجات النفوس لنا عنَّا

ومثله قول الآخر (١) :

ومُرَاقِبَيْنِ يُكاتمان هواهما جعلاالصدورَلما تُجِنْ(٢) قُبورا
يتلاحظان تلاحُظاً فكأنما يَتَناسخان من الجفون سُطورا

ونحوه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن بن الخياط لنفسه :

تعارضْنَا مُقَـابَلةً بلحظٍ فأطرقْنا وقد فُهِم المُراد
وطار بمـاء وجْنته شَرارٌ كأنَّ اللحظ بينهما زِنادُ
فيَالَوُشاتنا حَضَروا وغابوا ومن لهُمُ بما جَنَّ الفؤادُ
كأنَّ النـاس عمَّا نحن فيه من الأسرار أشباحٌ جَمادُ

وأنشدنى فيه لنفسه أيضا :

رُبَّ جليسٍ لى فيه وَطَرْ يَفهمه عنِّى بكرُّ النظَرْ
ساررتُه باللحظ فى مجلسٍ يرقُبنا السمعُ به والبَصَرْ
فلم نقم الاَّ على مَوْعِدٍ والناس عنَّا فى أمورٍ أُخرْ

وهذا قول مفترع ومعنى متّسع وقد كثر فيـه احسان المحدثين وتوليد المولدين ومن أحسنه قول بعضهم :

اشاراتُ العيون مُتَرْجِماتٌ لما تطْوِى القلوبُ عن القلوبِ

---

(١) العيون ١ — ٣٩ و ٤ — ٨٥ (٢) بالأصل تحن بالحاء

إذا هى ترجمت باللحظ سِرًّا   تهادت بينها علمَ الغيوبِ
وفى اغضائها معنًى لطيفٌ   تُريدُ به مُكايدةَ الرقيبِ
فيرجعُ مَالَه بالغيب علمٌ   وقد أغضت على علمٍ عجيبِ

وقوله من قصيدة :

(وغلاَ عليكَ طِلاَبُهُ   والدُّرُ يُتْرَكُ من غلائهْ
وإذا تعرَّضَ فى الخلِـ   ىِّ ثنى فؤادكَ بانثنائِهْ)

مثل عجز البيت الأول قول الآخر (١) :

وإذا غلا شىء علىَّ تركتُهُ   فيكون أرخصَ ما يكون إذا غلاَ

وقول أبى معاذ من قصيدة أيضاً :

(هَجَرَ المقَامَةَ لو يكون مناخُه   بأغرَّ تَزْدَحم الوُفود ببابهِ
مَلِكٌ إذا زَأَرتْ أُسودُ قبيلةٍ   زَأَرَ المُهلَّب وابنه فى غابهِ
وألَدَّ بينهم الخصوم إذَا بَدَا   بصوابِ مَنْطقه وغير صوابهِ
ويكاد يُظْلَم حين يُغْشَى بابُهُ   من لين جانبِه ولين حِجابِهِ)

وقوله من أخرى :

(أَتَتْنِى الشمس زائِرةً   ولم تَكُ تبرح الفَلَكا
تقول وقد خلوتُ بها   تحدَّثْ وَاكْفِنِى يَدَكا)

أعاد أبو معاذ معنى هذا البيت فى موضع آخر فقال (٢) :

أذرتِ الدمعَ وقالت ويلتِى   من وَلُوعِ الكفِّ رَكّابِ الخَطَرْ

---

(١) النويرى ٣ — ٨٨ لمحمود الوراق (٢) سيأتى هذا البيت

وقوله :

(فضحَتْ جُودَها بطُول مِطَالٍ — حالفَتْهُ وآفة الجود مَطْلُ
هى فى قلبـه وبين يديه — ومعَ النجم بَذْلُها، كيف يَسْلُو)

أخذ ابن المعتز معنى عجز البيت الأول فقال :

والحرص ذُلٌ والبخل فقرٌ — وآفة النـائل المِطالُ

ومثله قول الآخر :

والمطلُ من غير عُسر آفة الجُودِ

ويناسبه من جهة قول الآخر :

إذا مَطَلْت امرأً بحاجتـه — فامض على مَطْـلِه ولا تجُدِ
فلست تلقاه شاكراً ليَدٍ — كدّرها المَطْل آخرَ الأبَدِ

وقوله من قصيدة :

(لعَمْرى لقد أجْدَى علىّ ابنُ بَرْمَكٍ — وما كُلُّ مَنْ كان الغِنَى عنده يُجدِى
حَلَبْتُ بشِعرِى رَاحتَيْهِ فَدرّتا — سَماحاً كما درّ السحابُ على الرّعْدِ)

يقول فيها :

(وثغْرٍ كأَفْوَاه الأسُود سَدَدْتَه — بسُمْر القنا والبِيْضِ والقُرّجِ الجُرْدِ)

ذُكر أن بشارا وفد على خالد بن برمك بفارس فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبطأت عليه، وتعذر وصولها اليه، فقال لقائده قِفْ بى على طريق خالدٍ إلى الجمعة ففعل فأخذ بعنان فرسه وقال (١) :

---

(١) سبق البيت الثانى مع بيت آخر باختلاف فى ص ٣٣ لعبد المطلب بن الفضل الرقاشى وهذان باختلاف مع البيت الزائد السابق فى العيون ٣ — ١٤٥ لعبد الصمد بن الفضل الرقاشى وكذلك فى العقد ١ — ٩١ وفى الأغانى الدار ٣ — ١٨٥ هما لبشار كما هنا

(أظلّتْ علينا منك يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا بَرْقاً وأبطَا رَشاشُها
فلا غيمها يجلى فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتى فترْوَى عطاشُها)

• فأقسم خالد أن لا يبرح من مكانه حتى يُؤتى بها فأُتِى بها فأمر بدفعها إليه وحملها بين يديه فأخذها وانصرف

وقوله من قصيدة :

(مِنَ اللّواتى اكتسَتْ قدّاً وشقّ لها من ثوبه الحُسْنُ سِرْبالاً فردّاها
راحَتْ ولم تُعطِهِ بِرّاً للوْعتِهِ منها ولو سألتْهُ النفسَ أعطاها)

وقوله أيضاً :

(قد أذهبَ الداء حُسّادى بكثرتهم ولوْ فنَوا عزّ دائى من يُداوينى
لا عِشْتُ خِلواً من الحُسّاد إنّهمُ أعزُّ فقدًا من اللائى يُحِبُّونى
أبقى لى الله حُسّاداً وغمّهُمُ حتى يموتوا بداء غير مكنونِ)

مثل هذا قول معن بن زائدة (١) :

إنّى حُسِدْتُ فزاد الله فى حسدى لا عاش من عاش يوماً غير محسودِ
ما يُحْسَدَ المرء إلاّ من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجُودِ

وهو مأخوذ من قول نصر بن سيّار الليثى (٢) :

إنّى نشأتُ وحُسّادى ذوُو عدَدِ ياذا المعارج لا تَنْقُصْ لهم عدَدا
إن (٣) يحسُدونى على ما كان من خُلُقٍ فمثل فِعْلِىَ فيهم جرّ لى الحسَدا

---

(١) الحصرى ١ — ١٨٤ والمرتضى ٢ — ٧٥ (٢) العقد ١ — ٢٣٢
(٣) المرتضى ٢ — ٧٥

وقال آخر فى ذكر الحُسَّاد (١) :

إن يحسدونى فانى غير لائمهم   قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسِدُوا
أنا الذى يجدونى فى حُلُوقهمُ   لا أرتقى صَعَدًا فيها ولا أرِدُ
فدام لى ولهم ما بى وما بهمُ   ومات أكثرنا غيظاً بما يَجِدُ

ومثله فى ذكرهم (٢) :

اصْبِرْ على كَيْدِ الحَسُو   دِ . فانَّ صبرك قاتِلُهْ
فالنــــار تأكل بعضَها   إن لم تَجِد ما تأكُلُهْ

وقال ابن المعتز (٣) :

يا مَنْ عنَانِى حَسَدُهْ   إنّى بعيــــد أمَدُهْ
يُقِيمُهُ ويُقْعِدُهْ   شَجًى ولا يَزْدَرِدُهْ
سَهِرْتُ ليلاً أرقُدُهْ   حَظُّ الحَسُود كَمَدُهْ

وقال آخر :

وذى حسدٍ يغتابنى حيثُ لا يَرَى   مكانى ويُثْنِى صالحا حيثُ أسمعُ
تَوَرَّعْتُ أن أغتابه من ورائه   وما هو إذ يغتــــابنى مُتَوَرِّعُ

وقال آخر :

لا صفَا لى قلبُ من يَحْسُدُنى   وأدام اللهُ منــــه الحَسَدَا
كَمدى أنّى أراه فَرِحاً   وسرورى أن أراه كَمِدًا

---

(١) الحماسة ١٩٨ والقالى ٢ — ٢٠١ والحصرى ١ — ١٨٣ والعقد ١ — ٢٣٢ الأول والثالث والنويرى ٣ — ٢٨٧ كذلك والمرتضى ٢ — ٧٤ للكميت وغرر الخصائص ٣٠١ لأبى تمام والعيون ٤ — ١٠ بغير عزو كما فى سائر الكتب

(٢) العقد ١ — ٢٣٢ والنويرى ٣ — ١٠٠ وفى ديوان ابن المعتز ٣٤٠ له

(٣) ديوانه ٣٢ باختلاف

وقال آخر (١) :

وتَرَى اللبيبَ مُحَسَّداً لم يَجترِمْ شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتومُ

فاتْرُكْ مُحَاورةَ السفيه فإنّها (٢) ندَمٌ وغِبٌّ بعــد ذاك وَخيمُ

قال آخر وما أحسَنَ ما قال .

قُلْ للحَسُود على النعماء ويكَ أفِقْ أولا فلستَ بطَعْم العيش مُنْتفِعا

أسكَنْتَ قلبك شيطاناً يُسَعِّرُه هَمًّا عظيما وغمًّا ليس منقطِعا

لو كنتَ تملك منــه ما تُريد به لَمَا صنعتَ به عُشْرَ الذى صنَعا

وقال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول « الحسد ماحِقٌ للحسَنات ، والزَّهْو جالب لمَقْت الله تعالى ومقت الصالحين ، والعُجْب مانع من الازدياد فى العلم داعٍ إلى التخمُّط فى الجهل ، والبخل أسوء الأدواء وأجلبُها لسُوء الأحدوثة والهُزْء فُكاهة السفهاء وصِناعة الجهلاء ، والعقوق يدعو إلى القِلة ويُورث الذلة » فقدَّمَ الحسد فى صدر كلامه ونَسق عليه هذه الأخلاق اللئيمة

وقال ابن المعتز (٣) .

يا من يناجى ضغنَه فى نفسه ويَدِبُّ تحتى بالأفاعى اللُّدَّغِ

ويبيت تنهض زَفْرَة فى صدره حَسَدًا وإن دَميَتْ جِراحى يُولغِ

ما زال يبْغى لى بكلّ قرارةٍ حُمَةَ الأذى ويُثيرُ إن لم يَلدَغِ

نَغِلَتْ ضمائر صدره من دائه نَغَلَ الإهاب مُعطَّنًا لم يُدْبَغِ

وقال أيضاً (٤) .

ما عابَنى إلا الحَسُو دُ وتلك من خير المَناقِبْ

(١) السيوطى ١٩٤ لأبى الأسود الدؤلى والخزانة ٣ — ٦١٨ والعيون ٢ — ٩ الأول
(٢) هذه الكلمة مرفوعة بالأصل وهو خطأ فاحش (٣) ديوانه ٢٧٤ باختلاف
(٤) ديوانه ٢٥٦ والأول فى العكبرى ٢ — ١٨٦

وإذا ملكتَ المجــــد لم ... تملك مودّاتِ الأقاربْ
والمجــــد والحُسّاد مق ... رونان إن ذهبوا فذاهبْ
وإذا فقدتَ الحاسديـــنَ فقدْتَ فى الدنيا الأطايبْ

وقال آخر فى آل المهلّب (١) :

آل المُهَلَّبِ قوم خُوِّلُوا شرَفاً ... ما نالَهُ عربيٌّ لا ولا كادَا
لو قيل للمجد حِدْ عنهُمْ وخَلِّهِم ... بما احتكمْتَ من الدنيا لَمَا حَادَا
إنَّ المكارم أرواح يكون لها ... آل المهلب دون الناس أجسادَا
إنَّ العرانينَ تلقاها مُحَسَّدَةً ... ولا ترى لِلئَام الناس حُسَّادَا

وما أحسن قول الآخر :

لئن كره الحُسّادَ قوم فانَّنى ... أُحِبُّ بأن يبقى الحسود ويَسْلما
لأنّى أراه كاسِف البال مُطْرِقاً ... إذا ما رأى لى من يَد الله أنعُما
وما أرَبِى فى موته وحيــاتُهُ ... تُجَرِّعه كالموت صاباً وعلقما
سألبِسُه ثوباً من الهمّ واسعاً ... وأغبقه كأساً من الغَمِّ مفعَما

وتبع المتنبى هذا فقال (٢) :

بَلَى الله حُسّاد الأمير بحلمه ... وأجلسه منهم مكان العمائم
فانَّ لهم فى سرعة الموت راحةً ... وإنَّ لهم فى العيش حزَّ الغلاصِمِ

وقال أبو تمّام (٣) :

لولا التخوّف للعواقب لم تزل ... للحاسد النُّعمَى على المحسودِ

---

(١) الحماسة ٧٧١ والقالى ٣ — ٤٢ الثلاثة الأولى والأخير فى العيون ٢ — ٩ بغير عزو وفى العقد ١ — ٢٣٢ لسليمان بن معاوية المهلبي وقال اليمنى الأبيات ثلثة فى تاريخ بغداد ٢ — ٣٧٢ منسوبة لعمر بن لجأ فى يزيد بن المهلب (٢) ديوانه ٢ — ٣٥٥

(٣) ديوانه ٨٥ والعيون ٢ — ٨ والحصرى ١ — ١٨٣ والأخيران فى العقد ١ — ٢٣٢ وغرر الخصائص ٣٠١ والنويرى ٣ — ٩٦ و ٢٨٨

فاذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف فضل عَرْف العود

وأخذه منه البحترى فقال (١) :

ولن تستبين الدهرَ موضعَ نعمة اذا أنت لم تُدلَل عليها بحاسد

وأخذه على بن محمد التهامى فقال (٢) :

ما اغتابنى حاسد إلا شَرُفتُ به فحاسدى منعم فى زِىّ مُنتقم
الله يَكلأ حُسّادى بأنعُمهم عندى وإن وقعت من غير قصدهم
مُنبّهون على فضلى إذا كُتبت صحيفتى فى المعالى عُنوِنت بهم

وقال ابن الرومى لصاعد بن مَخْلد فى هذا المعنى (٣) :

وضدٌّ لكم لا زال يَسفُل جدُّه ولا برحت أنفاسه تتصعّدُ
يرى زبرج الدنيا يرقّ (٤) عليكم ويُغضى عن استحقاقكم فهو يَفْأدُ
ولو قاس باستيجابكم ما مُنِحتُمُ لأطفأ ناراً فى حشاه توقّدُ
وآنقُ من عِقد العقيلة جِيدُها وأحسنُ من سربالها المتجرِّدُ

وهو كثير ، وقال بعض الحكماء : الحسد بمنزلة الصدأ الذى يأكل الحديد حتى يُفنيه كذلك الحسد فى القلب يُمرضه حتى يُضنيه

وقال أبو الطيّب المتنبى (٥) :

سِوى وجع الحُسّاد داوِ فإنه إذا حلّ فى قلب فليس يزولُ
ولا تطمعَنْ من حاسد فى مودّة وإن كنتَ تُبديها له وتُنيلُ

---

(١) ديوانه ١ — ٢٤ والحصرى ١ — ١٨٣ والنويرى ٣ — ٢٨٨
(٢) ديوانه ٢ (٣) الحصرى ١ — ١٨٣ والأخير فى اليتيمه ١ — ٩٧
(٤) قال الميمنى لعل الصواب والله أعلم يرف بالفاء ثم رأيته على الصواب عند الحصرى
(٥) ديوانه ٢ — ٨٧ والنويرى ٣ — ٢٨٥

وقال ابن العميد فى بعض فصوله: الحقد للكبد رَضن، وللجسد مرض، ولن يصل إلى المحسود من شرّه إلا ما فضل عن مُضمره ومستشعره، وربما قتل من هُوَ فيه سقما ولم يَلحق من هُوَ له سوءا

وقول بشار من قصيدة:

(قد أَلبَسُ العيشَ ذا الرِقاعِ ولا أَلبَسُ ثوبِ الإخاء مُنخرِقا
أصبحتُ مثل السراب يدنو فلا يوجد شيئاً وإنْ نأى خفقا)

وقوله من أخرى يرثى بها ابنا له:

(عَجِبْتُ لإسراعِ المنيّة نحوه وما كان لو مُلِّيتُه بعجيبِ
لعَمْرى لقد دافعتُ موت محمد لَوأنّ المنـايا تَرْعوى لطبيبِ
رُزِئتُ خليلى حين أوْرَقَ عُوده وألقى عليه الهمّ كُلُّ قريبِ
وكان كريحان العَروس بقاؤُه ذَوَى بعد حسنٍ فى العيون وطيبِ
دعتْه المنايا فاستجاب لصوتها فلِلّهِ من داعٍ دعا ومجيبِ
إذا شئتُ راعتنى مقيماً وظاعناً مَصارِعُ شبّانٍ لدىّ وشيبِ
يُؤَمّل عيشاً فى حياة ذميمةٍ أضَرّتْ بأبدانٍ لنا وقلوبِ)

مثل قوله: — رزئت خليلى حين أورق عوده — قول أبى عبد الله بن مناذر (١) فى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى فى مرثيته المشهورة:

حين تمّتْ آدابُه وتردّى برِداء من الشباب جديدِ
وسقاه ماء الشبيبة فاهتـ ـزّ اهتزازَ الغُصْنِ النَدِى الميّودِ

(١) الـكامل ٧٤٧ غير البيت الأخير وهناك المرثية بتمامها

وسَمَتْ نحوه العيونُ فما كا نَ عليه لزائدٍ من مَزيدِ
فجَنَتْنِيَ الأيامُ واستأثرتْ بالـ ـلَوْذَعِيِّ الغُرانقِ الأُمْلُودِ

المَيْؤُدُ المُتَثَنِّي وهو فَيْعُول من المأد[1] يقال: مَأَدَ الغُصن يَمْأَدُ مأدًا فهو مَئِد إذا كان مُتَثنِّياً، وغُصْن مَئِدٌ تَئِدٌ والتَئِدُ النَدِي ومن هذا القبيل ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: أنّه دخل علَى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ونظر وجهها بعد موتها فوجدها مُسَجّاة فقال[2]:

ألا أيُّها الموت الذى ليس تاركى أرِحْنِى فقَدْ أفنيتَ كلَّ خليلِ
أراك بصيراً بالذين أوَدهم كأنَّك تنحو نحوهم بدليلِ

وقريب من هذا قول اعرابى:

لا لومَ أنْ أبكى على سيِّدى قيس بن عفّان أبى مَزْيَدِ
كانَ يدى أحمِى بها عن يدى فانتزع الدهرُ يدى من يدى
رأيتُ كفَّ الموت لا تهتدى إلاّ لأخْذِ الماجد السيدِ

أخذ الاعرابى معنى هـذا البيت الأخير من قول الخنساء بنت عمرو بن الشريد فى أخيها صخر[3]:

ما لذا الموت لا يزال حنيفا كلَّ يوم[4] يعُود منّا شريفا
مُولَعاً بالسَراة منّا فما يَأ خُذُ إلاّ المهذَّبَ الغِطْريفا
فَلوانَّ المنون تَنْصِفُ فينا فتنالَ الشريفَ والمشروفا
كانَ فى الحقّ أنْ أُرَحَّبَ بالمو تِ وأن لا أسُومَهَ التسويفا

---

(١) بالأصل الميد والصواب ما كتبناه كما هو ظاهر
(٢) سيأتى البيتان بعد (٣) ديوانها ١٦٦
(٤) بالأصل فى الحاشية عام صح

أيها الموتُ لو تجافَيْتَ عن صخـــرٍ لألفيْتَه تقيّـــا عفيفـــا
عاش خمسين حِجّةً يُنكِر المُنـــكَرَ فينـــا ويَعرِفُ المعروفا

ومنه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن لنفسه من قصيدة فى التأبين فقال:

أخ فأخ حتى تحُلّ محَله فما أنت مفروح به أنت فارحُ
كأنّ يد الأيّام تَنقدُ أهلَها فما تقتضى إلا الذى هو راجِحُ

وأصل هذا كلّـه قول أبى نضلة طرفة بن العبد (١):

أرَى الموت يعتام الكرامَ ويصطفِى عقيلةَ مال الفاحشِ المُتَشَدِّدِ

ومثل قوله — وكان كريحان العروس — البيت، قول الصُّوْلى:

ما أنت إلا مثـــل ريحانةٍ عاقبَها الظلُ ببعض الصُدُودْ

وقول الآخر:

يا روضةً حين أينَعَتْ ذَبلتْ ويا قضيباً لمّا استوى قُصِفا

ومثله قول الأموى:

وكنتَ كمثل الوَرْد حُسْناومُدّةً ولا شىء إلاّ وهو أبقَى من الوردِ

ونحوه قول الآخر:

المرء كالغصن الرَّيّان أوّله غَـض وآخره ذاوٍ بلا ورَقِ
فلِلَيّالى تِرَاتٌ عند أنفسنا فَسِلْمُها وهى حربٌ غير متّفقِ

وقريب منه قول الآخر (٢):

حتى إذا فتر اللسان وأقبلَتْ للموت قد ذَبلتْ ذُبول النرجسِ
وتغيّرتْ منها محاسنُ وجهها وبدا الأنينُ تحثّه بتنَفُّسِ
رجع اليقينُ مطامعى يأساً كما رجع اليقينُ مَطامعَ المتلمِّسِ

(١) العقد الثمين ٥٨ من معلقته
(٢) الحيوان ٦ — ١٧٢ الأول والأخير ليعقوب بن الربيع

ونحو منه ما أنشدنيه إبراهيم بن يونس الأنصاري الوزير ابن جهور في ابن له توفي صغيراً :

أيُّ هـلالٍ طالعٍ قد أفَلْ ... وأيُّ غُصْنٍ ناضرٍ قد ذَبَلْ
وأيُّ شخصٍ غاب تحتَ الثَّرَى ... وكانه من قلبي قريبَ المحلّ

ومنه قول المُعَلَّى الطائي يرثي جاريته (١) :

يا موتُ كيف سلبتَني الإلفا ... قدَّمْتَهـا وتركتَني خَلْفا
هلاّ ذهبتَ بنـا معاً فلقد ... ظَفِرَتْ يداك فسُمْتَني الخسفا
وأخذتَ شِقَّ النفس من بدني ... فقبرتَه وتركتَ لي النصفا
فعليك بالباقي بلا مهـلٍ ... فالموت بعـد مماتها أصفى
أضحَتْ ببطن الأرض مُسْلَمَةً ... بعـد النعيم على البِلَى وَقْفا
فكأنَّها والروح غائبـة ... غُصْنٌ من الريحان قد جفّا

وقوله من قصيدة :

(وقد رابني قلب يكلّفُني الصبا ... وما كلّ حين يتبع القلبَ صاحبُهْ
وما قادني في الدهر إلاّ غلبتُهُ ... وكيف يلام المرء والحُبُّ غالبُهْ
وأحورَ محسودٍ على حسن وجهه ... يزين السموطَ نحرُه وترائبُهْ)

مثل البيت الآخر قول ابن خارجة (٢) :

وإذا الدرُّ زانَ حسنَ وجوه ... كان للدُّرِّ حسنُ وجهك زَيْنَا

---

(١) العقد ٢ — ٢٧ أحد وعشرون بيتا باختلاف وليس هناك الخامس من هذه الأبيات

(٢) هو اسماء بن خارجة والبيتـان في العـكبري ٢ — ١٨٧ بغير عزو والخزانة ٢ — ٤١٥ والنويري ٢ — ٣٤ والمرتضى ٢ — ٩١ والأول في العقـد ١ — ١٦٩ وكلاهما في المستطرف ٢ — ٨٦ للاحوص

وتزيدين طَيِّبَةَ الطيبِ طِيبًا أنْ تَمسّيه أين مثلُكِ أينا

ومثله ما تقدم لعلى بن عباس الرومى وهو قوله (١) :

وآنقُ من عِقد العقيلة جيدُها وأحسن من سربالها المتجرِّدُ

وردّه (٢) ابن الرومى أيضاً فقال (٣) ووصف نساء :

تَضايل الدر إذ ألبِسْنَ فاخرَه فكُنَّ دُرًّا وكانَ الدرُّ أصدافا

وكأنّ هذا المعنى مأخوذ من قول مجنون بنى عامر (٤) :

يا عمرو كم من مُهرَةٍ عربيــة من الناس قد دانت لوَغْدٍ يقُودها

يسوس وما يَدْرِى لها من سياسةٍ يُريد بهـا أشياء ليست تُريدُها

مُبَتّلة (٥) الأعجاز زانت عُقودَها بأحسن مما زَيَّنَتْها عُقودُها

ونحوه ما أنشدنيه أبو الحسن من قصيدة له :

لمن قضيبٌ من الريحان أملودُ أم ضلّ حلسُكَ ذاك الأهيفُ الرُّود

والزَّهْر فى الغُصن حَلْىٌ فى سوالفِه فقد تشابهت الأغصان والغِيدُ

وحارَ لُبِّيَ لولا أن تداركَنى ما أنبأتْنِى به اللَّبَّاتُ والجِيدُ

لا يُعجِبَنَّك عِقْد دونَ لابِسه فانما الحُسن حيث العِقد معقودُ

وقوله من أخرى :

(فبِتُّ خائفاً للموت أو غير خائف على كل نفس للحِمام دليلُ

---

(١) سبق هذا البيت

(٢) كذا هو فى غير ما موضع من هذا الكتاب بدل ردده قاله الميمى

(٣) ديوانه ٢١٥ باختلاف وحماسة ابن الشجرى ١٩٣

(٤) القالى ١ — ٤٤ بغير عزو وليست الأبيات فى ديوان المجنون وللميمى فيها بحث مستفيض تراه فى سمط اللآلى ٤٥

(٥) هذا البيت فى المرتضى ٢ — ٩١ باختلاف لابن مطير وكذلك فى الصناعتين ٢٤٢ قال الميمنى وهو من ستة له فى الحماسة بون ٥٤٣ مصر ٣ — ١١٨

خليلك ما قدَّمتَ من عمل التُّقَى   وليس لأيَّام المنون خليـلُ)

مثل البيت الأول ما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي مسجَّاة :

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي   أرحني فقد أفنيتَ كل خليلِ
أراك بصيرا بالذين أحبّهم   كأنّـك تنحو نحوهم بدليلِ

وقد مرّ (١) آنفا في الكتاب ومنه ما أنشدنيه الربعي أبو الحسن من أول قصيدة له في التأبين :

طِبْ عن حياتك نفساً قُرْبُها أجَلُ   فما المنيَّة إلاّ فارسٌ بَطَلُ
قِرن وليس بمـرئيٍّ فتَحْذَرَه   وعِلّـةٌ تَتَوافَى عنـدها العِلَلُ

وأنشدني أيضاً من قصيدة له في مثله :

وليس بمُنْجِيك الطبيبُ بطبِّه   ولا نفسه مما تُطيح الطوائحُ
فكُلُّ ما تَشَاء مِنْ خبيث وطيِّب   إلى أُكلة للسمّ فيها مَجَادِحُ
وما كلّ حين يتبع السعدُ ربَّه   بلى كلَ سعد ليلة النحس ذابحُ

مثل قوله — وعلّـة تتوافى عندها العلل — قوله أيضاً :

فما بال من يبكى لمـال يُجاحُـه   وقد جُمِعَتْ في القبرمنه الجوائح

وألمّ في قوله: — بلى كل سعد ليلة النحس ذابح — بقول (٢) ابن بسام أو وارده ، قال ابن بسام في سعد حاجب الوزير الخاقاني :

يا سعد إنّـك قد حَجَبْتَ ثلاثةً   كُـلاًّ قتلتَ وفيك وَسْمٌ واضحُ
وأتيتَ تحجُبُ رابعـاً لِتُبِيرَه   فَارْفُقْ به فالشيخ شيخٌ صالحُ
يا حاجب الوزراء إنّـك عنـدهم   سعد ولـكن أنت سـعد الذابح

(١) في ص ٧٢
(٢) الأدباء ١ — ٣٩٢ لجحظة باختلاف عظيم — وابن بسام هو على البغدادي

وإنما جعله ابن بسام سعدا الذابح لأنّه عندهم من نحوس الكواكب

وأعاده الربعى أبو الحسن بن الخياط فقال وأنشدنيه :

لى عبدُ سَوءٍ وعبد السّوء مَنْكَدَة ... والمسترقّ بِعَبْد السوء مولاهُ

كأنّنى كلّما أنهاه آمره ... وحين آمره بالشىء أنهاهُ

قالوا سعادةُ قالٌ من سعادته ... كأنّهم جهلوا اسمًا ضدٌّ معناهُ

إنّ الغراب أبو البيضاء كُنْيته ... فانظرْ بأىّ سوادٍ خَصّهُ اللهُ

وقول أبى معاذ من أخرى :

(وجاريةٍ خُلِقَتْ وحدَها ... كأنّ النساء لديها خَدَمْ

يظَلْنَ يُمَسّحْنَ أركانها ... كما يَمْسح الحجرَ المُسْتَلِمْ

وبيضاء يضحكُ ماء الشبا ... بِ فى وجهها لك[1] أو تبتسِمْ

ظَمِئْتُ إليها فلم تَسْقِنى ... بِرِىٍّ ولم تشفنى من سَقَمْ

أقول لها حين قلّ الثّراء ... وضاق المَرَادُ وأودَى النَّعَم

إذا ما افتقرتِ فأَحْيِ السُّرَى ... إلى ابن العَلاء طبيبِ العدَمْ

دعانى إلى عمرٍ جُودُه ... وقولُ العشيرة بحر خِضَمّ

ولا بالذى ذكروا لم أكُنْ ... لأَحْمَدَ ريحانةً قبلَ شَمّ

يَلَذُّ العطاء وسَفْكَ الدماء ... وَيغدو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

فقل للخليفة إن جئته ... نصيحاً ولا خير فى المتّهَمْ

إذا أيقظَتْكَ حروب العِدى ... فنبِّهْ لها عُمَرًا ثُمَّ نَمْ

(١) قال الميمنى الصواب إذ

فتى لا ينام على دِمْنة   ولا يشرب الماء إلا بدَمْ
إذا قال تَمَّ على قوله   وماتَ العَناء بلا أو نعَمْ)

المستلم اسم الفاعل من استلم يقال: استلم الحجر الأسود يَسْتَلِمه استلاماً فهو مستلم إذا لَمَسَه، وهو مأخوذ من السِّلام وهى الحجارة واحدتها سَلِمَة قال ذو الرُّمَّة (١):

تَداعَيْنَ باسم الشِّيبِ فى مُتَثَلِّمٍ   جوانبه من بَصرةٍ وسِلامِ

وقوله باسم الشيبِ يعنى صوت جَرْع الابل الماء أو صوت أخذها إيّاه بمَشافرها، والثراء والثروة المال الكثير أثرى الرجل يُثرِى إثراءً فهو مُثْرٍ. والمَراد المكان الذى تَرُودُ به الراعية أى تذهب وتجيءُ فى الرّعى، وأوْدَى هلَكَ، والنَعَمُ اسم يجمع الإبل خاصّةً يُذكَّر ويُؤَنَّث يقال: هذا النَّعَم وهذه النَّعَم، والسُّرى سير الليل خاصّة، وقال الفرّاء السرى أنثى وبعض العرب يذكره، وواحدته سُرية وأنشد المفضّل فى صفة ناقة:

يا رُبَّ كَبْداء كِنازٍ جَلْبَسٍ   كَلَّفْتُها سُرْيَة ليلٍ مُغْلَسِ

وبحر خِضَمٌّ كثير الماء، ورجل خِضَمٌّ كثير المعروف، والخِضَمُّ الجمع الكثير قال الراجز (٢):

فاجتمع الخِضَمُّ والخِضَمُّ   فخَطَمُوا أمرَهم وزَمُّوا

والدِمنة الحقـــد، ومعنى تمَّ على قوله أى أتمَّ قوله وصدّقه بفعله ولم يخالفه إلى غيره، فهو جزم حتم، وقوله: ومات العناء استعارة حسنة واقعة موقعها وحالّةٌ موضعها بأوجز لفظ وأتمّه وأكمل معنى وأعمّه، قوله: دعانى إلى عمر جوده. والبيت الذى بعده الأصل فيهما قول الأعشى (٣):

---

(١) ديوانه ٦٠٩ والخزانة ١ — ٥٠ و ٢ — ٢٢٠
(٢) اللسان م خضم للعجاج وديوانه ٦٣   (٣) ديوانه ٢٢ والعينى ٢ — ٤٤٠

.ونُبِّئْتُ قيساً ولم آتِهِ وقد زعموا سَادَ أهلَ اليَمَنْ

ذكر أبو القاسم الحسين بن بشر الآمدى الكاتب صاحب كتاب الموازنة بين الطائيَّيْنِ: أبى تمام حبيب، وأبى عبادة البحترى أن بيت الأعشى هذا ممّا عِيبَ عليه بالتشكُّك الذى توهّم فيه، وقيل: إنَّ قيسا أنكره عليـــه فقال أبو القاسم ردًّا لذلك ومنتصراً للأعشى: هذا غلط من قائله لم يقع فى بيت الأعشى تشكُّك وإنما قال: — وقد زعموا ساد أهل اليمن — وحكايته ليست بشَكٍّ بل هى من أوكد اليقين لأنه أراد أنَّ الناس زعموا فنسب الزعم إلى الكافَّة ولم يَحْكِه عن نفسه كما جرت به العادة من إفراط الشاعر فى مدح الممدوح وهذا معنى لطيف مستعمل ومذهب يُستحسن ومنه أخذ بشار قوله وأنشد البيتين

ومثل قوله. — فنبِّهْ لها عمرا ثم نَمْ — قول الآخر(١) [فى أخ له] :

وكنتُ إذا الهموم تَضَيَّفَتْنِى يقوم بهــا وأقعد لا أقومُ

وقول ابن المعتز :

ألا رُبَّ خَطْبٍ قد كفيتُ وكُرْبَةٍ شفيتُ ونومٍ قد هجرتُ لنائِمِ

وهو من قول أعرابى (٢) :

يَمُدُّ نجاد السيف حتّى كأنّه بأعْلَى سَنَامَىْ فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ

ويُدْلِج فى حاجات من هو نائم ويُورِى كراماتِ النَّدَى حين يقدحُ

يَزِيدُ على فضل الرجال فضيلةً ويَقصُرُ عنـــه مدحُ من يتمدَّحُ

الفالج الجمل ذو السنامين، ونحوه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن يستنجز الأمير انتصار الدولة عبد الرحمن حاجةً :

---

(١) العيون ٣ — ٦ لرجل فى أخ له

(٢) الحصرى ٢ — ١٠٨ أربعة أبيات والمرتضى ٢ — ١٢٩ وفيه ٣ — ٣٠ الأول لأبى جويرية العبدى

لله ألطفُ صنعًا حين يَسَّرَ لى ... من لُطف صُنعك تيسيراً لما عَسُرا

وحاجةٍ نمتُ عنها بات يَكْلَؤُها ... يقظانُ كالعين تَلْقَى عنده الأثرا

حُلوُ الشمائل أخَّاذٌ بفطنته ... مجامعَ القلب حتى السمع والبصرا

لو كان فى الأرض أملاكٌ ملائكةٌ ... لقُلتُ حاشا له من كونه بشرا

وقائلٍ قال لى أبْشِرْ بمَنْجَحَةٍ ... إنَّ الأمير كريم قال فانتصرا

ما حاجة هى أولَى أنْ تفوز بها ... من حاجة(١) قد منَحتْها عينُه نظرا

إذا ابن مستخلص الاسلام قام بها ... فاقعُدْ فانَّك قد وليْتَها الظفَرا

ألقيتَها منـــه فى سرٍّ يجول به ... إذا تناسَيْتَها مُسْتَبْطِنًا ذَكَرا

فما اعتذارِىَ فى تأخير ما علموا ... أنَّ الأمير على تقديمه قدَرا

أو دُلَّنِى أيها المولى على جَدَلٍ ... أدْلِى(٢) به عند من يَسْتخبر الخَبَرا

ومثل قوله : — ولا يشرب الماء إلا بدم — قول العلوى البصرى :

إذا شرِبَ الناس ماء الكُروم ... شربنـا على الصافنات الدِماء

ومثله لأبى سعد المخزومى (٣) :

وما يريدون لولا الحَينُ من أسدٍ ... بالنبـل مشتملٍ بالجمر مكتحلِ

لا يشرب الماء إلا من قليب دمٍ ... ولا يبيت له جار على وَجَل

ونحوه قول أبى القاسم محمد بن هانى الأنْدَلُسى (٤) :

لا يُوردون الماء سُنْبُكَ حافرٍ ... أويكتَسى بدم الفوارس طُحْلُبا

---

(١) قد لعل الناسخ أقحمها فأخل بالوزن الميمى

(٢) على صيغة المتكلم من أدلى يدلى يعدى بالباء ومعناه التوسل

(٣) كذا بالأصل وهو الصواب وما فى بعض الكتب أنه أبو سعيد فهو خطأ نبه عليه المرزبانى فى معجم الشعراء كذا فى السمط والبيتان فى القالى ١ — ٢٦٣ مع ستة عشر أخرى والحصرى ٢ — ٣٩ والعيون ١ — ١٩٠

(٤) ديوانه ١٧

وأخذه أبو الطيب فقال (١) :

تعوَّدَ ألاّ يقضم الحَبَّ خيلُه ... إذا الهام لم تَرْفع جُنوبَ العلائقِ
ولا تَرِدَ الغُدْرانَ إلاّ وماؤُها ... من الدم كالريحان تحت الشقائقِ

ومثل قوله (٢) — إذا قال تمّ على قوله — قول ابن المعتز :

تَمَّتْ على سفك دمى ... وحدَّثت عن خَبَرى

وقريب منه وإن لم يكن المعنى بعينه قول الآخر (٣) :

إن كنتَ لا تَنْوِ فيما قلتَ لى صِلةً ... فما انتفاعك فى حَبْسى وترديدى
فالمنـــع أجملُه ما كان أعجلَه ... والمطل(٤)من غير عُسْر آفة الجُود

ومثله قول الآخر (٥) :

وعدتَنى سبتاً مضَى فَسَبْتَا ... حتى إذا السَّبْت أتى أخلفتا
أحسنُ من وعدك لو أنجزْتا

وأخذه البحترى فقال (٦) :

ووعدتَنى يوم الخميس وقد مضى ... من دُون مَوعدك الخميس الخامسُ

ومنه فى أنّ التصريح بالمنع مع لين الحجاب وحُسْن البِشْر يقوم عند العافى مقام الجود قول الآخر :

أتيتُ ابنَ وهب أبتغى فضل عُرْفه ... وما زال حُلْوَ المنع حُلْوَ المذاهبِ
فأصفحَنى عن حاجتى بطَلاقةٍ ... سلوتُ بها عن مُنفِسات الرغائبِ

(١) ديوانه ١ — ٤٤٤ والمصرى ٢ — ٤٠
(٢) بالأصل ومثله قوله وهو خطأ فاحش
(٣) العيون ٣ — ١٤٤ قال الميمنى والصواب لم تنو كما فى العيون
(٤) سبق المصراع بدون أوله
(٥) الـكلمة بيد متأخرة وكان فى الأصل مثله الآخر فالأقرب أن يكون مثله لآخر
(٦) ديوانه ١ — ٢٤٥

ومثله لآخر :

وأبيضَ زَوْلٍ بين أثنـاء قوله بِعادٌ وتقريب ويأس ومَطمعُ
إذا أمَّه الراجى ثَنَى عن فِنـائه وفُوه من التقريظ مَلآن مُتْرَعُ
بلاجِدَةٍ نالَـتْ يدامُسْتَمِيحة (١) سوى أنه هَشٌّ وان كان يَمنَعُ

وشبيه به قول الآخر :

أوسعتُ عَمْرا ثناءً حين أوسعَنى بِرّ اللسان وَوَشْكَ الصرف إذ صَرَفا
عددتُ باقِىَ زادى من مواهبـه وقتُ أعقِد حَبْلَ الرحلِ منصرفا
فأبتُ عنـه إلى أهلى وبى رَمَق لا مطلَ عانَيْتُه منه ولا خُلفا

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(فياعَجَبـا زينَتْ نفسى بحُبِّهـا وزانت بهجرى نفسَها وتَخَلَّتِ
فبِينى كما بان الشباب الذى مضى وكانت يدٌ منه علىَّ فَوَلَّتِ)

مثل هذا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

طوَتْ وصلَها من بعد ما نشرَتْ لنا أمانِىَّ وعدٍ طال منهـا مِطالها
وبانَتْ كما بان الشباب وخلَّفَتْ عقابِيلَ حزْنٍ ليس يُرجى اندمالها

وقوله من أخرى :

(أبيتُ أرمَدَ ما لم أكتحل بكمُ وفى اكتحالى بكم شافٍ من الرَّمدِ
رَقَّتْ لـكم كبدى حتى لَوَ أنَّـكمُ تَهْوَوْن ألا أُريد العيش لم أُردِ
كأنَّ قلبى إذا ذكراكمُ عرضَتْ من سحر هاروت أو ماروت فى عُقَدِ
ما هبَّت الريح من تلقاء أرضكم إلاَّ وجدتُ لها بَرْداً على كبدى)

---

(١) كذا والصواب مستميحه

ردّ (١) أبو معاذ معنى البيت الأول فى موضع آخر فقال (٢) :

مريضةُ ما بين الجوانح بالصبا وفيها شفاء العيون وداء

وأخذتُ أنا هذا المعنى فنقلتُه إلى الهجاء، وقد كنتُ مررت ببعض الثقلاء فتغافلتُ عنهم ولم أسلّم عليهم ، فلحقنى لاحق منهم، فلامنى على ترك السلام فقلت :

قالوا تغاضيتَ عنّا إذ مررتَ بنا أم أنت ذو مقلة إغضاؤُها خُلُقُ
قلتُ اكتحالى بكم فى مُقلتى رمَد إنّ الثقيل قَذًى تَشْقَى به الحَدَقُ
لا أمنح الطرف إلاّ مَنْ أُسَرُّ به ولا أُرَى بسوى ذى الفضل أعتَلِقُ

وكله مأخوذ من قول أبى حنشٍ فى ثقيل(٣) :

قُلْ لمحشوٍّ أخينا يا أمير الثُّقَلاء
ما رأينا جَبَلاً قبـ ـلك يمشى بالفَضَاء
نظر العين إليه يَكْحُل العين بداء
رَبُّ قد أعطيتَنَاهُ وهو من شرّ عطاء
عارياً يا رَبُّ جسدُه(٤) فى قميص ورداء

وأما البيت الآخر فمعناه متسع كثير منه قول الآخر :

وإنّى لأستشفى بكل سحابة يَمُرُّ بها من نحو أرضك ريحُ

ومثله قول قيس بن الملوّح(٥) :

أيا جبَلَىْ نَعْمَانَ بالله خلّيَا نسيم(٦) الصبا يَخْلُصْ إلىّ نسيمُها

(١) كذا موضع ردد كما هو فى هذا الكتاب حيثما ورد قاله الميمى
(٢) سيأتى هذا البيت فى ص ١٠٩ مع أبيات أخرى
(٣) كذا بالأصل ولا يدرى ما هذا الاسم والأبيات غير الأول فى المنتحل ٥٣ للنمرى وفى الزجاجى ٧٦ الثالث والرابع مع بيت آخر وفى المستطرف ٢ — ٣٠ ثلاثة أيضاً باختلاف عظيم لمطيع بن إياس (٤) قال الميمى هذا تصحيف وانظر ما صوابه
(٥) القالى ٢ — ١٨٣ لامرأة والنويرى ١ — ١٠٢ والسيوطى ٢٢ والعينى ١ — ٣٧٦ والأغانى الدار ٢ — ٢٦ للمجنون وديوانه ٣٤
(٦) بالأصل فى الحاشية رياح

أجِدْ بَرْدَها أو تَشْفِ مِنّي حرارةً | على كبد لم يبقَ إلاّ صميمُها
فانّ الصّبا ريح إذا ما تنسّمَتْ | على نفس مهموم تجلّتْ همومُها

وما أحسنَ ما قال فيه أعرابي :

ألا يا نسيم الريح مالَكَ كلّما | تدانَيْتَ منّا زاد نشرُكَ طيبا
أظُنُّ سُلَيمَى عرّفتْ بسقَامنا | فأعطَتكَ ريّاها فجِئْتَ طَيبَا

وإنما قال ابن الملوّح، وهذا الأعرابي هذا؛ لأنّ الريح هبّتْ عليهما من ناحية أرض أحبابهما وكل من له حِبّ بناحية فانما يرتاح إلى هبوب الريح من تلك الناحية (١) صباً كانت أو جنوباً أو شمالا أو دبورا قال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه : إنى لأرتاح للصبا لأنها تأتينا من ناحية زيد يعنى أخاه لأنّ زيدا رحمه الله كان قد استُشْهِد باليمامة، وقال عمر هذا وهو بالمدينة، وقال يعقوب النبي عليه السلام فيما قال الله سبحانه مخبراً عنه فى محكم كتابه : «ولمّا فَصَلَتِ العيرُ قال أبوهُمْ إنى لأجِدُ ريحَ يوسفَ لولا أنْ تُفَنِّدُون» وكان يعقوب عليه السلام بوادى كنعان ويوسف عليه السلام بمصر، وقال يحي بن هُذَيل يَصفُ تَنَسُّمَ يعقوب ريح يوسف عليهما السلام وذَكَرَ ريح الجنوب :

خَبّرُونى إنْ كان ريحُ الجنوبِ | أم نسيمٌ يعتادنى من حبيبِ
وسؤالى من غير ريبٍ ولكن | لأداوِى قلباً كثير الوجيبِ
قد تَشَفّى بريح يوسفَ يعقو | بُ ولم تَشْتَبِهْ على يعقوبِ

وقال آخر (٢) :

هَوَى صاحبي ريحُ الشّمال إذا جرتْ | وأهْوَى لقلبي أن تَهُبّ جنوبُ
وما ذاك إلاّ أنّها حين تنتهى | تناهَى وفيها من أُمَيْمة طيبُ

---

(١) بالأصل وصبا بزيادة الواو وهو غلط فاحش

(٢) البيتان فى الأغانى الدار ٣ — ١٧٧ لبشار والأول فى ديوان المجنون ١٩ له

وقال آخر وذكر ريحين ووصف أنّ إحداهما إذا هبّتْ له شفَتْ صداه، وأنّ الأخرى إذا جرتْ حرّكتْ أشواقه وبَلبل هواه :

إذا(١) هبّ عُلْوِىُّ الرياح وجدتُنى كأنى لعُلْوِىّ الرياح نسيبُ
وإنْ نسمَتْ ريح الشمال تحرّكتْ بَنَاتُ فؤادى واعتراه وجيبُ

وقال الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان فوصف ارتياحه للريح الغربيّة وتبرّمه من الشرقيّة :

أقول لملاّح السفينة لا تَعُجْ إلى الأُفق الشرقىّ بى فهو جاحمُ
ونازِعْ إلى الغرْبِىّ بى فلعلها تهبُّ لنا تلك الرياحُ النواسمُ
فتهتزّ نفسى وهى فى قبضة الجوَى ويرجع بالوصل السرورُ المصارمُ
إذا اهتزّ غصن ذابلٌ خطَرَ الحيا عليه وأضحى وهو فَيْنَانُ ناعمُ

وقال يحي بن هذيل يصف تَشَفّيه بريح الجنوب :

لِىَ فى نفحة الجَنوب تَشَفّى وعلى البرْق بات يسهرَ طرفى
راحةٌ مثلُ حسرة الطائر الخا ئف لو نوّلَتْ تقوتُ وتكفى
يَتَلقّى نوافحُ الريح قلبى كلّما تُسْعِر الجوانح يُطْفى

ونحو هذا فى الجنوب بل هو مأخوذ منه قول عُطَارِد بن قُرّان وكان لصّا اسلاميا :

طَرِبْتَ إلى نجد وما كدتَ تطربُ وهبّت جنوب مَسّها لك معجبُ
يمانيـة تسْرِى بمِسْك إذا سَرتْ نسيم(٢) لها يشفى من الداء طيّبُ

وقال احمد بن فرَجٍ يذكر الشمال ويصف وجده بها :

ورُبّتَ ريحٍ امتزجت بقلبى مزاجَ الراح بالمـاء الزلالِ

(١) القالى ٢ — ٤٣ لرجل من بنى عبس والحماسة ٥٨٥ وحماسة ابن الشجرى ١٦٧ فى الجميع البيت الأول مع أبيات أخرى — وانظر لتخريج هذا البيت اللآلى والسمط
(٢) بالأصل لها نسيم وهو خطأ

وجدتُ بها وبى للشوق ما بى ... كما وَجدَ المُهَجَّرُ بالظِلالِ
وبات ثَرَى العقيق يَنِمُّ منها ... إلىّ بمثل أنفاسِ الغَوالى
فقُلْ فى نشوه من نفح ريحٍ ... سُقيتُ بها الشَّمولُ من الشَّمالِ

وأضرب ابن فَرَج عن ذكر الشمال وتحوّل إلى الصبا فقال :

أرَى عارضاً بالغَوْر لو أنّه يَهمى ... لعَمَّ بنُعْماه المَعاهدَ من نُعْمِ
تألقَ واحمْوَمَى فقلتُ مغاضبٌ ... تبسَّم عن وجهٍ بغير الرِضا جَهْمِ
فانّ نسيما منه هبّتْ به الصَّبا ... لِيَسْرِى إلى نفسى سُرَى البُرْء فى السقْمِ

وقال ابن هارون :

أستَقْبِلُ الريح من تِلقاء أرضكمُ ... فأشتفى بهبوب الريح من كَمَدِى
فارقتُ وجه الذى أهواه عن خطأٍ ... فانْ تُقِيلنِىَ صُروفُ الدهر لم أعُدِ

فكُلُّ ما أنشدته فى الارتياح والتداوى بهبوب الرياح ضد قول ابراهيم بن العباس (١) :

تَمُرُّ الصبا صفحاً بساكن ذى الغضا ... ويصدَع قلبى أن يَهُبَّ هبوبُها

لأنه كما يرتاح حيناً لهبوبها المَشُوق ، إذا أَتَتْه من ناحية الموموق ، فكذلك يتبرّم وقتاً بها ويتأذّى بسببها ؛ لأنّها حينئذ تُثيرُ كامنَه وتُحرّكُ ساكنَه فيهيجُ هائجُه ويَتَّقِد لاعجُه قال ذو الرمة (٢) :

إذا هبَّت الأرواح من نحو جانبٍ ... به أهل مَىٍّ هاج شوقى هبوبُها

وقال ابن عبد ربه (٣) :

(١) حماسة ابن الشجرى ١٦٩ والمرتضى لابراهيم ٢ — ١٣٢ كما ههنا وفى القالى ٣ — ٩٣ لبعض الاعراب وفى السمط أن البيت فى الأغانى الدار ٢ — ٨٥ والموسى ٥٨ وتزيين الأسواق ٦٢ للمجنون وفى الصناعتين ٨ (٢) ديوانه ٦٦

(٣) اليتيمة ١ — ٣٦٢ والأخير فى النويرى ٢ — ٢٦٤ مع أربعة أبيات أخرى وكذلك فى العقد ٣ — ١٨٤ والأبيات الخمسة فى العقد ٣ — ١٧٦ مع أبيات أخرى والتخريج الأخير أتانيه الاستاذ محمد شفيع فى جامعة لاهور

ألا رُبّما جلّتْ عرًى عزَماتِه سوالفُ أرْآمٍ وأعْيُن عِينِ
ورَيْطٌ من المَوْشِيّ أينَعَ تحته ثمارُ صُدورٍ لا ثمارُ غُصونِ
فرَيْنَ أديمَ الليل عن نور أوْجُهٍ تُجَنُّ لها الألبابُ كلَّ جنونِ
سألْبسُ للأحزان درعَ تصبُّرٍ وإن لم يكن فى المُلْتقَى بحصينِ
وكيف ولى قلب إذا هبّت الصبا أهابَ بشوق فى الضلوع دفينِ

وقال أيضاً:

لا واستِرَاقِ اللّحظِ مِنْ عَيْنِ المُحِبّ إلى الحبَيب
يشكو إليــه بطرفه شَكوَى أرقّ من النسيبْ
ما طاب عيشٌ لم يَذُقْ طعم الوصال ولا يطيبْ
ولرُبّ إلفٍ قد طوَيْـتُ على مراقبة الرقيبْ
ريحُ الشمال تهيجُه وتهيجُنى ريحُ الجَنوبْ

وقال عيسى بن جوْشَنٍ:

لى ضلوعٌ من عِشْقِها ما تَخِفُّ ودُموع من وَبْلِها ما تَجِفُّ
وفؤاد من ادّكار المُحِبّيــن على نأيهــم يَحِنُّ ويهفو
كلّما هبّت الصبا من بلادٍ هُمْ بها هبّ لى الهوى المُستخِفُّ

وقال أغلب بن شعيب:

يا نسيم الصبا إليك صبوتُ بعد ما كنتُ بُرهةً قد سلوتُ
ليس لى طاقة على الحبّ ربّى فرَجٌ عاجِلٌ وإلاّ فموتُ

وقال احمد بن فَرَج:

علامَ يَنال الشوقُ منك وفيما إذا بارقٌ من نحو أرضك شيمَا
ألا حبّذا برق يلُوح مُخَالِسًا وريحٌ إذا هبّت تَهُبّ نسيما

وقال الوزير أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شُهَيْدٍ :

ذكرتكم من غير أن تنساكم نفسُ صبٌ مُعذَّبٍ بهواكم
كلما هبّت الرياح له مِنْ جانب المغربين وَهْناً بكاكم
جمع الله بيننا من قريب وأرانيكم كما أهواكم

وقال أيضاً (١) :

ما طرّبت فوق الغصون حمامة إلا رأيت دموع عيني تسكب
وإذا الرياح تناوحت ألفيتنى بين الصبابة والأسى أتقلّب
يا عاذلى فى الحبّ مهلا بالأذى لو كنت تعشق ما ظللت تؤنّب
كم حاولت نفسى السلوّ وحاولت أسبابه جُهْدًا فعزّ المطلب

وقال ابن عبد ربه :

ما كلّما بل ربّما عبث البكا بدموع عينك من بُكاء حمامِ
وإذا الشمال مع العشيّ تنسّمت هاج التنسّمُ لى دفين سقامِ

وقال احمد بن فرج :

هى الريح يسرى الشوق فىّ إذا سرت ويجرى لها دمعى بيحٍّ إذا جرت
كأن الصبا مشتقّة من صبابتى فأهتاجُ ما هاجت وأهدا إذا هدت

وملح فيه أبو الحسن التهامى فقال :

يرجو الشفاء بجفنيها وسُقمهما (٢) وهل رأيت شفاء جاء من سقمِ
وتدّعى بصبا نجد فان خطرت كانت جوًى لك دون الناس كلهمِ
وكيف تُطفى صبا نجد صبابته والريح زائدة فى كل مضطرمِ

---

(١) اليتيمة ١ — ٣٩٥
(٢) بالأصل يخفيها والصواب ما فى ديوانه وهو الذى أخذناه أنظر ديوانه ٢

ومثله ما أنشدنيه أبو اسحاق ابراهيم بن على بن تميم الأنصارى لنفسه :

ولقد تنسّمتِ الرياحُ لعلّنى (١) أرتاحُ أن يبعثن منك نسيما
فأثرنَ من حُرَق الصبابة كامِنًا وأذعنَ من سرّ الهوى مكتوما
وكذا الرياح إذا مررن على لظًى نارٍ خبَتْ ضرّمْنَها تضريما

ومثله ما أنشدنيه غير واحد لابن العريف الأندلسى :

روّحنى عاذلى فقلتُ له لا لا تزدنى على الذى أجدُ
أما ترى النار بعد ما خمدَتْ عند هبوب الرياح تتّقدُ

وقال ابن الرومى (٢) :

لا تُطفِئنَّ جوًى بلومٍ إنّه كالريح تُغرِى النار بالاحراق

وقال ابن معبد الأندلسى يصف حاليْه عند هبوبها :

تُرَدُّ إلى نفسى حياتى بالريح وربَّتَمَا هاجت علىَّ تباريحى
فتُوقد من شوق وتُطفى كأنما تؤكّدُ فى الحالين حزنى وتفريحى
أسَرُّ بريّا من أُحِبُّ إذا سرَتْ إلىَّ به من بعض تلك المناديحِ
فآسَى إذا ما ذكّرتْ فى هبُوبها بمنتزحٍ فى قبضة البين مطروحِ

فكشف بهذا واضح علّةِ الارتياح والحزنِ لهبوب الرياح

ولأبى معاذ من قصيدة :

(ومنّيْتِنَا جُوداً وأنت بخيلة وشتّان أهل الجود والبُخلاء
إذا سفَرَتْ طاب النعيمُ بوجهها وشبَّهَ لى أنّ المضيق فضاء
مريضةُ ما بين الجوانح بالصّبا وفيها دواء للعيون وداء

(١) كذا بالأصل وله وجه والأولى على صيغة التكلم ونصب الرياح على المفعولية
(٢) ديوانه ٢٥٤ والنورى ١ — ١٠٠ والحصرى ١ — ١٢

جِلاهمّ مَنْ لا يَتبَعِ الهَمّ والصِبا ... وما لهموم العـــاشقين جِلاء
عتـابُ الفتى فى كل يوم بلية ... وتقويم أضغـــان النساء عَناء
وقد علِمتْ عُليا معـدٍّ بأننى ... إذا السيف أكْدَى كان فىّ مَضَاء
تَزِلُّ القوافى عن لسانى كأنَّها[(١)] ... حُمَاتُ الأفاعى ريقهنَّ قضَاء)

يقال : سفَرَت المرأة عن وجهها إذا كشفته ، وأسفر وجهُها أضاء ، وسفَرَ فلان بين القوم يَسفِر سفْرا وسَفارة إذا مشى بينهم فى الصلح ، ومن أمثالهم إذا كذب السفير بطل التدبير قال ثعلب وسُمّى : السفَرَ سفَرا ؛ لأنه يَكشِف عن أخلاق الرجال ، وسفَرَ البيت كَنَسَه ، والمِسْفرة المِكْنَسة ، والفضاء المتّسع من الأرض ، والجوانح عظام الصدر ، وسُمّيت جوانح لانحنـائها وميلانها ويقـــال : جنَح يجنَح جُنوحا إذا مال ، وجنحت السفينة إذا مالت وجنحت الشمس إذا مالت للغروب ، وجناح الطائر مشتق من ذلك ؛ لأنه فى أحد شِقّيْه وكل ناحية جَناح ، ومنه قوله تعالى « وإنْ جَنَحُوا لِلسَّلمِ فَاجْنَحْ لها » : وأضغان جمع ضِغْن وهى الأحقاد يقال : فى صدر فلان ضغْن وضَغَن والجمع أضغان وضغينة وجمعها ضغائن ، ويقال : فرس ضاغن وضَغِن اذا كان لا يعطى ما عنده من الجرى حتى يُضرب ، ويقال : أكْدَى إذا قطع عطِيّتَه ويَئِسَ من خيره ، وهو مأخوذ من كُدْيَة الرَكِيّة وهى الصلابة من حجر أو غيره ، إذا بلغ إليها الحافر ولم يَعْمَلْ مِعْوَلُه شيئاً يَئِسَ وقَطَعَ الحَفر ، ويقال : أكْدَى الرجل يُكدِى إكدَاء فهو مُكْدٍ إذا لم يَفزْ بمطلوبه : وأكدى أيضاً إذا أعطى فأقَل عطيّته ثم قطعها من بعدُ ، قال الله تعـالى : « وأعطَى قليلاً وأكدَى » قال العلماء معناه أقلّ عطيّته ثم قطَعَ ويقال[(٢)]

(١) هـذا البيت مع بيتين آخرين فى الحيوان ٤ — ٨٦ و ٨٧ بتغيير القافية فهى بائية هناك وأخطأ الناسخ فكتبه ريقهن قضاب والصواب ريقهن مقضب

(٢) بالأصل اكدأت

كدأت الأرضُ إذا لم تُنبِت، وكذا النَّبتُ يَكدَأ كُدُوءاً إذا ساء خروجه، وكدِيء يَكدأ كدءًا شديدا إذا قلَّ رَيْعُه، وكدَت الأرض تكدُو كَدْوًا وهى كادية إذا أبطأ نبَاتُها وأصاب النباتَ بردٌ يكدَوه أى ردَّه فى الأرض، وكان موضوع هذا اللفظ فى كلام العرب بالهمز وبغير الهمز إنما هو لمّا قلَّ خيرُه وساءتْ حاله ويئِسَ منه ولم يُظفَرْ به فاستعاره بشّار ههنا للسيف فجعله إذا نبَا عن ضريبته بمنزلة من لم يظفر بحاجته ويئس من طَلِبَته يقول: فأنا إذا نبا السيف مضيتُ ولم أنبُ، وحمات جمع حُمَة وهى حرارة السم وفَوَرته، قال أبو حاتم: سألت الأصمعى عن الحمة فقال هو فَوْعة السم أى حرارته وفورته، هذا لفظه ومن زعم أنّ حمة العقرب إبرتها فقد أخطأ، ويقال: رِيقٌ ورِيقة، وقوله وريقهن قضاء أى موت

أما البيت الأخير من أبيات بشّار فمثل قول جرير (١):

وعاوٍ عوَى من غير شىء رمَيْتُه بقافيَةٍ أنفاذُها تقطُرُ الدّما
خرُوجٍ بأفواه الرُّواة كأنّها قرَى هُنْدُوانى إذا هُزَّ صمّما

ذُكر أن الراعى لمّا سمع هذين البيتين ارتاع لهما، وقال لمُنشدهما: لمن هذا ويحك فقال لجرير فقال: لعن الله من يلومنى على أن غلبنى مثل هذا، وأما قول جرير: أنفاذها فالأنفاذ جمع نَفَذ وهى الجراح الواسعة النافذة ورَوَى أبو الوليد المهرى عن ابن ناجية أنّ النفَذ راس الجُرح حيث يدخل راس الرُّمح قال قيس بن الحطيم (٢):

طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفّى فأنهرتُ فتقَها يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءها

---

(١) ديوانه ٢ — ١١٩ والنقائض ٦٢ والشعراء ٢٨٥ والحصرى ١ — ٢٢
(٢) الحماسة ٨٥ والأغانى الدار ٣ — ٣

ومعنى هذا البيت الأول [١] :

وقافيةٍ لَجْلَجتُها فرددتُها [٢] لدى الضرسِ لو أرسلتُها قطرت دما

ومنه قول حُمْران بن مالك الجُشَمي :

لساني إذا زاحمتُ شاعر معشرٍ كسيف بن [ذى قيفان أو هو أظلم] [٣]

وما هو إلا شُهْدَة يُشْتَفَى بها . ونار على من [صبّه الله ميسمُ]

وفى هذا زيادة على ما تقدّمه لاستيعابه القسمين [٤] واستعماله إيّاه فى الوجهين ، وأخذ المتنبي قوله عتاب الفتى فى كل يوم بلية فقال [٥] :

ومن البليّة عذل من لا يَرعوى عن جهله وخطابُ من لا يفهمُ

وأحسن ما فى هذا المعنى قول الآخر :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتِبُهْ

ومثله [٦] :

ما عاتب المرء الكريمَ كنفسه والمرء يُصلحه الجليسُ الصالحُ

وقول أبي معاذ أيضا :

(أُسْكُنْ إلى سَكَنٍ تُسَرُّ به ذهب الزمانُ وأنت منفردُ

(١) طمس البلل ههنا فى الأصل بقدر ست كلمات

(٢) المزهر ١ — ٣٨٧ بغير عزو كما ههنا

(٣) طمس البلل من المصراعين الأخيرين من بيتى حمران عدة كلمات فقرأ صديقى العلام عبد العزيز الميمنى مطموس المصراع من البيت الثانى وكتبناه بين القوسين وأما مطموس المصراع من البيت الأول فلم يمكن أن يقرأ لكن يظن صديقى المذكور بقرينة المقام أنه يمكن أن يكون (ذى قيمان أو هو أظلم) وكتبناه أيضاً بين القوسين ، والبيت الثانى من هذين البيتين فى السيوطى ٢٨٥ باختلاف وبغير عزو وفى العينى ١ — ٤٥١ والخزانة ٢ — ٤٠٠

(٤) هذه الكلمة أيضاً مما كان طمسه البلل فقرأه العلامة الميمنى

(٥) ديوانه ٢ — ٢٦١

(٦) حماسة البحترى ١٠٧ لسلمة بن غالب الجعفى أو لغيره قال الميمنى ويروى أن لبيدا لم يقل فى الاسلام غير هذا البيت (الشعراء ١٤٩ ليدن) فهو له والله أعلم

ترجو غداً وغد كحاملةٍ في الحيّ لا يدرون ما تَلِدُ)

الأصل في هذا قول زهير [١] :

واعلم ما في اليوم والأمسِ قبله ولكنّني عن علم ما في غدٍ عمِ

ونحوه ما أنشدنيه الربعي أبو الحسن من قصيدة له :

وغدٌ وبعد غدٍ بمضمونيهما عِدَةٌ تغيّبُ والغيوبُ لها نَبَا

[وحوادثُ الأيامِ أكثرُ عبرةً] [٢] مِن أن يُحيط بها القياسُ فتُحسَبا

ومنه ما أنشدنيه أيضاً من قصيدة له :

[ما كان أمسِ] فقد فات الزمانُ به [٣] وما يكون غداً في الغيب موعودُ

وبين ذينك وقت أنت صاحبه في حالتيه فمذمومٌ ومحمودُ

وقول أبي معاذ أيضاً من قصيدة في صفة ممدوح .

(مالكيٌّ تنشقُّ عن وجهه الحرْ بُ كما انشقّت الدجى عن ضياء

ليس يُعطيك للرجاء ولا الْ خوف ولكن يلذّ طعمَ العطاء

يَسقُطُ الطيرُ حيثُ ينتثرِ الحَ بُّ وتُغشى منازلُ الكُرَماء)

البيت الأول مأخوذ من قول عبد الله بن قيس الرُّقيّات في مُصعب [٤] .

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلّت عن وجهه الظلماء

وكان مصعب كريما وسيما شجاعا جوادا ، رُوى أنه لمّا ظفر بالمختار ابن أبي عبيد وقتله وهزم أصحابه وأسر بعضهم أُتِيَ بأسير منهم فأمر بضرب

---

(١) العقد الثمين ٩٦ والخزانة ٣ — ٣٥٩

(٢) هذا المصراع أيضاً كان مطموساً في الأصل فقرأه العلامة الميمني

(٣) هذه الكلمات أيضاً من المطموسات بقراءة العلامة الميمني

(٤) العيون ١ — ١٠٣ والشعراء ٣٤٤ والخزانة ٣ — ٢٦٩

عنقه فقال: أيهـــا الأمير لا تفعل فما أقبحَ بى أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هـذا الجميل الذى يُسْتضاء به فأتعـلّق بك وأقول ربّ سَلْ مصعبا فِيمَ قتلَنى، قال له مصعب: قد عفوتُ عنك قال أيّها الأمير اجعل ما وهبتَه لى من حيـاتى فى خَفْض وغِنًى؛ فانّـه لا عيش لفقير قال مصعب: أثبتُوه فى أسْنَى عطاء، وأمر له من وقته بمائة ألف درهم فقال: أشهدُك أيها الأمير أنى قد جعلتُ نصفها لابن قيس الرُّقَيّات قال ولِمَ ذلك قال لقوله فيك:

إنّما مصعب شهاب من اللـــه تجلّتْ عن وجهه الظلماء

فضحك مصعب وقال: أرَى فيك موضعا للصنيعة فجعله فى نُدَمائه، وكان ابن الرقيات منقطعا إلى مصعب ولما ظفِر عبد الملك بن مروان بمصعب وقتله وتتبّع أصحابه أجدّ الطلب فى ابن قيس، وجعل فيه الجعائل فما ظفر به وكان مستخفياً عند امرأة بالكوفة أكثر من حَوْل حتى استأمَنَتْ له أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان (١) ابن عمها عبد الملك بن مروان فأمنه ودخل عليه فأنشده (٢) قصيدته البائية التى امتدحه بها وأوّلها:

عَادَ له من كَثِيرةَ الطَّرَبُ (٣) فعينُه بالدموع تَنْسَكِبُ

إن الأغرّ الذى أبوه أبو الـــعاصى عليه الوَقارُ والحُجُبُ

يَعْتَدِل التاجُ فوق مَفْرِقه على جبين كأنّه الذهبُ

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس تمدحنى بالتاج حتى كأنى من العجم وتقول فى مصعب:

---

(١) كذا بالأصل والصواب حذف كلمة ابن نبهنى عليه صديقى العلامة المستشرق الشهير كرنكو حين كنت أعارض معه مسودّتى على الأصل

(٢) ديوانه ٦٧ و ٧١ والسيوطى ٢١١ والكامل ٣٩٨ الأول والخزانة ٣ — ٢٦٨ و ٢٦٩ والأغانى ٤ — ١٥٧

(٣) بالأصل كثيرة على التصغير

إنما (١) مصعب شهاب من اللـه تجلّتْ عن وجهه الظلماء
مُلكه مُلك رحمة ليس فيه جبَرُوت ولا له كبرياء
يَتقِي الله فى الأمور وقَدْ أفلح مَنْ كان همّه الاتقاء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاءً أبداً

وقوله — تسقط الطير حيث ينتثر الحب — مأخوذ من قول العجّاج (٢) :

إنّ النّدَى حيث تَرى الضِغَاطَا

ومثله قول الآخر (٣) :

يزدحم الناس على بابه والمَنْهل العَذْب كثير الزّحامْ

ونحوه قول أعرابى (٤) :

مالى أرَى أبوابَهُمْ مهجورة وكأن بابك مجمع الأسواقِ

وقوله من قصيدة :

(إذا خسرَ الشبابُ فَمُتْ حميداً (٥) فما اللذّات إلاّ فى الشبابِ
أصون عن اللئام لُباب وُدّى وأختَصُّ الأكارمَ باللُّبابِ)

وقوله أيضاً :

(أنا والله أشتهى سِحْرَ عَيْنَيْـ ـكِ وأخشَى مَصارِعَ العُشّاقِ
فاصبرى مثل ما صبرتُ فانّ الـ ـصَبر حظٌ من صالح الأخلاقِ
إنّنى من بنى عُقَيل بن كعب موضعَ السيف من طُلَى الأعناقِ)

(١) ديوانه ١٧٦ و ١٧٧
(٢) ذيل ديوان رؤبة ١٧٧ والحيوان ٥ — ١٣٣ والعيون ١ — ٩٠
(٣) العيون ١ — ٩٠ (٤) العيون ١ — ٩٠
(٥) كذا وأنا أرى أن الأصل انحسر قاله الميمنى

البيت الأول مثل قوله أيضاً وأعاده فقال :

(تشتهى قُرْبَكَ الرَّبابُ وتَخْشَى … قولَ واشٍ وتَتَّقِى إسْمَاعَهْ
أنتَ من قُربها مَحَلُّ شرابٍ … تشتَهِى شُرْبَهَ وتَخشى صُداعَهْ)

وهو مأخوذ من قول ابن هَرْمة (١) :

يُحِبُّ المديحَ أبو خالدٍ … ويَفْرَقُ من صلة المادحِ
كعَذْراء تَبْغِى لذيذَ النكاحِ … وتَهْرُبُ من صَولة الناكحِ

وردّه (٢) ابن (٣) هرمة أيضاً فقال :

فأنتَ فى المدح كالعَذْراء يُعْجِبُهَا … مَسُّ الرجال ويثنى قلبها الفَرَقُ
تبْدى بذاك سرورا وهى مُشفِقة … كما يَهاب مسيسَ الحية الفَرِقُ

ألَمَّ ابن هرمة فى بيته هذا بقول الحارث بن خالد المخزومى فى عائشة بنت طلحة بل أخذه أخذ إغارة على لفظه ومعناه ، وكان الحارث قد سأل عائشة أن يُلِمَّ بها ليَتَحَدَّثَ معها قالت : إنّا حُرُم فاخرّ (٤) ذلك حتى تَحِلّ فلما أحلّت رحلَتْ ولم تُعلمه فكتب إليها :

يا أُمَّ عمران مازالت ولا بَرِحت (٥) … بنا الصَّبابةُ حتى مسَّنا الشَّفَقُ
القلب تاقَ إليكم كى يُلاَقِيكم … كما يَتُوقُ إلى مَنْجاته الغَرِقُ

---

(١) القالى ٣ — ١٢٧ بغير عزو وفى السمط انهما فى محاسن الجاحظ ٣٤ وخاص الخاص ٢٨ ومحاضرات الراغب ١ — ٢٨٩ والبيت الثانى فى الوبرى ٣ — ١٧٩ لبسار قال الميمى هما لابن هرمة فى حماسة ابن الشجرى ٢٢٩

(٢) كذا بدل ردده حيثما وقع فى هذا الكتاب قاله الميمى

(٣) الأغانى ٥ — ١٦٩ الأول مع سبعة أخرى لابن هرمه كما ههنا والأول فى مجموعة المعانى ١٧٠ لهدبة بن الخشرم

(٤) صوابه عند الميمى فاخر (بصيغة الأمر) ذلك حتى تحل

(٥) الأغانى الدار ٣ — ٣٣٠ والأغانى ٣ — ١٠٧ و ١٠٨ باختلاف والحصرى ١ — ٢١٩

تُوليك شيئاً قليلا وهى خائفة كما يَمَسُّ بظَهْرِ الحيَّة القَرِقُ

وكان الحارث دَيِّنًا عفيفا مُتَصَوِّنًا إلا أنه كان كثيرا ما يَنْسُب بعائشة هذه ويذكرها فى شعره تَظَرُّفا ، وكان أحد المُجِيدين فى النسيب حتى تُوُهِّمَ عليه حُبُّها والكلفُ بها ، وكانت تحت مصعب فلما قُتِل عنها مصعب قيل للحارث : لو خَطَبْتَهَا فنلتَ بغْيَتك منها وحصَّلْتَ أُمْنِيَّتك ، فقال : لا والله لا أفعل لأنى أكرَهُ أن يُصَحِّحَ الناس ما توهَّموه وأن يُظَنَّ بى أنى كنتُ معتقدًا لمَا كنتُ أقوله فيها

وقوله من قصيدة :

(سيِّدى لا تأتِ فى قَمَرٍ لحديثٍ وارقُبِ الدُّرُعَا
وتَوَقَّ الطيبَ ليلتَنا إنّه واشٍ إذا سَطَعا)

الدرُع (١) جمع ليلةٍ دَرْعَاءَ على غير قياس ، والقياس فيها دُرْع وسُمِّيت بذاك لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها ، ومنه قيل : شاة دَرْعاء إذا اسودَّ رأسها وعُنُقها وابيضَّ سائرها ، وسطع فاح يقال : سطع وفارَ وضاعَ وتضوَّعَ وتضيَّعَ كله بمعنًى

وقوله — إنّه واشٍ إذا سطَعا — مثل قول الآخر (٢) :

إذا مَشَتْ نادَى بما فى ثيابها ذَكِىُّ الشَّذَا والمَنْدَلِىُّ المُطَيَّرُ

ذَكِىُّ الشذا ريح المسك ، وقوله . نادَى مثل سطع أى ضاع ودلَّ على نفسه ، والمَنْدَلىّ من العود أجوده ، والمُطَيَّر ضرب من صنعته ، وهو منسوب

---

(١) هنا وفيما مضى فى الأصل الدرع مشكولا بضم ففتح — وهذا لا معنى له بل الدرع بضمتين وأصله الدرع بسكون الراء وهو على القياس قال ابن جنى ليس فعل (سكون الراء) يمتنع فيه فعل (بضم الراء) انظر السهيلى ١ — ١٥ قاله الميمنى

(٢) البلدان الميم والنون بغير عزو وفى المقصور والممدود ٦٨ للعجير أو العديل بن الفرخ

إلى مَنْدَلَ مدينة بالهند كالقَمَارِىّ نُسب الى قَمارِ بلد بالهند أيضاً، عُوده بعد عُودِ مَنْدَلَ أجود العود (١) قال ابن هرمة ووصف خيالاً طرقَه :

كأنَّ الرَّكبَ إذ طرقَتْك باتوا بمَنْدَلَ أو بقَارِعَتَىْ قَمارِ

وجعْلُ بشّار الطيب واشيًا ودالاً ونمَّامًا معنى متسع ، فيه مستعمل كثيرا وأصله قول ابن الدُّمَيْنَة :

هِجَانُ اللَّون أبكار وعُونٌ عليهن المَجاسدُ والحريرُ
إذا طردَتْ فُنونُ الريح فيه توَشَّى المسكُ يأرَجُ والعبيرُ

وأخذه ابن أبي أمية الكاتب فقال :

لها أرَجٌ إذا زارَتْ يُنَبِّهُ كلَّ من رقَدا
فما تَخفَى زيارتهـا على خلقٍ وإنْ هَجَدا

وقال أبو يحيى فلح :

إذا كتمَتْ زيارتَها أذاعَ الطيبُ ما كتمَتْ
فأنطق ألسُنَ الواشيـنَ لا كانت ولانطقَتْ

وقال فيه آخر :

وبنفسى شادنٌ خَرِقٌ لابسٌ من حسنه وُشُحا
فاذا ما زَار مُكتَتِمًا نَمَّ ريحُ المسك فافتضحا

ومنه قول ابن أبي زُرْعة (٢) :

فاستمسكَتْ خلخالَها ومشَتْ تحت الظَّلام به فمـا نطقا
حتى إذا ريحُ الصَّبا نسمَتْ ملأَ العبيرُ بِسرِّنا الطرُقا

(١) البلدان القاف والميم يبتان بتغير القافية اعرابا ففيه قمارا والعكبرى ٢ — ٣٠٩
(٢) الحصرى ٢ — ٩٤

وأضاف ابن أبى أميّة الحَلْيَ الى الطِيب فقال :

طرقتْنى فى خُفْيةٍ واكتتامِ   مِن رقيبٍ وحاسد وغيُورِ
فأبان الحَلْيُ والطِّيبُ عنّا   كتمتَهُ من سرِّنا المستورِ
ليس شىء أعدَى لنـا مِنْ   يَواقيتٍ عليها ومسكِها والعبيرِ

ومن جيّد الشعر فيه قول مسلم بن الوليد (١) :

وزائرةٍ رُعْتُ الدُّجَى بلقائها   وجاريتُ فيها كوكبَ الصبحِ والفجرا
إذا ما مشت خافَتْ نميمةَ حَلْيِها   تُدارِى على المشى الخلاخيلَ والعِطرا

ومن مطبوع الشعر فيه وحُلوه قول العباس بن الاحنف :

قلتُ الزيارة قالت وهى ضاحكة   اللهُ يعلم فيها كُنْهَ إضمارى
فكيف أصْنَعُ بالواشين لا تَسلِموا   والحَلْيِ والطيبِ تأتيهم بأسرارى

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول أعرابى :

إذا هى زارتْ بعد شحْطٍ من النَّوَى   وَشَى نشرُها لا مسكُها وعبيرُها

قوله ، وشى نشرها ، مأخوذ من قول امرئ القيس (٢) :

ألمْ ترَيانى كلّما جئتُ طارقا   وجدتُ بها طِيبًا وإن لم تَطَيَّبِ

وقريب منه قول الآخر :

لم ألقهـا قطُّ إلاّ وهى عاطرة   وما تعطّرُ إلاّ فى الأحايينِ
حتى كأنَّ إلـه الخـلْق صوَّرَها   من ماء عنبرَة والخَلقَ من طينِ

ونحو من هذا المعنى قول الآخر (٣) :

---

(١) ديوانه ٣٨

(٢) العقد الثمين ١١٦ والعكبرى ١ — ٣٨٦ والنويرى ٢—٦٤ والكامل ٩٨

(٣) العيون ١ — ٣٠٥

خَوْدٌ يكون بها القليلُ تَمَسُّه ... مِن طيبها عَبَقٌ يطيبُ ويَكثُرُ
شَكَرَ الكَرَامةَ جلدُها وصفَا لها ... إنَّ القبيحةَ جلدُها لا يشكرُ

وقول أبي معاذ من قصيدة .

(وقوم يَنْظُرُون إلىّ شَزْرًا ... كأنَّ كُلومهم مِنّى دَوامى
سيُجْدِي حلمهم أو يُنكرونى ... فانَّ تَقَدُّمى قبل انتقامى)

يقال : شَزَرَه ببصره ويَشْزِرُهُ شَزْرًا إذا نظر إليه بمؤْخِرِ عينه ، وطعنه شَزْرًا إذا طعنه عن يمينه وشماله ، والشَزْرُ الفتل الشديد ، والشزر الشدّة فى الأمر والصعوبةُ ، والكُلوم والكِلاَم جمع كَلْم وهى الجراح ، يقال : كَلَمْتُ الرجل أكلِمُهُ كَلْمًا إذا جرحتَه فهو مكلوم وكليم ، وقوم كَلْمَى أى جرْحَى ، أشار المتنبى إلى صدر البيت الثانى فقال (١) :

مدحتُ قوماً وإن عِشْنا نظمتُ لهم ... قصائداً من إناث الخيل والحُصُنِ
تحت العجَاج قوافيهــا مضَمَّرَةً ... إذا تنُوشِدنَ لم يدخُلن فى أذنِ

وقوله من قصيدة فى وصف ممدوح .

(غَيرانُ وقَّرَ سمعَه وضميرَه ... وَقْعُ الحديد به يَشُقُّ حديدا
تَنْجَابُ رَوعاتُ الوغى عن بأسه ... صلتانَ يَفتكُ بالأمور وحيدا
ولقد أقول لقافلين رأيتُهم ... دونَ المُشَلْشَلِ يُنشدون قصيدا
كيف الأمير لزاءُ مُتَخَيِّرِ ... تركَ الأقاربَ والصديقَ بعيدا
فتبادروا طرَفَ الثناء بفضله ... فكأنّما نَشَروا الثناءَ بُرُودا)

---

(١) ديوانه ٢ — ٤١٩

غَيْرَانُ فَعلان من الغَيرة ، ويقال : رجل غَيُور وغَيْرَان وإنّه لشديد الغيرة والغَير والغِيار

قال الراجز (١) :

كما أهْلَكَ الغَيْرُ النساءَ الضَّرائرا

وتَنجابُ تنكشف ويقال : رجل صَلتَان وصَلْت ومنْصَلِتٌ ومصلاَت وإصْلِيت إذا كان ماضياً فى أموره متجرّداً فيها . وسيف إصليت قال الراجز :

كأنّنى سيف بهـا إصليتُ

ويقال : فتَكَ يَفتِكُ ويَفتُك فَتْكًا وفِتْكا وفُتْكًا وفُتوكا وفَتاكة ، والفـاتك الذى إذا همّ بشىء من الشّر فعَلَ ، وفى الحديث قيّدَ الإسلامُ الفَتْكَ ، لا يفْتِك مسلم ، والقـافلون الراجعون من سفرهم إلى الوطن الذى خرجوا منه

البيت الأول مأخوذ من قول عُرْوة بن أُذَيْنَة الليثىّ :

عَرَتْهُ الحادثات فنَجَّدَتْه وَوَقَّرَ سمعَه وقعُ الحديدِ

ومثل قوله — صلتان يفتك بالأمور وحيدا — قول سعد بن ناشب (٢) :

أخى عَزَمات لا يُريد على الذى يَهُمّ به من مَقطَع الأمر صاحبا

إذا همّ ألقَى بين عينيـه عزمَه ونكّبَ عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرضَ إلاّ قائم السيف صاحبا

---

(١) القالى ٢ — ٦٨ لحداش بن زهير وأوله تماءرتم فى الفخر حتى هلكتم والسان م مأر ، وفى السمط أن البيت فى الانبارى٣٠٤ والالفاظ ٨٧

(٢) بالأصل سعيد وهو خطأ فاحش وفى الحاشية : ههنا بالأصل ايطاء قبيح وهو فى تكرار صاحبا والأبيات فى الحماسة ٣١ والقالى ٢ — ١٧٧ والكامل ١١٨ والعيون ١ — ١٨٧ والشعراء ٤٣٨ والحصرى ١ — ١٩٣ والعينى ١ — ٤٧٢ والخزانة٣ — ٤٤٤ كذا فى السمط

وأما قوله — ولقد أقول لقافلين لقيتهم —(١) وما بعده فن قول نُصَيْب(٢):

أقول لركبٍ قافلين لقيتهم قفاذاتِ أوشالٍ ومولاك قاربُ
قفُوا خبّرُونى عن سليمان إننى لمعروفه من آل ودّان طالبُ
فعاجُوا فأثنوا بالذى أنتَ أهله ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

قال هذه الأبياتَ نُصيب لسليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان سببها أنّ سليمان استنشد الفرزدق لمّا دخل عليه وظنّ أنّه يمدحه فأنشده قوله(٣):

وركبٍ كأنّ الريح تطلُب عندهم لها تِرَةً من جذْبها بالعصائبِ
سرَوْا يخبِطون الليلَ وهى تسفُّهم(٤) إلى شُعَب الأكوار ذات الحقائب(٥)
إذا آنسوا ناراً يقولون ليتَها وقد خَصِرَتْ أيديهم نارُ غالبِ

فأعرض عنه سليمان مغضَبا، وكان بحضرته نُصيب ففهم مراده، فأنشده الأبيات المتقدمة فسُرّ بها سليمان، وقال له أحسنت ثم التفتَ الى الفرزدق وقال له كيف تسمع قال هو أشعر أهل جِلدته، فقال له سليمان وأهل جِلدتك فغضب الفرزدق وخرج وهو يقول(٦):

وخير الشعر أكرمُهُ رجالاً وشرُّ الشعر ما قال العَبيدُ

فحرَمه سليمانُ وأجاز نُصيبا

وقوله من قصيدة:

(نهانى أمير المؤمنين عن الصبا فدُون الغوانى عَوْمة لا أعومُها

---

(١) كذا بالأصل هنا وفى الأبيات وأيتهم

(٢) الفصل كله فى القالى ٣ — ٤١ والاغانى الدار ١ — ٣٣٧ والرجاجى ٣٣ والشعراء ٢٤٣ والكامل ١٠٤ واللآلى ١٩٠ كذا فى السمط

(٣) ديوانه ١٣٣

(٤) مالاصل فى الحاشية الريح (٥) بالحاشيه فى الاصل من كل جانب

(٦) البيت لنابغة بنى شيبان من قصيدة فى ديوانه المخطوط رقم ٦ قاله صديقى الميمنى والقافية فى الاصل محرورة وهو خطأ فاحش

وأغْيَدَ مِطْرابِ العشيّاتِ مُرْعَشٍ … من الخمر لا يلقــاك إلاّ نديمها
كررنا أحاديثَ الزمانِ الذى مضَى … بلذّاتنــا محمودُها وذميمُهــا
فوالله ما أدرى أقضّى لُبَانَةً … من الصحو أم وَلّى بنفسٍ يلومُها
وإنّى لفيّاض اليدين على الغِنى … وفى الفقر عَفٌ النفس عما يَذِيمُها
وإنى لَمَخْشِىٌ العُرَام ورُبّما … صفحتُ عن العوراء بادٍ شكيمُها
إذا ما وَلِىُّ العَهْدِ قضّى لُبانتى … وَقَفْتُ بأخرى عنده أستَدِيمُها)

يقول فى مديحها :

(فِدَى لكَ ما ألقتْ إليكَ مطيّتِى … إذا فتية قامت وقام زعيمها
تَقَلَّبْتَ فى بيت النبوّة يافِعًا … وخِرْقًا ومعقودا عليك تميمُها)

الأغيد الليّن المفاصل والاطراف فى نعمة ، وأكثر ما يستعمل الغَيَدُ فى العُنُق يقال : فلان أغيد وغادٌ وأغيدان [1] وامرأة غَيْدَاء وغادة ومتغايدة إذا كانت متثَنّيةً نَعْمَةً وحسنا . وظبى أغيد أيضاً كذلك والجمع غيد ثم كثر ذلك حتى قالوا : نَبْت أغْيَدُ إذا تعطف وتَثَنَّى من نَعمته ولينه والمِطراب والطَّروب الكثير الطرَّب ، وأصل الطرَب خِفّة تعترى الرجلَ من فرح أو حُزن

قال الشاعر [2] :

وأرانى طَرِباً فى إثْرِهِم … طَرَبَ الوَالِهِ أو كالمُخْتَبَلْ

ومن أمثالهم الكريم طَرُوب ، ويقال إبل طِراب إذا كانت تنزع إلى

---

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب عيدان

(٢) العكبرى ١ — ٥٧ النابغة الجعدى واللسان م طرب

أوطانها ، والحيم القريب الذى تَوَدُّه ويَوَدُّك ، وجمعه أحِمَّاء وقيل . أيضاً الحيم القريب الذى يحمى لغضب صاحبه ، والذميم المذموم يقال : ذَمَّه يَذُمُّه ذمًّا وذَمامة ومذمَّة فهو ذميم ومذموم ، وذميم فعيل من الذَمّ معدول عن مفعول ، والذم خلاف الحمد ، ويقال : استذَمّ إلىَّ فلان أى فعل ما أُذُمُّه عليه ، ورجل ذَمٌّ أى مذموم ، والذَمّ الضعيف أيضاً : قال الراجز وذكر يونس عليه السلام :

فَقَاءهُ الحُوت رَذِيًّا ذَمًّا (١)

الرذىّ الضعيف الهزيل ، يقال : ناقة رذيَّة وجمل رذىٌّ إذا تخلفا عن الإبل ضعفًا وهُزالا ، والذَّمامة خلاف الدمامة ، فالذمامة فى الخُلُق بالذال معجمة ، والدال غير معجمة فى الخَلْق ، وقيل اشتقاقها من الدِّمَّة وهى القَمْلة الصغيرة أو النملة ، واللُّبانة : الحاجة فى النفس لا من فاقة بل همّة تقول : ما قضَى فلان من كذا لُباتته أى ما بلغ ماق نفسه من حاجة ، يَذِيمُها يَعِيبُها ، والذَيْم والذام العيب ، ذامَه يَذِيمُه ذيْمًا إذا عابَه ، ومن أمثالهم لا تَعْدَم الحَسْناء ذاما ، أى عيبا : والعُرَام والعَرَامة الجهل ، يقال : عَرَم الصبى يَعرُم ويَعرِم ، وعَرُمَ يَعْرُمُ عَرَمًا وعُرَامًا وعَرامة ، وعَرِمَ يَعْرَمُ عَرَمًا إذا جهل . والعَوْراء الكلمة القبيحة ، ورجل مُعْوِر قبيح السريرة ، والشكيم جمع شكيمة ، يقال : فلان شديد الشكيمة إذا كان ذا عارضة وحد ، وشكيمة اللجام الحديدة المعترضة التى فيها فأس اللجام وجمعها شكائم فاستعار الشكيمة هنا للكلمة القبيحة ، يقول : ربما صفحت عن هذه الكلمة وهى على ما بها من الشدّة والحدّة ، والزعيم سيّد القوم ورئيسهم ، والاسم الزَّعامة ، والزعيم أيضاً الكفيل ، يقال أنا زعيم بكذا أى كفيل وضمين به واليافع الغلام إذا شَبَّ وتحرَّك ، يقال : غلام يَفَعٌ ويافع ويَفعَةٌ ، والجميع

(١) بالأصل فقاءة والصواب ما كتبناه كما فى اللسان م رذى

أيفاع ، والخرّق الرجل المتخرّق بالمعروف الكثير الهبات ، وجمعه أخراق وتميمها عُوَذُها ، يقال : للعُوذَة تميمة ، وجمعها تميم وسُمّى أيضاً الجَلَبَة"(١) وجمعها جُلَبٌ"

مثل قوله — نهانى أمير المؤمنين عن الصبا — قول ابراهيم بن علىّ بن هَرْمة وقد نهـــاه الحسن بن زيد بن الحسين بن على رضى الله عنهم عن الخمر فقال (٢) :

نهانى ابن الرسول عن المُدامِ   وأدّبنى بآدابِ الكرامِ
وقال لىَ اصطَبِرْ عنها ودَعْها   لخوف الله لا خوف الأنامِ
وكيف تَصَبرِى عنها وحُبّى   لها حُبٌّ تمَــكّنَ من عظامى

وقد كرّر أبو معاذ هذا المعنى ، وذكره فى أماكن من شعره منها قوله :

(ومُخضّب رَخْصِ البنَا   نِ بكَى علىّ وما بكيتُهْ
قام الخليفـــة دونـــه   فصبرتُ عنـه وما قليتُهْ
إنّ الخليفـة قد أبَى   وإذا أَبَى شـيئاً أبيتُهْ
ونهـــانى الملكُ الهُما   مُ عن النساء فما عَصَيْتُهْ
بل قد وفيتُ ولم أُضِع   عهـدا ولا وأياً وأيْتُهْ)

الوأى الوعد ومنها قوله :

(واللهِ لولا رضَا الخليفـة ما   أعطيتُ ضَيْماً علىّ فى شَجَنِى

---

(١) هذا الـكلام مضطرب ولعل الأصل والله أعلم (ومثله أيضاً الجلبة وجمعها جلب) يريد مثل العوذة فى الجمع فقط لا فى المعنى قاله الميمنى

(٢) العيون ٣ — ٣٠١ أربعة أبيات والـكامل ١٣٨ والحصرى ١ — ٨١ والعقد ٣ — ٣٩٩ و ٤٠٠

قد عِشتُ بين النَّدْمَان والرَّا ح والمِزْهَر في ظلّ مجلسٍ حَسَنِ
ثم نهاني المهديُّ فانصرفتْ نفسى صنيعَ المُوَفَّقِ اللَّقِنِ)

وإنما قال بشار : ما قال من هذا وأمثاله خوفا من المَهْدِيّ ، وذلك أنه لمَّا أنْشِدَ قولُـه :

(لا يؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّأةٍ قولٌ تُغَلِّظُه وإنْ جَرحا
عُسْرُ النساء إلى مُيَاسَرَةٍ والصَّعْبُ يمكن بعد ما جَمَحا)

غضِب واستشاط ، وقال : ما حُرِّض على الفجور ، وحُرِّك إلى الفسوق بأكثرمن هذا القول ، وكان بحضرته يزيد بن منصور الحِمْيَرِى خال المهدى وكان مُراغما لبشّار ، وكان سبب مراغمته إياه أنّ يزيد بن منصور دخل على المهدى فوجد بشارا عنده ينشده قصيدة مدحه بها ، فلمّا فرغ من إنشاده التفت إليه يزيد وقال له . ما صناعتك أيُّها الشيخ فقال : بشار ، أثقُبُ اللؤلؤ فتنكّر له المهدى وقال أتهزأ بخالى ، فقال يا أمير المؤمنين وما يكون جوابى لمن رأى شيخاً أعمى فى مجلسك يُنشد شعرا يمدحك ، فسكت عنـــه المهدى وحرمه ولم يُثِبْه على شعره ذلك ، وانطوى له يزيد على حقد فلمّا أُنْشِدَ المهدى من بعد قول بشار ، لا يؤيِسنّك من مخبأة : والبيت الذى بعده اهتبل يزيد فيه الفرصة فحرّضَ عليه المهدى فقال : يا أمير المؤمنين إن النساء قد افتُتِنَّ بشعره وأىّ امرأة لا تصبو إذا سمعَتْ مثل قوله :

(عَجِبَتْ فَطْمةُ من نَعْتِى لها هل يُجيد النَّعتَ مكفوفُ البَصَرْ
دُرَّة بحريَّةٌ مكنونة مازَها التاجر من بين الدُّرَرْ
أَذْرَتِ الدمعَ وقالت ويلتى مِنْ وَلوعِ الكفِّ رَكّابِ الخطَرْ

أَمِنِّي يَدَّدَ هـذا لُعَبِي ووِشاحِي حلّه حتى انتَثَرْ
فدَعِينِي معَه يا أُمّتـــا عَلَّنا فى خَلوة نقضِى الوطَرْ
أقبلَتْ فى خلوة تضرِبُهـــا واعتراها كجنون مُستَعِرْ
بأَبِي والله ما أحسَنَهُ دمعُ عينٍ غَسَلَ الكحلَ قَطرْ
أيّهـــا اللُّوّام هُبُّوا ويحكم وسَلُونِى اليوم ما طَعْم السَهَرْ)

فأمر المهدى باحضاره فزَجَره وهَمَّ به ، فسُئِلَ فيه فعفَا عنه ، وتقدّم إليه أن لا يقول فى الغزل شعرا

مثل قول بشار — لا يؤيسنك من مخبأة البيت — ما أنشدنيـه الربعى أبو الحسن من قصيدة له

ولقـــد تَعَبَّدَنى على حُرِّيَّتِى غُصْنٌ تنَعَّمَ فى الرحيق السلسلِ
ممّنْ يصُونُ عن الأكُفِّ ثمارَه بُخلٍ ويحجُبُه عن المتأمّلِ
لا تنفعُ العبراتُ عند صُدوده أحداً ويُرْهَب أن يقال له صِلِ
دارَيْتُ قسوَتَه بلِينِ تلطفِي والصلْـبُ تَعْطِفُه يدُ المُتَحَيِّلِ
فاذا بُليتَ بهاجرٍ فاصبر له فالماء يُنْبَطُ من صفاة الجَنْدَلِ

وأنشدنى أيضاً فى مثله من قصيدة :

فاستعِنْ بالرفق إنْ رُمْتَ صعباً ربمـــا يَسْهُلُ بالرفق صعبُ
وإذا أعيـــاك أمر فدَعْه مالِمَا أعيـا من الداء طِب

وكرّره أيضاً بما أنشدنيه من قصيدة له :

كالصخرة الصمَّاء يرجع معْوَلى متثلِّمًا عنهـــا ولا يتقطّرُ
لا بل أصابرها على نَزَقاتها (١) إنّ الميـاه من الصفا تتفجّرُ

(١) أى نزواتها

ونحوه قوله أيضاً من قصيدة أنشدنيه :

يا جارتا إنّ الحجارة تَجلمد ولرُبّما انفجرت بهـا الأنهار
أقساوةٌ عجبا ووجهك ناضر يَدْمى إذا وقعَتْ به الأبصارُ

وتبع أبو نواس ابن هرمة وأبا معاذ فى المعنى الأول لمـّا نهاه الأمير وتهدّدَه أن لا يشرب خمرا ولا يقول فيها شعرا (١) :

أيّها الرائحان باللوْم لوُمَا لا أذوق المدام إلاّ شميما
نالنى بالمَلام فيهـا إمامٌ لا أرَى لى خلافَـه مستقيما
فاصرفاها إلى سوايَ فانى لستُ إلاّ على الحديث نديما
كبْرُ حَظّى منها إذا هى دارت أن أراها وأن أشَمّ النسيما
فكأنى وما أزَيّنُ منهـا قَعَـدِىٌ يُزَيّنُ التحكيما
كَلّ عن حمله السلاحَ إلى الحر ب فأوصَى المُطيقَ أن لا يُقيما

القَعَد فرقة من الخوارج يَرون الخروج على السلطان ويُحرّضون أصحابهم على ذلك ولا يخرجون ، وكان منهم عمران بن حِطّان الشاعر

وقول أبى مُعاذ — وإنى لفيّاضُ اليدين على الغنى — البيت من قول حاتم (٢)

غَنِينا زماناً بالتّصَعْلُك والغِنى فـكلاًّ سقاناه بكاسَيْهِما الدهرُ
فمـا زادنا بخرًا على ذى قرابة غَناء ولا أزْرَى بأحسابنا الفقرُ

أو من قول أبى العجّاج الفزارى (٣) :

على كل حال قد بلَتْنى عشيرتى على الفقرمنى والغنى حين أترِبُ
غنيتُ فلم أبخل على مقتريهم بمالى ولم أكدَدْهم حين أنكَبُ

(١) ديوانه ٣٢٥ والحصرى ٢ — ١١٢ والكامل ٥١٣

(٢) ديوانه ١٩ و ٢٠ والخزانة ٢ — ١٦٣ والأغانى ١٦ — ١٠١ والحصرى ٣ — ١٨٣ وابن عساكر ٣ — ٤٢٨ كذا فى السمط

(٣) يظن صديقنا الميمنى أن هذا الاسم انما هو أبو الحجاج بالحاء المهملة لا بالعين

وقريب منه قول ابن المعتزّ :

وما زلتُ مُذْ شدَّتْ يدى عَقْدَ مِئزرى غناى لغيرى وافتقارى على نفسى
ودلَّ علىَّ الحمدَ جُودى وعِفَّتى كما دلَّ إشراقُ الصباح على الشمس

وأما قوله — وربما . صفحتُ عن العوراء باد شكيمها — فمأخوذ من قول مُضَرِّس بن رِبْعِيٍّ الفَقْعَسى (١) :

وإنى لترَّاكُ الضغينة قد أرَى ثراها من المَوْلى فلا أستثيرُها
وعوراء قد قيلَتْ فلم أستمع لها ولم أكُ مِشْرافاً بها من يُحِيرُها
تصاممتُ عنها بعد ما قد سمعتُها وأنبأتُ نفسى أنها لا تضيرُها

ومثله قول كعب بن سعد الغَنَوِىّ (٢) :

وعوراءَ قد قيلت فلم أستمع لها وما الكلم العَوْرَاء لى بقبولِ (٣)
وما أنا للشىء الذى ليس نافعى ويغضَب منه صاحبي بقَؤُولِ

وذكر مسكين الدارمى علة التحلُّم والتصامم فى هذا المعنى فقال (٤) :

وعوراءَ من قِيلِ امرئٍ ذى قرابة تصاممتُ عنها بعد ما قد سمعتُها
رجاءَ غَدٍ أن يعطِفَ الوُدّ بيننا ومَظْلَمَةٍ منه بجنبي عَرَكْتُها (٥)

وأبينُ من هذا قول عمرو الشَّنِّىِّ : (٦)

وعوراء جاءت من أخٍ فرددتُها ولم أتخذ فيما مضَى بيننا جُرْما

---

(١) بالأصل مضرس ربعى والأبيات فى الحماسة ٥٠٠ لتبيب بن البرصاء كما فى هذا الكتاب أيضاً فى ص ٢١٠ إلا أن هناك الأول من هذه مع بيت آخر والاخيران فى حماسة البحترى ١٧١ لمضرس كما ههنا

(٢) الأبيات من قصيدته فى الاصمعيات ٦١ والخزانة ٣ — ٦٢٠ والبيت الأول فى حماسة البحترى ١٧١ والثانى فى العيون ١ — ٣٤١ (٣) بالاصل بقتول

(٤) المرتضى ٢ — ١١٩ (٥) بالاصل يحي

(٦) حماسة البحترى ١٧١ بتغيير القافية فهى رائية هناك وبعض الكلمات أيضا مختلف ونسبها الى الاعور الشنى ولا أعرف عمرا الشنى فلعله تصحيف

ولو أنّى إذ قالها قلتُ مثلَهــا ولم أعفُ عنها أورثَتْ بيننا صُرْما
ذكرتُ بهـا الوُدَّ الذى كان بيننا ولم أتّخذ ما فاتَ من حلمه غُنْما
ولولا الذى لم يَرْجُهُ ورجوتُه لأظهرتُ للأقوام فى وجهه وَسْما
وإنى لأعفو عن ذنوب كثيرة وأعطف من نفسى إذا لم أخَفْ هضما

مثل البيت الآخر من هذه الأبيات قول عدى بن أيوب من بنى النجّار.

وأغفرُ للمولى هَنَاتٍ تَرِيبُنى فما ظلمه ما لم يَعُدْنى بمُحقدى

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(طال الثّواء على تنظُّر حاجةٍ شمطَتْ لديك فمَنْ لها بخضابِ
تُعطى الغزيرةُ دَرَّها فاذا أبَتْ كانت ملامتها على الحلّابِ
يعقوب قد ورد العُفاةُ عشيةً متعرِّضين لسَيْبِك المنتابِ
فسقيتَهم وحسبتنى كَمُّونَةً نبتَتْ لزارعهـا بغير شرابِ
مَهْ لا أبا لك إنّنى ريحـانة فاشمم جناها واسقِنى بذِنابِ)

الثواء المُقام، يقال: ثَوَى الرجل يَثْوِى ثَواء فهـو ثاوٍ، وأثوَى يُثْوِى إثواء فهو مُثْوٍ إذا أقام بالمكان، والمكان الذى يُثْوَى فيه، يقال: له المَثْوَى وأبو عبيدة وأبو الخطّاب يقولان: ثَوَى وأثوَى لغتان، وأنشد فى أثوى بيت الأعشى (١) :

أثْوَى وقصَّر ليلةً ليُزَوَّدَا فمضى وأخلفَ من قُتَيْلة مَوْعِدَا

وقال الأصمعى: لا أعرف إلاّ ثَوَى يَثْوِى ، وأنكر أثْوَى ، وأنشد هذا البيت أثَوَى على الاستفهام محرّك الثاء، وقال المبرد ثَوَى وأثْوَى لغتان

---

(١) ديوانه ١٥٠ والكامل ٢٦٠

فثَوَى يثْوِى فهو ثاوٍ أكثر، وأثوى يُثْوِى فهو مُثوٍ أقل، والشَّمَط الشيب يقال: شَمِط رأس الرجل وذَرَى إذا ابيَضّ من الشيب، ورجل أشمط، وامرأة شمطاء إذا كانا كذلك، والعفاة الطالبون وأحدهم عاف يقال: عفَاه يعفوه، واعتفاه يعتَفيه اذا ألَمَّ به، وعَرَاه يعرُوه واعتره يعتَرُّهُ، واعتراه يعتريه، وعرّه يعُرّه اذا قصده طالبـــاً لثوابه ونائِله، وهم العُفاة والعافون والعفِىّ، قال ابن مُقبل (١) :

فلا أشتم العفِىّ ولا يَجْدِبُونَنِى   اذاهَرَّدُونَاللحموالفَرْثِجازُرٍ[هُ]

يجدبونى يعيبونى، وبمعنى اعتفاه اجتداه، ويجتديه، ويقال: اختبطه اذا جاءه على غير معرفة وانتجعه اذا جعله غيثا — والسَّيب: العطاء — والمنتاب هنا المطلوب ويكون أيضاً الطالب، يقال: انتاب الرجل النوالَ ينتابه انتيابا فهو منتاب اذا طلبه وقصد اليه وهذا نوال منتاب أى مقصود اليه مطلوب ما عنده، واسم الفاعل والمفعول فيه على صيغة واحدة — والجَنَا ما يُجنى من ثمر الشجر ونحوها — وقوله مهْ زَجْر للرجل اذا أكثر من قول أو فعل فأردتَ أن يَكُفّ قلتَ له مَهْ أى اكفُفْ قال الخليل: مهْ زجر ونهى تقول: مهمهتُ بالرجل اذا قلت له مهْ مَهْ، ومهٍ اسم للفعل مثل صَه ورُوَيْدَ، فمَه اسم اكفُفْ، وصَه اسم اسكُتْ ورُوَيد اسم أرْوِدْ قال الفراء اذا قالت العرب أرْوِدْنى قليلا حتى ألحقَك ورُوَيداً ورُوَيْدَ فانما يُريدون رويدك لأنهم يريدون المخاطب لكنهم يحذفونها لكثرة ما يستعملونها، قال ورُوَيد تصغير وتكبيره رَوْدُ أنشدنى الكسائى (٢) :

تَكاد لا تَثْلَمُ البطحاء خَطْوَتُه   كأنَّه ثَمِلٌ يمشى على رُوْدِ

أى يمشى مشيًا ليِّنا، والذِّئاب جمع ذَئوب فى الكثرة، وجمعه فى القلة

---

(١) الالفاظ ٥٦٠ والقافية فى الأصل بدون الضمير فاضفنا الضمير بين القوسين

(٢) اللسان م رود للجموح الظفرى

أذنبة ومعناه النصيب وأصله الدلو . قال الراجز (١) :

انّا اذا نَازَعَنا شَرِيبُ   لنا ذَنوبٌ وله ذَنَوبُ
وان أبى كان له القليبُ (٢)

نازَعَنا هنا ليس من منازعة الخصومة ، ولكنه من منازعة الدِّلاء نحو المُسَاجِلة ينزع هذا دلواً وينزع هذا دلوا ، والشَّريب الذى يَشارِبُك ذَنوبٌ وأذنبةٌ وذِنابٌ ، ولما أسر الحارث بن أبى شَمِر شأسَ بن عَبَدَة ورجالا من بنى تميم وسأله علقمة بن عبدة فيهم فقال له فى أبيات مدحه بها :

فلا تحرِمَنّى نائلاً عن جَنابَةٍ (٣)   فانّى امرؤٌ وَسْطَ القِباب غريبُ
وفى كل حىٍّ قد خبَطْتَ بنعمةٍ   فحُقَّ لشأسٍ من نَداكَ ذنوبُ

فقال . الحارث نعم ، وأذنِبَة ، فأطلقه له وأسرَى بنى تميم

يقول بشّار هذا الشعر ليعقوب بن داود وزير المهدى يا يعقوب قد طال مُقامى ببابك منتظراً لحاجة أنزلتُها بك ورجوتك لقضائها فطلتَ بها وطال لُبثُها عندك حتى كأنها لو كانت مما يشيب لشابَتْ ولم تقضها ، ولمّا ذكر معه الشيب للحاجة ذكر معه الخضاب صنعةً ، فيقول له . فعلتَ فى حاجتى هذا وأنت من المهدى بمنزلة الحالب من لبن ناقة غزيرة الدَّرِّ فاذا منعَتْ دَرَّها فليس لقلة لبنها ولكنّه لتراخى الحالب وتضجيعه ، (٤) فاللوم عليه لا عليها ، يقول له . إنَّ مَنْعَ المهدى الجائزةَ لى أنت سببه والملوم عليه لأنك قد أعطيت غيرى وقضيتَ حاجته وأزحت علّته ، وقصدتنى بالمنع وخُيِّل إليك أنى مع ذلك أمدحك وأثنى عليك عن غير احسان منك الىّ

(١) اللسان م ذنب الشطر الثانى والثالث باختلاف

(٢) كذا بالأصل باثبات الواو ويعتقد صديق العلامة لليمنى أنه لا واو هنا وان الصواب إن أبى كان له القليب وفى اللسان فان أبيتم فلنا القليب

(٣) المفضليات ٧٧٩ و ٧٨٦ والعكبرى ٢ — ٢٣٩ الاخير واللسان م جنب كلا البيتين

(٤) كذا ولعله تضييعه — قاله الميمنى

ولا تَطَوّلِ عليّ وأنى أكون فى ذلك كالكَمُّوِنَة التى تصبر على العطش وتنمى وتُعطى جناها بغير سقى . فما أنا كذلك وإنما أنا بمنزلة الريحانة التى لا يُوصل إلى شمّها والانتفاع بها إلاّ بسقيها وتعهّدها ، فاسقنى تَشْمَمْ جَناى ، ضرب له ذلك مثلا ، وذُكر أنّ هذا الشعر كان سبب قتل بشّار وذلك أنّ يعقوب بن داود لمّا سمعه منه اعتقد عداوته ، وما زال يبغيه الغوائلَ ويقع فيه عند المهدى حتى قتله ضرباً بالسياط ، وكان أوّل عداوة يعقوب لبشّار أنّ بشاراً قصد يعقوب ليَشْفَعَ له عند المهدى ويُسَهِّل له سبيل جائزته وكان قد مدح المهدى فلم يُثِبْه فوقف على يعقوب بن داود فلم يأذن له وطال إبطاؤه فانصرف وهو يُنشد :

طال الثّواء على رسوم المَنزلِ

فرفع صاحب الخبر ذلك إلى يعقوب فوَجّه إليه عنه :

فاذا تشاء أبا مُعاذ فارحلِ

فلم يَصدُّه ذلك حتى توَصّل إليه وأنشده :

طال الثّواء على تنظُّرِ حاجةٍ

فلمّا أتمّها قال له يعقوب : هذا هجاء يا أبا معاذ ، فقال : معاذ الله ولكنه عتاب واستعطاف ، فلم يقبل ذلك منه يعقوب ولجّتْ به عداوته حتى كان يصنع الهجاء فى المهدى على لسان بشّار . وينشده المهدىَّ ويُغريه به إلى أن دخل يوما على المهدى فقال : يا أمير المؤمنين ما أعظم ما قال هذا الأعمى المشرك فى أمير المؤمنين قال : ويلك وما قال ؟ قال : يُعْفِينى أمير المؤمنين من ذكر ذلك ، فأبى عليه إلاّ ذكره فأنشده .

(خليفةٌ يزنى بعمّاته   يلعب بالدَّبُّوق والصَّوْلَجانْ
أَمَصه اللهُ بِبَظْرِ أُمّه   ودَسّ موسى فى حِرِ الخَيْزُرانْ)

وكان أنشده قبل ذلك على لسانه .

(بنى أُميــة هُبُّوا طال نومكم   إنَّ الخليفة يعقوب بن داودِ
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا   خليفةَ الله بين الناى والعُودِ)

فوجَّه المهدى فى حمله إليه ، وأمر يعقوبَ بضربه فخاف يعقوب أن يصل إليه فيمدحه فيُخَلِّيه ويعفو عنه لشَغَفِه بشعره وسروره بمدحه ، فبعث إليه من يلقاه بالبطيحة فضربه بالسياط حتى قتله قيل : بل وصل إلى المهدى فقال له أنت القائل :

لا يؤيِسنَّك من مخبَّأة   قول تُغلِّظه وإن جرحا
عُسْرُ النساء إلى مُياسرة   والصعبُ يمكن بعد ما جمحا

فأنكر ذلك فقال له المهدى : بل صحَّ ذلك عند أمير المؤمنين يا فاسق رميتَ نساء المسلمين جميعا بالفجور وسهَّلت لكل فاجر اليه السبيل ، فأمر يعقوبَ بضربه بالسياط فضربه فى صدر زَوْرَق بناحية البطيحة دون المائة سوط ، فمات منها فندم المهدى على قتله وظن أنَّ ضربه إيَّاه لا يبلغ الموت ، ووجَّه المهدى إلى البصرة فأُتِىَ بكتبه ، فقرأها فوجد فى بعضها : قد كُنْتُ عزمت على هجاء بعض آل سليمان بن على ؛ لأنهم ظلمونى وتعدَّوا علىَّ ، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبتُهم له فما قلت إلا بيتين وهما :

(دينــار آل سـليمان ودرهمهم   كالبابِليَّيْن حُفَّا بالعفـاريتِ
لا يوجدان ولا يلقــاهما أحد   كما سمعتَ بهاروت وماروتِ)

فزادَ أسف المهدىّ عليـــه وكان يقول بعد نكبة يعقوبَ : لعن الله يعقوب بن داود قتل بشّارا وهو مسلم خير منه

أعاد أبو معاذ معنى قوله — تُعطى الغزيرة درّها — فقال (١) :

أحْسِنْ صحابتَنا ولا تك جافياً فالدَّرُّ يقطعَهُ جفاء الحالبِ

وقوله — فسقيتَهم وحسبتنى كمّونة — البيت مثل قول الآخر :

لا تجعلَنّى ككمُّونٍ بمَزْرَعَة إنْ فاته الماء أغنتْه المواعيدُ

وأخذه ابن الرومى فزاد فيه وقال :

جعلتُه بالهجاء قُلقُلة اذ جعلتَنى مُناه كَمُّونا

ومثل قوله — مه لا أباً لك إننى ريحانة — البيت ، قول مسلم .

أيا سهلُ تمّمْ نعمةً قد غرستَها يُصبْك ثناها عاجلاً غير مؤجلِ

وأخذه ابن الرومى ، فأتى به فى غاية الحسن فقال .

أمْطِرْجَنا بِى سماحاً تَكْسُهُ أرَجاً أنت المُحَيَّا برَيّاه إذا نفحـا

ونحو هذا قول أبى الطيّب المتنبى (٢) .

وذكىُّ رائحة الرياض كلامُها يَبغى الثناء على الحيا فيفوحُ

جُهدَ المُقِلّ فكيف بابن كريمة تُوليه خيراً واللسان فصيحُ

وأخذه على بن محمد التهامى (٣) ، فزاد فيه وأحسن ، وأورده مثلا فى عجز بيت فقال .

فرّغْتَ نفسك للأحرار تَغرسُهم وهَمُّ غيرك غرس النخل والشجرِ

لمّا وَطئتَ دِمَشْقًا بِبعَما وَطئَتْ رِجْلاك منها بِسعر العَنبر الذَّفِرِ

وهذه صلةٌ لو يشعرون بهـا لجُدْتَ حتى بوطى الأرض (٤) فى العَفَرِ

فمَن يجُدْ منهم يمدحك مادحُه والمدح فى أرَج النُّوّار للمطَرِ

(١) سبق البيت مع بيت آخر (٢) ديوانه ١ — ١٥٩

(٣) ديوانه ٢٧ باختلاف

(٤) العفر « بفتحتين » والعفر « بفتح العين وسكون الفاء » التراب ولا أستبعد العفر بضمتين بمعنى شهر أو أسبوعين قاله الميمنى

أعنى القسيم الثانى من هذا البيت الأخير

أخذ التهامى قوله — لما وطئت دمشقا — البيت من قول العباس (١) ابن الأحنف .

وأنت إذا ما وَطئت التُّرا ... بَ صار ترابُك للناس طيبَا

والأصل فيه قول النُّميرى (٢) .

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نُعْمان أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسوة خَفِرَاتِ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَان من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطر الليل مُعْتَجِرَاتِ

رجع ، وعلى ذكر مسلم — أيا سهل تَمِّمْ نعمة قد غرستها — البيت فأنشدنى أبو الحسن الربعى من قصيدة فى الأمير انتصار الدولة .

لك عندى صنيعةٌ قَلَّدَتْنِى ... نِعْمَةً عَفْوُها يُقَصِّرُ جُهدى

فاذا ما أضاء حولك نورٌ ... من ثنائى فأنت قادحُ زَنْدِى

ونحوه ما أنشدنيه من قصيدة له فيه أيضاً .

ولو استطعتُ على النجوم نظمتُها ... عِقْدًا عليك فهل إليها مَعْرَجُ

وإذا منحتُك من ثناىَ نتيجةً ... فعَنِ المنائح من نوالك تُنْتَجُ

وأنشدنى أيضاً مثله من أبيات تَنَجَّزَه بها .

وإنَّ أوْلَى نَبَاتٍ أنْ تُثَمِّرَهُ ... صنيعةٌ أنت مَوْلاها ومُولِيها

فرُبَّها إنَّهــا سبعٌ سنابلُها ... فى حبّة بارَكَ الرحمنُ لى فيها

أودَعْتَها فى ثَرَى جعدٍ فأنْبَتَها ... مُسْتَارِضًا أرضَها خُضْرًا أعاليها

(١) البيت هكذا فى الشعراء ٥٢٦ والعيون ١ — ٣٠٤ وفى ديوانه ٨ باختلاف

(٢) الحصرى ١ — ١٥٧ لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى والعقد ٣ — ١٤٥ والكامل ٣٦٧ والنويرى ٤ — ٢٧٢ والأغانى ٥ — ٧ و ٦ — ٢٤ باختلاف والقالى ٢ — ٣٦ الأول مع بيت آخر بغير عزو

فابعثْ وَليًّا إلى وَسْمِيِّها مَدَداً إنّ الكتائب منصور تَوَاليها

وعَنّ لى أنا القول فى تتميم النعمة ورَبّ الصنيعة ، فقلت . للفقيه أبى الحسن على بن عبد الكريم الغالبى رحمه الله وكنتُ سألته أن يحضر عندى لمقابلة بعض الكتب ، فحضر وقابل معى يوما واحدا ووعدنى أنه يُبَكِّرُ الىّ فى غد ذلك اليوم ، فتخلّف عنّى فكتبتُ اليه .

أباحسَنٍ عِشْ وابْقَ واسْمُ ولا يَزَلْ مَحَلُّكَ مرفوعاً إلى السَّبْعَةِ الشُّهْبِ
علامَ وفيمَ الخُلف للوعد بعد ما وفيتَ لمُصْنِفٍ فى مَودَّتكم صَبّ
تثاقلتَ عنه بعد علمك أنه إليك فقير فى مقابلة الكتبِ
وقد جُدْتَ بالاحسان بدءا ولم تَعُدْ فرُحْتَ وقدعرّضتَ عِرضك للعتبِ
فلو لم تَجُدْ بالغرس يُمناك سالفاً لأَرْضى لم أطلُب سَحابك بالرَّبّ

يقال : رَبّ الصنيعةَ يَرُبُّها رَبًّا إذا تعهَّدَها وتمَّمها ، ومنه رَبَّيْتُ الصبى أُرَبِّيه تَرْبِيَةً ورَبَبْتُه أرُبُّه رَبًّا قال الراجز (١) :

ربَّيْتُه حتى إذا تَمَعْدَدَا كان جزائى بالعصا أن أجْلدا

تمعدد قوى واشتدّ ، ورَبَّتُّه أرَبِّتُه تَرْبِيتًا قال الشاعر (٢) :

بحَرَّة ليلَى حيث رَبَّتَنِى أهلى

ومن هذا المعنى ما أنشدنيه لنفسه أبو الحسن على بن جيش الشيبانى رحمه الله من قصيدة له فى صفة ممدوحه :

مَلِكٌ إذا عاذ أقوام بنَجْدَته عاذُوا بليث وغَيّ مستحكم المِرَرِ
وإنْ هم غرَسُوا فى جُوده أملاً نابتْ يداه مَنابَ الشمسِ والقمرِ

(١) اللسان م معد الأول والعينى ٤ — ٤١٠

(٢) صدره — ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة — والبيت فى الأغانى ٢ — ١٠٩ والأغانى الدار٢ — ٣١٠ والشعراء ٤٨٥ والحصرى٣ — ١٠٣ فى الجميع لابن مياده وفى القالى ٢ — ٣٤ باختلاف لتماضر بنت مسعود بن عقبة أخى ذى الرمة

وقول أبي معاذ من قصيدة وهو من جيّد شعره :

(خُلِقْتُ على ما فِيَّ غيرَ مُخَيَّرٍ هوَايَ ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذَّبا
أُريد فلا أُعْطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ ويَقصُر علمى أن أنال المُغَيَّبَا
وأُصْرَفُ عن قصدى وعلمى ثاقب فأرجعُ ما أُعْقِبْتُ إلاّ التعجُّبا
خَطَبْتُ على ظهر الزمان لعلّه يُساعفنى يوماً وإن كان أنكبا
لعمرى لقد غالبتُ نفسى على الهوَى لِتَسْلَى فكانت شهوة النفس أغلبا
ومن عجب الأيّام أنّ اجتنابَها رَشاد وأنّى لا أُطيق التجنُّبا)

المهذّب الكامل الأخلاق المصفّى الشِّيَم من شوائب النّقْص قال النابغة(١):

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه علَى شَعَثٍ أىُّ الرجال المُهَذَّبُ

مثل بيت النابغة هذا لفظًا ومعنًى قول الآخر :

ولستَ بمستبقٍ صديقًا ولا أخًا إذا لم تَعَدَّ الشىء وهو يَريبُ

إلاّ أنّ بيت النابغة أفضل ؛ لاختصار لفظه وزيادة معناه على هذا ؛ لأن قوله لا تلمه على شعث هو قول الآخر ـ إذا لم تعد الشى وهو يريب ـ والأول أبين وأخصر ، فأمّا الزيادة عليه فقوله ـ أىّ الرجال المهذب ـ فأورد فى عجز بيته مثلا سائرا بأحسن لفظ وأبلغ معنى . رجع ما انقطع ، والأنكب هنا المائل ، ويقال : بعير أنكب كأنه يمشى فى شِقّ ، والأنكب أيضاً الرجل الذى لا قوس معه ، وقوله : لِتَسْلى يقال : سلا الرجل يَسْلو سُلُوًّا وسَلِيَ يَسْلَى إذا ذهل عن الشىء قال الأصمعى : ولم أسمع لسَلِيَ يَسْلَى بمصدر ، وقال غيره . سَلِيَ يَسْلَى سلاً مثل ضَنِيَ يَضْنَى ضَنًى وعَمِيَ

(١) العقد الثمين ٥ والمعاهد ١ — ١٢٠ وحماسة البحترى ٧٢

يُعَمَّى عَمًى ، فالسُّلْوَان ما يُسقى ذو الهوى ليَسْلَى عمّن يهـــواه قال العجّاج (١) .

لو أشرَبُ السُّلوان ما سَلِيتُ   مابى غِنًى عنك ولو غَنِيتُ

وقال زُهير (٢) .

صحا القلبُ عن سلمَى وقد كاد لا يسلو

والعرب تزعم أنّ السلوان شىء يسقاه المحبّ فيُسَليه عن حبيبه ، قال أبو بكر بن داود القياسى : حدثتنى مريم الاسدية قالت : سمعت امرأة عُقَيلية على بعير لها يسير بها وهى تقول :

سُقينا سَلوَةً فسَلَى كلانا   أزال الله نعمةَ مَن سقانا

قالت مريم : فسألتُها عن حالها فقالت : كنت أهوى ابن عمّ لى ففطن لى بعض أهلى فسقانى وإياه شيئاً يُسْلِى كلّ واحد منا عن صاحبه فسَلينا ، ويقال : فلان فى سَلوة من العيش إذا كان فى غفلة ورَخاء ، وكلّ ما ألهى عن الشىء فقد أسلى عنه ، يقال : سلَى فؤادى عن كذا وأسلانى عنه كذا والاجتناب والتجنُّب التباعُد . يقـــال : جَنَبَ فلان فى بنى فلان يَجْنُبُ جَنَابة إذا نَزَل فيهم غريبا ، ومن هـذا قالوا : جانب وجُنُب للغريب ، وجمع جانب جَناب ، (٣) وجمع جُنُب أجناب ويقال : (٤) واحد الأجناب جُنُب وواحد الجَناب جانب وهم البُعَدَاء من القوم الغُرباء الذين ليس بينهم وبينهم قُربة

مثـل قول بشار — خُلقتُ على ما فىّ غير مخيّر — البيت ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن من أبيات له :

(١) اللسان م سلا وقبل الشطرين — مسلم لا أنساك ما حييت —
(٢) بعده — وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل — والبيت فى العقد الثمين ٨٩ والعينى ٢ — ٤٨٣
(٣) كذا بالفتح مشكولا وانظر فليس فعال بالفتح من أوزان الجمع
(٤) لا يخفى أنه تكرار بغير طائل

أدَعُ الرُّشدَ جانبا عن طريق ثم آتى على البصيرة جهلى
واذا كنتُ عاقلا لم يوفَّقْ لصلاحٍ (١) فما انتفاعى بعقلى

وقوله — ويقصر على أن أنال المغَيَّبا — من قول زهير (٢) .

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عَم

فهذا ما أجمع عليـــه الأول والآخر ، وأقرّ به المسلم والكافر أنهم لا يعلمون ما يكون فى غد ، وإنْ أطلقوا القول وبالغوا فى وصف الذكىّ الفَطِن الذى يَستدلّ بصدور الأمور على أعجازها وبابتدائها على انتهائهـــا ، فانما يقولون يكاد يعلم وكأنه يعلم كما قال أوس بن حجر (٣) .

الألمعىّ الذى يظُنُّ بك الظَّـــظَنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

وكما قال المولّد .

كأن مرآة فهم الدهر فى يده يَرَى بها غائب الأشياء لم يغبِ

ونحوه قول احمد بن عبيد الله بن طاهر (٤) .

كأنه وزمام الدهر فى يده يَرى عواقب ما يأتى وما يَذَرُ

ونحوه أيضاً ما أنشدنيه الربعى ابو الحسن فى انتصار الدولة لنفسه .

تَبْدُو بخاطره الغيوبُ جَليّةً ويَرى الضمائر إثرهُنَّ خواطرُ

وله فيه من قصيدة أنشدنيه .

فَطِنٌ يحدّث بالغيوب تظَنّيًا فكأنما لَحَظاته فى الخاطرِ

وله مثله فيه وفى مستخلص الدولة أبيه يمدحهما من قصيدة .

وكأنما الحدثان خلفَ زُجاجة تَرَيانه خلل الغيوب شفيفا

---

(١) بالأصل لصلاحى وهو خطأ

(٢) العقد الثمين ٩٦ (٣) القالى ٣ — ٣٧ والعكبرى ١ — ١٧٥ والمصرى ١ — ٥٣ والمعاهد ١ — ٤٥ (٤) غرر الخصائص ٦٠ للبحترى

وكأنَّ أسرار الوجوه تصوَّرَتْ لكنَّما بأسرار القلوب حروفا
فاذا انطوى يوماً بِغِشٍ نيّةٌ نُشِرَتْ فأصبح سترها مكشوفا

وقد أجاد ابو الحسن على بن جيش الشيبانى تلخيص هذا المعنى ، وشرحه فيما أنشدنيه من قصيدة له يفتخر فيها فقال .

ألَسْتُ الذى يقضى على الأمر فكرُه وإن كان محجوباً عن الضَّرَعِ الغُمْرِ (١)
أرَى بالحجا مالا ترى العينُ شخصَه وأعلم من مستقبل الأمر ما يجرى
وما أدَّعى علمَ الغيوب وإنما تُضىء فأستهدى بها أنجُمَ الفكرِ
ألم تر أفكارى إذا ما تغلغَلَتْ تَوَلَّدَ عنها رابعُ (٢) النظم والنثرِ
فطَوْرًا كأنى أنحتُ الشعرمن صفًا وطورًا كأنى أغرِف الدُرَّ من بحرِ

وأعاده ابو الحسن أيضاً بأخصر من هذا فيما كتب به إلىّ فى رسالة تضمنَّتْ نظما ونثرا يصف فيها نُزهة حضرها بعدى بمصر سنة أربع عشرة وأربعمائة فى جماعة من أهل الأدب يقول فيها فى وصف ذلك اليوم .

فمضى لنا يوم كأنَّ أديمه من جوهر ونسيمَه من عنبرِ
فازَ الثقــاتُ به بأطيب مُدَّةٍ قَصُرَتْ ووَدُّوا أنَّها لم تقصُرِ
لو باعت الأيّام أخرى مثلها بالعُمرأجمعَ كنتُ أوّلَ مشترى

فأنفذها إلىَّ وسألنى الجواب عنها فقال .

يا أبا طاهرِ أجِبْ مستهاما ءُ ره فى هواك أوضح عُذرِ
إن يُقَصِّرْ فليس يُنكر تقصيــر مقيم على اشتياق وضُرٍّ
سلبَتْه يَدُ الصَّبابة والشوْ قِ عَتَادَيْه من عَزاء وصبرِ
لست أنفكُّ ما بَثَثْتُك جُهدى مُخبِرًا عالمًا بجُملة أمرى

---

(١) الضرع الغمر الضعيف لم يجرب الأمور (٢) الصواب رائع قاله الميمنى

مُسْتَدِلاًّ من الكتاب على آ　خِرِ فَصْلٍ منـــه بأوّل سَطْرِ

يقال : بَثَثْتُه سِرّى وأبْثَثْتُه إذا أطْلعتَه عليه وأفضيت به إليه

وأوّل (١) شعر أبى الحسن هذا

أيّها الرائحُ الّذى بات يَسْرِى　لا تَلُمْنِى على المُقام بمصرِ

لو ترانى وقد خلعتُ عذارى　فى عِذارٍ أقام فى الحب عُذرى

فى غَزَال تُثْنَى النواظرُ منه　عن كثيبٍ وغصن بانٍ وبدرِ

وأرى الأقحوانَ والوردَ والنرْ　جِسَ من مُقْـــلة ونَحْرٍ وثَغْرِ

كتب الحُسنُ من عذارَيه سطريـــن من المسك فى صحيفة دُرِّ

حبّذا النزهة التى وقفتنى　بين أمْنٍ من الوُشاة وذُعرِ

بَعُدوا عن لحاظِ عينى ولكن　قربوا من لحاظ وهمى وفكرى

نزهةٌ زارنا بها منـــه بدرٌ　فى نجوم من الأحبّة زُهر

لم تكن تهتدى الوُشاة إليها　غيرَ أنّى اتهمتُ عادة دهرى

ضمّنَا مجلسٌ تَرُودُ به الأعـــينُ فى نُزهتَيْن ماءٍ وزَهرِ

مِن رياض وبِرْكةٍ حُفَّت الأشـــجار من مائها بأرجاء نهرِ

حاملاتٍ من اللجَين كؤُوساً　حشوُ أجوافها سُحَالة تِبْرِ

كلّما هبّتْ الرياح تمايَلْـــنَ على أسْؤُقٍ من الرّىّ خُضْرِ

وإذا ما جرى النسيمُ عليها　منَحَتْهُ منها بأطيب نَشْرِ

جَنّةٌ لم نزل بها سَرْحُ فهمى　راتعاً فى رياض نظم ونثرِ

من قريض يُشفَى به السقمُ عَذْبٍ　وحديثٍ يُوسَى به الكَلْمُ نَزْرِ

وغناءٍ أرقَّ مُهـــديه حتى　خَاله السامعون نافثَ سحرِ

---

(١) بالأصل فأول

واقعٍ من قلوبنا مَوقعَ الوصـــل من الصبّ بعد صَدٍّ وهجرِ
ذاك يوم حوى الـكمال بابقا   عك منـه ما بين مُثْنٍ ومُطرى
فَازَ مِنْ حاضرٍ بأحسن مَرْئىٍ   ومِنْ غائب بأجمـــل ذكرِ
فعليك السلام من مُعْدِمٍ (١) بعـــدك مِنْ صبرِهِ من الشوق مُثرى
ولعمرى لِمثلُ فقدك ما أهـــدَى غليلاً إلى حُشَاشة حرٍّ
أنت مَن لا يثنيه عن كرَم الأخــــلاق خِيمٌ فى حال عسرٍ ويُسْرِ
جمع الودُّ مِنْ خِلالى ومن أخــــلاقك الغرّ بين ماءٍ وخمرِ
فاستوى فى العيان والغيب شكلاً   نَا كأنَّا غَرْسَا خِلالٍ ونجْرِ
يا أبا طاهر أجِبْ مستهاما ء الخ

وكان أبو الحسن هذا من جياد (٢) الأدباء المتَصَوِّنين وجِلَّة الفضلاء المتورّعين، وإنما كان يقول ما يقول فى الشعر من هذه الأوصاف ونحوها ظرفا وتخلقا ولطفا أنشدنى يوما لنفسه:

قمْ يا غلام فقــــد بدا الفجرُ   واسْقِ النديم فما به سُكرُ
من قهوة ما كدتُ أحسبُها   فى الكاس لولا اللون والنَّشْرُ
رقّتْ فما تدرى أبارقُها (٣)   أبِهَا هواء أم بهـــا خمرُ
أو ما تَرى سُرُجَ الرُّبَى زهرَتْ   فكأنمـــا هى أنْجُم زُهرُ
بَادِرْ فقـد تُلهيك بادرةٌ   بَيْنٌ يُطيل أسَاك أو هَجْرُ
خذْ من مَدى عمر الصِّبا طَلَقًا   من قبـل أن يتصرَّمَ العمرُ
فلرُبَّ ليـــلٍ بِتُّ ساهرَه   لم يَعْرَ فيـــه للذَّةٍ ظَهرُ

---

(١) قال الميمنى حل نظمه من معدم من صبره متر من شوقه بعد فراقك

(٢) مصحف خيار — قاله الميمنى   (٣) مخفف أباريق — قاله الميمنى

باتَتْ تُدَارِيه مُشَعْشَعَــةٌ بِكْرٌ تطوف بكاسها بِكرُ
يَهتَزُّ تحت ثيـــابها غُصُنٌ ويُضىء تحت نقـابها بَدرُ
ثم انقضَى فكأنّه حُلم وَافَى يخوض به الدُّجى الفِكرُ

فلما استتَمَّ إنشاد هـذا الشعر قلت له : أما غلامك يا أبا الحسن فأنا أعرفه ، ولـكن قل لى : من كان نديمك على هـذه المشعشعة ، فأطرق هيبةً واستحياءً ثم رفع رأسه متبسّما إلىّ ، وقال : أوَتظُنُّ يا أبا الطاهر أنّى فعلتُ ما قلت ، أو أفعل شيئاً مما أقوله فى الشعر ، والله ما شربت خمرا ولا مسكرا منذ شَبَبْتُ وعقلت وعرفت ما يزين ويشين ، ولـكن ما فى النفس من حُبّ الأدب وإرادة التصرُّف فى فنون صناعة الشعر يَحدونى (١) على عمل هـذا وأضْرَابه ، وذلك أن أرى وصف معنًى لشاعر متقدّم أو متأخّر ، فأطالبُ نفسى بايراد مثله رياضةً لخاطرى ومُباراة لذلك الشاعر قلت : صدقت وأمّا أنا فمزحتُ وجلس إلينـا بمدينة الاسكندرية فى بعض العشيّات قوم من الأدباء المظنونين المتّهمين بالالحاد فى الدين ، فقطع تلك العشية وذلك المجلس من أوله الى آخره (٢) يمدح التمسك بالسنة وذمّ التخلى منهـا والانحراف عنها ، وعَمِلَ بديهًا مقطوعا وأنشدناه فى ذلك الوقت وهو :

يا رَبّ قد عَظُمَ البلاء فَنَجِّنى بعظيم عفوك من عذاب النـارِ
مالى شـفيعٌ غيرُ حُبّ محمّدٍ وضجيعه وأنيسه فى الغــارِ
ووزيرِه الفاروق والمنقول من دار الفنــاء اليك يوم الدارِ
وهِزَبْره الفتّاك وارثِ علمه وحميمِه والعِترةِ الأبْرَارِ
إن لم أكن بَرَّ الفَعال فانّ لى نُطْقًا أقام قيــامة الفُجّارِ

---

(١) بالأصل يحدونى
(٢) يمدح — قاله الميمى

قريب من أبيات أبي الحسن هذه ما أنشدتُه لعبد الوهاب بن جعفر الحاجب وهو قوله :

أُحاسِبُ نفسي عن ذنوبي فأنثني إليها بقلبٍ دائم الخفقانِ
وتخدَعُني الدنيا بِطِيب نعيمها فأثني إليها مَصْرفي وعناني
وما وثقَتْ نفسي بمثل تمسُّكي بسُنَّة من يُهْدَى به الثقلانِ
تراني وما بدَّلتُ سُنَّة أحمدٍ على طُول خوفي لا أُصِيبُ أماني

ولقد بلوتُ دين أبي الحسن هذا ومروءته بطول الصحبة وإدمان العِشرة ، فما وجدتُ فيهما مَطعنا لطاعن ولا عيباً لعائب ولا نقيصة يجب أن تُتَمَّم بل كان كما قلتُ فيه (١) :

خلٌ بَلَوْتُ خِلاله فوجدتُها محمودةً في الجهر والاسرارِ
عَلِقَتْ يدي منه بأروعَ ماجدٍ جَمٍّ الفضائل طيِّب الأخبارِ
كَرُمَتْ أَرُومتُه وأشرق وجهُه وصفَتْ خلائقُه من الأكدارِ
وشأى الأفاضل واستبدَّ برُتبةٍ (٢) أعيتْ على الأدباء والنُظّارِ
كم سابقٍ جاراه في مِضماره فكَبَا وجازَ نهاية المضمارِ

فرحمة الله ورضوانه عليه

شأى الأفاضل أي سبقهم ، وشأوتُ سبقتُ ، والشأْوُ المصدر والشأو أيضاً الطَلَق يقال : جريت معه شأواً فشأوتُه أي سبقته ، قول أبي الحسن في الشعر الأول :

حاملاتٍ من اللُّجين كؤُساً حَشوُ أجوافها سُحالة تبرِ

يعني أنّ تلك الأشجار قد حملت من الأزهار زَهرا جمع اللونين معاً

(١) ستأتي الأبيات تماما
(٢) بالأصل الفضائل وفي الحاشية منه الأفاضل وهو الصواب كما يأتي في الشرح

البياض والصفرة كنَور الأقحوان ونحوه ، فشبَّهَ الأبيض منـــه بكؤُس الفضّة والأصفر بسُحالة الذهب ، وكنتُ قبل عمله لهذا الشعر أعلمته أنّى مشيتُ أنا وأبو اسحاق إبراهيم بن يونس الأنصارى الأشبيلى رحمه الله تعالى إلى ناحية وسيم قريةٍ تشرف على جيزة مصر ، فرأينا هناك من نَوْرِ الأقحُوان ما لم يُر مثله قطّ فى النضارة (١) ، وإشراق أصفره وفقُوعه فى صفاء أبيضه ونُصُوعه ، فعملنا عِدّة مقاطيع فيه فلم يتّفق لنا من ذلك العمل ما نَرضَى إثباته إلاّ بيتان قلتُهما أنا وهما :

كأنّ الأقحُوان وقد تبدّتْ ... محاسنُه فراقَتْ كُلّ عينِ

عِمادُ زَبَرْجَدٍ وقِبابُ تِبرٍ ... تَحُفُّ بها شُرافاتُ اللُّجَينِ

فرضيناه جميعاً وأعجبَ أبا الحسن إعجابا مُفرطاً فأورده بعدُ فى بيته ولم يتمكّن له فيه ذكر الزبرجد فذكر الخُضرة فى البيت الذى يليه فقال :

كلّمـــا هبّت الرياح تمايلْـــنَ على أسوقٍ من الرىّ خُضرِ

لجاء به حَسَن الصَّنْعَة ، ومثل قوله فى الشعر الثانى :

من قهوة ما كِدْتُ أحسبها ... فى الكأس إلا اللون والنَّشْرُ (٢)

رقّتْ فمـــا تدرى أبارقُها ... أبِهَا هواء أم بهـــا خمرُ

قول الآخر :

لولا انحِسَارُ شعاعها فى كأسها ... كانت للُطف كِيَانِها لا تُوجَدُ

وقول الحسن بن وهب :

من مُدامٍ كأنّه ليس فى الكأ ... س إذا ما صبَبْتَه من صفائِـهِ

وقول الآخر :

كأسٌ صفَتْ وصفَتْ منها مجاجتُها ... كأنّـها لاشتِباه اللّوْن جوْفاء

---

(١) بالأصل النظارة

(٢) كذا بالأصل هنا وفى الأبيات لولا وهو الأوجه

وقول أبى الحسن بن أبى البغل الكاتب :

وكأسٍ لُجَين صوّر القسُّ وسطَها ... ثلاث جوارٍ قد لَبِسْنَ تَجاسدا
عرفتُ لهـــا وزناً فلمّا ملأتُها ... من الراح كان الوزن بالراح واحدا
تَرى العينُ شيئاً لا تُحِسُّ به يَدٌ ... علَى قرب معناه وإن كان شاهدا
كذاك الهيولى أنت تعرف حسَّها ... ولستَ لها بالكفّ إن رُمْتَ واجدا

وقريب منه قول أبى نواس (١) :

رقّتْ عن المـاء حتى ما يلائمها ... لطافةً وجفا عن شكلها المـاء

ونحوه قول عبد الله بن محمد الناشى :

وقهوة أطيب من نَيْلِ المُنَى ... صفَتْ فجازَتْ فى الصفا حدَّ الصفا
فليس شيء عندها إلاَّ قَذا

وقال آخر (٢) فى رقّتها وصفائهـــا وتَشَكك هل هى فى كاسها أم الكاس فارغة :

مشمولةٌ كشعاع الشمس فى قدح ... مثل السراب يُرى من رقّةٍ شَبَحا
إذا تعاطيتَها لم تَدرِ من لُطف ... راحاً بلا قدحٍ عاطتك أم قدحا

وأخذه الخالدىُّ فقال (٣) :

هتَكَ الصبحُ بالدجى فاسقنيهَا ... قهوةً تَتْرُكُ الحليمَ سفيهـــا
لستَ تدرى لرقّةٍ وصفـــاء ... هى فى كأسها أم الكاس فِيها

وهذا معنى غزير (٤) على ألسُنِ الشعراء المولّدين منهم والقدماء . رجع

---

(١) ديوانه ٢٣٤ (٢) النويرى ٤ — ١٠٦ للناجم باختلاف
(٣) اليتيمة ١ — ٥٢٦
(٤) والمثل السائر قول بعضهم

رق الزجاج وراقت الخمـر ... فتشابهـا وتشـاكل الأمر
فكأنمـا خمـر ولا قدح ... وكأنمـا قدح ولا خمـر

ما انقطع ، ومثل قول أبي معاذ — لعمرى لقد غالبت نفسى على الهوى — البيت قول خالد الكاتب (١) :

عاتبتُ نفسى فى هوا ... كَ فلم أجدها تقبلُ
وأطعتُ داعيها إليـــك ولم أُطِعْ مَن يَعذُلُ
لاوالذى جعل الوُجُو ... هَ لحُسْنِ وجهك تمثُلُ
لا قلتُ إنّ الصبر عنـــك من التصابى أجملُ

وعلى ذكر هذه الأبيات رُوِى عن خالد الكاتب قال : جاءنى يوما رسول ابراهيم بن المهدى يستدعينى إليه ، فرأيتُ رجلا أسمَرَ شديد السُّمرة على فُرُشٍ مضاعفة قد غاص فيها ، فسلّمتُ فردّ ردًّا جميلا ، واستجلسنى وقال : أنشدنى شيئاً من شعرك [فأنشدتُه] (٢) :

رأتْ منه عينى منظرَين كما رأتْ ... من الشمس والبدر المُنير على الأرضِ
عَشيّةَ حيّانى بوَرْدٍ كأنّه ... خُدودٌ أُضيفتْ بعضُهُنّ إلى بعضِ
وناولَنى كأساً كأنّ حَبابَها ... دُمُوعِى لمّا فارقَتْ مقلتى غَمْضِى
ورَاحَ وفَقْدُ الراح فى حركاته (٣) ... فَعَالَ نسيم الريح بالغصن الغَضّ

فزحف عن الفراش ، وقال : يا فتى النـــاسُ شبّهوا الخدود بالورد وأنت شبّهت الورد بالخدود زدنى ، فأنشدته — عاتبت نفسى فى هواك — الأبيات فزحف حتى انحدر عن الفَرْش ، ثم قال زدنى (٤) يا خالد فأنشدته (٥) :

عِشْ فَحُبيكَ سريعاً قاتلى ... والضَّنَى إن لم تَصِلْنِى واصلى

(١) الأغانى ٢١ — ٣٣ والحصرى ٢ — ١٣٩
(٢) الحصرى ٢ — ١٣٩ مع الخبر والأبيات الآتية اعى عش فحبك سريعا قاتلى الخ والثلاثة الأخيرة من الأبيات الضادية فى حماسة ابن الشجرى ٢٢٤ لعبد الصمد بن المعذل
(٣) كذا ولعل أصله والله أعلم وفعل — قاله الميمنى
(٤) بالأصل زدى (٥) الأغانى ٢١ — ٣٣ و ٣٤

ظَفِرَ الحُبُّ بقلبٍ كَلِفٍ فيك والسُّقم بجسمٍ ناحلِ
فهما بين اكتئابٍ وضَنًى تَركانى كالقضيب الذّابلِ
فبكى العاذل لى من رِقّةٍ فبكائى لبكاء العاذلِ

فنَعَرَ طرَباً وقال: يا يَلبَقُ كم معك لنفقتنا قال: ثمانمائة وخمسون دينارا قال: اقسمها بينى وبين خالد فدفع إلىّ نصفها فأخذتُها وانصرفتُ:

ومثل صدر بيته قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تجنَّبْتَ (١) إتيان الحبيب تأثُّمًا ألا إنّ هجران الحبيب هو الاثمُ
فذُقْ (٢) هجرها قدكنتَ تزعم أنّه رَشاد ألا يا رُبَّما كذبَ الزعمُ

وقريب من عجزه — وأنى لا أطيق التجنبا — قول سهل الوراق:

قد يحتمى المرء مِن أمرٍ يُحاذرهُ فينزِل الحَينُ بين العين والأُذنِ

وأنشدنى أبو إسحاق إبراهيم بن علىّ بن تميم الأنصارى القيروانى لنفسه فى عكس قول بشار — وأنى لا أطيق التجنّبا — قوله من أبيات:

لو كنتُ أطلُبُ حَظَّ نفسى فى الهوى وطِلابُه يُزْرِى بمُطَّلِبِيهِ
لم أجتنِبْ ذاك الجنابَ فأرتَضِي حَرَّ الهجير على مَقيلى فيهِ
وأصدُّ عن تلك الموارد حائما والقلبُ يعلم أنّها تُرْويهِ

فهذه معان مؤتلفة، ومقاصد مختلفة. أخبر بشّار: أنّه قد حيل بينه وبين الاختيار وأنّه مغلوب فى الزيارة وَانْصِبَا به فى هَوَى محبوبته بيَدِ الاضطرار، وعاتب عبيد الله نفسه فى ترك الاتيان، وقرّعها بوقوعها فى الهجران، ورَضِي أبو اسحاق بالاجتناب، رغبةً منه فى إرضاء الأحباب:

---

(١) كذا ولعل صوابه تجنبت — قاله الميمنى
(٢) هذا البيت مع أبيات أخرى فى العقد ٣ — ١٢٩

وقول أبي معاذ من أبيات :

(خليليَّ إنَّ الموت ليس بناهلٍ وليس الذى يهدى المنايا بغافلِ
خليليَّ يفْنى الموتُ كلَّ قبيلة وما أنا إلاَّ فى سبيل القبائلِ
فرُوحَا على مالى كُلاَّ من فضوله فما تُجْمَعُ الأموال إلا لآكل
إذا أنا لم أنفع بجاهى ولم أجُدْ بمالِيَ طالتْنى يد المتطاولِ)

الناهل ههنا : العطشان ويكون الريَّان وهو من الأضداد ، وقد قيل : إنّ أصل الناهل الريّان وإنما قيل : للعطشان ناهل على طريق التفاؤل له بالرّىّ كما قيل : للّديغ سليم وللمهلكة مفازة على التفاؤل لها بالسلامة والنجاة ، ويقال : طال فلان فلانًا يطُوله طوْلاً إذا علاه بفضلٍ فيه والمتطاول المتفاعل من الطوْل كالمتغافل والمتعاقل والمتساخى والمتغابى هو الذى يستعمل هذه الأشياء وليست فيه ، فهو يأتيها استعمالا وليست له طبعاً كما قال أبو تمام (١) :

ليس الغبيّ بسيدٍ فى قومه لكنّ سيّدَ قومه المتغابى

أى المستعمل للتغابى والتغافل ، وليس بغبيّ ولا غافل ، وكما قال ابن عباس : جميع التعايُش والتعاشر فى مكيال ثُلُثُه فِطنَةٌ وثُلُثَاه تغافل ، وقال ابن العميد المتغابن غابن ، والمتخادع خادع ، والمتغافل غير غافل ، والمعاقل نصف جاهل ، ويستشهدون بالمولّدين فى المعانى كما يُستشهد بالقدماء فى الألفاظ ، فقول بشّار — طالتنى يد المتطاول — أى إن أنا لم أفعل ما ذكرته من النفع بجاهى والجود بمالى غلبتنى يد المغلوب ، وقصَّرَتْ بى عن الفضل يَدُ المقصَّر عنه فكيف بمن سواهما ؟ قوله — إذا أنا لم أنفع بجاهى —

(١) ديوانه ٢٠ والعيون ١ — ٢٢٥ والحصرى ١ — ٧١

البيت من قول (١) عديّ بن مُزَيْقِياء اللخميّ :

وإنّ امرأً نال الغنى ثم لم يصِل قريبًا ولا ذا حاجة لَزهيدُ
وما جعل المال امرؤٌ دون عرضه من الناس إلاّ عاش وهو حميدُ

ونحوه قول الأسديّ (٢) :

إذا أنت أعطِيتَ الغنى ثم لم تَجُدْ بفضل الغنى ألفِيتَ مالك حامدُ
وقَلّ غَنَاءً عنك مالٌ جمعتَهُ إذا صار ميراثاً وواراك لاحدُ

وأخذ المتنبي (٣) معنى صدر البيت الأول فقال :

لا يَعتَقِي بلد مسراه عن بلد كالموت ليس له رِيٌ ولا شِبَعُ

يقال : عاقَه يَعوقه ، واعتاقه يَعتاقه ، واعتقاه يَعتَقِيه ، وعوّقه يُعَوِّقُه كل ذلك إذا منعه من الشيء الذي يريده وحال بينه وبين مراده فيه ، وألمّ به أيضاً فقال (٤) :

شجاع كأنّ الحرب عاشقة له إذا زارها فَدَّتْه بالخيل والرَّجْلِ
وريّانُ لا تَصْدَى إلى الخمر نفسُه وعطشان لا تَرْوَى يداه من البذلِ

وسلك ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب (٥) هذا الأسلوب فقال :

وإنّ فمًا للأرض غرثانَ حائماً يُراقب من أحلَى (٦) حضور أوانِ
به شَرَه عمّ الورى بفجائع تَرَكْنَ فلاناً ثاكلاً لفلانِ
غدا فاغراً يشكو الطَّوى وهو راتعٌ فما تكتفي (٧) يوماً له الشفتانِ

---

(١) البيت الأول فى مجموعة المعانى ٣٠ لحسان بن ثابت

(٢) القالى ١ — ١٧٢ والحصرى ٤ — ١٢٤ وفى الحماسة ٥٣٣ ومجموعة المعانى ١٣ لمحمد بن أبى الشحاذ الضبي قال الميمنى وتمام الكلمة فى كتاب الاختيارين رقم ١٤ لرجل من ضبه

(٣) ديوانه ١ — ٣٧٧ (٤) ديوانه ٢ — ٢١١

(٥) اليتيمة ٢ — ٧٦ وابن أبى الحديد ٤ — ٢١

(٦) هو مصحف أكلى كما فى اليتيمة وشرح النهج

(٧) كذا بالأصل وفى اليتيمة تلتقى وهو الصواب

وكيف وحَد القُوتِ منه فَناؤنا   وما دون ذاك الحدِّ رَدّ عنانِ

إذا غاضنا(١) بالنسل ممن يَغُولُـه   تلا أوّلاً منـه بمَهْلَكِ ثانى

وأما قوله — خليليّ يُفنى الموت كل قبيلة — البيت فمن قول الأوّل(٢).

وكلُّ أناس سوف تدخل بينهم   دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأناملُ

قوله: دويهية تصغير داهية، ويسميه النحويون تصغير التعظيم؛ لأن التصغير عندهم على ضربين: تصغير تحقير وهو الأكثر المستعمل المعروف، وتصغير تعظيم وهو الأقل ومنه بيت الكتاب(٣):

فُوَيْقَ جُبَيْلٍ شاهق الراس لم تكن   لِتَبْلُغَهُ حتى تَكِلّ وتُعْمِلا

رجع، ومن المعنى قول الآخر(٤):

إنّ المنـايا يجْتَبِيْنَ كُلَّ إنسانِ

ومن هذا العجز وصدر هذا البيت الذى قبله أخذ ابن المعتز قوله:

يحمل(٥) الموتَ بين جنبيْه إذ يَغْـدُو وتخشاه من وراء الثغورِ

كلُّ نفس فى مستقرٍ عليهـا   وَاجِدٌ من حِمامهـا المقدور

ومنه قول الآخر:

أرى الموتَ لايدعوامرأ غيرطائعٍ   ولا طائعًا إلاّ أجاب فأسرعا

(١) كذا والصواب عاضنا ومعوله كما هو فى الكتابين

(٢) العينى ١ — ٨ والسيوطى ٥٥ والعكبرى ١ — ٢١٩ للبيد وديوانه طبعة ليون ٢٨ وفى العكبرى ٢ — ١٣٥ للنابغة

(٣) العكبرى ١ — ٢١٩ بغير عزو والسيوطى ١٣٦ لأوس بن حجر

(٤) الخزانة ٤ — ٥٣٧ لسويد بن عامر المصطلق وفى العقد ٣ — ١٢٢ لشريك ابن عامر المصطلق وأراه تصحيفا، وفى حماسة البحترى ٩٢ ومجموعة المعانى ١١ لابى قلابة الهذلى قال الميمنى الأبيات له فى أشعار هذيل والسهيلى ١ — ١٧٩ وصدره

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم

(٥) البيت لم أجده فى الديوان ولكن (تخشاه) يقتضى أن الأصل تحمل.. جنبيك إذ تغدو — قاله الميمنى

وقول أمّ تأبّطَ شرًّا ترثيه (١):

ليت شعرى ضَلّةً　　أىُّ شىء قتلكْ
أمريضٌ لم تُعَدْ　　أم رَصيد ختلَكْ
والمنـــايا رَصَدٌ　　للفتى حيث سَلَكْ
طاف يبغى نَجْوَةً　　مِن هلاكٍ فهلَكْ
وللزمان (٢) أُكلةٌ　　إذا اشتهاها أكلَكْ

الأُكلة بضم اللام اللقمة ، والأَكلة بفتحها المرّة الواحدة كالغُرفة والغَرفة : فالغَرفة بالفتح المرة الواحدة والغرفة بالضم ما فى اليد من الماء المعروف ، وكذلك الخُطوة والخَطوة . فبالفتح المرة الواحدة وبالضم ما بين القدمين ومنه قول ابن المعتز .

وحبلُ المنايا بالحياة مُوَصَّلٌ　　وناشِبةٌ فى كلّ نفس كَلَالِبُهْ

وقولـــه (٣) .

كلُّ حىّ فالى الموت يَسعَى　　وخُطَاه نَفَسٌ لا يَقِـــرُ
لا تُسائِلْ مَنْ تُحَدِّثُ عنه　　عند عينيك من الموت خَبَرُ

وقوله أيضاً .

ما أنت أوّلُ مفجوعٍ بإنسانِ　　كذلك الدهر قَطّاع لأقرانِ
والموت يُفنى عبادَ الله كلّهم　　والموت من بعد ما يُفنيهم فانِ
يارُبّ جبّار مُلك قد غدا جَدِلاً　　وراح يُهدَى لقبرٍ بين أكفانِ

---

(١) بالأصل فى الحاشية تؤبنه والأبيات غير الأخير فى الحماسة ٤١٤ والعيون ٣ — ٦٥ بغير نسبة فيهما والعقد ٢ — ٢٠ لاعرابى فى ابنه

(٢) هذا البيت من الابيات التى ذكرت فى القالى ٢ — ٢٣٥ قال اليمنى ولا غرو أن أبا ظهر قد خلط　　(٣) ديوانه ٤٤ باختلاف

لم يُغن عنـــه أُساة طائفون به ولا نصيحة ذى وُدٍّ وخُلصانِ
ولا عديدٌ ولا نصرٌ ولا وَزَرٌ كالطَّوْدِ أبدعَ فى تشييده البانى
مُبيَّض كقشور الدُرّ جِلْدَتُه يَغَصُّ من زينة الدنيا بسُكَّانِ
فالحمد لله عدلاً فى مقـــادره وعالمـــاً كلَّ إظهار وإبطانِ
وفاتقَ الغُصن عن زَهر وعن ثمرَ بلُطف حكمته فى كلّ بُستانِ (١)

وأما قوله ـ فرُوحًا على مالى كلا من فضوله ـ البيت فمن قول ابن مُقبِل (٢) .

فأخلِفْ وأتلِفْ إنما المال عارة وكُلْهُ مع الدهر الذى هو آكلُهْ
فأيسرُ مفقودٍ وأهونُ هالكٍ على الحىّ من لا يبلغ الحىَّ نائلُهْ

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : يقول ابنُ آدم مالى مالى وإنما لَكَ من مالِك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبِستَ فأبليت ، أو أعطيتَ فامضيتَ ، ومنه قول حاتم الطائىّ (٣) .

أعاذلُ إن يصبح صدَاىَ بقفرة بعيدًا نآنى صاحبى وقريبى
ترى أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه وأنّ الذى أفنيتُ كان نصيبى
وذى إبلٍ يَسقِى ويحسبها له أخى نَصَبٍ فى رعيها ودُؤُوبِ
غدَتْ وغدَا رَبٌّ سواه يقودها . وبُدِّلَ أحجارًا وجالَ قليبِ

الجال والجول سواء : وهما جانبا القبر والبئر ، ونحوه قول نُوَيفع الفقعسى (٤) :

يَسعى الفتى لينال أفضلَ سَـــعيه هيهات ذاك ودون ذاك خطوبُ

---

(١) بالأصل إنسان ولا معنى له والصواب بستان كما صححت
(٢) الـكامل ٣٠٩ لعبد الله بن همام السلولى
(٣) الخزانة ١ — ٢٦٥ الاولان للنمر بن تولب
(٤) من قصيدة له توجد تامة فى اللسان م مرط والزجاجى ٨١

يسعَى ويأمل والمنيّة خلفــه ... تُوفى الاكامَ لها عليه رقيبُ

وقول الحارث بن حِلزّةَ اليشكرى (١) :

بين الفتى يَسعى ويُسعى له ... تاح له من أمره خالجُ

يَترك ماَرقّح مِن عيشه ... يَعِيثُ فيــه هَمَج هامجُ

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأغبارها ... إنك لا تدرى مَن النــاتجُ

وَاصبُبْ لأضيافك مِن رسلها ... فإنّ شرّ اللبن الوالجُ

الخالج الجاذب : خلجه يَخْلُجه خَلْجا إذا جذبه ، والخليج إنمــا سمى خليجا لانجذابه (٢) من معظم البحر ، والحبل أيضاً خليج لأنه يخلج ما شُدَّ به ونيط إليه ، وكلّ شيء جررتَه وجذبتَه فقد خلجته قال الشاعر :

نحن كنّا الملوك نقضى على النا ... س قضاءً يمضى بكل مكانِ

ولنــا كانت الرعابيبُ أمثا ... لُ الدُّمَى والمُنَعَّمَاتُ الغوانى

والعِتاقُ الجِيادُ والقُضُبُ البيــضُ وسُمْرُ القنا وخُودُ القِيانِ

فلبثنــا أرباب مكّة حتى ... خلجَتْنا قوارعُ الحَدَثانِ

فعَرِينا مِن مُلكنا فكأنّا ... لم نكن فيه بُرهةً من زمانِ

وسكنّا القبور فى البؤس والذّلــةِ بعد النعيم والسلطانِ

وأقمنــا لا نستجيب ولا نُدْ ... عَى خُضوعاً فى ذِلة وهَوانِ

فتعالَى الذى يُميت ويُحيي ... وهو حىٌّ مُدَبّر الأزمانِ

ذكر أن هذا الشعر وجد مكتوباً فى لوح من ذهب فى قبر احتفر بمكة وهو طويل والترقيح الاصلاح ، والعيث الفساد عاث يعيث عيثــاً إذا

(١) ديوانه رقم ٧ والمفضليات ٨٨٥ و ٨٨٦ وفى القالى ٢ — ٨ الثالث وفى النويرى ٣ — ٦٦ والكامل ٢١٣ الأخيران

(٢) بالأصل لا نجذب

أفسد ، والهَمَج جمع هَمَجة وهو ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعْيُنِها ويقال : هو ضرب من البَعوض ، وقيل : للجهلة والحمق من الناس الرَّعَاعِ إنما هُمْ هَمَج وغَوغاء على جهة التشبيه بالهَمَج والغَوغاء ، فالهَمَج ما ذكرناه ، والغَوغاء صغار الجراد ، والناتج اسم الفاعل من نَتْجِ الابل يقال : نُتِجَتِ الناقة ونَتَجَها أهلُها قال أبو اسحاق ابراهيم بن السَّرِيّ عن(١) الاخفش على بن سليمان يقال : نُتِجَتِ الناقة وأنتجَتْ بمعنى واحد ، وذكر عنه غير أبي اسحاق قال : سمعتُه يقول أنتجت النـــاقة إذا ظهر نتاجها ولا يُعرف لها فعل غير هذا ، وإنما جاء عن العرب نُتِجت الناقة على ما لم يُسَمَّ فاعله وقوله — لا تكسعِ الشَّوْلَ بأغبارها — فالشول الابل التى ارتفعت ألبانها ، والأغبار البقيّات ، وغُبْر كلّ شىء بقيّتُه وآخره قال أعرابى لآخر فى آخر ليلة من شعبان : والله فانى فى غُبر شهر شريف يَفْتَرُّ عن ليـــالٍ أشراف ماكان ما بلغك ، والكَسع أن يضرب الحالب فى أخلاف الناقة بالماء البارد ليترادّ اللبن فى ظهرها فذلك قوله : — فان شر اللبن الوالج — وذلك شىء كانت العرب تفعله بابلها إذا خافت الجدب فى العام المقبل إشفاقا عليها وشحًّا على أبدانها . رجع ومنه قول أبى العتاهية(٢) :

المال ما كان قُدّامى لآخرتى ما لم أُقدّمْه قُدّامى فليس ليَهْ

قال ابن المعتز : بَشِّرْ مَالَ البخيل بحادثٍ أو وارثٍ ، فنظمه أبو الحسن على بن محمد التهامى فقال(٣) :

ما زاد فوق الزاد خُلِّفَ ضائعا فى حادث أو وارث أو عارِ

ومنه قول أبى العتاهية :

ألا إنما مالى الذى أنا مُنفقٌ وليس لى المال الذى أنا تاركُهْ

(١) بالأصل بن وهو غلط صريح (٢) ديوانه ٣٠٤

(٣) ديوانه ٣١

وكائِنْ رأينا جامعاً غير مُنفِقٍ ثَوَى هالكا لم تُغْنِ عنه تَرائكُهْ

وهذا معنى متّسع والاكثار منه غير ممتنع وفيما مرّ من يسيره مَقنع وغنًى عن كثيره

وقول أبى معاذ من أخرى :

(إذا لم أُرِد تعجيل حاجة صاحبٍ منعتُ وبعض المنع خير من المطلِ
وعدتَ ولم تُكرَهْ وأخلفتَ طائعاً لعمرى لقد بالغتَ فى البخل والجهل)

مثل البيت الأول ما مضى من قوله .

إذا قال تمّ على قوله ومات العَناء بلا أو نعَمْ

وهـذا مأخوذ من قول الحريش بن هلال أحد بنى قُرَيع بن عوف رهط المُخَبّل ، وكان من أشدّاء الاسلام وفُرْسانهم وقُتل مع ابن الأشعث يوم الزاوية .

متَى (١) ما أقُلْ يوماً لطالب حاجة نعم أَمْضِها قُدْماً وذلك من شكلى
وإنْ قلتُ لا بَيَّنْتُها مِن مكانها ولم أوذِهِ فيها بجرٍّ ولا مَطلِ
ولَلْبَخْلَةُ الأولَى أقلُّ مَلامةً من الجُود بَدْءاً ثم تَثْنِيهِ بالبُخلِ (٢)

ونحوه قول أبى الأسود الدُّؤَلىّ (٣) :

إذا قلتَ فى شىء نَعَمْ فأَتِمَّهُ فانَّ نعم دين على الحُرّ واجبُ
وإلاَّ فقُلْ لا واسْتَرِحْ وأَرِحْ بها لئلاّ يقول الناس إنك كاذبُ

---

(١) حماسة البحترى ١٤٥ لعبد الله بن همام السلولى والعيون ٣ — ١٤٧ بغير عزو
(٢) بالأصل يلينه والتصحيح من حماسة البحترى
(٣) العقد ١ — ٩٠ لابن أبى حاتم وحماسة البحترى ١٤٥ لمرم بن عام السلولى

وقد مرّت له نظائر فيما سلف من الكتاب، ومثل البيت الأخير ما أنشدنيه الشيخ أبو القاسم سعيد بن أبي مخلد بن هرمة الأزديّ العُمانى رحمه الله من قول الشاعر :

مواعيدُه تَتْرَى وغايته خُلْفُ   وحاضره فَذٌّ وغايته (١) أَلْفُ

وقوله من قصيدة أيضاً :

(ووطئتُ أرديةَ الفتوة كلها   وفضضتُ خاتمَ طينِها المختوما
وصحوتُ إلاّ من لقاء محدِّثٍ   حَسَنِ الحديث يزيدنى تعليما
إنّ الوقار وما ترى بمفارقى   صرفَ الغوايةَ فانصرفتُ كريما
وحلمتُ بعد جهالة فهجرتَنى   غَضَباً علىّ بأن رجعتُ حليما)

الفتوّة الكمال يقال : فلان فتى إذا كان كامل الأوصاف، ويسمّى به الشيخ والشابّ قال الشاعر (٢) .

ليس الفتى كلّ الفتى   إلاّ الفتى فى أدبِه

ويقال . كَمَل الشىء يكمُل، وكَمِلَ يكمَل، وكَمُل يكمُل ثلاث لغات، فهو كامل وكميل قال الشاعر (٣) :

وإنّى من بعد ما قد مضى   ثلاثون للهجر حولاً كميلاَ

ويكون الفتى أيضاً العبد المملوك . ومن هذا قوله تعالى . « وقال لِفِتْيَتِه اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فى رِحالهم » ، ويُقْرَأ لِفِتْيَانه أى مماليكه يقال . للعبد فتىً والأمة فتاةٌ قال الهرَوىّ فى كتاب الغَرِيبَين جاء فى الحديث: لا يقل

(١) كذا والصواب غائبه — قاله الميمنى

(٢) اللطائف والظرائف ٢٤ للبريدى بيتان ولا أعرف البريدى ولعله اليزيدى أبو محمد

(٣) السيوطى ٣٠٧ العباس بن مرداس والخزانة ١ — ٥٧٣ والعينى ٤ — ٤٨٩ والعكبرى ٢ — ١٩٥

أحدكم عبدى وأمتى ولكن فتاى وفتاتى ، والفَضُّ الكسر والتفريق يقال : فضضتُ جموع القوم إذا فرّقتهم ، وفضضتُ الكتاب إذا كسرت مختومه وفرّقت طينه بعد اجتماعه ، وقول الله تعالى : « ولو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضّوا من حولك » : معناه لتفرّقوا وكذلك قوله سبحانه : « وإذا رَأَوْا تجارة أوْ لهواً انفضوا إليها وتركُوكَ قائماً » : يعنى فى الخطبة رُوى أنّ دِحْيَةَ الكلبيّ قدم من الشام بتجارة له ، فلمّا دخل المدينة ضَرب الطبل ليُؤْذِنَ الناس بدخوله وكان يوم جمعة ، والنبى صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فى المسجد ، فلمّا سمع الناس صوت الطبل تفرّقوا عنه عليه السلام ، وخرجوا من المسجد إلاّ ثمانيةَ نفر فأنزل اللهُ تعالى : « وإذا رأوْا تجارةً أو لهواً انفَضّوا إليها وتَركُوكَ قائمًا قُلْ ما عندَ اللهِ خيرٌ من اللّهْوِ ومن التّجارة والله خَيْرُ الرازِقينَ » ، ولمّا مدح العبّاس[(١)] بن عبد المطلب محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فى الظلال وفى   مُسْتَوْدَعٍ حيث تُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبَطتَ البلاد لا بَشَرٌ   أنت ولا مُضغة ولا علَقُ
بل نطفةٌ تركَبُ السَّفينَ وقَدْ   ألْجَمَ نَسْرًا وأهــله الغَرَقُ
تُنْقَلُ من صالب إلى رَحِمٍ   اذا بَدَا (٢) عالَمٌ بدا طَبَقُ
حتّى احتوَى بيتَك المُهيمِنُ مِنْ   خِنْدِف علْيَاء تحتها النُّطُقُ
وأنت لمّا وُلدتَ أشرقتِ الأرْ   ضُ وضاءتْ بنُورك الأُفُقُ

قال له رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : لا يَفْضُضِ الله فاكَ : أى

---

(١) الزجاجى ٤٤ والفائق ٢ — ١٣٨ وفى النويرى ٢ — ٣٦٢ الأربعة الأخيرة والنيث ١ — ٢٥٧ وفى الحاشية بالأصل بيت آخر بيد متأخرة وهو :

فنحن فى ذلك الضياء وفى النو   ر وسبل الرشاد نخترق

(٢) الصواب مضى كما سيأتى عند شرح الأبيات

لا يُسقِط الله ثَغرك، وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للنابغة(١) الجعدى لمّا أنشده فى مدحه:

أتيتُ رسولَ الله اذ جاء بالهدى ويتـــلو كتاباً كالمجرّة نيّرا

فلما بلغ الى قوله:

ولا خيرَ فى حِلم اذا لم تكن له(٢) بوادرُ تَحمي صفوَه أن يُكدَّرا

قال: لا يفضُض الله فاك، فرُوى أنّ النابغة غَبَرَ مائة سنة لم تنغُض له سنّ، معنى غبر: بقى وتَنغُض تتحرّك من قوله تعالى: «فَسَيُنْغِضُونَ اليكَ رءوسَهُمْ». أى يُحرّكونها استهزاءً يقال: أنغض فلان رأسه فهو يُنغِضُه انغاضاً، ونَغَضَ رأسُه تحرّك، وكذلك نغضت سِنُّه تحرّكت فهى تَنْغُضُ، نَغْضا ونَغَضانًا ونُغُوضا، وانما سمّى الظليم نَغْضًا لأنه يحرّك رأسه قال العجّاج(٣).

أصكُّ نَغْضًا لايَنِي مُسْتَهْدِجا

الصَّكَكُ فى العُرقوبين، والمستهدِج مستفعل من الهدَجان وهو سرعة فى المشى وتقارب فى الخطو كما قال الهُجَيمى(٤).

وهدَجاناً لم يكن من مِشْيَتِى كهدَجان الرأل خلف الهَيْقَت(٥)

الرأل: ولد النعامة، والهَيْقَة أمّه. فأما قول العباس رحمه الله من

(١) الخزانة ١ — ٥١٣ و ٣ — ٣٢٢ والأغانى ٤ — ١٣٠ — الميمنى وتمام القصيدة فى جمهرة الأشعار

(٢) العقد ١ — ٢١٩ و ٣ — ١٢٢ والنويرى ٣ — ٧١

(٣) ديوانه ٧

(٤) الشعراء ٤٣٣ لأبى الزحف الراجز والألفاظ ٢٨٦ لعلقة التيمى وفى القالى ١ — ١٩٢ بغير عزو

(٥) كذا بالأصل بالتاء الطويلة وكذلك فى القالى قال فى اللسان م هدج أراد الهيقة فصير هاء التأنيث تاء فى المرور عليها

قبلها طبت فى الظلال ـ يعنى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه السلام قبل أن يهبط الى الأرض ، والظلال جمع ظلّ ، وظلّ الجنة دائم ممدود لا تَنْسَخُهُ الشمس ، وهو كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : ظل الجنة سَجْسَجٌ ، والسجسج : المعتدل الذى لاقرٌّ فيه ولا حرّ . قال بعض العلماء : هو كغَدَوات الصيف وليس بظل شجر ولا بُنيان ، وإنما يكون ذلك حيث تطلع الشمس ولا شمس فى الجنة ولا قمر ، وقوله فى مستودع قيل : فيه قولان : أحدهما الموضع الذى جُعل فيه آدم وحواء عليهما السلام من الجنة واستُوْدِعاه ، والآخر الرحم والنطفة فيه كما قال تعالى : « وهو الّذِى خَلَقَكمْ مِن نفسٍ واحدة فمُسْتَقَرٌ ومُسْتَوْدَعٌ » . فالمستقرّ الصلب ، والمستودع الرحم . وقوله حيث تخصف الورق ـ يعنى فى الجنة أيضاً ، لمـّا طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، أى يَضُمّان بعضه إلى بعض ويَشْكّانه ؛ ليكون لهما لباساً وسِتْرًا لِيُوَارى سوءاتهما يعنى : آدم وحوّاء عليهما السلام وقوله — ثم هبطت البلاد — يعنى فى صلب آدم عليه السلام لمـّا هَبَط الى الأرض وهو إذ ذاك لا بشر ولا لحم ولا دم بل نطفة فى صلبه لم يَنْتَقل عليه السلام بعد الى ما ينتقل اليه الجنين المخلوق من النطفة ، وقوله ـ بل نطفة تركب السفين ـ يعنى فى صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة فى وقت الطوفان اذ أغرق الله سبحانه الأرض وما عليها ، ونَسْرٌ أحد الأصنام التى كانت فى قوم نوح عليه السلام ، وقوله من صالب الى رحم ـ يعنى الصلب وفيه لغات يقال : صُلْب وصَلَب وصالب ، وقوله ـ إذا مضى[1] عالَم بدا طبق ـ يريد اذا مضى قرن بدا قرن ، وقيل : للعالَم طبق لتطبيقه الأرض وعمومه لها وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الدعاء : اللّهم اسقنا غيثاً مغيثاً طَبَقاً يريد به هذا أى عامًّا ، وكذلك قول امرئ القيس [2] :

---

(١) كذا بالأصل هنا وفى الأبيات بدا (٢) العقد الثمين ١٢٥ والحيوان ٦ — ٤٠

دِيمة هَطلاءِ فيها وَطَفٌ   طبَق الأرضِ تحرَّى وتَدُرّْ

أى تملأ الأرض غيثاً ويكون الطبَق أيضاً الحال كقوله تعالى : « لتركَبُنَّ طبَقًا عن طبَق » أى حالا بعد حال ومنه قول كعب بن زهير :

كذلك المرء إنْ ينْسَأْ له أجلٌ   يُرْكَبْ به طبَقٌ من بعده طبَقُ

أى ينتقل من حال الشباب الى حال الهرم ، والنُّطُق : جمع نِطاق وهو ما يشدُّ به الوَسْط وينتطق به الرجل ، ومنه سمِّيت المِنطقة ، ضرب العباس هذا مثلا للنبي صلى الله عليه وسلم فى ارتفاعه وتوسّطه فى عشيرته وعزّه فجعله فى علياء وجعلهم تحته كالنطاق له ، وقوله ضاءت يقال : أضاءت الشمس وضاءت وضوّءت عن اللحيانى بمعنًى ، وكذلك أضاء النهار وضاء ، ويقال : أضاء البرق لنا فى ظلمة الليل قصراً أى بيّنه وقال لبيد (١) :

يُضىء رَبابةٌ فى المزن جيشا   قيـاماً بالحِراب وبالإلالِ

ونحو قول امرئ القيس (٢) :

تُضئُ الظلامَ بالعشاء [كأنها   منارة مُمْسَى راهبٍ متبتِّلِ]

قول قيس بن الخطيم (٣) :

قَضَى [لها] اللهُ حين صوَّرَها الـ   ـخالقُ ألاّ تُجِنَّها سُدَف

أى فهى تضيء كل ظلمة تَحُلّ بها ، ومن ههنا أخذ المتنبي قوله (٤) .

قلَق المليحة وهى مسك هتكُها   ومسيرها فى الليل وهى ذُكاءُ

ويقال . خاتِم وخاتَم وخاتام وخَيْتام وخاتِيام وخِتام وخَتَم سبع لغات قال الشاعر :

---

(١) ديوانه برواية الطوسى طبعة دين ١٢٤   (٢) العقد الثمين ١٤٨

(٣) الاصمعيات ١ — ٤٦ والعكبرى ١ — ٣٢٣ والأغانى الدار ٣ — ٢٣ وليس بالأصل لها والصواب اثباتها وفى ديوانه رقم ٥   (٤) ديوانه ١ — ١٠

لو انّ عنـــدى مائتا درهمٍ   لجاز فى آفاقهـا خاتامى (١)

وقال آخر (٢).

يا عزّ ذاتَ المُطرق المُتَشَّقِ (٣)   أخذتِ خيتامى بغير حقّ

وقال آخر.

أخذتَ من سُعْداك خاتِياما   لمَوْعدٍ يكسِبُك الأثاما

وقال الأعشى (٤).

وصهباء طافَ يهوديُّها   وأبرزَها وعليها ختَمْ

وقُرِئ : « ماكان محمدٌ أبا أحَدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتِمِ النبيين » . بكسر التاء وفتحها قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجّاجى النحوى : من كسر التاء فمعناه أنه عليه السلام ختم النبيين ومن فتحها فتأويله أنه خُتِمَ به النبيون قال : وقال بعض العلماء خاتم النبيين بالكسر معناه أخو النبيين وخاتم النبيين بالفتح معناه زين النبيين وكانوا يقولون : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وعلى رضى الله عنه خاتم خلفاء النبوة ، والعباس رحمه الله خاتم المهاجرين ، وطلحة رحمه الله خاتم الشهداء العشرة ، ومعاوية رحمه الله خاتم كُتّاب محمد صلى الله عليه وسلم

وقول بشار صحوتُ أى أفقت كما يصحو السكران من سَكْرته ويُفيق المغمور من غمرته ، والوقار السكون والطمأنينة يقـــال : وَقَرَ الرجل فى منزله يَقِرُ وُقورا فهو وَقِرٌ ووَقُرَ إذا هدأ فيه واطمأنّ به قال العجّاج (٥) :

ثَبْتٌ إذا ما صِيحَ بالقوم وَقَرْ

ويروى وَقُر بضم القاف ومعناه ثبتَ ووقفَ ولم يطِشْ . ومنه قول الله تعالى : وقِرْنَ فى بيوتكن قيل معناه : كنّ أهل وَقار وهُدُوء وسكينة

(١) بالأصل بدون ياء المتكلم   (٢) اللسان م ختم والكامل ٣٦٣ باختلاف
(٣) الصواب المطرف   (٤) ديوانه ٢٨ واللسان م ختم   (٥) ديوانه ٩٧

هذا فيمن قرأ بكسر القاف فأما من قرأها وقرن بفتح القاف فمعناه : واقْرَرْنَ من قَرَرْتُ بالمكان أَقَرُّ قَرَارًا فى لغة من قال يَقَرُّ وهى قليلة والكثير قَرَّ يَقِرُّ لكنه على يَقَرُّ : نُقِل حركة العين إلى القاف فانفتحت فلمَّا تحركت القاف سقطت ألف الوصل وأسقط الراء الأولى لالتقاء الساكنين كقولهم فى ظللت ظَلْتُ ، وفى أحسست أَحَسْتُ ، والغوانى النساء قيل : هُنَّ اللواتى غنين بأزواجهن ، وقيل: بل هن اللواتى غنين بجمالهن عن الحَلْىِ والزينة وقيل: إنما سُمِّين غوانى ، لأنهن عنين بمنزل آبائهن فى سرور ونعمة أى أقمن ولَبِثْنَ ولم يقع عليهن سِبَاء قال المبرد : ولا يقال غنيت بمكان كذا إلا أن يكون فى حُبور ونعمة وسرور وأنشد ابن الأعرابى لجميل [1] فى الغانية ذات البعل :

أُحِبُّ الأيامَى إذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ وأحببتُ لمَّا أن غَنيتِ الغوانيا

وعلى ذكر هـــذا البيت فحكى عن جعفر بن كُثَيِّر أنه قال لجميل . قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك نسبا وإنى لأظنها حديدة العُرقوب دقيقة الظُنْبُوب ، وقال عُمارة بن عَقيل . الغوانى الشوابّ . ومعنى البيت الأول أنَّ بشَّارا يقول : أنا فَتًى قد بلغت من الفُتُوَّة الى حقائقها وحُزْتُها من جميع طرائقها كما أنَّ قارىءَ الكتاب اذا فَضَّ خاتمه وقف على مكنون أسراره وأحاط علما بجميع أخباره ، ومثل البيت الأول قول أعرابية [2] .

وما لبس العُشَّاقُ من حُلَلِ الهوى ولا خلعوا الاَّ الثياب التى أَبْلِى
ولا شربوا كأساً من الحُبِّ مُرَّةً ولا حُلوة الا شرابُهُم فَضلى

والثانى مثل قول الآخر [3] :

---

(١) العكبرى ٢ — ٤٤ واللسان م غنا

(٢) القالى ١ — ٣٠ لعشرقة المحاربية وكذلك لها فى مجموعة المعانى ٢٠٩ وفى العكبرى ١ — ٤٢٣ بغير عزو

(٣) القالى ٣ — ١٠٨ باختلاف وفى السمط أن البيتين فى الوشى (ليدن) ١٧ والمستطرف ١ — ١٣٣ (طبعة ١٣٠٢ هـ)

وما بقيتْ من الأيّام الاّ محادثة الرجال ذوى العقولِ
وقد كنّا نَعُدُّهمُ قليلا فقد صاروا أقلّ من القليلِ

ونحو هذا ما أنشدنيه مؤدّبى أبو القاسم بن أبى البِشْر رحمه الله (١) .

حديثَ ذَوى الألبابِ أهوَى وأشتهى كما يشتهى الماء المُبَرَّدَ شاربُهْ
وأفرَحُ ان لاقيتُهم فى طريقةٍ كما يفرَحُ المرء الذى جاء غائبُهْ

وقال حسّان بن ثابت (٢) .

أهوَى حديثَ النَّدْمان فى فلق الصُّبْح وصوتَ المُطْرِب الغَرِدِ

ونحوه قول العطَوى .

ونَدْمانٍ يُساقِطُنى حديثاً كلَحْظِ الحُبِّ أو غَضِّ الرقيبِ

وأحسن فيه على بن العباس الرومى فقال (٣) .

ولقد سَئِمْتُ مآربى فكأنَّ أطيَبها خبيثُ
الاّ الحديث فانّه مثلُ اسمه أبداً حديثُ

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(وأودعتُ عُمْراً بعض مافى جوانحى وَجَرَّعْتُه من مُرِّ ما أتجرَّعُ
ولا بدّ من شكوى إلى ذى حفيظة إذا جعلَتْ أسرارُ نفسى تطلَّعُ)

الجوانح . عظام الصدر سُمِّيت جوانح لانحنائها وميلانها ، ويقال : جَنَحَ يَجْنَحُ جُنُوحا اذا مال وقد مرّ تفسيرها ، وقوله — من مُرِّ ما أتجرّع — يقال : مَرَّ الشىء يَمُرُّ مَرارة فهو مُرٌّ قال الشاعر (٤) .

---

(١) بالأصل أبى البشر بفتحتين والتصحيح لصديق العلامة الميمى
(٢) ديوانه ٦١ والكامل ١٤٨
(٣) الحصرى ١ — ١٣٥ والنويرى ٢ — ٧٠
(٤) اللسان م مقر لبيد وديوانه طبعة لانيدن ١٧ والعكبرى ١ — ١٧

مُمْقِرٌ مُرٌّ على أعدائه ... وعلى الأدْنَيْنَ حُلو كالعَسَلْ

وأمَرَّ يُمِرُّ امراراً فهو مُمِرٌّ قالت الخنساء (١) .

يوماً بأوجَعَ مِنّى يوم فارَقَنى ... صخرٌ وللعيش احلاء وامرارُ

وذو الحفيظة ههنا . الولىُّ ذو المحافظة على وُدّ وليّه ، وتكون الحفيظة أيضاً الغضب قال الشاعر (٢) .

لو كنتُ من مازن لم تستبح ابلى ... بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

اذَنْ لقام بنصْرى معشرٌ خُشُنَ ... عند الحفيظة ان ذو لُوثَة لانَا

الحفيظة : الغضب ، واللُّوثة الاسترخاء والضَّعف من قولهم رجل مُلتَاث ، وهذا رجل من بنى العنبر أُغِير على ابل له فلم يحمها قومه ولا استنقذوها من أيدى المغيرين عليها ، فقال هذا الشعر يرفع به أقدار المازنيين ويضع من أقدار قومه ، ويصف ضَعْفَهم بقوله فى هذه القطعة :

لكنَّ قومى وإنْ كانوا ذوى عدَد ... ليسوا من الشرّ فى شىء وإنْ هانا

فيقول بشّار : أفضَيْتُ إلى عمرو هذا بمُعْظَم سرّى ، وجرَّعتُه من مُرّ أمرى ، إذ لابُدَّ من الشَّكْوَى ، عند إفراط البَلوَى وهذا كقول حبيب (٣) :

شكوتُ وما الشكوى لمثلى بعادةٍ ... ولكن تَفِيضُ العين عند امتلائها

وقال آخر : لا بُدَّ للصدور أن يَنْفُثَا (٤)

ونحوه (٥) :

ولا بدَّ مِن شكوَى إذا لم يكن صَبْرُ

وقال ابن المعتز فى بعض فصوله : وما زالت الشكوى تُعْرِب عن ضمير

(١) ديوانها ٧٩ (٢) الحماسة ٤ لقريط بن أنيف العنبرى والعيون ١ — ١٨٨

(٣) العقد ١ — ٢٤٥ لحبيب كما ههنا ولعله أبو تمام ولم أجد هذا البيت فى ديوانه

(٤) الغفران ٣ — ١٧ وبعده : والذى فى الصدر أن ينفثا

(٥) حماسة البحترى ١٣١ لمالك بن حذيفة النخعى وأوله وما كثرة الشكوى بحدحزامة وفى الحيوان ١ — ٩٤ بغير عزو وهناك أوله : ولا بد للمصدور يوما من النفث

البلوى ، ومن اعتلَّتْ حالته ، كان فى الصمت هلَكَتُه ، وقال احمد بن اسمعيل الكاتب : الشكوى على قدر البلوى إلاّ أن يكون بالشاكى انقباض والمشكوّ اليه إعراض ، وعلى ذكر الشكوى فأنشدنى ابراهيم بن على بن تميم الأنصارى القيروانى رحمه الله ليَموت بن المزرّع (١) :

شكوتُ اليــه باللحاظ رقيبَه وذلكَ منى غايةُ الجُهد والوُسْعِ
فكان جوابى منه أنْ قَطرَتْ له ياقوتَتَيْ خدَّيْه لؤلؤتا دمعِ

وذاكرتُ أبا الحسن الربعى هذا المعنى فقال : وما فائدة الشكوى إذا لم تُفِدْ جدْوَى ، إنما القول فى هذا ما قاله ابن المقفّع فى وصف صاحبه . كان لا يشكو وجعا الاّ لمن يرجو عنده بُرْءً ثم أنشدنى فيه من أول قصيدة له .

عجبتُ ولم أعجب بغير عجيبِ لمن يشتكى داءً لغير طبيبِ
وما تنفع الشكوى الى متوجّعٍ اذا لم يكن فى طبّه بمصيبِ
وأكثر ما يُجدِى عليك بدمعه فأىُّ جدًى فى عبْرَةٍ ونَحيبِ

وأنشدنى أيضاً فى نحو ذلك من أبيات له .

ما صَحِبْنَا النـاسَ الاّ بالغْنَا عنهمُ والله يُغنى من يَشا
ولو احتَجْنا اليهم لم تَكُنْ منهمُ الاّ على حدّ شفَا
بينما المــرء جليسٌ حَسَنٌ كشفَ العورةَ منهــا فشَكا
فاذا هُوْهِينَ مجلسُــه قد أحيل الوجه منه بالقفا

وقوله من أبيات :

(وشخصٍ طيّبِ الأَرْدَا نِ لا تَعرِفُ أمثــالَهْ

(١) هو ابن أخت الجاحظ انظر مروج الذهب قبيل خلافة المعتمد

بكَى جوعاً وِشاحاهُ وقد أشـبِعَ خَلخالَهْ
أتانا يَحْمِلُ الشـوقَ وما يحمـل أوصالَهْ
قتلتُ السرّ كِتْماناً وقتـلُ السرّ أبقَى لَهْ)

الأردان : الأكمام واحدها رُدْن ، والوشاح أصله لؤلؤ وجوهر يُنظمان فى سلك ويُخالَف بينهما يُعطَف أحدهما على الآخر وتتوشّح به المرأة ، ومنه قيل توشّح فلان بثوبه اذا جعله على عاتقه وخالف بين طرفيه ، وواحد الأوصال وِصْل ، وهو كلّ عظم لا يُكسَر ولا يَخلطه غيره ، والسرّ واحد الأسرار وهو ضد الجهر ونقيضه ، ومعناه اخفاء الشيء فى النفس ، ولو أخفِي(١) بما سوى ذلك من السِترِ نحو الجدار وما أشبهه لم يكن سرّاً كما انّ الجهر هو اظهار المعنى الذى يكون فى النفس ، ولو أنّ انساناً أخرج شيئاً من خباء أو وعاء لم يكن اخراجه ايّاه جهرا وانما يكون اظهارا ، والسِّرّ أيضاً النكاح ومنه قول الله تعالى . « ولكن لا تُوَاعدوهُنَّ سِرّاً » وقول امرئ القيس (٢) .

[كبرتُ] وأن لا يُحسِنَ السرّ أمثالى

ويقال . فلان فى السرّ من قومه أى هو من خيارهم ، وسَرارة الوادى أحسنه وخير مكان فيه والسِرُّ أيضاً واحد أسرار الكفّ وهى الخطوط التى تكون فيه قال الشاعر (٣) .

فانظرْ الى كفٍ وأسرارها هل أنت انْ أوعدتَنى ضائرى

وجمع الأسرار أسارير ومعنى قوله :

---

(١) كذا بالأصل والصواب حذف الباء

(٢) صدرها — ألا زعمت بسباسة القوم أنى — والبيت فى العقد الثمين ١٥٢ باختلاف والسيوطى ١١٧ والخزانة ١ — ٣١

(٣) اللسان م سر للاعشى وديوانه ١٠٧

بكى جوعا وشاحاه وقد أشبع خلخالُه

أنّه يصف هَيَفه ودقّة خَصره وامتلاء ساقه يقول: فوشاحاه أبداً لا تلصق (١) بخصره لهيَفه، وخلخاله غير قَلِق بساقه لخَدَلها وامتلائها، وطابق بين الجوع والشِبَع استعارةً وصنعةً، ولا بكاء ولا جوع فى الحقيقة للوشاح، ولاشِبَع بالخلخال، وهذا مذهب أهل الحذق فى الشعر ومثله قول الأخَيْطِل (٢):

وزائرةٍ والشوقُ يَحْفِزُ قلبَها وما كنتَ ترجو أن تنال مَزارَها

تُحاذر فى الظلماء نُطقَ وشاحها وقد أمِنَتْ خلخالَها وسوارَها

ومنه قول ابن أبى زُرْعة (٣):

فاستكتَمَتْ خلخالها ومشَتْ تحتَ الظَّلام به فما نَطَقا

وقال ديك الجنّ:

فلم يُظهر لها الخلخالُ سِرّاً ولكن أظهر السرَّ الوشاحُ

ومنه قول (٤) خالد بن يزيد بن معاوية فى رملة بنت الزبير:

يجول وشاحاها ولستُ بواجدٍ لرملة خلخالاً يجول ولا قُلْبا

والأوّل أجود فى المعنى لاستيفائه الوصف بذكر الوشاح وهى رواية أحمد بن يحيى ثعلب، والقُلْبُ هو السِّوَار من فضّة وجمعه أقلُب وقِلَبَة وأقلاب، فاذا كان من ذَهب فهو سِوار، وإن كان من عاج فهو وَقْف، وإن كان من ذَبْلٍ فهو مَسْكَة، فأمّا رواية أبى العباس محمد بن يزيد المبرد

(١) كذا موضع لا يلصقان — قاله الميمنى

(٢) هو محمد بن عبد الله يلقب برقوقى وهو غلام من أهل البصرة محدث يكنى أبا بكر انظر اللآلى والسمط ١٤٣ — قاله الميمنى

(٣) المصرى ٢ — ٩٤ وسبق البيت مع بيت آخر

(٤) سيأتى البيت والصدر هناك يخالف ماهنا ولم أره كما هو هنا فى شىء من الكتب

فانه قال : كان خالد بن يزيد بن معـــاوية من رجالات قريش وعلمائهم المعدودين وكان عظيم القدر عند عبد الملك بن مروان فحجّ معه ، فبينا هو فى الطواف إذ نظر إلى رملة بنت الزبير بن العوّام فعَلِقها ووقعَتْ بقلبه وقوعا متمكّنا وعشقها عشقا شديدا ، فلمّا أراد عبد الملك القفول بهم همّ خالد بالتخلّف عنه ، فوقع بقلب عبد الملك منه تهمة فبعث إليه واستكشفه عن أمره وما دعاه إلى التخلّف عنه ، فقـال : يا أمير المؤمنين رملة بنت الزبير بن العوام رأيتُهـــا تطوف بالبيت فذهبت بعقلى وغلبت على أمرى ووالله ما أبديتُ إليك مابى حتى عِيلَ صبرى ، ولقد عرضتُ النوم على عينى فلم تقبله ، والسلوّ على قلبى فامتنع منه ، فأطال عبد الملك التعجّب من ذلك وقال : والله ما كنتُ أظنُّ أن الهوى يستأسر مثلك فقال خالد : وإنى والله يا أمير المؤمنين لأشدّ تعجّباً من تعجّبك منّى ولقد كنت أقول : إنّ الهوى لا يتمكّن إلاّ من صنفين من الناس الشعراء والأعراب : فأما الشعراء فانهم ألزَمُوا أنفسهم وقلوبهم التفكّرَ فى النساء والغزل فالت طباعهم الى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا اليه منقـادين ، وأمّا الأعراب فانّ أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حُبِّه لها ولا يشغله شىء عنه فضعفوا أيضاً عن دفع الهوى فتمكّن منهم ، وجُملة أمرى فانّى ما رأيتُ نظرة حالت بينى وبين الحزم ، وحسّنَتْ عندى ركوبَ الاثم ، مثل نظرتى هذه ، فتبسّم عبد الملك وقال : أوَ كُلُّ هـذا قد بلغ بك قال : والله ما عَرَفَتْنِي هذه البليّة قبل وقتى هذا ، فأرسل عبد الملك الى الزبير يخطِب رملة على خالد فذكروا لها ذلك فقالت : لا والله أو يُطلّق نساءه فطلّق امرأتين كانتا عنده احداهما من قريش والأخرى من الأزد ، فتزوّجها وظعن بها الى الشام وفيها يقول (١) :

(١) الأغانى ١٦ — ٨٤ ثلاثة أبيات الرابع والثالث والخامس وفى ص٨٦ منه ثمانية أبيات منها الأول والثالث والرابع والخامس وليس فيها الثانى وفى الأبيات اختلاف كلمات وليس فيه الخبر أيضاً والبيت الثالث والرابع فى الحصرى ٢ — ٩٤ والـكامل ١٩٧

أليس يزيد الشوقُ فى كلّ ليلةٍ وفى كلّ يومٍ لى حَبيبتَنا قرْبا
خليلىّ ما من ســاعةٍ تذكرانها من الدهر إلا مِطتُما عنّى الكرْبا
أُحِبُّ بنى العوّام طرًّا لحبّها ومن أجلها أحببتُ أخوالها كلْبا
تجول خلاخيلُ النساء ولا أرَى لرملة خلخالاً يجولُ ولا قُلْبا
فان تُسْلِمِى أسلِمْ وإنْ تَتَنَصَّرِى تَخُطُّ رجال بين أعينُهم صُلْبا

فذكر أن هذا البيت الأخير مزيد فى أبياته وأن عبد الملك بن مروان عمله فلامه عليه فقال : والله يا أمير المؤمنين ما عملتــه فلعن الله من عمله فصمت عبد الملك ولم يعاوده

وملّح العرجىّ فيه فقال :

خلخالُها مُشْبِعٌ ودُملُجهــا والكشح منها وشاحُه قَلِقُ
نِعْم شعار الفتى إذا برد الـليْلُ ونَدّى أثوابَه اللّثَق
خُمْصَانة كالمهاة آنسة لم يَعْدها (١) من معيشةٍ رَنَقُ
غرّاء كالليلة المباركة الـقَمراءِ يُجَلّى بضوئها الأفُقُ

فأخذ المتنبّى هذا الوصف، فشبّه به نُؤِىّ الديار وما أحاطت به من الآثار فقال (٢) :

قِفْ على الدمنتين بالدّوّ مِن ريّــا كخال فى وجنةٍ جَنْبَ خالِ
بطلول كأنّهن نجــومٌ فى عِراص كأنّهن لَيــالِ
ونُؤِىٍّ كأنّهن عليهنّ خدام خُرْسٌ بسُوق خِدالِ

النُّؤِىُّ والنِّئِىُّ بضم النون وبالواو وبكسرها وبالياء: جمع نُؤْى وهو

---

(١) كذا ولعل صوابه لم يغذها من الغذاء — قاله الميمنى
(٢) ديوانه ٢ — ١٤١

ما يحفر حول بيوت الأعراب ليقيها من دخول الماء عليها، والخِدَام جمع خَدَمة وهى الخلخال، والسوق جمع ساق وخُرس جمع أخرس، والخِدَال جمع ساق خَدْلة وهى الممتلئة، فجعل المتنيّ النُّؤْى [و] ما أحدث به من عراص الديار كالخلاخيل وقد أحاطت بسوق خدال فهى خرس غير قلقة ولا ناطقة

وأما قوله: قتلت السرّ كتمانا ، وقتل السرّ أبقى له .

فهو مأخوذ من قول حارثة بنت عمران النهدىّ:

وإنى لأطوى السرّ حتى أميته وأجعل قلبي دونه أبدا قبرا

ونحوه قول ابن المعتز (١):

يارُبَّ سرٍّ كنار الصخر كامنة أمتُّ إظهاره منّى فأحيانى

لم يتسع منطق فيه يبائحة حزما ولا ضاق عن مثواه كتمانى

وقوله أيضاً (٢):

أيها السائل دَع سرَّ نفسى إنما نفسى لسرّىَ قبرُ

وقول كُثَيِّر (٣):

كريمٌ يُميتُ السرَّ حتى كأنّه إذا استخبروه عن حديثك جاهلُ

ومنه قول الآخر.

وما السرُّ فى صدرى كميّتٍ بقبره لأنى رأيتُ الميْتَ ينتظر النّشرا

ولكننى أخفيه حتى كأنّنى بما كان منه لم أحِطْ ساعةً خُبْرًا

وأخذه المتنبى فقال.

وسرٌّ كمُ فى الحشا ميّتٌ إذا نُشِرَ السرُّ لا يُنْشَرُ

(١) ديوانه ٦٩ (٢) ديوانه ٤٦

(٣) غرر الخصائص ٢٨٤ مع بيت آخر بغير نسبة وبتغيير القافية بزيادة الضمير

وعلى ذكر هذا البيت فأخبرنى أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدى عن أبى الفتح عثمان بن جنّى النحوى عن أبى الطيب المتنبى قال جاءنى رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان وهما (١) .

أمِنى تخاف انتشارَ الحديثِ وحظّى فى سَتْرِه أوفرُ
ولو لم تكن فىّ بُقيا عليك نظرتُ لنفسى كما تنظرُ

فأمرنى باجازتهما فقلت بديها (٢) .

رِضاكَ رضاىَ الذى أوثِرُ وسرُّكَ سرى فما أظهِرُ
كَفَتْكَ المروءةُ ما تتقِى وأمّنكَ الوُدُّ ما تحذرُ
وسرُّكم فى الحشا ميّتٌ إذا نُشِرَ السرُّ لا يُنْشَرُ
كأنى عصَتْ مُقلتى فيكم وكاتمَتِ القلبَ ما تبصرُ
وإفشاء ما أنا مُسْتَوْدَعٌ مِن الغدْر والحُرُّ لا يَغدرُ
إذا ما قدرتُ على نَطْقةٍ فانى على تركها أقدَرُ
أصرّفُ نفسى كما أشتهى وأملكُها والقنا أحمرُ
دَوَالَيكَ يا سيفَها دَوْلةً وأمْرَكَ يا خير مَنْ يأمرُ
أتانى رسولك مستعجلاً فلبّاه شعرى الذى أذخَرُ
ولو كان يوم وغًى قاتمًا للبّاه سيفِىَ والأشقرُ
فلا غفَلَ الدهرُ عن أهله فانّك عَيْنٌ بها يَنظُرُ

وعمل بسبب البيتين الذين أولهما ـ وما السرُّ فى صدرى كميْتٍ بقبره ـ إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب عِدّةَ مقاطيع فى كتمان السرّ وقرنها

(١) البيتان لأبى العتاهية فى ديوانه ٩٦ وللعباس بن الأحنف فى الشعراء ٥٢٦ والكامل ٥٧٩

(٢) ديوانه ١ — ٢٩٤

بهما ، وأنفذها إلى الشريف النقيب أبى الحسن محمد بن الحسن الموسوى ، وكتب إليه يسأله الحكم بين البيتين وبين مقاطيعه وتفضيل الأفضل منها فمنها قوله (١) .

لِسِرِ صديقى بين جنبىَّ مَعْقِلٌ مَدَاه على المُسْتَنْبِطِينَ طويلُ
إذا لَقِحَتْ أذْنى به من لسانه فليس عليها للمخاض سبيلُ

ومنها (٢) .

لِسِرٍّ صديقى مَكْمَنٌ فى جوانحى تَمَنَّعَ أن يدنو إليه المُباحِثُ
تَغَلْغَلَ منى حيث لا تستطيعه كُئُوسُ النَّدَامَى والأنيسُ المُحادثُ
إذا الفحصُ آلَى حالِفًا أن يناله تراجَعَ عنه وهو خَزْيانُ حانثُ
فقل لصديقى كُنْ على السرّ آمِنًا إذا لم يكن ما بيننا فيه ثالثُ

أخذ الصابى معنى البيت الثانى من هذه الأبيات من قول المتنبى (٣) .

وللسرّ منى موضع لا يناله نديمٌ ولا يُفْضى اليه شرابُ

وأخذه المتنبى من قول الحارث بن خالد المخزومى (٤) .

تَغَلغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فى فؤادى فباديه مع الخافى يسيرُ
تغلغلَ حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حُزنٌ ولم يبلغ سرورُ

رجع ومنها .

يموت معى سرّ الصديق ولحدُه ضَميرٌ له الجنبان مُكْتنفانِ

---

(١) غرر الخصائص ٢٨٤ للمرتضى وقد سأله الصابى عنهما وفى حماسة ابن الشجرى ١٤٣ بغير عزو

(٢) حماسة ابن الشجرى ١٤٣ بغير نسبة

(٣) ديوانه ١ — ١٢٢ والحصرى ١ — ١٢٩

(٤) القالى ٣ — ٢٢٣ والحماسة ٥٩٤ والحصرى ١ — ١٥٤ والمرتضى ٢ — ٦٢ ومجموعة المعانى ١٦١ والأغانى ٨ — ٩٤ نسبة البيتين فى جميع هذه الكتب إلى عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وفى العكبرى ١ — ١٢٢ بغير عزو

وأُسألُ يومَ البعث عن كلّ ما وَعَى … سماعٌ وما فاهت به شـفتانِ
فأُنكِرُهُ من بين ما فى صحيفتى … وأجحدُه أن يشهد المَلَكانِ
وذنبيَ فى ذا الجَحد أيسر مَحْمِلاً … من الذنب فى إفشائه بلسانى

ومنهـا :

إذا ما السرُّ أودَعَنيه خِلٌّ … فذاك السرُّ سرٌّ لى لَدَيْهِ
لأنّى لا أخاف عليـه إلاّ … شريكا فيـه أن أفشى إليـهِ

ومنهـا (١) :

وللسرّ فيما بين جنبيّ مَـكمن … خَفِيٌّ قَصِيٌّ عن مدارج أنفاسى
أضَنُّ به ضَنى بموضع حفظه … فأحميه من إحساس غيرى وإحساسى
فقد صار كالمعدوم لا يستطيعه … يقينٌ ولا ظنٌّ لخلق من الناسِ
كأنّى من فرط احتفاظى أضيعُه … فبعضى له واعٍ وبعضى له ناسِ

قول الصابى — فبعضى له واع وبعضى له ناس — مأخوذ من قول بعض الحكماء. قال الحكيم : حفظ السر تناسيه، وأخذه أبو العباس عبد الله ابن محمد الناشى فقال :

وإنى لأنسى السرّ كى لا أذيعه … فيا من رأى شيئاً يُصان بأن يُنسى
مخافة أن يجرى ببـالى ذكره … فينبذه قلبى الى مقولى خَلْسَا
فيوشك من لم ينس سرًّا وجالَ فى … خواطره ألاَّ يُطيق له حَبْسَا

وكلام الحكيم أوجز لفظا وأصحُّ معنًى لفضل المتناسى على الناسى، وقول الصابى — فبعضى له واع وبعضى له ناس — فى غاية الحسن والاحسان ونهاية الايضاح والبيان. قال الشريف الموسوى فى تفضيله هذا المعنى : قد أحسن ما شاء فيه إذ قال — فبعضى له واع وبعضى له ناس — ولم يقل فنسيته

(١) غرر الخصائص ٢٨٥ للرتضى وليس فيه البيت الثالث

جملة كما قال الناشى بل جمل بعضه يراعيه احتفاظا به، وبعضه يتناساه محافظة عليه، وكم بين من يكون كتمانه للسر تناسيه وتهاونَه، وبين من يتذكّره على مرّ الأوقات، ويعرضه على قلبه فى الخلوات، وهو مع ذلك يجاهد النفس فى تحمّل مشقة الكتمان، وحفظ فَلَتَاتِ اللسان؛ وأىّ فضيلة لمن يتناسى السرّ حتى تُنهِج بُرُودُه، ويَخلَق جديده، فهو بالواجب لا يذكره فيُشيعه، ولا يخطر على باله فيذيعه، وكيف يفشيه وقد أماته الزمان فى قلبه وأخرجه التناسى عن لُبّه، وإنما الفضيلة لمن أودع سرًّا فكان نجيًّا لفكره وضجيعاً لذكره ومضوّراً فى أقصى أحشائه ومطبوعا فى طينة حوبائه. وهو مع ذلك يَزُمُّه ويخطِمه ويحفظه ويكتُمُه قال اسمعيل بن احمد: قول الشريف وأى فضيلة لمن يتناسى السر حتى تُنْهِجَ بُرُودُه ويَخْلَقَ جديدُه فهو بالواجب لا يذكره فيشيعه، ولا يُخطِرُهُ[1] على باله فيذيعه. وكيف يفشيه وقد أماته الزمان فى قلبه وأخرجه التناسى عن لبّه ليس هذا بصفة المتناسى. وإنما هى صفة الناسى لأن المتناسى ذاكر كما أن المتغافل غير غافل، والمتغابى غير غبىّ، وإنما هو مُظهر للنسيان والغفلة والغباوة قال أبو تمام[2]:

ليس الغبى بسيّد فى قومه لكن سيّد قومه المتغابى

فمدحه بالتغابى وجعله سيّد قومه والشريف ذمّه بالتناسى هنا والفضيلة فى حفظ السرّ تناسيه كما قال الحكيم وذكرناه عنه آنفا، ومن الكلام المستحسن فى كتمان السرّ قول عبد الله بن شدّاد لابنه وقد أوصاه[3]: يا بُنَىّ كُنْ جوادًا بالمال فى مواضع الحقّ، بخيلاً بالأسرار على جميع الخلق، فانّ أحمدَ جُود الانفاق فى مواضع البرّ، والبُخْل بمكتوم السرّ، وكُنْ كما قال ابن الخطيم[4]:

(١) كذا بالأصل هنا وفيما سبق ولا يخطر بدون الضمير

(٢) العيون ١ — ٢٢٥ والحصرى ١ — ٧١ وديوانه ٢٠

(٣) الوصية على طولها مع أبيات ابن الخطيم عند القالى فى طبعتيه ٢ — ٢٠٤و٢٠٢

(٤) القالى ٢ — ١٧٩ والعينى ٤ — ٥٦٦ والثانى فى الكامل ٤٢٦ لجميل بن معمر العذرى

أجُودُ بمضنون التِّلاد وإنَّنى ... بسرِّك عمن سالنى لضَنينُ
إذا جاوز الاثنين سرٌّ فانه ... بنَشْرٍ وتكثير الحديث قَمينُ

وأنا أستغرب قول أبى الشِّيص (١) فى الاستكتام حيث يقول :

لا تأمنَنَّ على سرِّى وسركُمُ ... غيرى وغيرَكِ أو طىَّ القراطيسِ
أو طائراً سأحَلِّيهِ وأنْعَتُه ... ما زال صاحبَ تنقيرٍ وتدسيسِ
سُوداً بَرائِنُهُ مِيلاً ذَوائِبُه ... صُفْراً حماليقُه فى الحُسن مغموسِ (٢)
قد كان هَمَّ سليمانٌ ليَذبحَه ... لولا سعايتُه يوما ببلقيسِ

وقال آخر فى مثل ذلك (٣) :

سأكتمُه سرِّى وأحفظ سرَّه ... ولا غرَّنى أنِّى عليه كريمُ
حليمٌ فيَنسى أو جهول يُذِيعه ... وما الناس إلاَّ جاهل وحليمُ

واعتذر آخر (٤) من إفشاء الدمع لأسراره فملّح :

وَحَقٌّ الذى فى الصدر منك فانّه ... عظيمٌ لقد حصَّنْتُ سرَّك فى صدرى
ولكنما أفشاه دمعى ورُبَّما ... أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يَدرى
فهَبْ لى ذُنوب الدمع إنِّى أظُنُّه ... بما منه يَبْدُو أنما يبتغى ضُرِّى
ولو لم يُرِدْ ضُرِّى لخَلَّى ضمائرى ... تَمُدُّ على أسرار مكنونها سِترى

وأنشدنى أبو اسحاق (٥) إبراهيم بن على بن تميم الأنصارى القيروانى رحمه الله لنفسه فى نحو هذا الباب :

---

(١) العيون ١ — ٤١ والحيوان ٣ — ١٦٣
(٢) قال الميمنى بالجر وهو يدل على أن طائرا فى البيت الثانى أيضاً مجرور أى غير طائر
(٣) العيون ١ — ٤٢ والكامل ٤٢٥
(٤) الأغانى ١٣ — ١٠ لابن قنبر
(٥) هو صاحب زهر الآداب وله ترجمة فى كتاب الميمنى على ابن رشيق

كتمتُ الهوى عمَّنْ أحِبُّ صبابةً ... لمكنون حبٍّ شفنى وبَرَانى
وأبقيتُ إشفاقاً على من أحِبُّه ... فأمسكتُ عن شكوى الغرَام عِنانى
إلى أن أضاء الصدقُ فانكشفَتْ به ... إليـــه خبايا ما يُجِنُّ جَنانى
وشافهه أمرى بمـــا قد طويتُه ... وأبدَتْ له حالى خفىَّ مكانى
وجالَ بنُور الفكر فى جوهر الصفا ... فأبصر نوراً مفْـرط اللّمَعان
فقال افتخارى أن تَرى اليوم ناشرا ... لما كنتَ تَطوِى فىَّ مُنذ زمانِ
فقلتُ له كان الرجاء مُقَاوماً ... لخوفى فلمَّا أن بلغتُ أمانى
تملّكَ سلطان التخوّف مُهجتى ... فأمسكَنى عن أن يبُوحَ لسانى
ومن بلغَتْ منه المخَافةُ حدَّها ... رأى نُطقه ضرباً من الهذَيانِ

وقال العباس بن الأحنف (١) :

لاَ جزَى اللهُ دمع عينى خيراً ... وجزى الله كلَّ خيرٍ لسانى
قد وجدتُ الدموع تفضح سرّى ... ووجدتُ اللسان ذا كتمانِ
كنتُ مثلَ الكتاب أخفاه طىٌّ ... فاستدلُّوا عليـــه بالعُنوانِ

وقال أحمد بن أبى فنن :

خُذِينِى بما يَجنى لسانى واصفحى ... لنا عن جِنايات الدموع البوادر
فقد شَهرَتـنِى مرَّةً بعــد مرَّةٍ ... وأبدَتْ برغمى خافياتِ سرائرى
ولو أنَّ عينى طاوعَتْنَى لاختَفَى ... علىَّ الهوى أخرَى الليالى الغوابرِ
ولـكنّها تُبْدِى إذا ما ذكرتُـكم ... بفيْضِ مآقيها خبَايَا الضمائرِ

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(إنِّى وَجَدِّكَ ما رأيِى بمُنْتَشِرٍ ... عند الحفاظ ولا أمرى بمردُود

(١) الأغانى ٨ — ١٥ وابن أبى الحديد ٣ — ٧٢ وفى القالى ١ — ٢١٢ لأبى نواس — وترى الكلام على ذلك فى السمط ١١٩

قد أسْلُبُ المَلِكَ الجبّارَ حُلّته ... فى مأقِطٍ مثل حدّ السيف مشهودِ
وما أذَبّبُ عن حوضى لأمْنَعَهُ ... لاخير فى حوض قومٍ غيرِ موْرُودِ
يُرجَى مع المزْن معروفى لطالبه ... ويُتّقى الموتُ من حيّاتِ السُّودِ
فاشرَبْ على مَوت اخوانٍ رُزِئْتهُم ... بابُ المنيّة عنّى غير مَسدُودِ)

ما ورد فى الشعر من قولهم: وجَدّك بفتح الجيم وكسر الدال، فمعناه القَسَم كما تقول: وأبيك لقد كان كذا وكذا أى وحَقّ أبيك. وأمّا قولهم فيه: أجِدّك بكسر الجيم وفتح الدال فمعناه أتُجِدُّ جدًّا، وتحت لفظ الجَدّ فى اللغة معانٍ: منهــا أنّ الجَدّ أبو الأب، وأبو الأمّ، والجَدُّ الجلال والعظمة. ومنه قوله تعالى: «وأنّـهُ تَعَالى جَدُّ ربِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا» قيل معناه: تعالَتْ عظمة ربنا لانقطاع كلّ عظمة عنها بعلُوّها عليها قال الحسن البصرى: جَدُّ ربّنا جلالته وعظمته، قال غيره: جَدُّ ربّنا غِنى ربّنا قال أبو بكر محمد بن الحسن بن فَوْرَك: كل ذلك يرجع إلى معنى صفته سبحانه بأنّه عظيم غنىّ، والجَدُّ الحظّ والبَخْتُ، ومنه قولهم فى الدعاء: ولا ينفع ذَا الجدّ منك الجَدّ: أى مَن كان ذا جدّ وحظّ فى الدنيـا لم ينفعه ذلك عندك، ويقال: جُدَّ الرجل فهو مجدود وإنّـه لرجلٌ مجدود محظوظ وجديد حظيظ، وجَدِىٌّ حَظِىٌّ، والجَدُّ مصدر جَدَدْتُ الشىء أجُدُّهُ جدًّا إذا قطعتـه ومعنى جددتُـه صرمتُـه وقضيته وعَصَبّته وتبرته وتبلته وجذمته وصريته وفصلته كل ذلك إذا قطعتـه، والجِدُّ بكسر الجيم خلاف اللّعب أيضاً (١) الانـكماش فى السير ومنه قول (٢) ابن دريد:

قلتُ لهم إنّ الهوَينا غِبُّها ... وَهْنٌ فَجِدُّوا تَحْمَدُوا غِبَّ السُّرَى

(١) كذا بالأصل بدون الواو والصواب اثباتها
(٢) مقصورته (طبعة ١٣١٩ هـ) ٢٨

أى انكمشوا فى سيركم تحمدوا غبّ سراكم ، ويقال . جدّ فلان فى سيره وأجدّ فهو جادٌّ [١] ومُجِدٌّ إذا أكبّ عليه وانكمش فيه وترك الهُوَينا ، والجَدُود من الابل التى قد انقطع لبنها

وقوله — ما رأيى بمنتشر — أى بمتفرّق فلذلك ما يُقبل قولى ولا يُرَدُّ أمرى يصف نفسه بصحة الرأى وإحكامه وهذا ضدُّ قول الشاعر :

فأودَى السفيهُ بلُبِّ الحليـــم وانتشر الأمرُ لم يُبْرَمِ

يقال : أمر القوم منتشر إذا كان شتيتًا متفرقاً ، والمعز أنشرُ إذا كانت متفرّقة فى المرعى ، وانتشر الحبل إذا تفرّقتْ قُواه ، وقوله تعالى . « فاذَا قُضِيَتِ الصَّلٰوةُ فانتَشِرُوا فى الأرضِ » أى تفرّقوا عن اجتماعكم لأنه سبحانه وتعالى دعاهم إلى الاجتماع يوم الجمعة للصلوة ثم أمرهم بالتفرّق بعد انقضائها إن شاءوا لأنـه أمر إباحة وليس بأمر إلزامٍ .

وقولـــه .

قد أسلُبُ الملكَ الجبَّار حُلَّته فى مأقطٍ مثل حد السيف مشهودِ

يقـــال : سَلبْتُ الرجل أسْلبُـه سَلْبًا فأنا سالبٌ والرجل مسلوب ، والسَّلَبُ ما يُسْلب عنـه والجميع الأسلاب ، وكلُّ ما على الانسان من لباس فهو سَلَب ، قال بعض الأمويّين لأبيه وقد احتُضِرَ . قد هيَّأتُ لكفنك يا أبتِ من نفيس الثياب وفاخرها كذا وكذا ثوباً . فقال له : يا بُنَىّ بين يدى أبيك لباس هو خير ممّا أعدَدْتَ له أو سَلَب سَيِّئ ، ويقـال . سَلَّبَت المرأة على زوجهـا أوْ مَيِّتٍ لها فهى مُسَلِّبٌ إذا لبسَتْ السلاب وهى الثياب السُّود تلبسها النساء فى المآتم إذا كُنَّ مُحِدّاتٍ ولا تكون المرأة مُحِدًّا إلاّ على الزوج خاصّة ، والسَّلوب من النوق التى أُخذ ولدها ، والجمع السلائب وقيل . بل السلوب الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام وقته ، وناقة سَلوب

(١) لا واو هنا بالأصل

ونُوق سُلُبٌ إذا كُنَّ كذلك فقد أسْلَبَتْ إذا فعلت ذلك وقد يقال ذلك أيضاً للشاء قال الكميت :

وهُنَّ يَحْسُونَ دونَ العَبِّ ماخلطَتْ   بالماء من كَدَرِ الأَفُه السُّلُبُ

ويقال : السُّلُب الطُّوال يقـــال فرس سَلَبُ القوائم إذا كان طويل القوائم خفيف نقلها وكذلك بعير سَلَبُ القوائم إذا كان كذلك ، ورجل سَلَبُ اليدين بالطعن والضرب أى خفيفهما ، وثور سَلَب القَرن بالطعن كذلك ، والسَّلِيب الشجرة التى أخذَتْ أغصانها وورقها ، وشجر السَّلَب الذى يكون فيه الليف الأبيض ، الواحدة سَلَبَة لغة هذليَّة ، والأسلوب الطريق وجمعه أساليب ، ويقال : أخذ فلان فى أساليبَ مِنَ القول أى فى فنونٍ منه ، ويقال : أنف فلان فى أسلوب إذا كان متكبّرا قال الراجز (١) :

أنوفهُمْ مِلفَخرِ فى أسْلوبِ   وشَعَرُ الأستاه فى الجَبُوبِ

الجَبوب وجه الأرض ، وفى اشتقاق لفظ الجبَّار وحقيقة معناه أقوال وتلخيصه : أنه إذا كان صفة لله تعالى كان مدحاً ووصفاً مستحقاً ، وإذا كان للناس كان ذمًّا قال أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك : الجبَّار معنـاه العظيم الشأن فى الملك والسلطان وذلك لا يوصف به على الاطلاق إلاّ الله تعالى فاذا وُصِفَ به العبد فعَلى وضع نفسه فى غير موضعها فهو ذمّ على هذا المعنى ، وقال أبو بكر محمد بن عُزَيْز السجستانى : الجبَّار القوىُّ الجسم ، والجبَّار القهَّار ، والجبار المسلَّط كقوله تعالى : « وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بجَبَّار » ، والجبار المتكبّر كقوله تعالى : « وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا » ، والجبَّار القتَّال كقوله تعـــالى : « وإذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِين » أى قتَّالين ، والجبَّار من النخل الطويل من النخل وليست بالمفرطة الطول إنمـا هى بمقدار ما يقرب ثمرها من يد المتناول قال الشاعر (٢) :

---

(١) اللسان م سلب

(٢) اللسان م هرأ الأول باختلاف كلمات والقافيه هناك مجرورة

أبعْــد عَطيَّتِي ألْفًا بِجَابًا مِن الجبَّار آزرها الهرَاء

أذَمّكَ ما ترقرقَ ماءُ عَيْني عليَّ إذَنْ من الله العَفَاءِ

قال : الهراء الفسيل بلغة قوم وهو الطَّلْع بلغة آخرين والفسيل صغار النخل ، وآزرَه قوّاه ، فأمَّا اشتقاقه فقال : أبو جعفر احمد بن محمد بن اسمعيل النحاس فى اشتقاق الجبَّار أربعة أقوال قال : قتادة الجبَّار الذى يُجبر خلقَه على ماشاء ، قال أبو جعفر : هذا خطأ عنـد أهل العربية لأنّه لو كان كذا لـكان يقال . مُجبِر ولا يقال فعَّال من أفعَل عند أهل العربية قال : وقيل : وهو القول المتعارف وإن كان غيره أحسن منه أن يكون من تَجَبَّرَ النخلُ إذا علا وفات اليدَ كما قال .

أطَافَتْ به جِيْلَانُ عنـد قطاعه وردَّتْ عليه المــاء حتى تَجَبَّرَا

وفرس جبَّار أى جوَاد قوىّ مُشرف . وملك جبار إذا احتجب فلم يوصل إليه ولم يكلّم هيبة له ، والله جل ثنـاؤه جبَّار لأنه ارتفع عن أن يُدركه أحد وفات أيدى المتناولين ، قال وزعم القتْبِيّ . أنه من جَبَرْتُ العظم فجَبرَ إذا كان مكسوراً فأقمته كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من المعرفة والاقرار له ، قال وقال محمد بن جرير : أصل الجبَّار المصلح من قولهم جَبرَ فلان الكسر اذا أصلحه فلائمه ومنه قول العجَّاج (٢) .

قد جَبرَ الدينَ الالـٰهُ فَجَبَرْ

أى أصلحه فصلَح فإن الله سبحانه المُصْلِحُ أمرَ عبادِه ، وقيل جبَّار من جَبرَ الخلق أى نَعَشهُمْ وكفاهم قال اسمعيل بن احمد . فأما قول أبى جعفر فى قول قتادة انه خطأ عند أهل العربية من أجل أنـه لا يقـال فعَّال من

(١) جيلان قوم بالبحرين شبه الأكرة أو فعـلة الملوك راجع اللسان م جيل وهناك البيت أيضاً باختلاف كثير

(٢) ديوانه ١٥ والخزانة ٢ — ٩٦ والشعراء ٣٨٢ والأغانى ٩ — ٧٣

أفعل فليس بخطأ وقد جاء ذلك عنهم قالوا درّاك وهو من أدرك وسآر من أسأر اى أبقى من السُّؤر والسؤر البقية قال الشاعر (١)

وشاربٍ مُرْبحٍ بالكاس نادَمَنى   لا بالحَصُور ولا فيها بِسَئَّارِ

الحَصور المنقطع عن النساء، والحصُور الذى لا يُنْفِقُ مع الشَّرْب، وقد قال الفرّاء : يقال جبرته وأجبرته إذا قهرته فعلى هذا أيضاً يصحّ قول قتادة ويكون من جبرته إذ هى عنده بمعنى أجبرته، والحُلَّة لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد، والمأقط مهموز هو أضيق المواضع فى الحرب وأشدّها وكذلك المأزق قال وَدّاك بن ثُمَيل (٢) :

تُلاَقُوا جِياداً لا تحيد عن الوغَى   إذا ما غدَتْ فى المأزِق المُتَدانى

والمَاقِطُ (٣) غير مهموز ، (٤) والحازى الذى يَتَكَهَّنُ ويتطرّق بالحَصى، والماقِطُ أيضاً مولى المولى ومقَطْتُ الحبل أمقُطه مقْطا إذا شددتَ فتله، ومَقَطَ البعير يمقُط مقْطا اذا هُزِل هُزالا شديداً، والمَقْطُ ضربك الكرة على الأرض ثم تأخذها، ومثل المأقط فى الحرب المأزق وهو من الأزق والأزق الضيق يقال : أزِقَ يأزَق أزْقاً إذا ضاق، وأما معنى البيت فيحتمل أمرين أحدهما أن يكون عنى بالمأقط مضيق الحرب وأنْ مِنْ شأن قومه غَلْبُ الملوك وسَلْبُهم هناك فذكر نفسه وأراد قومه فيجرى هذا مجرى قوله أيضاً :

(إذا ما غضِبنا غَضبةً مُضَرِيَّةً   هتكنا حجابَ الشَّمس أو مطرَتْ دَما

وإنّا لقَوْمٌ ما تزال جيادُنا   تُسَاوِرُ مَلْكا أو تُنَاهِبُ مَغنَما)

(١) العكبرى ٢ — ٢١٣ للاخطل وديوانه ١١٦

(٢) الحماسة ٥٦ والعينى ٤ — ٣٢١ والسيوطى ٢٨٩ والخزانة ٣ — ١٦٧ والعقد ٣ — ٩٠   (٣) على صيغة اسم الفاعل من المقط

(٤) كذا بالأصل باثبات الواو والصواب حذفها فان الماقط هو الحازى

والقول الآخر أن يكون عنَى نفسه ولم يرد غيره ، ويكون معناه كمعنى قوله أيضاً (١) :

وأملاكُ صدقٍ ألبستْنى طرازَهم قصائدُ مالى غيرُهن شفيعُ

فشَبَّهَ مَقامه فى مجلس الملك وهيبة مجلسه بمأقط الحرب ، وشبَّهَ ثباته فيه بثبات الأبطال وأشدّاء الرجال ، فيقول : رُبَّ مَقامٍ قمتُه عند ملك جبّار لا يُكَلَّمُ ولا يُنْظَرَ إليه هيبةً أنشدته مدحه فى مجلسه لحضره كُبراء أصحابه وجلّة أهل مملكته ، فحَسُنَ موقعُ شعرى منه وأطربه فأحسَنَ فى ذلك المقام إلىّ وخلع حُلّته علىّ ، وأتمُّ من بيت بشّار معنًى وأبين شرحا قول لبيد بن ربيعة (٢) :

ومقامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجتُه بلسانى وحسامى وجَدَلْ
لو يقومُ الفيلُ أو فيّالُه زلَّ عن مثل مقامى وزَحَلْ

أو ههنا بمعنى مع أى مع فيّاله قال اسمعيل بن احمد : هكذا وجدت بيت لبيد كما كتبته — بلسانى وحسامى وجدل — وليست لى فى شعر لبيد رواية أعوّلُ عليها ، وصناعةُ الشعر توجب أن يكون . بسنانى وحسامى ، ليزيد المعنى بذكر السنان ولئلاّ يتكرّر ؛ لأنّ قوله وجدل يُغنى عن ذكر اللسان إذ لا يكون الجدل الاّ به . رجع وقوله — وما أذبُّ عن حوضى لأمنعه — يقال . ذبّ عن الشىء يَذُبّ ذبًّا اذا منع منه قال الراجز (٣) .

مَن ذَبَّ منكم ذبَّ عن حريمهِ أو فرَّ منكم فَرَّ عن حريمهِ
أنا ابن سيّارٍ على شَكيمهِ انَّ الشِّراكَ قُدَّ من أديمهِ

---

(١) سبق البيت

(٢) ديوانه طبعة ليدن ١٦ والعقد ٣ — ١٧٩ والسمراء ١٥٣ وحماسة البحترى ١٦٦ والبيان ١ — ١٤٧

(٣) المرتضى ٣ — ٣٣ ليزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيار العجلى باختلاف والأول فى اللسان م ذب والثانى فى اللسان م شكم

وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . انّ النساء لحم على وَضَمٍ الاّ ماذُبَّ عنه أى منُع ، والذّبّ الثور الوحشىّ ويُسمى ذَبَّ الرِّيَاد لأنّه يَرُودُ أى يذهب ويجيء ولا يَثبُتُ فى موضع واحد قال ابن مُقبل (١) .

تَمشّى بها ذَبُّ الرياد كأنّه فتًى فارِسىٌّ فى سراويلَ رامِحُ

ويقال : ذَبّتْ شفَتُه اذا ذبلَتْ من العطش قال الراجز (٢) :

همُ سقَونى عَللاً بعــد نَهَلْ مِن بعد ما ذَبَّ اللسانُ وذَبَلْ

قال أبو مِسْحَل : يقال أصابه ذُبابة من بَرَد وهو القليل ، والمِذَبَّة قال الخليل : هى هَنَةٌ تُتّخَذُ يُذَبُّ بها الذُّباب ، والذباب اسم واحد للذكر والأنثى وجمعه الذِّبّان ، وذُباب السيف رأسه الذى فيه ظُبَته وهو حدّه وحدّ السكّين والنـاب ، وكل شيء حدّه ذبابه ، والذباب داء يأخذ الابل يقال : بعير مذبوب والذّباب الأذى أنشد الاصمعى :

وليس بطارق الجيران منّى ذُباب لا يُنِيم ولا يَنامُ

والمزن السحاب واحدته مزنة وقد مر تفسيره ، وقوله — ويُتقّى الموت من حيّاتِ السُّود — جعل السُّود هنا نعتاً للحيّات ، ويقال للحيّة : أسوَدٌ منوّن منصرف ، وجمعه أساود وأسوَد مثل أيدَع وأفكلٍ والأيْدَع دم الأخوين ، والأفكل الرِّعدة وجمعه أفاكل ، وهذه أسماء وليست نعوتاً ، مثل قوله : — فاشرب على فقد اخوان رُزِئتَهمْ — البيت قوله أيضاً (٣) :

فاشرَبْ على تلف الأحبّة اننّا جزَرُ المنيّة ظاعنين وخُفّضَا

---

(١) اللسان م رود والقالى ٢ — ١٦٦ والعكبرى ١ — ١٤٢ والخزانة ١ — ١١١

(٢) اللسان م ذب

(٣) سبق البيت

وأعاده أيضاً فقال(١) :

(قُومِي اصبحينا فاصيغ الفتى حجراً لـكنْ رَهينةُ أجداثٍ وأرماسِ
قُومِي اصبحينا فانّ الدهر ذو غِيَرٍ أفنَى لُقَيْمًا وأفنَى آل هِرْماسِ
اليومَ هَمٌّ ويَبْدُو فى غدٍ خَبَرٌ والدهر ما بين إنعـامٍ وإبْآسِ
فاشرَبْ على حَدَثان الدهر مُرْتَفِقًا لايصحبُ الهَمُّ قرْعَ السِّنِّ بالكاسِ)

مثل عجز هذا البيت الأخير ما أنشدنيه أبو الحسن الربعى من قصيدة له ووصف خمرا :

ذَخيرة قَوْمٍ يَسبُكون عقَارَهُم عقَارًا إذا ارتاحُوا وإن كان تالدا
تَرَى همَّهم فيها طريدَ سُرورهم وأخبِبْ بشيءٍ كان للهَمِّ طارِدا

وأبين من قول أبى معاذ وأوضح وأرشق وأرجح ما رُوى عن يزيد ابن معاوية من قوله :

أقول لصَحْبٍ ضَمَّتْ الكاسُ شملَهم ودَاعى صبابات الهوى يترنَّمُ
خُذوا ما صفا من عيشنا قبل فوته فـكُلٌّ وإن طال المَدَى يَتصرَّمُ
ألاَ إنّ أهنَى العيش ما سَمحَتْ به صُروفُ الليالى والحوادث نُوَّمُ

والأصل فى قول أبى معاذ — فاشرب على تلف الأحبة — قول أوس(٢) ابن حجر :

لا تُحزِنيني بالفـراق فانّنى لا تَستَهِلّ من الفراق شؤُونى

أى قد مَرِنتُ عليـــه وأنِسْتُ به ووَطّنْتُ النفس له ، ومرّت بى

(١) البيتان فى البيان ١ — ١٠٥ للاول بغير تصريح باسم
(٢) الـكامل ١٨٦ والعكبرى ٢ — ٢٣٥ وديوانه رقم ٤٩

أشياء كثيرة منه فما أرتاع له ولا أحزن من أجله ونحوه قول الآخر (١)

ورُوِّعْتُ حتّى ما أُراعُ من النَّوى ... وإنْ بانَ جيرانٌ عليَّ كِرامُ
فقد جعلَتْ نفسي على النأي تَنْطَوِي ... وعيني على فَقْد الصديق تَنامُ

وأخذه المتنبي فقال (٢) :

وما استغربَتْ عيني فراقاً رأيتُه ... ولا علَّمَتْني غيرَ ما القلب عالمُهْ
فلا يَتَّهِمْني الكاشحون فإنَّني ... رَعَيْتُ الرَّدى حتى حلَتْ لي علاَقِمُهْ

أي فلا يتَّهمني الكاشحون بجَزَع عند حلول مُلِمَّة أو إصابة حدوثٍ بمصيبة وأعاده أيضاً فقال (٣) :

رماني الدهرُ بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبَال
فصرتُ إذا أصابَتْني سهامٌ ... تكسَّرَت النصال على النصالِ
وهَانَ (٤) فما أبَالِي بالرَّزَايا ... لأني ما انتفعْتُ بأن أبَالِي

وأمثاله كثيرة

وقول أبي معاذ من قصيدة .

(أنا إنْ زِلْتُ عن مقَامي لأمرٍ ... رابَني تحت أخمصي ما يضُرّْ
كمُزِيلٍ رِجلَيْهِ عن بَلَل القطْـ ... ـرِ وما حوْلَهُ من الأرض بحرُ
بَرَقَتْ لي حتى إذا قلتُ جادَتْ ... أقلعت عن جهَامة تَسْتَمِرّْ
تركَتْني وما أُؤَمِّلُ منها ... كالمُرَجِّي سحَابةً لا تَدِرّْ
أيّها البارق الذي ليس يُجْدي ... قد عرفناك فَالْتَمِسْ مَن تغُرّْ)

(١) اللسان م نوى لمؤرج باختلاف والحماسة ١٣٥ باختلاف لعبد الصمد بن المعذل أو لحسين بن مطير وفي مجموعة المعاني ١٣٠ بغير عزو
(٢) ديوانه ٢ — ٢٣٤ و ٢٣٥ (٣) ديوانه ٢ — ٢١
(٤) بالأصل وها أنا ما أبالي

المقام بفتح الميم المكان الذى يُقام فيه لأمر ، والمقام بضم الميم الاقامة، ويقال : راب الرجل وأراب بمعنًى إذا جاء برِيبَة ، وقيل : إنما يقال رِبْتُ الرجل اذا تَحَقَّقتْ منه الرِيبة وأرَبْتُه إذا ظننت به الريبة ولم تقطع عليه فيها بيقين ، وقد مرّ ذكرذلك فى أول الكتاب ، والأخمص من الرِجل ما ارتفع عن الأرض وهو ما بين القدم والعقب منها ، فان لم يكن بالرِّجل خَمَص فهى رحّاء يقال : رجل أرَحُّ بَيِّنُ الرَّحَح وامرأة رحّاء إذا كانا كذلك ، (١) ويقال : بَرقت السماء ورعدت إذا أتت بالرعد والبرق ، ورعد الرجل وبرق إذا أوعد وتهدّد قال أبو عبيدة وأبو زيد الأنصارى : يقال برق الرجل وأبرق ورعد وأرعد ، وكذلك برقت السماء وأبرقت ورعدت وأرعدت فلم يعرف الأصمعى إلا برقت السماء ورعدت وبرق الرجل ورعد فى الوعيد فأنشدَ قول الكُميت (٢) :

أرْعِدْ وأبْرِقْ يا يَزيـــدُ فما وعيدُك لى بضائرْ

فلم يلتفت إليه ، وقال أبو حاتم قلت للأصمعى : تقول رعدت السماء وبرقت قال نعم قلت : أفتقول أرعدت وأبرقت قال لا إلاّ أن ترى البرق أو تسمع الرعد فتقول : أرعدَنا وأبرقَنا قال فقلت له : فتقول فى التهدّد إنك لَتَبْرُقُ لى وتَرْعُدُ قال نعم قلت : أفتقول تُرْعِدُ لى وتُبْرِقُ قال لا قلت فقد قال الكميت :

أرعد وأبرق يا يزيـــد فما وعيدك لى بضائرْ

فقال الكُميتُ جُرمقانىٌ من جَرامقة الموصل وكأنّه لم يرِ شيئاً قال أبو حاتم فأخبرتُ بذلك أبا زَيد فأنكره ، ووقَفَ بنا أعرابىٌّ مُحْرِمٌ فأردنا

---

(١) راجع لهذا المبحث القالى ١ — ٩٧ واللآلى ٧٢ وتهذيب اصلاح المنطق ٢ — ٥٨ والاشتقاق ٢٦٥ والسهيلى ١ — ٢٠٩ والمزهر ٢ — ٢٣٣

(٢) الكامل ٦٢٥

نسأله فقال أبو زيد : دعونى أسأله فأنا أرفقُ به فقال له : كيف تقول إنك لتَبْرُق لى وتَرْعُد قال أفى الجحيف (١) يعنى التهدّد قال نعم ، فقال : تُبْرِق لى وتُرْعِدُ قال أبو حاتم فأخبرت الأصمعى بذلك فلم يعبأ به وأنشدنى (٢) :

إذا جاوزَتْ من ذات عِرْقٍ ثَنِيَّةً   فقلْ لأبى قابوسَ ما شئتَ فَارْعُدِ

ثم قال هذا كلام العرب وقال آخر .

فاذا جعلتَ جبال فارس دُونه   فَارْعُدْ هنالك ما بدَالك وابْرُقِ

وقال أعرابى فى بُنَيٍّ له .

وُهِبْتُهُ بأطيب الحبـاتِ   من بعد ما قد كَبِرَتْ بَناتى
فَرَعدَتْ وَبَرَقَتْ عدَاتى

ويقال : جادت السماء تجُودُ جوْدًا إذا مطرت الجَوْد . ويقال مطرت السماء وأمطرت لغتان فاذا دام مطرها قيل قَرَنَتْ وأقْرَنَتْ ، وقد أثْجَمَ المطر وأغْبَطَ وألَظَّ وألَثَّ وأغْضَنَ وأدْجَنَ إذا أقام أيامًا لا يُقلِعُ ، والوابل من المطر الشديدُ الضخمُ القطر ، وكذلك البُعَاق ، والجَوْدُ والسحيقة والساحية والجدَا والبُوقَة دُفعة من المطر مُنْكَرَة ، ويقال : اشتكرت السماء وحفلت واغبرَّتْ إذا اشتدَّ وقْعُها فاذا ارتفع صوت وقعها قيل أهلَّت السماء واستهلَّت ، ومنه أُخِذ الاهلال بالحجّ وهو رفع الصوت بالتلبية ، واستهلال الصبي حين يولد هو مأخوذ من هذا أيضاً ، فاذا كفَّ مطرها قيل أصْحَتْ وأجْهَتْ فهى مُصحية وصَحْوَاء ، ومُجْهية وجَهواء ، وأنجمت وأقلعت ومنه قول الله تعالى : « وقيل يا أرضُ ابلَعى ماءك ويَا سَماء أقلِعِى » أى أمسِكِي ، وقولهم للرجل إذا نَهوْه عن الشيء يفعله أقْلِعْ عن كذا أى انتَهِ وأمسِك ، ويقال : ضَرَبَه فما أقلع عنه

(١) وفى القالى الجخيف بالخاء المعجمة
(٢) القالى ١ — ٩٢ بغير عزو

حتى قتله أى فما أمسك فأما قول الشاعر (١) :

تَفَقَّأَ فوقَه القَلَعُ السَّوَارِى ... وجُنَّ الخَازِ بَازِ به جُنُونَا

فإنما يعنى السحاب المتراكم المُرْتَوِى واحدته قَلَعـــة ، والخازِ بازِ هنا ضرب من النبات وقيل : ضرب من الذباب يصوّت فى النبات ، والجهامة السحابة التى لا ماء فيها وهى أسرع السحاب سيرا ، مثل قوله :

كمزيلٍ رجليه عن بلل القطـــر وما حوله من الأرض بحرُ

قول أعرابى وخاطب بعض ملوك بنى أمية ، وقد رفع إليه مظلمة فدفعه إلى من هو أشدّ جرأة على ظلمه من خصمه فقال (٢) :

لا تجعلنّى(٣) ولا الأمثال تُضرب بى ... كالمستجير من الرّمضاء بالنارِ

وأخذه أبو الطيب فقال (٤) :

والهجر أقتـــل لى ممّا أُراقبه ... أنا الغريق فما خوفى من البَلَلِ

وقوله — تركتَنى وما أوَمِّل منهـا — البيت من قول كثيّر (٥) بن عبد الرحمن :

فأنى وتَهيامى بعَزَّة بعـــد ما ... تخلّيتُ ممـــا بيننا وتخلّتِ

لـكالمرتجى ظلّ الغمامة كلّما ... تبوّأ منهـا للمقيل اضمحلّتِ

وقول أبى معاذ :

(وثقـالِ الأعجاز قطّعن قلبى ... بحديثٍ لذّ ودهر قصيرِ

قد رضيتُ القليل منهن إنّى ... من قليل لواثقٌ بالـكثير)

---

(١) اللسان م خوز لعمرو بن أحمر والحيوان ٣ — ٣٤ والخزانة ٣ — ١٠٩

(٢) النويرى ٢ — ١٥٨

(٣) حفظى فى البيت (لاتجعلى والأمثال) قاله الميمنى

(٤) ديوانه ٢ — ٦٥ (٥) القالى ٢ — ١١١ والشعراء ٣٢٨ والمصرى ٢ — ٦٠ والنويرى ٣ — ٧٧ والمرتضى ٢ — ٧٤

واحد الأعجاز عَجُز ويقال له : البُوص بضم البـــاء يقال امرأة عجزاء وبَوْصاء للعظيمة العَجُز ولا يقـال ذلك للرجل ، والبُوص أيضاً اللون والبَوص بفتح الباء السبق يقـــال : بَاصهَ يَبُوصُهُ بَوصا إذا سبقه قال ذو الرمّة (١) :

قطًا باصَ أسرابَ القطا المتواتِرِ

أى سَبَقَ ، والبوص بالفتح أيضاً أن تستعجل إنساناً فى تحميلك إياه أمرا ولاتدعه يتمهل فى الرويّة أى النظر والتقدير لذلك الأمر ، والبوصى (٢) الزورق وهو الذى يُنشأ على غير بدَنَة بل على خشبة كالدقل بطوله تكون أصلا له صمّاء غير جوفاء ، وقد رأيتـــه ببحر الحجاز على هذه الصورة وسافرت فيه وأما البـدنة فهى خشبة أيضاً عظيمة جوفاء منقورة على هيئة النقير نقير الصيادين تكون أيضاً أصلا للسفينة على طولها تُبنى السفينة عليها قال طرفة (٣) يصف عنق ناقته :

وأتلعُ نهّاضٌ إذا صعدت به كسُكّان بُوصيٍّ بدجلة مُصعِدِ

والسُّكّانُ رجله التى بها يدَبَّر جَريه ، ويقال : لَذِذْتُ الشىء ألَذّه ولذّ الشىء يَلَذُّ لَذَاذَةً ولذّةً فهو لذٌّ ولذيذٌ وهذا شراب لذّ ولذيذ ، وشربة لذّةٌ قال الله سبحانه وتعالى فى صفة الجنة : «وَفيها مَا تَشْتَهِى الأنفُسُ وتَلَذُّ الأعيُنُ » و تَلَذُّ من لَذّتْ وأصلُ لَذّتْ لَذِذَتْ وقال سبحانه : « وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذّةٍ للشّارِبينَ » وقال الشاعر (٤) :

حتّى اكتَسَى الرأسُ قِناعاً أشهَبا أملَحَ لا لَذّا ولا مُحَبّبَا

---

(١) ديوانه ٢٨٩ واللسان م بوص وأوله على رعلة صهب الذفارى كانها

(٢) ليس البوصى الزورق من البوص وانما هى فارسـية وأصلها بوزى والبوز بلغتهم الموج قاله الميمنى

(٣) العقد الثمين ٥٦

(٤) اللسان م جلب الشطر الأول بعده : اكره جلباب لمن تجلببا

يعنى الشيب والأملح الأبيض، مثل قوله — قد رضيت القليل منهن — البيت قول البحترى (١) :

وأَزْرَقُ الفجر يبدو قبل أشهبه … وأوّل الغيث قطر ثم ينسكبُ

وقول أبى تمّام (٢) :

رُبَّ قليلٍ حدَا كثيراً … كم مطرٍ بَدْؤُه مُطيْرُ

وأعاده أبو تمام أيضاً فقال (٣) :

لا تُذِيلَنْ صغير همِّكَ وانظرْ … كَمْ بذى الأثل دَوْحةً من قضيبِ

ونحوه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن علىّ بن محمد الخيّاط من قصيدة له :

حَسْبِيَ مِمَّا فاتنى كُلِّه … بَقيّةٌ من أمَلٍ فى يدى

فكم كثيرٍ بلغ المُنْتَهَى … كان قليلاً فى يد المبتدى

ورُبَّما استُدْرِكَ فوتُ الغِنى … وأسعف الناشد بالمُنْشِدِ

وأعاده أيضاً فقال من قصيدة ذكر فيها أمر الفتنة الكائنة بصقلّيّة وما تفاقم منها على ضعف بدئها وأنشدنيه :

لا يَهُنْ بعدها عليك حقيرٌ … رُبَّ شانٍ يكون منه شُؤُونُ

وشبيه به قول الفرزدق (٤) :

قَوارِصُ تأتينى فتحتقرُونها … وقد يَمْلأُ القطرُ الإناءَ فيُفْعِمُ

ومثله قول الآخر :

بنى عمّنا الأدنَيْنَ كم أنا حامِلٌ … جرائرَ آسُوها بحلمى وتَجْرَحُ

(١) ديوانه ٢ — ٢٠٣ والغيث ١ — ٢٩
(٢) الحصرى ٢ — ٢٥٤ وابن أبى الحديد ٢ — ٤٤٠
(٣) ديوانه ٣٦ والحصرى ٢ — ٢٥٥ وابن أبى الحديد ٢ — ٤٤٠
(٤) ديوانه ٦٠ وهنـــاك فيحتقرونها والكامل ١٨ والعيون ٢ — ١٦ وحماسة البحترى ١٣٦ وفى الجميع فتحتقرونها

قوارِصُ تأتيني وتحتقرُونها وقد يَملأ القَطْرُ الإناء فيَطْفَحُ

ذُكر أنّ هذا الشاعر كان معاصراً للفرزدق ولا يُدْرَى أيُّهما أخذ من صاحبه ونحوه قول مسكين الدارميّ (١) :

ولقد رأيتُ الشرَّ بيْـنَ القوْم يبعثُه صِغارُهْ

فلَوَ انهُمْ يَأسُونه لتَنَهْنَهَتْ عنهم كِبارُهْ

مثل قوله : يأسونه قول الربعي أبى الحسن من قصيدة فى الفتنة أيضاً :

وقلتُ تلافوا شَجَّةَ الدهر إنَّها إذا نَغِلتْ أعيَتْ مَطَبَّةَ آسِ

ومنه قول طرفة (٢) :

قد يبعثُ الأمرَ الكبيرَ صغيرُه حتى تَظَلَّ له الدماء تَصبَّبُ

وقول الآخر (٣) :

إنى نصحتُ بنى عمرو فما قَبِلوا نصيحةَ أمَّلَ الاصلاحَ مُهْدِيها

وقلتُ يا قوم كُفُّوا قبل بادرةٍ تُعْيي مَحالَةَ مَنْ أمسَى يداويها

فالشرّ يبعثه فى الناس أصغرُه وليس مُغْنىَ حَرْبٍ عنك جَانيها

ومثله قول شَبيب بن البَرْصاء (٤) :

وإنى لتَرّاكُ الضَّغينة قد أرَى ثَرَاها من المولى فلا أسْتَثيرُها

مَخافة أن تَجْنى علىّ وإنّما يَهيجُ كَبيراتِ الأمور صَغيرُها

وقول البحترى (٥) :

(١) حماسة البحترى ١٣٧ ومجموعة المعانى ١٥٤

(٢) العقد الثمين ٥٣ وحماسة البحترى ١٣٦ وفى الحيوان ١ — ٤ لعنترة

(٣) البيت الأخير فى حماسة البحترى ١٣٦ لطرفة وهو مع أبيات أخرى فى الحماسة ١٩٩ باختلاف من غير عزو

(٤) الأغانى ١١ — ٩١ تسعة عشر بيتا والحماسة ٥٠٠ وحماسة البحترى ١٣٧ وفى المفضليات ٣٥١ لعوف بن الاحوص (٥) ديوانه ١ — ٢٥١

رَزِيةٌ هالكٍ حلبَتْ رَزَايا وخَطْبٌ باتَ يكشِفُ عن خُطوبِ
يُشقّ الجَيب ثم يجئُ أمر يُصَغِّرُ فيه تشقيق الجُيوبِ

وعلى ذكر تشقيق الجيوب فى هذا البيت دون معناه فأنشدنى أبو الحسن البصرى الشريف العباسى بمصر لنفسه سنة خمس عشرة وأربعمائة .

ولمّا رأيتُ الالف يَعزِم للنّوَى عزَمتُ على جَفْنَيَّ أن يترَقرَقَا
فَخُذْ حُجّتى فى تَركِ جيبىَ سَالِمًا وقَلبى ومن حقّيْهما أن يُشقّقَا
يدى ضَعُفَتْ عن أن تُخَرِّقَ جيبَها ولم يك قلبى حاضراً فيُمَزَّقَا

فاستَغْرَبتُ له هذا المعنى واستظرفتُه ، فأنشدنى بعده لنفسه من قصيدة له :

ولو أنّى جُعِلتُ أمير جَيْشٍ لَمَا قاتَلْتُ إلاّ بالسُّؤالِ
لأن النــاس ينهزمُون منـه وقد ثَبتُوا لأطراف العوالى

فأظهرت استظرافا لهذا المعنى أيضاً ، وقلتُ : له أرأيتَ هذين المعنيين لأحد فأخذتهما أم اخترعتهما فقال : بل اخترعتهما ، وليس كما قال ، أمّا هذا المعنى الأخير فمن قول المتنبى (١) فى كافور :

كأنّ كلّ سؤال فى مَسامعـــه قميصُ يوسفَ فى أجفان يعقوبِ
إذا غَزَتْهُ أعادِيه بمســألةٍ فقد غَزَتْه بجيش غيرِ مغلوبِ

إلاّ أنّه ستَروَجْه الإخفــاء وعَدَل به عن طريق المدح إلى الهجاء ، والحديث ذو شُجون يَجُرُّ بعضُه بعضا ، ونحو منـه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن فى مدح انتصار الدولة وابنه من قصيدة :

عَلّقْ رجاءك بالحُسين وبابنـه إنّ العـلائق بالكِرام أواصِرُ
واعلَمْ بأنك إن غزوتَ نَدَاهما بلواء مدحهمــا فانّكَ ظافرُ

---

(١) ديوانه ١ — ١٠٩ وخزانة الأدب لابن حجة ٩١

وقال أبو الحسن هذا المعنى عندى من عجز بيت أبى تمام (١) :

إذا ما أغارُوا فَاحتَوَوا مالَ معشرٍ أغارت عليهم فاحتوتْهُ الصنَائِعُ

رجع ومن المعنى الأوّل قول يزيد بن الحَكَم (٢) :

إعلَمْ بُنَىَّ فإنّه بالعلم ينفعُ العليمُ

أنَّ الأمور دقيقُها مِمّا يَهيجُ له العظيمُ

وقول القُطَامِىّ (٣) :

وصاراً ما تُغِبّهما أمورٌ تزيد سنَاحَرِيقهما ارتفاعا

كما العظمُ الكسير يُهاضُ حتى يُبَتَّ وإنما بَدَأَ انصداعا

فأصبحَ سَيْلُ ذلك قد تَرَقَّى إلى مَن كانَ منزلُه يَفَاعا

فهو كثير واستقصاؤه يَطولُ

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(مالى وأنت ضعيفٌ غيرُ مُرتقبٍ أُبْقِى عليكَ وتأتى غيرَ إبقاءِ

أَلزمتَ عينك من بُغْضٍ لَنَا حَوَلاَ لو قد وسمتُك عادَتْ غيرَ حَوْلاءِ)

وقوله منْ أخرى :

(لو كنتَ لى سيفا غداة الوغى طبتُ به نفسا لأعدائى

أو كنتَ نفسى جُمعَتْ فى يدى أَلقيتُها سَمْحًا بالقاءِ

لا رَقَأَتْ عينُ امرىءٍ أَنْوَكٍ يبكى أخًا ليس ببكَّاءِ)

---

(١) ديوانه ٤٨٠ والعكبرى ١ — ١٧ و ١٧٥

(٢) الحماسة ٥٢٩ وحماسة البحترى ١٣٧ والحيوان ١ — ٤

(٣) ديوانه ٣٧ وحماسة البحترى ١٣٧

الوغى والوعى مقصوران : اسم الصوت فى الحرب ، وسمّيت الحرب وغى باسم صوتها يقال : سمعتُ وغى الحرب ووعاها ، وكذلك الوحَى هو الصوت أيضاً يقال : سمعت وغى القوم ووعاهم ووحاهم إذا سمعت جَلَبَتَهم وأصواتهم قال الهذلى (١) :

كأنّ وعى الخَموش بجانبَيْه وعَى ركبٍ أُميم ذوى رياطِ

يروى وغى ووعى بالغين والعين ، ويروى ذوى هياط ، والرياط الجَلبة وهو الجُلْجُل أيضاً . والهياط الصياح ، والخَموش البعوض ، ويقال : رقأ الدمع والدم يَرْقَأ رُقُوءا إذا انقطع ، وفى الخبر «لاتسُبُّوا الابل فان فيها رَقوء الدم » بفتح الراء أى لا تسبُّوها فانهـــا تُعطى فى الديات فترفع القَود فذلك رُقوء الدم أى انقطاعه ، والأنوك الرجل الأحمق ، وجمعه نَوْكَى يقـال : أحمق وحَمْقَى ، وأنوك ونَوْكَى والاسم النوْكُ والنَّوَاكة ، ورجل مستنوِكٌ أحمق ومستنوك مستحمق ، وريب الدهر حوادثه وخطوبه وما يعرض فيه ، (٢) والاقذاء مصدر أقذيتُ العين إذا ألقيتَ فيهـــا القذى ، والأقذاء جمع قذى والقذى جمع قذاة وهو ما يقع فى العين والماء يقال : قَذِيتْ عينه تَقْذَى قَذًى إذا صار فيها القذى ، وقَذَتْ تَقْذِى قَذْيًا إذا ألقت القذى فاذا ألقيتَ القذى قلت أقذيتُهـــا إقذاء ، فاذا أخرجت منها القذى قلتَ قَذَّيتُها تَقْذِيَةً وقَذَيتُها أيضاً بالتخفيف قال الشاعر (٣) :

لقد قيل من طُول اعتلالك بالقَذَى أجِدَّكَ ما تَلقَى لعينَيْك قاذِيا

معنى قوله : — لا رَقأت عين امرئ أنوك — البيت الدعاء على من يفى بعهده ويصل من يقطعه بحزن يتَّصل ولا ينفصل ونحوه بل أشَدُّ منه

(١) اللسان م وعى ووعى للمتنخل الهذلى والتبريزى ١ — ٦٤ والحيوان ٥ — ١٢٢

(٢) لا أدرى وجه تفسير كلمة الاقذاء ولعل بيتا متضمنا لها بعد لارقأت الخ سقط من سهو ناسخ الأصل

(٣) اللآلى ٩٤٩ مع بيت آخر لوديعة بن ذرة

فى مذهب الدعاء على النفس قول عمر بن أبى ربيعة (١) :

أتُرانى أقعُدُ الليـــل لــها ساهراً أطلُبُ وَصلاً قد هلكْ
وهى فيما تشتهى لاهيـــة متْ إنْ دار بهذين الفَلكْ

ومن الدعاء على النفس بما تكره والقسم به قول الأشتر النخعى (٢) :

بقّيتُ وفرى وانحرفتُ عن العُلا ولقيتُ أضيافى بوجه عَبوسِ
إن لم أشُنّ على ابن هنــــد غارةً لم تَخْلُ يوماً من نهاب نفوسِ
خيلاً كأمثال السَّعالِى شُزَّباً تَعدُو ببيضٍ فى الكريهة شُوسِ
حَمِي الحديدُ عليهم فكأنّــه لَمعانُ برقٍ أو شعاعُ شموسِ .

ومنه قول عبيد الله بن الحرّ لمصعب بن الزبير .

فان أنا لم أزِرْكَ الخيـل شُعْثًا شَوَازِبَ ضُمَّرًا فدُعِيتُ قَيْنَا

القين كل صانع بيده وأراد ههنا فدُعيت كذّابا ؛ لأن من شأن كل قين أن يكذب ويخلف الوعد ، وتمثّل الحسين بن على رضى الله عنهما حين خرج من مكة إلى الكوفة وهو بين رجلين عليلا بقول يزيد بن مفرّغ (٣) :

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فى فلَق الصُّبْـــح مُغيرًا ولا دُعيتُ يزيدَا
يوم أعْطَى مخافة الموت ضيمًا والمنايا يَرْصُدْنَنِي أن أحِيدَا

ومنه قول أبى الطيب المتنبى (٤) :

كذا أنا يا دُنيا إذا شئتِ فاذهبى ويا نفس زيدى فى كرائهها قُدْمَا
فلا عَبَرتْ (٥) بى ساعة لا تُعِزُّنى ولا صحِبَتْنى مُهجةٌ تقبل الظُلما

---

(١) الموشى ٧٩ لاحمد بن أبى فنن ولم أجدهما فى ديوان عمر بن أبى ربيعة

(٢) الحماسة ٦٧ والعكبرى ١ — ٢٩٦

(٣) بالأصل الفرج وهو خطأ فاحش والبيتان فى الأغانى ١٧ — ٦٨ والشعراء ٢١٢ وحماسة البحترى ٢٢ والخزانة ٣ — ٥٣٧

(٤) ديوانه ٢ — ٣٤٩ باختلاف (٥) بالديوان طبع بيروت ص ١١ عبرت

ومنه قول أبى القاسم بن هانىء (١) :

إذا لم أذُدْ عن ذلك الماء وِرْدَهم وإن حَنّ وُرّاد كما حنَّت النِّيبُ
فلا حملتْ بيضَ السيوف قوائمٌ ولا صحبَتْ سُمْرَ الرماح أنابيبُ

وسلكتُ أنا هذا الأسلوب فى الدعاء والقسم زمن الغرارة والحَدَاثة بسند يُغنى عن فَسْره ما فى هذا الشعر من ذكره فقلت :

وغَيْدَاء كالبدر المنير تَطَلَّعَتْ أو الشمسِ بل أبهى من الشمس والبدرِ
تراءتْ وأومَتْ بالسلام وقبّلتْ بَناناً وألقتْ بالبنان على الصدرِ
فكادت لهــا نفسى تُراجع غَيَّها وتَهْتِكُ أستَار الصِّيانة والسِّتْرِ
فنَهْنَهْتُها قَسْرًا وقلتُ لها اذكُرِى عُمودَكِ بالبيـداء فى حالة القرّ
وقد شارفَتْ حُمّاى بى شَرَفَ الرّدى وظنّتْ ظنونى أنها آخر العُمرِ
وطالت بديدانٍ على السَّفر ليلتى (٢) فساروا ولم يرعوا وغُودرت بالقفرِ
وقال رفيقى لا تخَـفْ ودموعه على الخدّ من جرّى مخافته تجرى
فَحِينَ كفـاكِ الله ما تحذَرِينَه ونجّاكِ منــه تجنحين إلى الغَدْرِ
عَدِمت إذَنْ لُبّى وبانتْ مروءتى وأسخطتُ أضيافى وبِتُّ على غمرِ
ليئس التظنّى ما تَظَنَّنْتِ فاينْأسِى وبُونِى بكفـّ من مساعدتى صِفرِ

وأعدته أيضاً عند عذلِ نالنى ممّنْ جهل حقيقة أمرى ، وخفى عنه مكنون سرّى ، لو تكسَّبْتَ بالأدب ، ولقيت الملوك لنِلتَ كلّ أرَب ، وبلغت من الدنيا أعلى الرُّتَب ، فقلتُ :

إلى كم أقِرّ النفس فى المَرْتَع المَحْلِ وأقنع من جِدّ المكاسب بالهزلِ
أكـلِّفُ أقلامى مَدَى متَمَاحِلاً ولم أعتمل مهرى ورمحى ولا نَصْلى

(١) ديوانه ١٣

(٢) لعله الديدان اسم مدينة فى طريق البلقاء من ناحية الحجاز ، انظر البلدان

ومَن كلَّف الأقلام لا البيضَ همَّه ... أقمنَ به بين المذلّة والقُلّ
وقائلةٍ فارقْ سكونك واضطربْ ... فما الرزقُ إلاّ بالترحُّل والحَلّ
علامَ تجشّمتَ المشقّةَ طالبا ... علوم ذوى الآداب فى الحَزْن والسَّهلِ
ولم تلقَ ملْكاً يغمُرُ الناس فضلُه ... ولا سُوقةً يشرِى المحامدَ بالبذلِ
إذا لم تنل بالعلم مالاً ولا علاً ... ولا جانبا مل أجرٍ[1] فالعلم كالجهلِ
فقلتُ لها منّيتِ نفسك ضَلّةً ... وعِلّةُ ما منّيتِهـا قِلّة العقلِ
إليكِ فما سمعى بمُصْغٍ إلى الذى ... تقولين فاقْنَىْ من حيائك يا تَمْلِ[2]
أمثلَ يبغِى الرزق من غير ربّه ... وذو العرش رزّاق الورى واسع الفضلِ
إذَنْ لاسعَتْ بى فى الهياج طِمِرّةٌ ... وأسخطتُ أضيافى ونمتُ عن التَّبْلِ
جريت على آثار أسْرَتى الأُولى ... شأوْا فى مدَى العَلياء بالقول والفعلِ
ولا خير فى فرعٍ إذا طاب أصله ... ولم يك ذا طيب يدُلّ على الأصلِ

وأنشدنى فى الدعاء والقسم أيضاً ابراهيم بن على الانصارى القيروانى[3]:

كم قد ولدتُمْ من رئيسٍ قَسْوَرٍ ... دامى الأظافر فى الخميس المُمْطِرِ
سدِكتْ أناملُه بنَشْرِ فضيلةٍ ... وبَيَتْ فائدةٍ وذُرْوَة مِنبَرِ
ما إن يريد إذا الرماح تشاجرتْ ... دِرْعاً سوى سربال طيب العنصرِ
يلقَى الرماح بوجهـه وبنحره ... ويقيم هامته مقَـام المغفَرِ
ويقول للطّرف اصطبرْ لشَبَا القَنَا ... فعقرتُ ركن المجد إن لم تُعْقَرِ
وإذا تأمّل شخص ضيفٍ مقبلٍ ... مُتَسَرْبِلٍ سربال ليـلٍ أغبرِ

(١) بالأصل مل الأجر

(٢) تمل مرخم غلك اسم امرأة

(٣) الحصرى ٣ — ٢٥٧ و ٢٥٨ لاعرابى والنويرى ٣ — ٢٠٣ باختلاف لشاعر مجهول أو لحسان بن ثابت والقالى ١ — ٤٥ الأربعة الأخيرة بغير عزو واللآلى ٦٧ والرابع والخامس فى مجموعة المعانى ٣٨ للعلوى صاحب الزنج والأخيران فيه ٣٤ له أيضاً

أومى إلى الكوماء هذا طارق   نحرتني الأعداء إن لم تنحرى

وما أملح ما أنشدنيه الربعى فى هذا المعنى من قصيدة له :

أيحسبنى من بين جنبىّ داره   أضيّعُ من عهد المودّة ما رعى
إذن لا اهتدت عينى بأنجم نحره   ولا شمتُ منها بين طوقيه مطلعا

رجع (١) وقوله — من صاحب الدهر اشتكى ريبه — مأخوذ من قول عبد الله بن شدّاد فى وصية ابنه : واعلم أنّ الزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يرَ الهوان ، فكن يا بنىّ كما قال الدؤلىّ (٢)

وعدّدْ من الرحمن فضلا ونعمة   عليك إذا ما جاء للخير طالبُ
فانّ امرءا لا يُرتجى الخير عنده   يكن هيّنا ثِقلاً على من يُصاحبُ
ولا تمنعَنْ ذا حاجة جاء طالبا   فانك لا تدرى متى أنت راغبُ
أرى دُوَلاً هـذا الزمان بأهله   وبينهمُ فيه تكون العجائبُ

وأخذه المتنبي فقال (٣) :

ومَن صحب الدنيا طويلا تقلّبتْ   على عينه حتى يَرى صدقها كذِبا

وقول أبى معاذ من أبيات :

(تثاقلتُ (٤) إلاّ عن يدٍ أستفيدها   وزَورةِ أملاك أشُدُّ بها أزْرى
فلا تعجبى من خارج عن غَواية   رأى رَشَداً قد يعرض الأمر للأمرِ

(١) لا يوجد هذا القول فى الكتاب فلعله أيضاً من بيت لبشار سقط من سهو ناسخ الأصل ولا يدرى كم سقط ههنا ولا أقل من بيتين

(٢) القالى ٢ — ٢٠٥ باختلاف فى الأخير وديوانه رقم ٧٩ والأول والثالث فى غرر الخصائص ٢٤١ بغير عزو

(٣) ديوانه ١ — ٣٩

(٤) هذا البيت مع بيت آخر فى العيون ٣ — ٢٦ بغير عزو

فهذا اوانى قد شرعتُ الى النُّهى   وماتت هموم الطارقات فماتَسْرِى)

يقال : تثاقل فلان عن كذا وتغافل وتصامّ وتباكَى وتثاءَبَ اذا استعمل هذه الأشياء وتخلّق بها وليست من خلقه ولا طبعه كما قال [المتنبي] (١) :

اذا اشتبهَتْ دُموع فى خُدود   تبيّنَ من بَكى ممّنْ تَباكَى

وقال احمد بن أبى فنن (٢) :

ولمّا أبتْ عيناى أن تملكا البُكا   وأن تحبِسَا سحّ الدُّموعِ السّوَاكبِ (٣)

تثاءبتُ كى لا يُنكر الدمع مُنكرٍ   ولكن قليلٌ ما بقاء التثاؤب

وقال آخر (٤) :

إنّ التّخلُّقَ يأتى دُونه الخُلُقُ

واليد فى كلام العرب على أوْجه : فاليد الجارحة ، واليد القوة ، واليد النعمة يقال منها : أيْدَيْت عند الرجل يدًا إذا أسدَيْتَ إليه نعمة ، ويقال : يدَيْتُ الرجل إذا ضربتَ يده ، ويَدِىَ الرجل إذا شَلّتْ يده ، ويُدعَى عليه فيقال مالَـهُ يَدِىَ منْ يَدِهِ ، وجمع اليـــد أيدٍ ، وجمع أيد أياد وأكثر ما يستعمل العرب الأيادى فى مواضع النِّعَمِ وكذلك اليُدِىّ أيضاً قال النابغة (٥) :

---

(١) ديوانه ٢ — ١٥

(٢) العالى ١ — ٧٠ لابن أبى فنن كما هىنا والحصرى ٤ — ١٤٨ لاحمد بن أبى العيناء

(٣) بالأصل يخلسا

(٤) أوله : عليك بالقصد فيا أنت فاعله والبيت فى الحماسة ٣٤١ لسالم بن وابصه وله فى السيوطى ١٤٣ والكامل ١١ وفى الشعراء ٣٦٦ للعرجى وأوله أرجع الى خالقك المعروف وديدنه والبيت كذلك فى العيون ٢ — ٦ بغير عزو وفى الواحدى ٦٤١ أيضاً بغير عزو وأوله هناك : يا أيها المتحلى غير شيمته . وعلى ما فى الحصرى ١ — ٧٧ يمكن الجمع بين اختلافات أوله وفى مجموعة المعانى ١٦٠ لذى الأصبع وهناك أوله : أعمد الى الحق فيما أنت فاعله

(٥) البيت من عاثر الشعر ينسب للنابغة والأعشى وضمرة بن ضمرة النهشلى أنظر اللسان والتاج م يدى

فلن أذكُرُ النعمانَ إلاّ بصالحٍ فانّ له عنـــدى يُدِيًّا وأنْعُما

فعطف الأنعُم على اليُدِىّ وهى بمعناها لاختلاف اللفظين وقد جاء عن العرب الأيادى يريدون بها هذه الجوارح قال الراجز (١) :

كأنّـه بالصَّحْصَحَانِ الأنجَلِ قُطْنٌ سُخَامٌ بأيادى غُزَّلِ

وقال عدى [بن زيد] :

ساءها ما تأمّلَتْ فى أياديـــنا وإشناقُها (٢) إلى الأعنـــاقِ

وكذلك اليمين فى كلامهم على أوْجُهٍ أيضاً : يمين الجارحة ، ويمين القوة ويمين القسم قال المفسرون فى قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليـه السلام : «فرَاغَ عليْهِمْ ضَرْباً باليَمـين» قالوا أراد الجارحة لأنها أقوى على العمل من الشمال ، وقالوا باليمين أى بالقوة ، وقال الفراء : باليمين أراد بالقسم يعنى قوله «تَاللهِ لأكِيدَنَّ أصنَامَكُمْ» فساغ ذلك كلّـه فى تأويل اليمين فى الآية فأما اليمين التى لا تحتمل غير القسم وحده فكقول امرىء القيس (٣) :

فقلتُ يمينَ الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لدَيْكِ وأوصالى

وأما قول الشمّاخ (٤) :

رأيتُ عَرابة الأوسىّ يسمو إلى الخيرات منقطع القَرِينِ

إذا ما راية رُفعَتْ لمَجْدٍ تلقّـــاها عَرابة باليمينِ

فقال بعض العلماء قوله : باليمين أى بالقوة ، وقال أبو عمرو والأصمعى :

(١) الألفاظ ٦٧١ واللسان م يدى وسخم لجنـدل بن المثنى الطهوى وفى النويرى ٤ — ٨٧ بغير نسبة

(٢) اللسان م يدى وشنق باختلاف والأغانى ٢ — ٢٥ والأغانى الدار ٢ — ١١٦ باختلاف وابن أبى الحديد ١ — ٥٧

(٣) العقد الثمين ١٥٢ والسيوطى ١١٧

(٤) ديوانه ٩٦ و ٩٧ والشعراء ١٧٩ والعقد ١ — ٢٢٠ والكامل ٣٩٦ والخزانة ٢ — ٢٢٣

أراد يمينه لأنهـا أحمد من اليسار ، وقال غيرهما بالقدرة قال الأصمعي : والإصبع من أصابع اليـد والرِّجل ، والإصبعُ الأثر الحَسَن من الرُّجُل على عملٍ عَمِلَهَ فأحسن عَمَلَه أو معروف أسداه إلى قوم فهو يَرى أثره عليهم يقال : ما أحسن إصبعَ فلان على ماله قال الشاعر (١) :

حدَّثتَ نفسك بالوفاء ولم تكن للغَدْرِ خائنةً مُغِلَّ الاصبعِ

وقال آخر (٢) :

مَن يجعل اللهُ عليــــه إصبعا في الخير أو في الشرّ يلقاه (٣)معا

وجاء في الحديث « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الله سبحانه » قال ابن دريد أصل ذلك إن شاء الله تَقَلُّبُ القلوب بين حُسن آثاره تبارك وتعالى قال الأصمعي : والسـاعد ذراع الانسان والساعد أيضاً عِرق الضرع الذي ينزل فيه اللبن وكذلك ساعد البئر وهو مجرى المـــاء في العين وقوله إلاّ ـ عن يد أستفيدها ـ هو بمعنى أُفيدُها غيري وليس معناه أستدعيها (٤)من الناس ، وقد جاء استفعلَ بمعنى أفْعلَ كثيرا في القرآن قال سبحانه : « كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا » قيل معناه أوْقَدَ وقال سبحانه « ويَسْتَجِيبُ الذينَ آمَنُوا » وقال الشاعر (٥) :

وَداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى فلم يستجبه عنـــد ذاك مُجيبُ

أي لم يُجِبْه والأملاك جمع مَلِك ويُجمع أيضاً ملوكا وفي مَلِك أربع لغات مَلْك ومالك ومَلْك ومَليك ، وقُرِئ بمَلِكِ ومالك ولم يقرأ فيما علمتُ بمَلْك ولا مَليك إلاّ أنه في كلام العرب وقال بعض العلماء مَلِك

(١) اللسان م صبع والتاج م خون للكلابي

(٢) اللسان م صبع للبيد وديوانه طبعة ليدن باختلاف

(٣) بالأصل يلقه والصواب ما كتبناه كما هو في اللسان على حد: ألم يأتيك والأنباء تنمى

(٤) بالأصل استدعيها والناس وهو خطأ ظاهر

(٥) القالي ٢ — ١٥٣ لكعب بن سعد الغنوي وهناك القصيدة تاما

أمدح من مالك لأن المالك قد يكون غير مَلِك والمَلِك لا يكون إلاّ مالكا ورُوى أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه امرأته وقال (١) :

أشكو إليكَ ذِرْبَةً من الذِّرَبْ يا مالكَ المُلك وَديَّانَ العَرَبْ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك الله عزّ وجلّ ، وقال (٢) عبد الله ابن الزِّبَعْرَى يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم :

يا رسول المليك إنّ لسانى راتقٌ ما فتقْتُ إذ أنا بُورُ

إذْ أُجارى الشيطان فى سَنَن الغَىّ ومن مَال ميْله مَثْبُورُ

وقال آخر شاهدًا المَلْك :

مِن مشْيِه فى شعَرٍ تُرَجِّلُهْ تَمَشِّى المَلْك عليه حُلَلُهْ

والأزر قال المفسرون : هو الظهر وأصله فى اللغة العون والتقوية فيقال : أزَرْتُ فلانا على كذا أى أعنته وقوّيته ، فمعنى قوله : أشْدُدْ بها أزرى أى أقوِّى بها أمرى واستعين على دهرى والغَواية مصدر غَوِىَ الرجل يَغْوَى غَوَاية وغيًّا والرُّشد نقيض الغَىّ وفيه لغتان الرشْدُ والرَّشَدُ ويقال : الرَّشَدَى مقصور الرَّشَد أيضاً قال الراجز (٣) :

لا تَزَلْ كذا أبدا يا عُمير فى الرَّشَدَى

ويروى فى الرَّعَدَى ، والرُّشد فى الأمر إصابة الطريق المؤدّى إلى البغية فيما فيه عظيم النعمة يقال منه : رَشَدَ الانسان يَرشُد رُشْدًا ، وأرشده الله يُرشِده إرشادا ، والأوان الوقت وجمعه آونة يقال : هذا أوان كذا أى وقته ، ومنه اشتُقّ الآن وهو آخر الزمان الماضى وأول المستقبل قال

---

(١) اللسان م ذرب لاعشى بنى مازن باختلاف والعكبرى ١ — ١١٧ بغير عزو

(٢) القالى ٢ — ٢١٧ الأول والسيوطى ١٨٨ ثلاثة أبيات

(٣) اللسان م رشد

عبد الرحمن بن اسحاق أبو القاسم الزجّاجى النحوى : أصل الآن أوانٌ فحذفت الألف منه وقُلبت الواو ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها قال : وساغ ذلك فيها لمـَّا حُذِفَتْ الألف التى بعدها فصار آن كما ترى ثم دخلت عليها الألف واللام قال : وإنما يُحكم بحذف الألف دون الواو لأنها زائدة قال : ووجه آخر فى اشتقاق الآن وهو أن تكون الألف فيه مقلوبة من ياء من قولك آنَ الشىء يَئينُ كما تقول حَانَ يَحينُ ، وقوله ـ قد شرعتُ إلى النُّهى ـ أى دخلتُ فيه يقال : شَرَعَتِ الدواب فى الماء إذا دخلت فيه ، وشَرَعْت فى الدين شريعةً ، وأشرعتُ باباً إلى الطريق إذا أنفذته إليه ، وأشرعتُ الرمح قِبَله إشراعاً إذا صوّبتـه إليه وحدرته نحوه والنُّهى العقل واحدته نُهْيَة ويقال . إن فلانا لذو نُهْيَة أى انتهى إلى أمره ورأيه ، ويقال . مات يموت ويمات ، ويموت أفصح وأكثر ، والهُموم فى قوله ــ وماتت همومى الطارقات ــ جمع هَمٍ ويكون مصدر ما يَهُمُّ به الإنسان يقال . هممتُ بالشىء أهُمُّ به همَّا قال الشاعر (١) :

هل يَنْفَعَنْكَ اليومَ إنْ هَمَّتْ بِهَمْ كثرةُ ما تُوصِي وتعقَادُ الرَّتَمْ

كانت العرب إذا سافر أحدهم عن أهله عقـد فى طريقه ما يَمُرُّ به من النبات فاذا عاد من وجهه ذلك ووجد ما عقده معقوداً بحاله سُرَّ بذلك وقدّر السلامة فى أهله ، وإن وجده محلولا اغتمّ لذلك وقال : قد خانتنى امرأتى ويقال : همّنى الأمر أذابَنِي وأهَمَّنِي إذا كان من همّى وقصدى ، والطارقات التى تطرق ليلا وكلّ ما أتاك ليلا فقد طرقك ، وإنما جعل همومه طارقات لكثرتها عليه وانتيابها له وإتيانها إليـــه فى الليل ، ويقال : سَرَى وأسْرَى لغتان قال الفراء أهل الحجاز يقولون : أسرى بالألف ، وغيرهم يقول : سَرَى فمن قال : سَرَى فمصدره السُّرَى ، ومن قال :أسرى بالألف فمصدره

(١) اللسان م رتم وابن أبى الحديد ٤ — ٤٣٩ والنويرى ٣ — ١٢٥

الاسراء وأنشـــد (١) :

وليلةِ ذاتِ دُجًى سَرَيْتُ ولم يَلِتْنى عن سُراها لَيْتُ

قال : والعرب تجعل السُّرَى مؤنثا ومذكرا مثـــل الهُدَى بنو أسد يقولون : هذه هُدًى حَسَنَةٌ وغيرهم يقول : هذا هُدًى حَسَنٌ قال : والفُعَل (٢) فى المصادر قليل ، وكأنّ من أنّثه يتوهمُ أنه جمع فُعْــلَة مثل سُرْيَةٍ وسُرًى ومُدْيَةٍ ومُدًى قال . ومن ذكّر لم يجعل له واحداً ومَن أنّث جعل له واحداً واللغتان أعنى سَرَى وأسْرَى قد جاءا فى القرآن قال الله تعالى : « سُبْحَانَ الذى أسْرَى بِعَبْدِهِ ليلاً مِنَ المَسْجِدِ الحرام إلى المَسْجِدِ الأقْصَى » وقال : « فَأسْرِ بِأهْلِكَ » وقال النابغة فجمع بين اللغتين (٣) .

أسرَتْ عليه من الجَوْزاء ساريةٌ تزْجِي الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ

قال اسمعيل بن احمد . وألفاظ هذه الأبيات الثلاثة وإن كانت محتملة لما مرّ من التفسير ولا كثر منه فانّها قريبة المعانى ، وانما مُضَمَّنُها أنه يصف نفسه بالحِجا والتَحلّى (٤) من الصِّبا وأنّه لا يَخِف إلاّ الى ما كسبه فخراً وجرّ إليه أجرا ، وما أحسن ما أشار المتنبي (٥) الى هذه المعانى واختصرها فقال .

أطعتُ الغوانى قبل مَطْمَح ناظرى إلى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عنه ويَعظُمُ

فأما قول أبى معاذ — فهذا أوانى قد شرعتُ إلى النهى — فهو كقوله :

(فهذا أوانُ استحَيْتِ النفسُ وارعَوَى لِدَاتِى وراجعتُ الذى كَانَ أكرما)

---

(١) اللسان م ليت وحنى لأبى محمد الفقعسى

(٢) كذا بالأصل وقال الميمى الذى فى الأصل متحه يقول إن وزن فعل فى المصادر قليل

(٣) العقد الثمين ٦ باختلاف واللسان م سرا

(٤) الصواب التخلى عن الصبا

(٥) ديوانه ٢ — ٢٤٦

وقد مرّت نظائره ، وما أحسن قول مسلم بن الوليد (١) .

حسبى بما أدّت الأيّامُ تجربةً ... سعى علىّ بكأسيها الجديدان

دلّتْ على عينها الدنيــا وصدّقها ... ما استرجعَ الدهرُ ممّا كان أعطانى

وسأورِد وأنشِدُ طرَفاً من مكارم الأخلاق ، واجعله كالباب أختم به هذا الجزء من الكتاب قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين لنبيّــه محمد خاتم النبيين وامام المرسلين صلى الله عليـه وعلى أهله الطيّبين وصَحْبِــه المنتخبين : « خُذِ العفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِض عن الجاهِلينَ » فجمَعَ له تعالى فى هذه الآية بهذه الكلمات جميعَ الأوامر والنواهى والعظات ، ولمـّا عمل عليه السلام بما به أمِرَ وازْدجر عمّا عنه زُجِرَ واتّعَظَ بما به وُعِظ ، وصفَه سبحانه بأفخم الصفات ، ورفعَه إلى أعلى الدرجات ، فقالَ : « نَ والقَلَمِ وما يَسطُرُون ، مَا أنتَ بنِعْمَةِ رَبّك بمَجنُون ، وإنّ لك لأجْرًا غيرَ مَمْنُون ، وَإنّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيم » ، وقال النبى صلى الله عليــه وسلم : « أوّل ما نهانى ربّى عنه عبادة الأوثان ، وشُرب الخمر ، وملاحاة الرجال ، وأمرنى بالإخلاص فى السرّ والعلانيـة ، وبالعدل فى الرضا والغضَب وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأنْ أعفُوَ عمّنْ ظلمَنى ، وأحْسِنَ إلى من أساء إلىّ ، وأعطِى من حرَمنى ، وأصِلَ من قَطعَنى ، وأن يكونَ صمتِى فكراً ونَظرِى عبَرًا » ، وأراد النبى صلى الله عليه وسلم من أمّته : أن يتأدّبُوا بهذا الأدب ليكونوا من مكارم الأخلاق فى أعلى الرُّتب ، فقال : « أنهاكم عن قِيل وقال ، وعن كثرة السُّؤال ، وإضاعة المال ، وعقوق الآباء والأمهات ووَأدِ البنَــات ، ومَنع وهات » ، وقال : « ألاَ أخبرُكم بأحبكُمْ إلىّ ، وأقرَبكُمْ مِنّى مجالسَ يوم القيامةَ ، أحاسِنُكم أخلاقاً المُوَطّئُونَ أكنافاً الذين يألفُون ويُؤْلفُون » ، والعرب تُحِبّ هذا الفنّ وتصطفيه وتتَمَادَحُ

---

(١) ديوانه ٩٩

بهذا المعنى وتُغْرِقُ فيه قال المُتَنَخِّلُ (١) اليَشْكُرِيّ يرثى أخاه (٢) ويصفه بهذا الوصف :

لَعَمْرُكَ ما إنّ أبُو مَالِكٍ ... بِوَانٍ ولا بِضَعِيفٍ قُوَاهُ
وَلا بِأَلَدَّ لَــهُ نَازِعٌ ... يُعَادِى (٣) أخاه إذا ما نَهاهُ
ولكنَّه هَيِّنٌ لَيِّنٌ ... كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ عَوْدٌ نَسَاهُ
إذا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْوَاعَةً ... ومَهما وكلتَ إليــه كَفَاهُ
أبو مالكٍ (٤) قاصِرٌ فَقْرَهُ ... على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاهُ

مثل قوله — ولكنَّه هيّن ليّن — قول الآخر (٥) :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيْسَار ذَوُو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبنـــاء أيسارِ
لا يَنطِقُون عن الفحشاء إن نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ من مارَوْا بإكثارِ
مَن تلقَ منهم تَقُل لاقيتُ سيدَهم ... مثلَ النجوم التى يَسْرِى بها السارى

ونحو هذا البيت ما أنشدنيه الرَّبْعِيّ أبو الحسن بن الخَيَّاط من قصيدة له فى الأمير بن صمصام الدولة وأخيه مؤَيد الدولة ابنى مرتضى الدولة :

كلاهما زِينَ أخوه به ... كما يزين الفَرقدَ الفرقدُ
مَن تَرَهُ منفردا منهما ... فى مجلس قلتَ هو السيّدُ

---

(١) الصواب المتنخل الهذلى واليشكرى انمـا هو المنخل فلعل الشارح وقع فى الالتباس والأبيات فى ديوان المتنخل الرقم ٤ والشعراء ٤١٧ والحصرى ١ — ٧٣ غير الأخيرباختلاف والخزانة ٢ — ١٣٥ والمرتضى ١ — ٢٢٢ و ٢٢٣ والأغانى ٢٠ — ١٤٦ و ١٤٧

(٢) تبع الشارح ابن قتيبة انظر الشعراء وفى الأغانى والخزانة يرثى أباه وهو الصواب

(٣) بالأصل يقادى والـكلمة بصور مختلفة فى الـكتب ففى الخزانة يغـارى والمرتضى بغازى والشعراء والأغانى يعادى واذ كان هذا الأخير أقرب مما فى الأصل اخترناه

(٤) هذا البيت فى العيون ٣ — ١٧٩ لبريق الهذلى

(٥) القالى ١ — ٢٤٤ وفى الحماسة ٦٩٩ للعرندس والحصرى ٤ — ٩٧ لـكلابى وفى العيون ١ — ٢٢٦ والـكامل ٤٨ بغير عزو

ومثل البيت الأخير من أبيات المتنخل قول حاتم الطائى (١) :

وإنى لَعَفٌّ الفقر مشترك الغنى   وتارِكُ شكلٍ لا يُوافقه شكلى

وشَكْلِى شكل لا يقوم بمثله   من الناس إلاّ كل ذى نِيقَةٍ مثلى

ولى نِيقَة فى المجد والبذل لم يكن   تأنَّقهـا فيما مضَى أحد قبلى

ومنه قول الآخر (٢) :

أسـد ضارٍ إذا مانعتَه   وأبٌ بَرٌّ إذا ما قدرا

يَعرف الأقصى إذا استغنى ولا   يَعرف الأدنى اذا ما افتقرا

وأخذه يزيد بن محمد فقال :

عُسرى على نفسى ويُسرى مشترَكٌ

ونحوه قول أعرابية (٣) فى ابنيها ترثيهما :

إذا استغنيا حُبَّ الجميع اليهما   ولم ينأ عن نفع الصديق غناهما

إذا افتقرا لم يُلحيا (٤) خشية الرَّدى   ولم يخش رُزْءًا منهما موليَاهما

وقال حاتم (٥) :

إذا ما بخيل النـاس هرّتْ كلابُه   وشقّ على الضيف الغريب عقورُها

فانى جبان الكلب بيتى موَطّـأ   جواد إذا ما النفس شحّ ضميرُها

وإنّ كلابى قد أقِرّتْ وعوِّدَتْ   قليل على من يعتريهـا هريرُها

وأُبْرِزُ (٦) قِدْرى بالفِنـاء قليلُها   يُرَى غير مضنون به وكثيرُها

(١) ديوانه ٦ والقالى ٣ — ١٥٥ الأولان وفى غرر الخصائص ٢٦٩ أربعة أبيات

(٢) الحصرى ٢ — ٩٩ للصولى والغيث ١ — ٤٣ والأدباء ١ — ٢٦٩

(٣) الحماسة ٤٧٤ لعمرة الخثعمية

(٤) كذا بالأصل وفى الحماسة يجثما

(٥) ديوانه ٢٧ والثلاثة الأولى فى الحيوان ١ — ١٩٣

(٦) هذا البيت فى القالى ٣ — ١١١

وليس على نارى حجاب أكُفُّها لمستقبِس ليلا ولكن أشيرُها (١)
فلا وأبيك ما يظَلُّ ابنُ جارتى يطوف حَوَالَىْ قِدرنا لا يطورُها
ولا تشتكينى جارتى غير أنَّنى إذا غاب عنها بعلها لا أزورُها
سيبلغها خَيْرى ويرجع بعلهـــا اليها ولم تُقْصَرْ علىّ ستُورُها

مثل قوله — بيتى مُوَطّأ — قول أبى السفّاح (٢) :

يا فارِسًا ما مثله فارسٌ مُوَطّـأ البيت رحيبُ الذِراعْ
قوّالُ معروفٍ وفَعّالُـــه عَقّارُ مَثْنَى أمّهات الرِّباعْ
لا يخرج الأضيافُ مِن بيته إلّا وهم منـه رِوَاء شِباعْ

وقال زهير فى هذا النَّمَط (٣) :

رأيتُ ذوى الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا نبت البقـــلُ
هنالك إن يُستَخبَلُوا المال يُخبِلُوا وإن يُسئلوا يُعْطوا وإن ييَسِرُوا يُغْلوا
وإن جئتَهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يُشْفَى بأحلامها الجهلُ
وفيهم مقـامات حسان وجوههم وأنْدِيَة ينتابهـا القول والفعـلُ
على مُكثريهم حقّ من يعتريهم وعند المقِلّين السماحة والبذلُ

الاخبال : أن يُعطى الرجلُ الرجلَ البعير أو النـــاقة يركبها وينتفع بوَبَرها ولبنها وذلك شىء كان بعضهم يفعله لبعض فى الجدب ، فاذا أخصبوا ردّها إلى ربّها ومعنى قوله — وإن ييسروا يغلوا — أى لا يقامرون إلاّ على

---

(١) كذا بالأصل وفى الديوان أنيرها وما فى الأصل صحيح أيضاً يقـال أشار النار رفعها راجع اللسان م شور

(٢) مقطعـات مراث ١١٦ والمفضليات ٦٣٠ و ٦٣١ للسفاح بن بكير بن معـدان اليربوعى والصواب فى هذا الاسم أبو السفاح بكير بن معـدان وانما وهم المفضل فيه نبه على وهمه صديقنا الميمنى فى مقالة ألقاها فى الحفلة الشرقية بيتنه ١٩٣٠ م

(٣) النقد الثمين ٩١ والخزانة ١ — ٢٤

غالٍ ولا ينحرون من الابل إلا السمان الغوالى الأثمان وقال الأعور[١] الشنّىّ:

لقد عَلِمَتْ عُمَيْرَةُ أنّ جارى إذا ضَنَّ المُشَمَّرُ مِنْ عيالى
وإنى لا أضَنُّ[٢] على ابن عمّى بنصرى فى الخطوب ولا نوالى
ولستُ بقائل قولاً لأحظَى بقول لا يصدّقه فَعالى
وما التقصير قد علمت معدّ وأخلاق الدنيّة من خلالى
وجدتُ أبى قد اورثه أبوه خِلالاً قد تُعَدّ من المَعالى
فأكرمُ ما تكون علىّ نفسى إذا ما قلّ فى اللّزَبات مالى
فتحسُن سيرتى وأصون عرضى ويَجْمُلُ عند أهل الرأى حالى
وإن نلتُ الغِنى لم أغلُ فيه ولم أخْصُصْ بجفوتى الموالى
ولم أقطع أخاً لأخ طريفٍ ولم يَذْمُمْ لِطَرْفَيْهِ[٣] وِصالى

مثل قوله — فأكرم ما تكون علىّ نفسى — البيت والذى بعده ما أنشدنيه مؤدّبى أبو القاسم بن أبى البِشر[٤] رحمه الله لبعض المولّدين:

شرفٌ بالفتى إذا هو أقنَى ماله أن يُرى على الفقر جَلْدا
عِش عزيزاً أومُتْ وأنت فقيد[٥] لا تَضَعْ للسؤال بالذُّلّ خدّا
كم كريم أضاعه الدهر حتى أكل الدهر منه لحما وجلدا
كلّما زاده الزمان اتّضاعا زاد فى نفسه عُلُوّا ومجدا

---

(١) القالى ٢ — ٢١٠ والشعراء ٤٠٧ والثالث فى حماسة البحترى ١٤٤ والأخير به أيضاً ٧١

(٢) بالأصل بالظاء

(٣) كذا بالأصل وفى القالى وحماسة البحترى لطرفته وهو الصواب

(٤) بالأصل البشر بفتح الباء ولا نعرف اسما مثله فلعله بالكسر

(٥) بالأصل بالواو والصواب أو وهذا مثل قول المتنبى: عش عزيزا أو مت وأنت كريم بوانه ١ — ١٩٩

وقال سالم بن وابصة (١) :

أُحِبُّ الفتى يَنفِي الفواحش سمعُـه ... كأنَّ به عن كل فاحشة وَقرا

سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذًى ... ولا مانعاً خيراً ولا ناطقا هُجرا

إذا ما أتَـتْ مِن صاحبٍ لك زَلَّـةٌ ... فكُنْ أنت محتـالا لزَلَّته عذرا

غنى النفس ما يكفيك من سَدِّ خَلَّـة ... فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قريب من هذا البيت الآخر قول المتنبي (٢) :

ومن يُنفق الساعات فى جمع ماله ... مخافة فقر فالذى صنع الفقرُ

وأفضل من هذا قوله أيضاً (٣) :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ... ما قاتَه وفضول العيش أشغالُ

وقال قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ (٤) :

إنّى امرؤ لا يَعترى خُلُقى ... دَنَس يُفَنِّـدِه ولا أفنُ

من مِنقَرٍ فى بيت مكرمة ... والغُصن يَنبُت حوله الغصنُ

خطباء حين يقوم قائلهم ... بِيضُ الوجوه أعِفَّةٌ لُسُنُ

لا يفطَنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جواره فُطُنُ

وكان قيس هذا كريما حليما فارساً شجاعاً ، قال الأحنف بن قيس : كنّا نختلف الى قيس بن عاصم فنتعلم منه الحلم كما نتعلّم العلم ، وذُكر (٥) أنّ قيسا هذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فقـال : هذا سيد أهل الوبر فقال

---

(١) الحماسة ٥٠٩ والأخير فى العكبرى ٢ — ٢٠٥ والنويرى ٣ — ٢٤٧

(٢) ديوانه ١ — ٣٣٠ والمعاهد ٢ — ١٨٦

(٣) ديوانه ٢ — ٢٠٥ والحصرى ١ — ١٦٤

(٤) القالى ١ — ٢٤٣ والحماسة ٦٩٥ والعيون ١ — ٢٨٦ والعقد ١ — ٢١٨ والحصرى ٤ — ١٠٤

(٥) هذا الخبر مذكور فى الأغانى ١٢ — ١٤٦

يا رسول الله: خبِّرْنى عن المال الذى لا يكون علىّ فيه تَبِعَةٌ من ضيف ضافنى أو عيال كثروا قال: «نِعْمَ المال الأربعون والأكثر ثمانون، وويل لأصحاب المئين إلاّ من أعطى من رِسلها، وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها، ونحر سمينها، وأطعم القانع، والمُعْتَرّ» قال: يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق؟ وما يُحَلُّ بالوادى الذى أكون فيه من كثرة إبلى قال: فكيف تَصنَعُ بالطَّرُوقَة: قال تغدو الابل وتغدوا الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به قال: فكيف تصنع فى الافقار، قال: إنّى لأُفْقِر البَكْرَ الضَّرَعَ والناب المُسِنَّة قال: فكيف تصنع بالمنيحة(١)، قال: إنّى لأمنح فى كلّ عام مائةً، قال: فأىّ المال أحبّ إليـــك أمالك أم مال مولاك قال: بل مالى، قال: «فمالك من مالك إلاّ ما أكلتَ فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت» فقال: قيس لا جَرَمَ والله لَيَقِلنَّ شديدُها، وأُتِىَ قيس يوما وهو فى ناديه بابنه مقتولا وبابن أخيه مكتوفا فقيل له: يا أبا علىّ هذا ابنك قد قتله ابن أخيك فما حَلَّ حُبْوَته ولا كَلمَهُمْ حتى قضى سُبْحَته، ثم أقبل على ابن أخيه فقال: قتلتَ ابن عمّك، وفَتَتَّ فى عضدك، وقلَّلتَ عددك، فلا أبعـــد الله غيرك، ثم أقبل على ابن أخ له آخر فقال: قم يا بُنَىَّ فَاحْلُلْ كِتاف ابن عمك، وسُق إلى أم أخيك مائةً من إبلى دية ابنها؛ فانها غريبة فينا، ومن نهاية الكرم وغاية حسن الشِّيَم العفو بعد القدرة، والمؤاساة عند الحاجة، وإقالة العثرة، والصبر عند النوائب، والتجاوز عن الجرائم، والاغضاء عن المحارم. قال أبو يعقوب اسحاق بن حسَّان الخُرَيْمِىّ مولَى لخُرَيْمٍ الناعم وهو من بنى مُرَّة بن سعد بن قيس من قصيدته المشهورة:

أسُرُّ خليلى شاهداً وأبَرُّه ... وأحفَظه بالغيب حين يغيب
وإنى لسهل الوجه للمُبْتَغِي النَّدَى ... وإنّ فِنائى للقِرَى لرَحيبُ
أُضاحِكُ(٢) ضيفى قبل انزال رحله ... ويُخْصِبُ عندى والمَحَلُّ جديبُ

(١) بالأصل المنحة (٢) هذا البيت والذى بعده فى الشعراء ٥٤٤ والعيون ٣ — ٢٣٩ والمعاهد ١ — ٨٨ والعقد ١ — ٨٧ لحاتم وفى المرتضى ٢ — ١٢٣ لمسكين

وما الخِصبُ للأضياف أن يكثُرَ القِرَى ولكنّما وجه الكريم خصيبُ
وإنّى لتَصفُو للخليل سريرتى وقد جعلَتْ أشياء منه تُريبُ
أعاتبهُ مَزْحاً وأعرض بالتى لها بين أثناء الضلوع دبيبُ
أخاف لَجاجات العتاب بصاحبى وللجهل من قلب الحليم نصيبُ
ليَخْبَى دفين مِن مَوَدّة بيننا فيُخلف ظنّ أو يثوب غريبُ
فانْ فاء لم أعدُدْ عليه ذنوبه وهل بعد فَيْئات الرجال ذنوبُ
وإن لجّ فى هجرى صفحتُ تكرّماً لعلّ الحجا بعد العزُوب يثوبُ
وصُنْتُ أديمَ الوجه منه ولم يزل وفائى له حتى يزول عسيبُ
ولم أفشِ سرّاً كان بينى وبينه وللسرّ راعٍ حافظ ورقيبُ
فانّى لذو قلبين قلبه مشيّع وقلب جبَان إن سالتَ هيُوبُ
جرىّ على ما زيّن العِرض هائب لتلك التى يُخزَى بها ويَحُوبُ
أشاور أهل الرأى فيما ينوبنى وإن كان لى رأىٌ أحذُّ صليبُ
فما أرَ لا يُشْكِلْ علىّ صوابَهُ وأحدِس فيما لا أرَى فأصيبُ
ولا أدّعى بالجهل علماً لسائل ولا أحسُدُ المسئولَ حين يُجيبُ
ولا أسأل الولدانَ عن وجه جارتى بعيداً ولا أرعاه وهو قريبُ

وسلكت أنا هذا الأسلوب فيما كتبت به إلى أبى الحسن على بن جيش الشيبانى فقلتُ من قصيدة أوّلها :

إنّ الوفاء بذِمّة الأحرارِ شِيَمُ الكِرام السادة الأخيارِ
طُبِعَت على حُبّ الحِفاظ خلائقى كرَماً ورَفْضِ خلائق الأشرارِ
أهوَى الوفاء ولو جرَتْ أسبابه بمساءتى أو كان فيه بَوارى
مَن زلّ عن نهج الوفاء فانّنى منه على سَنَن المَحجّة جارِ
لا أكْتَسِي خُلُقَ المصافى دائباً وعلى البِعاد خلائق الغدّارِ

لكننى أرعى الاخاء مصافيا ... وأرى الصفاء على تنائى الدارِ

وأسُرُّ بالبِشرِ الضيوفَ إذا عرَوْا ... قبلَ القِرَى وأبَرُّ جارَ الجارِ

شِيَمٌ لآبائى امتطيتُ جيادَها ... فجرَيْنَ بى منهم على الآثارِ

فهمُ إمامى فى المكارم كُلّها ... وهم إمامى فى اجتناب العارِ

سُقِيَتْ مضاجعُ أسْرَتى ما غرّدتْ ... سَحَرًا على شجر الأراك قمارى

وغدَا على الاسكندرية عارضٌ ... تَجِمُّ الرواعد طيّبُ الأمطارِ

فسقَى القَرَافَةَ رِيُّها من غير ما ... عَيْثٍ يَحُلُّ بها ولا إضرارِ

فهنـــاك لى خلٌ أقامَ وعاقَنى ... عن أن أقيم عوائقُ الأقدارِ

خِلٌ (١) بلوتُ خلالَه فوجدتُها ... محمودةً فى الجهر والاسرارِ

عَلِقَتْ يدى منه بأروعَ ماجدٍ ... جَمٌّ الفضائل طيّب الأخبارِ

كرمت أرُومته وأشرق وجهه ... وصفَتْ خلائقُه من الأكدارِ

وَشأى الأفاضلَ واستَبَدَّ بِرُتْبة ... أعيَتْ على الأدباء والنُظّارِ

كم سابقٍ جاراه فى مِضماره ... فكَبَا وجازَ نهايةَ المِضمارِ

وقال أبو فراس الحارث بن سعيد بن حَمْدَان (٢) :

انا إذا اشتَدَّ الزمَا ... نُ بصَرْفِه ثُمَّ ادلَهَمّ

ألفيتَ حول بيوتنا ... عُدَدَ الشجاعة والكَرَمْ

لِلِقَى العِدَى بيضَ السُّيو ... فِ وللنَّدَى حُمْرَ النَّعمْ

هــذا وهذا دأبُنا ... نَقْرِى دمًا ونُرِيقُ دَمْ

وقال هشام بن عبد الملك ويقال إنه لم يقل غيره :

إذا أنت لم تعص الهوَى قادَكَ الهوى ... إلى بعض ما فيــه عليكَ مَقَالُ

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى

(١) سبقت هذه الأبيات (٢) ديوانه ١٨ باختلاف واليتيمة ١ — ٢٧

الله عليه وسلم يقول : « لا فقر أشدّ من الجهل ، ولا مال أعوَدُ من العقل ، ولا مظاهرة كمشاورة ، ولا ورَع كالكفّ ، ولا عقل كالتدبير ولا إيمان كالحياء ، ولا حَسَبَ كحُسْن الخُلُق » وقال صلى الله عليه وسلم لأبي أيّوب الأنصاري : « ألاَ أدُلّكَ يا أبا أيوب على صدقة يرضاها الله جلّ وعزّ قال : بلى يا رسول الله قال : تُصلح بين الاثنين إذا تفاسدا أو تُقارِبُ بينهما إذا تباعدا ، وتُطْعِم الطعام ، وتُفشى السلام ، وتَمْشِي فى عباد الله بالنصيحة » وقال بعض الحكماء : من لم يرغب فى ثلاث بُلِيَ بستّ : من لم يرغب فى السلامة بُلى بالشدائد والامتهان ، ومن لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والخِذْلان ، ومن لم يرغب فى المعروف بلى بالندامة والخسران . قال آخر : من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعا : من كان جواداً لم يعدم الشرف ، ومن كان ذا وفاء لم يعدم الثِقَة ، ومن كان صدوقا لم يعدم القبول ، ومن كان شكورا لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السُؤْدَد ، ومن كان منصفا لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة ، وقال آخر : من أُعطِيَ خمسا لم يُمْنَعْ خمسا : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الدعاء لم يمنع الاجابة ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخِيرَةَ ، ومن أعطى المَشُورَةَ لم يمنع الصواب وقال آخر أربع من شيم الأخيار : العزاء عمّا فات ، والصبر على ما هو آت وربط الجأش على المُلمّات ، والاقتصار على الممكنات ، وقال المأمون لمحمد بن عبّاد المهلّبي : أنت متلاف ، فقال : يا أمير المؤمنين منع الموجود ، سوء ظن بالمعبود ، لقوله تعالى « وما أنفقتُمْ من شيء فهو يُخْلِفُه وهو خيْرُ الرّازِقِينَ » قال الشاعر (١) .

بدَا حين أثْرَى باخوانه ... فقَلّلَ عنهم شَبَاةَ العَدَمْ
وذكّرَه الحَزْمُ غِبّ الأمور ... فبادرَ قبل انتقال النِّعَمْ

(١) الحصرى ٢ — ١٨٦ الجاحظ والمرتضى ١ — ١٤١ له وفى العيون ٣ — ١٧٦ بغير عزو

وقال أبو جِلْدَةَ اليشكرى (١) .

ولستُ بلاحٍ لى نديمـاً بزَلَّةٍ ولا هَفْوَةٍ كانت ونحن على الخَمْر

عَرَكْتُ بجَنْبي قولِ خدنى وصاحبي ونحن على صهباء طيّبه النشرِ

وما زلتُ أسقيه وأشربُ مثل ما سقيتُ أخى حتى بدا وضَحُ الفجرِ

فلمّا تَبَاذَى قلتُ خُذْها عَرِيقَةً فانك من قوم جَجَاجِحَةٍ غُرّ

وأيقنتُ أنَّ السكر طارَ بقلبه فأغرقَ فى شتمى وقال وما يدرى

أخذ معنى البيت الأول من هذه الأبيات على بن الجهم فقال .

لا يأخذون على السكران زَلّتَه ولا يَرَيبُهُمُ من شأنه رَيْبُ

وأصله لحسان بن ثابت فى قوله .

لاأخدِشُ الخَدْشَ بالجليس ولاَ (٢) يَخْشَى نَدِيمى إذا انتشيْتُ يدى

وقال الفرزدق (٣) :

إنى ليَنْهَانى عن الجهل فيكمُ إذا كدتُ خَلاَتٌ من الحلم أربعُ

حيـاء وبُقيا وانتظار وأننى كريم فأعطى ما أشاء وأمنعُ

فانْ أعْفُ أستَبْقِى حُلومَ مجاشعٍ فانَّ العصا كانت لذى الحلم تُقرَعُ

ذو الحلم هو ذوالاصبع العدوانى وكان حكيم العرب فى الجاهلية فلمّا كَبِرَ وخَرِف كان ربما خلَّط فى حكمه ، وكانت له ابنة ذكيّة فعرّفته بما يجرى منه ، فأمرها بأن تقرع له العصا إذا أحسَّتْ منـه بشيء من ذلك ليفطَنَ فيرجع ، فضربت العرب به المثل قال المتلمّس (٤) :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا وما عُلِّمَ الانسان إلاّ لِيَعلَمَا

وقال معن بن أوس (٥) :

---

(١) الشعراء ٤٦٠ باختلاف

(٢) ديوانه ٦١ والكامل ١٤٨ (٣) ديوانه ٢١٦

(٤) الشعراء ٨٦ والعيون ٢ — ٢٠٥ والنورى ٣ — ٦٤ والمعاهد ١ — ٢٤٨ والأغانى ٣ — ٣ (٥) الغالى ٢ — ٢٣٨ والصناعتين ٤٠

لعمرك ما أهويتُ كَفِّى لريبةٍ ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دَلَّنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعــلم أنى لم تصبنى مصيبة من الدهر إلاّ قد أصابت فتىً قبلى
ولستُ بماشٍ ما حَييت لمنكَرٍ من الأمر لا يمشى لأمثاله مثلى
ولا مُؤثِرٍ نفسى على ذى قرابة وأوثر ضيفى ما أقام على أهلى

وقال النعمان بن بشير (١) :

وإنى لأُعطى المال من ليس سائلاً وأُدْرِكُ للمولى المُعــاند بالظلمِ
وإنى متى ما يَلقَنى صارماً له فما بيننا عند الشدائد من صرمِ

وقال الحسن البصرى : إنّ من أخلاق المؤمن قوةً فى دين ، وحَزْماً فى يقين ، وقصداً فى غِنى ، ونشاطا فى هدى ، وبِرًّا فى تقوى ، وعزما فى علم وفقها فى سنة ، وإعطاءً فى حقّ ، وتجمُّلاً فى فاقة ، وكسبا من حلال . أخذ قول الحسن — وتجمّلا فى فاقة — بعض الشعراء فقال :

وإذا افتقرتَ فلا تكُنْ (٢) مُتَخَشِّعــا وتَجَمَّــلِ
وإذا نَبَــابكَ منزلٌ أو دمنــة فتحوَّلِ

ووعظ أعرابىّ قوما فقال : يا قوم إنّ يسار النفس أفضل من يسار المال ، فمن لم يُرزق غِنًى فلا يُحْرَمَنّ تقوًى ، فَرُبَّ شَبعان من النِعَم غَرْثَان من الكرم ، وأصل هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض وإنما الغنى غنى النفس » ونحو من هذا المعنى أو قريب منه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن بن الخيَّاط من أبيات له :

وما طَمَعُ الانسان إلاّ مذَلّة ومَن قنع استغنَى وإن لم ينَلْ وَفْرا

(١) العيون ٣ — ٩٧ خمسة أبيات والعينى ٢ — ٣٧٨ باختلاف وفى السمط أن البيتين فى الاستيعاب ٣١٠

(٢) الدماميني شرح الخزرجية ٧٠ وهو من شواهد العروض فى الكامل المجزوء والبيتان مأخوذان من قصيدة عبد القيس بن خفاف البرجمى فى اللسان م كرب والقصيدة من الكامل التير المجزوء

وبعضُ الرجال كلّما زاده الغنى   غنًى زاده بالحرص فى نفسه فقرا

صَبّ أبو الحسن على قالب أبى العتاهية هذا البيت الثانى من بيته وأورده فى قوله .

أرى صاحبَ الدنيا بها حيثما أمّا   إذا ازداد مالاً زاده ماله غَمّا

وقال المتوكّل الليثىّ (١) .

إنّ الأذلة واللئام مَعاشرٌ   مولاهم المتهضّم المظلومُ

وإذا أهنتَ أخاك أو أفردتَه   عمداً فأنت الواهن المذمومُ

لا تتّبع سُبُلَ السفاهة والخنا   إنّ السفيه مُعَنّف مشتومُ

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتى مثله   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر (٢) وذكر قوما أحسنوا إليه .

جزَى اللهُ جوّاباً وعمْراً ونائلاً   جزاء الوَصُول المُنعِم المتفضّل

هم خلطونى بالنفوس وأكرموا الثّـواء وجادُوا بالسَّوام المُوكَّل

ولم يسأمُوا مَثْوَاىَ سبعاً كواملا   كأنى فيهم بين أهلى ومحفلى

سَأوْليهم شكراً يكون كفاء ما   وَلَوْنى به ما بَلّ رِيقىَ مِقْوَلى

ونحو هذا قول الآخر (٣) :

جزى الله عنّا جعفراً حين أزلقتْ   بنَا نعلُنا فى الذاهبين فزَلّتِ

أبوْا أن يَمَلّونا ولو أنّ أمّنا   تُلاقِى الذى لاقَوْه منّا لَمَلّتِ

وقال معن بن أوس (٤) :

(١) حماسة البحترى ١١٧ الأولان لبدر بن علماء العامرى والأخير فى العقد ١ — ٢٥٧ وفى السيوطى ١٩٤ لأبى الأسود والأخيران فيه ٢٦٤ لمتوكل بن عبد الله الليثى والأخير فى الخزانة ٣ — ٦١٧ له أيضاً   (٢) القالى ٢ — ١٧٧

(٣) الحصرى ١ — ٣٢ لطفيل الغنوى وفى مجموعة المعانى ٩٨ لأبى قران والاسان م شرف الأول غير نسبة

(٤) القالى ٢ — ١٠٣ و ١٠٤ وهناك القصيدة تماما وحماسة البحترى ٢٤١ والأغانى ١٠ — ١٥٨ ستة أبيات وكذلك فى المعاهد ٢ — ١١٧ والحصرى ٣ — ٢٣٣ والخزانة ٣ — ٢٥٩ باختلاف

وذى رَحِمٍ قلّمتُ أظفار ضغنه ... بحلمىَ عنــه وهو ليس له حلمُ
يُحاول رَغمى لا يُحاول غيرَه ... وكالموت عندى أن يَحُلَّ به الرَّغمُ
فان أعفُ عنه أُغضِ عيناً على قذًى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علمُ
وإن انتصِرْ منه أكن مثل رائشٍ ... سهامَ عدُوٍّ يُستهاضُ بها العظمُ
صبرتُ على ما كان بينى وبينه ... وما يستوى حرب الأقارب والسِّلمُ
وبادرتُ منه الأمر والمرء قادر ... على سهمه ما كان فى كفّه السهمُ
وما زلتُ فى لينى له وتَعَطُّفِى ... عليــه كما تَحنُو على الولد الأمُّ
وخفضى له منّى الجنـــاح تألّفًا ... لتُدْنيَــهُ منّى القرابةُ والرَّحْمُ
وقولى إذا أخشَى عليــه مصيبةً ... ألا اسلمْ فداك الخالُ ذو القعدو العَمُّ(١)
وصبرى على أشياء منـــه تُريبنى ... وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظمُ
لِأستَلَّ منه الضِّغْنَ حتى استللتُه ... وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرمُ(٢)
وأبرأتُ غِلّ الصدر منه توسّعًا ... بحلمى كما يُشفَى بأدوية كَلْمُ
وأطفأتُ نار الحرب بينى وبينه ... وأصبح بعد الحرب وهو لنا سِلْمُ

وقال بعض الحكماء : مهما يكن فى الملك من شىء فلا ينبغى أن يكون فيه خصال خمس : لا ينبغى أن يكون كذّابا ؛ فانه إذا كان كذّابا فوعد خيراً لم يُرْجَ أو شرًّا لم يُخَفْ ، ولا ينبغى أن يكون بخيلاً ؛ فانه إذا كان بخيلا لم يُناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلاّ بالمناصحة ، ولا ينبغى أن يكون حديدا ، فانه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعيّة ، ولا ينبغى أن يكون حَسودا فانه إذا كان حَسودا لم يُشرِّف أحدا ولا يصلح النـاس إلاّ على أشرافهم ، ولا ينبغى أن يكون جباناً ؛ فانّه إذا كان جباناً اجترأ عليه عدوّه وضاعت ثغوره ، وقال أعرابى لآخر يعظه : دَعْ ما يسبق إلى القلوب (٣) وإنكارُه وإن كان عندك اعتذاره ؛ فما كلّ من حكى عنك أمراً تطيق أن توسعه عُذْرًا

(١) كذا بالأصل وفى القالى القعد بتقديم العين على القاف
(٢) بالأصل الحرم بالحاء المهملة (٣) الصواب حذف الواو

وممّا اخترته من شعر بشّار بيتان (١) يصف فيها هَنَه وهما .

(وصاحب نافع لى طولَ صحبتِه لا ينفع الدهرَ إلاّ وهو محمومُ
تأتيك فى نَافِضِ الحُمّى مَكارِمُهُ فإن أفاق بدا فى وجهه اللُّومُ)

فهممتُ أن أسقطهما تنزّهاً عن الرفث ، ثم ذكرت حكايات كثيرةً وأحاديث عن السلف رضوان الله عليهم غزيرةً كلها تُسهّل السبيل إلى إثباتهما فأثبتُّهما ، فمن ذلك الأخبار ما رُوى عن أبي الهيثم خالد بن يزيد أنه قال : لمّا بويع لابراهيم بن المهدى بالخلافة طلبنى وكان يعرفنى فأدخِلتُ عليه فلمّا مَثَلتُ بين يديه وسلّمتُ عليه بالخلافة أجلسنى وقال : يا خالد أنشِدْنى فقلت : يا أمير المؤمنين ليس شعرى ممّا قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لَحُكْمًا » ، وإنما أعبَثُ وأمزح به ، فقال : يا خالد لا تقل هكذا (٢) فالعلم جدّ كله ، ورُوى عنه أيضاً أنه قال له : جدّ الأدب جدّ وهزله جدّ ، وقال الأصمعى يوما فى مجلسه : لا تَحقِرَنّ شيئاً من العلم قيل فى جدّ أو هزل فرُبما نيلَ بهزل العلم ما لم يُنَل بجدّه ، ولقد سألنى أمير المؤمنين هارون الرشيد يوما فقال : يا أصمعى من الذى يقول ولا أستعمل المُرْدِى وما معناه ، فقلت : يا أمير المؤمنين هذا يقوله فلان الشاعر فى سَحّاقة وأوّله :

قالت هند البَظْرَ إيما أطيبه عندى (٣) أحُكُّ الفِهْرَ بالفِهْرِ ولا أستعمل المُرْدِى

فضحك الرشيد حتى استغرب ، وقال : أهكذا يا أصمعى قلت نعم يا أمير المؤمنين ، فأمر لى بجائزة سنيّة فكانت أوّلَ مال اعتقدتُه ، ورُوى أنّ بعض التابعين سُئل عن إنشاد الرّفث فى الشعر وقيل له : إن قوما

(١) مجموعة المعانى ١٤٧ بغير نسبة وباختلاف وبغير عزو أيضاً فى الشريشى ٢ — ٢٤٤
(٢) بالأصل هكذى (٣) بالأصل البطرء

يقولون إنه كَلِمًا ينقِضُ الوضوء ويفسد الصلوة، فنهض قائما وتوجَّه إلى القبلة ثم أنشد (١) :

إنْ تَصْدُقِ الطيرُ نَنِكْ لَمِيسَا

الله أكبر فصلى صلاة ثم استقبل السائلين، فناب لهم ما رأوا من فعله عن استدعاء المجاوبة عمّا سألوا عنه بقوله، وقال أبو فراس الحمدانى (٢) :

أُرَوِّحُ القلب ببعض الهزلِ   تجاهلاً منّى بغير جهلِ
أمزح فيه مزح أهل الفضلِ   والمزح أحياناً جِلاء العقلِ

وقريب من قوله — بدا فى وجهه اللوم — قول راشد بن اسحاق أبى حكيمة الكاتب :

تنبَّهْ أيها الأير النَّؤُومُ   إلى كم أنت رقّاد ملومُ
إلى كم أنت بين يدىّ مُلْقَى   تُحَرَّك للقيام فلا تقومُ
ألم تر أنّ نوم الأير عمّا   يلام به الفتى فَشَل ولومُ

وقال أبو نواس لابن بخْتَيْشُوع الطبيب يتهكّم به ويهجوه :

أنت عندى فليسوف وبصير بالعِلَلْ   فلِمَ الأير خفيف فاذا قام ثَقُلْ
فاذا فرّغ ما فيه تراخَى وذَبُلْ

وإذ أفضنا فى هذا الحديث، وأفضينا إلى هذا الباب، فسنذكر منه أوصافاً تفرّد بها هذا الجزء من هذا الكتاب؛ ليكون معنى على حدته مشبعا، وفنّا متصرّفا فيه لقارئه مُمتعا، ائتماما فى ذلك بكبراء المؤلفين، وجريا على منهاج فضلاء المصنفين، واختلاطا بملكهم، وانخراطا فى سلكهم. فقد رأيت لهم فى صفات الذكور (٣) والأحراح ما يخفّ ذكر أكثره على

(١) أوله: وهن يمشين بنا هميسا * والبيت فى العيون ١ — ٣٢١
(٢) اليتيمة ١ — ٦١
(٣) الشائع فى جمع الذكر المذاكير وقد يجمع على الذكور أيضاً راجع اللسان

الأرواح ويؤدّى الى الطرب والارتياح ، فمن اسماء الأير ونعوته وخلقه وما قيل فيه : هو الذكر والأير والزُّبّ ، وثلاثة أزباب ، وأزُبّ ، والكثير الزِّبَبَة ، والجُرْدَان وجمعه جرادين ، والعُجارم ، والقُسْبُرِىّ ، والقَزْبُرِىّ ، والغُرمول ، فاذا كان شديد القيام يابساً فهو القاسح ، فاذا اهتزّ فى قيامه قيل عتَرَ يعتِرُ عتْرًا وعتُورا قال الشاعر (١) .

تقول إذْ أعجبها عتُورُهُ وغاب فى كَعْثَبِهَا جذْمُورُهُ

أستقدر اللهَ وأستخيرُهُ

وقالت (٢) امرأة من العرب لأخرى : أىُّ الأيور أحبّ إليك ؟ قالت : أحبُّها إلىّ الصغير ضُمْرُه ، العظيم نَشره ، الشديد عَتره ، الغزيز قطره ، الذى إذا أصاب حفَر ، وإن أخطأ قشَر ، وإن جرَحَ عقر ، فاذا كان غليظا شديدا فهو العَرْد ، وأعظم منه القَهْبَلِسُ قال الراجز (٣) .

يمشى بعَرْدٍ قد دَنَا من رُكبته أقعَسَ ما من أوَدٍ فى خلقَتِه

فاذا كان طويلا رقيقاً ضعيفاً فهو النُّغْنُغُ قالت ابنة الخُسّ (٤) .

سلوا نســاء أشجَعْ أىّ الأيور أنفعْ
أألطــويل النُّغْنُغْ أم القصير المردعْ
أم الذى لا يرفَعْ أم الأسَكّ الأصمَعْ
فى كلّ شىء يطمَعْ حتى القرَيص يُصنَعْ

فاذا امتدّ ولم يشتدّ فهو المُرَوَّلُ يقال : روَّل ترويلا فاذا لم يُنعِظْ فهو عنّين ، وسَرِيس ، وعجيز فاذا كان سريع الانزال فهو الزُّمَّلِق ، وقال

---

(١) المخصص ٢ — ٣١ باختلاف والتاج م عتر

(٢) قريب من هذه المحادثة محادثة الخليل بن احمد مع امرأة راجع القالى ٣ — ٢٠٢ و ٢٠٣ والمخصص ٢ — ٣١ (٣) المخصص ٢ — ٣١ الأول

(٤) المخصص ٢ — ٣١ واللسان م نغغ الأربعة الأولى بغير عزو

بعضهم : الزملق الذى إذا دنا من المرأة أنزل قبل أن يجامع قال الراجز[1] :

إنّ الجُلندَى زَلِقٌ وَزُمَّلِقْ   جاءتْ به عَنسٌ من الشام تَلِقْ
مجوَّعُ البطن كِلابىّ الخُلقْ

وفى الأير الحوامل وهى العروق التى تحمله ، وفيه الإحليل وهو مجرى بوله ، ومجرى اللبن من الضرع إحليل أيضاً وعلى ذكر الإحليل فأنشدنى إبراهيم بن يونس الأنصارى لبعض شعراء الأندلس وَذَكَرَ مَحَلّةً :

ليالىَ لا أنفكُّ فى عرَصاتها   أفرِّغُ إحليلى وأملَا مِعدّتى

هكذا أنشدنيه بكسر الميم وإسكان العين من المعدة ، وأخذه هذا الأندلسى من قول ابن المعتز فى صفة خمرة :

لا تَسقِها الماء واتركْها كما نُزِلَتْ   فحَسْبُها منه ما قد أسقِيَتْ عِنَبا
زُرْنَا بقُطرُبُلٍّ إن كنتَ مُسعِدَنا   تنعَمْ ولاتستمع عذلاً ولا صَخَبا
ولا تزال وكأس الشرب دائرةٌ   تبُول هَمًّا وتحسو اللهوَ والطرَبا

وابن المعتز أشرف معنى وأوسع فى الفضل مغنى ، وأين الخَشَب من العاج والإنبجانية من الديباج ، رجع ، وفى الأير الحُزّة وهى ما بين منتهى الكَمَرَة وبين مجرى الخِتان ، وفيه الكمَرة وهى طرفه وجمعها كَمَرْ قال الشاعر :

هذا جُمَيْلِى باركاً بالأبطحِ   عليــه عِدْلاَ كَمَرٍ لم يُفتَحِ
مَن باع منه أو شَرَى لم يَرْبَحِ

هذا يقوله النوّاح المرادى لمِحْكان الأسدى ، وقد خاطرت مراد بنى أسد فى إبل كثيرة تُعْطَى لأيّهما كان أشعر ، فلما التقيا وقال النوّاح هذا فى

---

(١) اللسان م زلق للقلاخ بن حزن المنقرى والجلندى اسم رجل
(٢) ديوانه ٢٠٩ والأخير فى قراضة الذهب ٤٨

الابتداء. قال محكان: لا أكون ولتلقلق من فتحها أعطوه خطره فأعطوه وغُلِّبَ عليه. رجع، يقال: للكَمَرَة الحَشَفَة والكُمْهُدَة والفَيْشَة وفى الكمرة الحُوْق وهو حرفها المحيط بها قالت بنت الحارس:

هل هى إلاّ حُظوَة أو تَطْليقْ   أو صلَف أو بين ذاك تعليقْ

قد (١) وجَبَ المهرُ إذا غاب الحُوقْ

قال الأصمعى: مررتُ بطريق من طرقات مكة فاذا بقَتَيَات مؤتلفات من الأعراب يتذهن عجوز يعبثن بها ويضحكن منها، فوقفتُ لأسمع منها فالتفتت العجوز إلىّ ثم قالت: أما ترى ما يقول هؤلاء قلتُ. وما ذاكِ قالت: زعمن أنى لا أعرف الكمرة ومن أعلم بها منى وكيف أجهلها، هى الحمراء المدوّرة القَنفَاء المقَورّة المحزُوزة الرقَبة المثقوبة الأرنَبة. تحملُها الشَبَبةُ وتكون لها الغلَبة على ذوات القِلَبة، فقلتُ. للجوارى قد جاءتكُنّ بصفتها فلا تَظلِمنها وقال آخر فى الفيشة.

وفَيْشةٍ جاءت من الحجازِ   فى رأسها داء من الكزازِ

تَدرِقُ من نعظٍ زرُوق التازى (٢)

وقال آخر (٣).

وفيشةٍ زَيْنٍ وليست فاضحَهْ   على العدوّ والصديق جامحَهْ

من لقيَتْ فهى له مُصافحَهْ   مفسِدة لابن العجوز الصالحَهْ

تملأ فرج القَحْبة المُسافحَه (٤)   كأنها صَنجَةُ ألفٍ راجحَهْ

وقال آخر (٥).

---

(١) هذا الشطر فى اللسان م حوق والاشطار الثلاثة جميعها فى تهذيب اصلاح المنطق ١ — ١٩٢

(٢) الصواب البازى — الميمى   (٣) الحماسة ٨٠٢

(٤) بالأصل المساحة

(٥) الحماسة ٨٠٢ باختلاف وابن أبى الحديد ١ — ٤٤

وفيشةٍ ليست كهذى الفيش ملوءةٍ من نَزَقٍ وطيشِ
إذا بدت قلتَ أمير الجيش من ذاقَها يَعرف طَعم العيشِ

وكانت ليلى الأخيلية (١) تُهاجى زياد بن قُبيْعٍ البصرى فقالت فيه :

أنعَتُ أعيـاراً بأعلى قُنَّهْ أكلنَ حَبَّ قِلقِلٍ فهُنَّهْ
لهن مِن حُبِّ السِّفاد رَنَّهْ مُسبَبْطنَاتٍ مثل أيد يهِنَّه

فسمعها زياد فقال لها :

أحسنتِ وصفًا فَابْرُكِى لهُنَّه

فقالت لـه :

أنعت عَيرًا هو أير كلُّهُ أنعظَ حتى طار عنه جُلُّه
كأنّ حتّى خير تَمُلُّهُ إدخالُـهُ عاماً وعاماً سَلُّه
فى است زياد بن قُبيع كُلُّه

وقال أوس بن حجر فى امرأة تسمى عَرابة (٢) :

ويلكِ يا عرابُ لا تُبَرْبِرِى هل لكِ فى ذا العَزَب المُخَصَّرِ
يمشى بعرْدٍ كالوظيف الأعجرِ وفيشةٍ متَى تراها تَشغَرى
تغلب أحياناً حالق الحِرِ

فأجابته عَرابة وقالت (٣) :

وفيشة ذات ضُلوعٍ وعُجَرْ وذات أذنَين وسمعٍ وبَصَرْ
قد نَبت الفَقعاء فيها والعُشَرْ سُدَّتْ بها فَقحَةُ أوسِ بن حَجَرْ

فانتصفت منه أشد الانتصاف وقال الراجز (٤) :

(١) اللسان م قلل الثلاثة الأولى (٢) لسان م حلق باختلاف
(٣) بلاغات النساء ١٩٦ باختلاف والبدان م جواثاء باختلاف عظيم
(٤) الاغانى ٩ — ٧٥ الثالث مع الاشطار الاخرى لابى النجم

أنعتُ أيراً من أيور الزُّطِّ ... لم ينثنِ قطّ ولم ينحطِّ
كأنّما قُطَّ على مِقَطِّ ... كأنّه صلعةُ شيخ ثَطِّ

وقال على بن العباس الرومى :

كأنّ صوت الأعجر المتينِ ... فى طبْز ذات الكَفَل الوزينِ
صوتُ يد العجّان فى العجينِ ... أير غليظ فى حِرٍ سمينِ
من غادةٍ وافرة المتينِ ... تواضعَتْ لا للتُّقى والدينِ
تحبّ [١] فتىً من قلبها مكينِ ... تواضُعَ البَطّةِ للشاهينِ

قريب من قول ابن الرومى — تواضعت لا للتقى والدين — قوله أيضاً فى صفة نساء رجل هجاه :

يستغفر الناسُ بأيديهم ... وهنّ يستغفرن بالأرجُلِ

وقال أيضاً فى هجاء بنى خيار :

أعْجَزُ يُدْعَى مُضْرِطَ الأبكارِ ... ذو فيشة مُشرفة الإطارِ
كأنّها فيشلة الحمارِ ... أقمَتْ على مُسْتَحصِدِ الإمرارِ
يُوفى [٢] على الوافى من الأشبارِ ... ما يُطعَم الغُمْضَ سوى غِرارِ
تَسقيه من أدوية غِزَارِ ... سَوَاعِد يَنْبِضْنَ كالأوتارِ
عُجارمٌ تنهض فى الإزارِ ... مُخْرَنْطِمًا كالملِك الجبّارِ
نِيطَ بحقْوَى قَطِمٍ قَطّارِ ... أمردَ إلاّ طُرّةَ العِذارِ
له غداة الجِدّ والغِوارِ ... طعنٌ مُعَدّى الوِرْد والإصدارِ
تطير منه قِطعُ الشّرارِ ... كمثل رُمح البَطَل الكرّارِ

---

(١) كذا والصواب تحت قاله الميمنى

(٢) الصيغ ههنا بالاصل صيغ التأنيث وفى مقام الشرح على التذكير والتذكير هو الصواب فاعتبرناه

في است خيـــارٍ وبني خيـــارِ

وقال الأغلب [1] العجلي في سَجَاح المتنبّية من شعر اختصرتُـه :

قد أبصرتْ سَجاح من بعد العمَى　　تاحَ لها بعدكَ حِنْزَابٌ وَأَى

مُلَوَّحٌ في العين مجلوز القَرَى　　مثـــلُ الفنيق في شباب قد أَنَى

من اللُّجَمِيِّين أصحاب القُرَى　　ليس بذى واهنـــةٍ ولا نَسا

نَشَا بخُبز وبلحـــمٍ ما اشتهى　　إذا تَمَطَّى بين برديه صَـــأى

كأنَّ عرق أيره إذا وَدَى　　حبل عجوز فَتَـلَتْ سَبْعَ قُوَى

يمشى على قـــوائم له خَسَا　　يرفع وُسطاهنَّ من بَرْد النَّدَى

قالت متَى كنتَ أبا الخير متَى　　فانتشغتْ فيشتُـه ذات الشَّوى

كأنَّ في أجيـــادها سبع كُلَى　　قال ألا تَرَيْنَـه قالت أرَى

قال ألا أشِيمُـه قالت بلى　　فشَامَ فيها مثـل محْرَاث الغَضا

تقول لمَّا غاب فيهـــا واستوى　　لمثلها [2] كنتُ أحْسِيكَ الحُسَا

وذكر بعض الرواة : أن امرأة مرّت بالدلال المخنّـث وهو قائم على باب مسجد عصام ، فقالت : هل مرّ بك رجل هينا قال صِفيه لى قالت : هو قصير أعور ملزَّز متفجج الجنبين ظاهر العروق في رأسه شجَّـــة قال : يا رعناء أهذه صفة رجل ؟ هذه صفة أير وقالت اعرابية [3] :

أيا ربِّ لا تجعل شبابي وبهجتي　　لشيخ يعنِّيني ولا لغُلامِ

فنبئتُ أن الشيخ يَعذُل أهله　　وفي بعض أخلاق الغلام عُرَامُ

---

(١) الســد ... حزب عشرة أشطار وهي مشتملة على الستة الأولى مما هبنا وفيـه أنه كان يقف في خدهية أن هـذه الارجوزة لجشم بن الخزرج وفي الأغاني ١٨ — ١٦٥ ستة وعشرون شطرا باختلاف وفي الجمحي ١٤٨ ثلاثون شطرا باختلاف وتقديم وتأخير

(٢) الـكلمة في جمهرة الأمثال ٢ — ١٦٢

(٣) بلاغات النساء ١٩٤ باختلاف وفي حماسة ابن الشجرى ٢٧٧ لام الضحاك

ولـكنّ صُمُلّ قد علا الشيبُ رأسه　　قَرُوحٌ لأنخاذ النســاء حُسَامُ

قال اسمعيل بن احمد : قد أثبتنَا من صفته فى هـذه الحال ما فيه كفاية ومَقنع ، وننتقل الآن إلى ما قيل فى ضعفه واختلاله فنُورد منـه نحواً ممّا أوردناه فى قوّته واحتفاله قيل لمدينيّ ، وقد أسَنّ : كيف أصبحتَ ، قال : أصبحت بأسوء حال من بطنى وفرجي : أمّا بطنى فانى إذا شبعت مرضت وإذا جُعت ضعفت ، وأمّا فرجي فانى إذا نمتُ قام وإذا قمت نام ، ودخل أبو النجم الفضل بن قُدامة العجلى على هشام بن عبد الملك فقال : يا أبا النجم كيف أنت أنت [1] والنساء ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أنظُرُ إليهنّ إلاّ شَزْراً ولا ينظرن إليّ إلاّ كَرْهاً وعلى رأس هشـام وصيفة تَذُبُّ عنه فقال : يا أبا النجم خذ هـذه الوصيفة فَابْلُ بها نفسك وَاغْدُ عليّ بخبرك فانصرف بها . فلمّا كان من الغد غدا عليه فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم فقال : لا والّذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ما قدرتُ على شيء قال : أفقلت فى ذلك شيئاً قال نعم يا أمير المؤمنين قال هات فأنشده [2] :

نظرَتْ فأعجبها الذى فى درعها　　من خَلْقها [3] ونَظَرْتُ فى سرباليا
فرأتْ لها كَفَلاً يَنوء بخَصْرها　　وَعْثاً [4] رَوَادِفُه وأخْثَمَ جاثيا
ورأيتُ منتفخ العِجان مقلّصاً　　رِخواً حمائـــله وجِلداً بالياً
ارفعْ جبينَك فيم أنت مُنكّسٌ　　أفضحتَنى وطردتَ أمّ عياليا
أدنى لك الركَبَ الحليق كأنّما　　أدنى إليك عقارباً وأفاعيا

---

(١) كذا بالأصل بتكرار كلمة أنت

(٢) الأغانى ٩ — ٧٧ الابيات مع الخبر وهى هنـاك تسعة باختلاف وليس هناك البيت الرابع من أبيات الـكتاب وفى الحيوان ٤ — ٨٦ الأبيات أربعة الثلاثة الأولى والخامس وفى المعاهد١ — ٩ عشرة أبيات

(٣) كذا بالقاف والبيت الثانى يدل على أنه بالفاء — قاله الميمنى

(٤) بالاصل وعثى وهو خطأ

إنّ النــدامة والسدامة كلها أن نال منه الطيبَ غيرُك خاليا
فاذهَبْ فانّـك ميّت لا يُرتَجى أبدَ الأبيـد ولو عمِرتَ لياليا

فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم قال: له خذ هذه فاجعلها عوضاً ممّا فاتك قال اسمعيل بن احمد: وَاحرِ بأبي النجم أن يكون احتال بهذا القول على هشام ليُضحِكَهَ ويستخرج به جائزته كما رَوى ابن الكلبي عن عوانة: أنّ رجلا من كلب كان يدخل على عبد الملك بن مروان، وكان الكلبي يُوصف بجماع ويُكثر ذكره عنـده، وكان عبد الملك يُعجبه ذكر الجماع إذ كان قادراً عليه، فلمّا ضعف عنـه صار لا يعجبه ذكره ويحسد من كان عنده منه شيء، وبقي الكلبي على عادته من ذكر الجماع والاكثار منه فأبغضه عبـد الملك وجفاه، فقيل له: ويحك أخبره بأنك ضعفت عنه وانكسرت فدخل عليه يوما فقال: ما بقي من جماعك قال هيهات يا أمير المؤمنين كان فبان وأنشده:

قد كان أيرى يا أميّتم حرًّا عنـد الهياج مِسعَراً مُبِرًّا
فصـار لا يزداد إلاّ شرًّا حتّى إذا ما قام واسبطرًّا
وانتفختْ أودَاجُـه ودَرًّا عادَ إليّ خاسـئًا مُزْوَرًّا
كأنما أسعِطَ شيئًا مُرًّا أريدُ (١) جَوًّا ويُريدُ بَرًّا

فضحك عبد الملك وقال له: هلكتَ والله يا فلان فقـال: إيْ وَالله لحباه وأكرمه، وشبيه بهذا الخبر ما رُوى عن أيمن بن خُرَيم الأسدى وكان ذا منزلة من معـاوية، وكان يوصف بصلاح وخير ودين، وكان معاوية قد ضعف عن الجماع، وكان يكره أن يصف أحد نفسه بجماع عنـده، فجلس ذات يوم وامرأته فاختة بنت قرظة قريباً منه حيث تسمع الـكلام، فأقبل

(١) كذا وانظر وه أتمّ على الأشطار — قله الميمى وأظن أن المعنى (أريد ايلاجه وهو يأبى).

على أيمن فقال : يا أيمن ما بقى من طعامك وشرابك وجماعك وقوتك فقال أيمن : أنا والله يا أمير المؤمنين آكُلُ الجفنةَ الدَّرْمَكَ والعُرَاقَ ، وأشرَبُ الرِّفْدَ العظيم ولا أقنع بالغُمَرِ ، وأرْكُضُ المُهْرَ الأرِنَ مِلْءَ حُضْرِه ، وأجامع من أوّل الليل إلى السحر ، فغمّ ذلك معاوية وكلامه هذا بأذن فاختة فجفاه معاوية ، وجعل لا يفعل به ما كان يفعله من قبل فشكا ذلك أيمن الى زوجته فقالت : أذْنَبْتَ ذَنْبًا فوالله ما معاوية بعَبث قال : لا والله إلاّ أنه سألنى عن كذا ، فقلت كذا قالت : هذا والله أغضبَه عليك قال فأصلحى ما أفسدتُ قالت : نعم كفيتُك ، فاتت معاوية فألفَتْه جالساً للناس فدخلت على فاختة فقالت : مالك قالت جئت أستعدى على أيمن فقالت : وما ذاكِ قالت ما أدرى أرجل هو أم امرأة وما كشف لى ثوباً منذ تزوّجنى قالت : فأين قوله لأمير المؤمنين كيتَ وكيتَ ؟ وحكَتْ ما قال قالت : ذاكِ واللهِ الباطلُ فأقبل معاوية فقال من هذه عندك يا فاختة قالت. هذه امرأة أيمن جاءت تشكوه قال ومالها قالت : زعمت أنهـا لا تدرى أرجل هو أم امرأة وأنه ما كشف لها ثوباً منذ تزوّجها قال : أكذلكِ قالت نعم فرِّقْ بينى وبينه فرّقَ اللهُ بينه وبين رُوحه قال . أوَ خيرٌ من ذلك ابن عمّكِ وقد صبرتِ عليه دهرا ، فأبَتْ فلم يزل معاوية يطلب إليها حتى استحيَتْ وأجابت ، فأعطاها وأحسن اليها ، ثم إنّ أيمن دخل على معاوية من بعده فأنشده (١) .

لقيتُ من الغانيات العجَابا ... لوَ ادْرَكَ منّى الغوانى الشبّابا
ولكنّ جمع الغوانى الحِسَانِ ... عَناء شديد إذا المرء شَابا

---

(١) الأغانى ٢١ — ٥ و ٦ تسعة أبيات مع الخبر وفى كلمات الأبيات هناك اختلاف كثير وليس هناك البيت الأخير من أبيات الكتاب وهناك بيت ليس فى الكتاب وفى العيون ٤ — ١٠٢ سبعة باختلاف وليس هناك السادس والسابع وفى الشعراء ٣٤٦ و ٣٤٧ ستة باختلاف وليس هناك من السادس الى الثامن

يُرْضِنَ بكلِّ عصًا رائضٍ ويُصْبِحْنَ كلَّ غداةٍ صعابا
علامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ ويُحْدِثْنَ بعد الخضاب الخضابا
ويُبْرِقْنَ إلاّ لِمَا تعلمونَ فلا تَحْرِمُوا الغانيات الضِّرابا
فلَوْ كِلْتَ بالمُدِّ للغانياتِ وظاهرتَ بعد الثيابِ الثيابا
ولم تُفْشِ فيهنَّ من ذاك ذاكَ بَغَيْنَكَ عند الأمير الكِذابا
إذا لم يُخَالِطْنَ كُلَّ الخِلاطِ أصبحنَ مُخْرَنْطِمَاتٍ غضابا
يُميت الخلاطُ عتابَ النساء ويُحيي اجتنابُ الخلاط العتابا

وقيل لأبي مهديّة ما عندك من النكاح ؟ فقال : عندي ما يهيج شهوتها وينقض عفتّها ، ولا يقضي غُلتها ويستدعي بغضتها ، وقيل لآخر من الأعراب ما عندك من الباءة ؟ فقال : عندي ما يقطع حُجَّتها ، ولا يقضي حاجتها ، وتقدّم أعرابي إلى امرأة فانكسر فقالت : ما هذا ويلك فاستحيا وقال : يا هذه أنت تفتحين بيتاً وأنا أنشُرُ ميّتاً ، وقيل لآخر ما عندك في الباءة ؟ فقال : إن مُنِعتُ غَضِبتُ وإن تُرِكتُ عَجَزتُ ، واتُّهِمَ (١) أبو حُكَيْمَةَ راشد بن اسحاق الكاتب ببعض أولاد ذوي السلطان فخاف فرمى نفسه بالعُنَّة وأشاد (٢) يذكر ذلك في شعره ولم يكن عنّينا وقال في رثاء أيره مالم يقل مثله أحد من المتقدمين ولا المتأخرين فمن ذلك قوله :

أيرٍ ضعيف تدلّى فوق خُصْيَتِه أودَتْ بقوّته الأسقامُ والعِلَلُ
لا يَستقِلُّ إلى اللذّات إنْ عَرَضَتْ ولا يُحَرِّكُه التّجميش والقُبَلُ
ينام والنوم داء لا دواء له تَعِزُّ فيه على ذي الحيلة الحِيَلُ
كأنه (٣) ويد الحسناء تَغمِزُه سَيْرُ الاداوة لمّا مَسَّه البَلَلُ

---

(١) دل لي صديق العلامة لمستشرق الشهير كرنكوان مجموعة شعر أبي حكيمة محفوظة في خزانة برلين (٢) الصواب يذكر — مد الميمني
(٣) هذا البيت في الصناعتين ٣٠٢

لم تبق إلاّ جلود منـــه بالية   مثل الرسوم مَحَتْها الأعصُر الأوَلُ

وقال أيضاً (١) :

أيرٌ تَعَقَّفَ واسترخَتْ مَضاربه   مثل العجوز حَنَاها شدّة الكِبَرِ

يقوم حين يُريد البول مُنْحَنِيًا   كأنه قوس نَدَّافٍ بلا وَتَرِ

إذا أقامَتْه سلمَى مال فى يدها   ميلَ المُرَنَّح يشكو شدّة السَّدَرِ

ولا يقوم إذا أيقظْتَه سَحَرًا   كما تقوم أيور النـاس فى السَّحَرِ

مثل قوله — مثل العجوز حناها شدة الكبر — قوله أيضاً :

كأنّه وهو مُقْعٍ فوق خصيته   شيخ تبيَّن فى أعطافه الكِبَرُ

ومثل قوله — أير تعقف — قوله أيضاً :

تعقَّفَ واستوى الطرفان منه   كشل الدّالِ من خَطِّ الكِتَابِ

وأعاد أيضاً هذا التشبيه نفسه بالدال فقال :

كأنه حين ثَنَاهُ البِلَى   دال على خَطِّ السِّجلاَّتِ

ونحوه أيضاً قوله بل زائد عليه :

كأنّه حين أطويه وأنشُره   سَيْرٌ يُلَفُّ على دُوَّامة الزِّيقِ

وإنْ يَقُمْ قلتُ قَثَّاةٌ مُعَقَّفة   أو عُرْوَةٌ رُكِّبَتْ فى رأس إبريقِ

ومثل تشبيهه اياه بالسير قوله أيضاً :

تطوَّقَ فوق الخصيتين كأنه   رِشَاءٌ على رأس الركيّة ملتفُّ

ومثل قوله — تطوق فوق الخصيتين — قوله أيضاً (٢) :

أيحسدنى إبليس داءَيْنِ أصبَحَا   بِرأسى ورجلى دُمَّلاً وزُكامَا

---

(١) حماسة ابن الشجرى ٢٧٥ الأولان

(٢) محاضرات الراغب ٢ — ١٢٢

فليتهما كانا به وأزيدُهُ زمانةَ أيرٍ ما يُريدُ قياما
إذا نهضتْ للنَّيْكِ أَزْبابُ من تَرى تَوَسَّدَ إحدى بيضتَيه وناما

ونحو هذا قوله أيضاً :

إلى كم وقد نُبِّهْتَ من سَكرة الكرى تَوَسَّدُ إحدى بيضتيك وتَهجَعُ
تثاقلتَ حتى ما تَخفَّ لحاجة ونمتَ فما ينبو بجَنْبك مَضجَعُ

ومن تشبيهه أيضاً إياه بالرشاء قوله :

فَدَبَّتْ له الأيامُ حتى تَرَكْنه كمثل رِشاء الدلو يُثْنَى ويُعْطَفُ
تَعجَّبُ سلمى منه لمّا تصرَّفَتْ به حادثاتُ الدهر فيما تَصَرَّفُ
رأتْ ضَعْفَه عند اللقاء فأقبلَتْ تَذَكَّرُ منه ما مضَى وتَلهَّفُ
تُناشدني بالله إلاّ أقمتَه وكيف يُقام الصَّوْلجان المعقَّفُ

وأعاد تشبيهه إيّاه بقوس النَّداف أيضاً فقال :

لا تبكِ للرَّكْبِ إنْ راحُوا وإن بكرُوا ولا تُسائل عن الأظعان(١) ما الخبَر
ولتبك عيناك أيراً لا حراك(٢) له مقوَّس المتن فى أوصاله خَوَرُ
يَهوَى القيام فتَسْتَرْخي مفاصله كأنه جِلدة قد مسها مَطرُ
تقوم من عنده الحسناء مُغْضَبة لم يقْضِ منه لُبانات ولا وطرُ
باتت تُحرِّكه سلمى لحاجتها وبات ما عنده نفع ولا ضَرَرُ
إذا تعقف قالت وهى تَغمِزُه ما هذه القوس لم يُشدَدْ لها وَتَرُ
قامت تنوح عليه من زَمانته كما يُناح على من وَارَتِ الحُفَرُ
لم تغتفر نومَه عنها وغفلتَه هيهاتَ ذلك ذنب ليس يغتَفرُ

---

(١) بالأصل الأضعان بالضاد هاك اليمنى والمغاربة يخلطون فى كتابة الظاء والضاد فيبدلون احداهما بالأخرى غير أن نسختنا هذه بالنسخ وليست بالمغربية
(٢) المعروف لا حراك به وأرى ما هنا تصحيفاً

أخذ هذا البيت الأخير أبو الحسن التهامى (١) أخذ إغارة على لفظه ومعناه ونقله إلى الشيب فقال :

صددتِ أنْ عادروضُ الرأس ذا زَهرٍ ... الشيب عندك ذنب غير مغتفرِ
لا دَرَّ دَرُّ بياض الشيب إنَّ له ... فى أعيُنِ البيض مثل الوَخزْ بالابَرِ
سوادُ رأسك عند الهائمات به ... مُعادِلٌ لسواد القلب والبصرِ
قد كان مَفرق رأسى لا قتيرَ به ... فصيَّرَتْه قتيرا صِبْغَةُ الكِبَرِ

رجع وقال أبو حكيمة أيضاً مخاطباً له :

تَنَبَّه أيها الأير المدلّى ... لشأنك إنَّ طول النوم عارُ
لقد أصبحتَ من غِيَرِ الليالى ... وأصبح فيك للناس اعتبارُ
تَوَقَّرُ عن مُدَاعبة الغوانى ... وشرّ خلائق الأير الوقارُ
تَزيدك لذّة التحريك ضعفاً ... إذا باتَتْ تُغمِّزُكَ الجَوَارُ (٢)
كأنّك بينهن فتى صريع ... تمشَّتْ فى مفاصله العُقَارُ
تَقَلَّصُ إن أصابك برد ليل ... وتسترخى إذا حَمِيَ النهارُ
وفيما بين ذلك أنت مُلقى ... على الخُصْيَيْن ليس لك انتشارُ
تُوَلِّى الغانيات قفًا لئيما ... تليق به المذلّة والصَّغارُ
تَحِنُّ على البعاد إلى سُليمى ... وتهجرها إذا قرب المزارُ

---

(١) ديوانه ٢٤ قال الميمنى هذا تهكم من أبى طاهر ظاهر فليس هنا معنى يكون التهامى سرقه غير كلمة ذنب غير مغتفر وأى إبداع تحتها حتى يعد من استعملها سارقا وقد قال المعرى.

لا تطو يا السر عنى يوم نائبة ... فان ذلك ذنب غير مغتفر

ولم يقرفه أحد بالسرقة

(٢) كذا بالاصل وليكن الجوارى ففيه الاقواء وقال الميمنى لم يكن أبو حكيمة فى عصر يغفر فيه الاقواء وأنا أخاف على الكلمة التصحيف فالاصل لعله (النوار) وهى النفور من الريبة

وقال أيضاً :

تقول سليمى ما لأيرك لا يُرَى أطار به من بين خصيبك طائرُ
أم اخترمت كف المنية شخصه فأصبح ممن غيّبَتْه المقابرُ
فقلتُ لها أيرى مقيم مكانه ولكنه رِخْو المفاصل ضامرُ
تقلّصَ حتى غاب فى فضل جلده فلا الجسم ممتدّ ولا الرأس ظاهرُ
عليه غطاء يمنع الكفَّ لمسَه ويمنعه من أن تراه النواظرُ
فهل أبصرَتْ عيناك قبلى وقبله فتًى غاب عنه أيره وهو حاضرُ

وقال مشيراً إليه :

صرتَ زِرًّا ولعهدى بك شبراً أو تزيدُ
أين تلك الهامة الجَعْـدَةَ والمتن الشديدُ
أثّرَت فيك الليالى أثراً ليس يَبيدُ

وقال أيضاً :

عجبا يا أيّها النا س لأيرى وانتكاسِهْ
أرِقَتْ عينى وما يأرَق أيرى من نعاسِهْ
ملصق جلدة خصيبه إلى فَروة راسِهْ

وقال أيضاً :

نام أيرى والنوم ذلّ وهُونُ واعتراه بعد الحَراك سكونُ
باتَ نِضْوًا فبتَ أبكى عليه إنّ همّى بهمّه مقرونُ
كيف يَلَذُّ عيشَهَ آدمىّ بين فخذيه صاحب محزونُ
دبّ فيه البلى فماتت قُوَاه وهو حىّ لم يخترمه المنونُ
أيّها الأيرِ لم تخُنّي ولكن خانَنى فيك ريب دهرٍ خَؤونُ

طالما قمتَ كالمنـارة تهتـزُّ اهتزازاً تسمو إليه العيونُ
رُبَّ يوم رفعتُ فيـه ثيابى فكأنى فى مشيتى مختونُ

وقال :

يا أير لو كنت حرّا أقحمتَ فى كل هولِ
وكنت صاحب فضل بمـا لديك وطَولِ
ولم تنم والغوانى يغمزن رأسك حولى
أذللتَنى بعـد عزّ ويلى عليك وعولى
قد كنتَ حربة نَيْك فصرتَ ميزاب بولِ

وقال فيه (١) :

ينام على كفّ الفتاة وتارةً له حركات ما يُحِسُّ بها الكفُّ
كما يرفع الفرخُ ابن يومين رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضّعفُ

ومن جيّد رثائه فيه قوله :

لقد تخرّمت الأحداث من بدنى عضواً إليه تناهى غاية الكرمِ
فقدتُ منه رفيقاً ذا مساعدة متى أُقِمْهُ لأمر حادث يقُمِ
لمّا قضت منه أيام الصبا وطرا دبّ البلى فيه من قَرن الى قدمِ
كم لائم فى اجتناب الحَرْبِ قلتُ له أمسك عليك فلولا الجهل لم تلُمِ
كيف الطعان برمح لا استواء له معقّف مثل خط النون بالقلمِ
أين تخلّى من الدنيـا ولذّتها وحال عن صالح الأخلاق والشِّيَم
كانت له همّة فى الباه فانصرفت وإنمـا تُدرك العَلياء بالهِمَمِ
أوْهَى قواه وكانت غير واهية طولُ الاقامة بين الضُّرِّ والسّقَمِ

(١) محاضرات الراغب ٢ — ١٢٢

كأنّه وهو مقْعٍ فوق خصيته ... مسافرٌ تحته خرْجَانِ من أدَمِ
سَقْيًا لدهرٍ تَوَلَّى عنك باطله ... لو كان عيشك فيه غير مُنصرمِ
أبكِي عليك ولا أبكى على طلَلٍ ... بالرقتين ولاربع بذى سَـــلَمِ

وهذا تفسير ما مرّ فى هذه الأوصاف من الغريب : القنفاء المُقْوَرَّة فى حديث الأصمعى هى الضخمة التى قد تَثَنَّى طرفُهـا على ظاهرها ، وأصل هذا الوصف فى الأذن يقال : أذن قنفاء بيّنة القَنَف ، ورجل أقنف وامرأة قنفاء إذا كانت أذناها كذلك ، والأرْنَبَة والعَرْتَمة طرف الرّوثة ، والرَّوثة مقدّم الأنف فاستعارت العجوز الأرنَبة لطرف الـكَمَرَة كما استعارت لها الرقبة ، فقالت : المحزوزة الرقبة المثقوبة الأرنبة. والشَّبَبَةُ جمع شابّ ويجمع أيضاً شَبَاباً وشُبَّاناً ، والقِلَبَة جمع قُلْبٍ والقُـلْب السوار من الفضّة ويجمع أيضاً أقْلُبًا وأقلابا ، فاذا كان من ذهب فهو سِوار وجمعه أساورة وأساور وأسورة وسُور قال الشاعر :

كواعِبُ ضاقت خلاخيلُهنَّ ... حتّى جعلن الخلاخيلَ سُورَا

فاذا كان من عاج فهو وَقْف وجمعه وُقُوف يقال : وقَفَت الجارية تَوْقيفا إذا جعلت لها وقفاً قال الـكميت :

ثم استمرّت كوقف العاج مُنْصَلِتًا ... يرمى به الجُدْجُدُ المَاعةُ الجدَبُ

وإن كان من ذَبْل فهو مَسَكَة وجمعها مَسَك قال الشاعر (١) :

مازلن يَنْسُبْنَ وَهْنًا كلَّ صادقةٍ ... باتَتْ تُباشرُ عُرْماً غيرَ أزواجِ
حتى سلكنَ الشَّوَى منهنّ فى مَسَك ... مِن نَسْلِ جَوَّابَة الآفاق مِهْدَاجِ

هذان بَيتَا معنًى لا تعرفه إلاّ بالتوقيف ، وتفسيرهما على ما ذكره

---

(٢) البيت الأول فى اللسان — عرم والتبيين ٢ — ٩٤ والحيوان ٥ — ١٦٦ والثانى فى اللسان — مسك وكلا البيتين مع شرح فى اللسان — هدج

يعقوب بن السكيت فقال قال : أبو وَجْزَةَ يصف أتنًا وردت الماء وأنشد البيتين وقال فى تفسيرهما : الوَهْن بعد ساعة من الليل أو ساعتين وقوله — يَسبُقْن كل صادقة — يعنى أن الأُتُن تَمُرُّ بالقطا فى حين ورودها الماء فتُثيره عن أفاحيصه فيصيح قطاً قطاً فذلك انتسابه ، وقوله ـ تُباشر عرْما ـ يعنى بَيْضَها ، والأعرم الذى فيه سواد وبياض قال فكذلك بَيْض القطا وقوله ـ غير أزواج ـ يعنى أن بَيض القطا يكون فرداً ثلاثا أو خمسا وقوله ـ حتى سلكن الشَّوَى منهن فى مَسَك ـ أى أدخلن قوائمهن فى الماء فصار لها بمنزلة المَسَك ، وقوله ـ من نسل جوّابة الآفاق ـ يعنى الريح لأنها تَستَدِرُّ السحاب فتمطر فالماء من نسلها والريح تجوب الآفاق أى تقطعها ومِهداج قال هو من (١) الهَدَجة وهى حنين الناقة على ولدها

رجع وقول ليلى الأخيلية — أنعتُ أعيارًا —

فالأعيار جمع عَيْر وهو حمار الوحش ويسمى المِسْحَل ، والجأب الغليظ منها قال العجّاج (٢) :

جأباً تَرَى تَلِيلَهُ مُسَحَّجَا

التليل العنق ومسحّج معضوض ويسمّى الأخدرى أيضا ، والأخدريّة من الحمير الوحشية ما كان من ولد حمار يقال له أخْدَر قال الأخطل :

رَباع أبوه الأخدرىّ وأمّه   من الحُقْب خَفّاش على العِرس باسلُ

والقُنة من قولها بأعلى قُنهْ هى رأس الجبل وجمعها قُنَن ، والقِلْقِل ضرب من النبت . والرَّنة الصوت ، وتَمُلّه من قولها — كأنَّ حُمَّى خيبر تَمُلّه — أى تُسَخّنه يقال : مَلَلْتُ الخبزة أمُلُّها مَلاًّ إذا جعلتَها فى المَلّة

(١) الظاهر أنه من الهدجان بفتح الهاء والدال نوع من المشى — قاله الميمنى
(٢) ديوانه ٩ والسيوطى ٢٦٨ والعينى ١ — ٢٩

وهو الموضع الذى يُختَبَز فيه وسُمّى مَلّةً لشدّة حرارته ، ومنه قولهم : بات فلان يَتَمَلْمَلُ على فراشه أى لا يستقرّ أرقا من شدّة ألَم أو حزن وأصله (١) يتملّل فأبْدِل من إحدى اللامين ميما ، ومن قول أوس ابن حجر لعرابة لا تُبَرْبِرى أى لا تُصوّتى . والبَرْبَرَة الصوت يقال : رجل بَرْبار وامرأة بربارة قال الشاعر :

حتى يروح وقد توارَتْ شمسُه يمشى بعطف مقَاتلٍ بَرْبارِ

وبَرْبَرَ الأسد يُبَرْبِرُ بَرْبَرَةً إذا زأر قال كثير يصف غيثا :

يُقلِعُ عُمْرِىٌّ (٢) العِضاه كأنما بأجوازه أُسْدٌ لهنّ برابرُ

والعَزَب الذى لا أهل له وهو مصدر وُصف به يقال للمرأة والرجل بلفظ واحد لا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنث كما تقول : هذا رجل خصم ورجلان خصم وامرأتان خصم ورجال خصم ونساء خصم ، وقد قال أبو العباس ثعلب فى كتاب الفصيح : يقال رجل عَزَب وامرأة عزَب (٣) فخطّأه أبو اسحاق ابراهيم بن السَّرِى الزّجّاج وبكّته به فى جملة حروف ذكرها له فى هذا الكتاب فى مجلسه بحضرة جِلة أصحابه . وكان سبب ذلك أنهم انتقصوا أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد بحضرته ، فانتصف له منهم أشدّ انتصاف ، والعَرْدُ الغليظ الشديد وقد مرّ تفسيره ، والوظيف عظم يد الدابة ورجله وهو ما بين رُكبته الى رُسغه وجمعه أوظفة ، والأعجر الأعقد والعُجَر العُقَد تكون فى العَصَب والعروق وهو أن يتعقّد العصب والعروق فتراها

---

(١) هذا نقول كما تراه

(٢) عمرى و عبرى بضم أ ميم كلاهما يعني ابطر اللسان ء عمر وعبر

(٣) الصواب عزبة بالهاء كما فى الفصيح نفسه ص ٩٢ مصر ١٣٢٥ هـ وكما فى هذه المخدومة أيضا وقد وقفت عليها مستخرجة من كتب التنزه والابتهاج للشمناطى وقد انتصر ابن خالويه لثعلب وحكى عن ابى عبيد فى "غريب المصنف عزبة وقال انها صفة فتؤنث فى كلام طويل — قاله الشيمى

ناتِئة من الجسد واحدتها عُجْرَة ، والبُجَر نحو العُجَر إلاّ أنها تكون فى البطن خاصّة واحدتها بُجْرَة ومنه قيل رجل أبجر اذا كان عظيم البطن وامرأة بَجْرَاء وجمعها بُجْر ، ويقال : أيضاً بفلان بُجْرَة وإنّه لأبْجَرُ إذا كان ناتىء السُّرَّة ، ومَثَلٌ من أمثالهم : عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَهُ ونَسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَهُ يُضرب مثلا لمَنْ يُعَيِّرُ غيرَه بما فيه كما قالوا فى معناه : رَمَتْنَا (١) بدائها وانسلَّتْ وتكون العُجَر أيضاً فى العصا ونحوها رُوِى أنه وقف سائل على أعرابىّ وهو يأكل فاستطعمه ، فأشار إليه بعصا كانت فى يده وقال له : عَجْرَاء من سَلَم ، فقال السائل إنى ضيف ، فقال المسئول : للضِيفَان أعددتُها ، وقوله — تشغرى — أى ترفَعى إمَّا رجلَك وإمَّا ثوبك طلبا للنكاح من شدّة الشَّبَق يقال : شَغَرَتْ تَشْغر شَغْراً إذا فَعَلَتْ ذلك ومنه نكاح الشِّغار المنهى عنه فى الحديث وقد كان ذلك فى الجاهلية وهو : أن يزوج الرجل امرأة هو وليّها رجلا على أن يزوجه الآخر مثلها ويعقدا بينهما النكاح على ذلك من غير صداق عاجل ولا آجل ، وكان الرجل منهم يقول للآخر شَاغِرْنى أى زَوِّجنى أختك أو ابنتك على أن أزَوِّجك أختى أو ابنتى فقيل للنكاح بينهما شِغار لأن كل واحد منهما يَشغر إذا نكح أى يَرفع وأصل الشغر للكلب وهو أن يرفع إحدى رجليه حين يبول ، فكُنِىَ بالشِّغار عن النكاح على هذا الوجه ، وجُعل له علما كما قيل للزنا سِفاح ؛ لأن الزانيين يتسافحان يَسفَح هذا الماء أى يَصُبه ويسفَح هذا الماء إمَّا النُّطفة وإمَّا الماء الذى يغتسلان به ، وكُنِىَ بذلك عن الزنا وجعل له علما ، والحماليق جمع حِمْلَاق وهو ما غَطَّتِ الجفونُ من المُقلة ، واستعاره أوس للحِر وجعل له حماليق يقال حَمْلَق الرجل إذا فتح عينيه ونظر نظراً شديداً قال الشاعر (٢):

---

(١) كذا بالأصل بنون المتكلم مع الغير وفى اللسان م بجر وغيره رمتنى

(٢) اللسان م حلق

قَالبُ حِلاَقَيْه قد كادَ يُجَنْ

والفَقْعاء (١) والعُشَر ضربان من النبت ، والغـــادة (٢) الليّنة المتثنّية ومثلها الغَيداء ، والزُّطُّ قبيلة من العجم ، والثّط القليل الشّعْر من ناحية العـارضين والجيع ثِطاط والمصدر الثَّطَط قال بعض (٣) الشعراء يهجو بعض الأمراء :

إلى أمير بالعراق زُطٍّ وجهِ عجوزٍ جُلِيَت فى لَسْطٌ

تَضْحَكُ عن مثل الذى تُغَطِّى

قال بعض العلماء : اللّسط القلادة من الخَرَز الردئ ، والإطار فى قول ابن الرومى — ذو فيشة مُشْرِفَة الإطار — فالإطار حرفها المحيط بها وهو الحُوق أيضاً وقد مرَّ ذكره ، والإقعاء من جلوس أهل البادية وهو أن يَضُمَّ الرجل رجليـــه ويجلس عليهما كما يجلس الكلب ، والمُسْتَحْصِدُ الشديد الفتل وكذلك المُمَرُّ أيضاً يقال : أمرَّ الحبل إمراراً إذا شدَّ فتله وقوله — يُوفى على الوافى من الأشبار — أى يَزيد ويَشِفُّ عليه ، والمُسَهَّد (٤) الساهر ، والغِرار فى قوله — ما يطعَم النومَ (٥) سوى غِرار — القليل ومنه قول الشاعر :

ما أذُوقُ (٦) النوم إلا غراراً مثل حَسْوِ الطير ماء الثِّمادِ

الثِّماد جمع ثَمَد وهو الماء القليل . والسواعد مجارى الماء فى عيون البئر واحدها ساعد وقد مرَّ ذكره وقوله يَنْبِضْنَ أى يضطربن ويتحرَّكن

(١) فى قول عروة [illegible]

(٢) فى أبيات ابن الرومى (٣) [illegible]

(٤) لم أجد هذه الكلمة فى شعر ابن الرومى الذى شرحه [illegible] هنا

(٥) كذا بالأصل هنا وقد سبق [illegible]

(٦) الكامل ٢٦

يقال : نَبَضَ العرق يَنْبِضُ نَبْضًا إذا اضطرب ، ويقال : أَنْبَضَ الرجل بالقوس إذا أخذ الوَتَر بأطراف إصبعيه يجذبه إليه ثم أطلقه حتى يقع على عَجْس القوس وهو مَقبِضها فيُسمع له صوت ، والعُجارِم الغُرْمُول الصُّلْب قال الشاعر :

تَوَرَّدَ أحناء استه بالعُجارم

وعلى ذكر العُجارم قال (١) أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى : كان عيسى بن عمر الجَرْمِيُّ من أعلم الناس بالغريب وكان قُتيبة الخراسانى بليدا فأتانى قتيبة يوما فقال لى : أفِدْنى شيئاً من الغريب أعَايِى به عيسى بن عمر فقلت له : أجود المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك ما كان مُثْمَئِرًّا عُجَارِماً وفى ذلك يقول الشاعر :

إذا استكْتَ يوماً من أراك فلا يكن سواكك إلاّ المُثْمَئِرُّ العُجارما

فكتب قتيبة ما قلت له وكتب البيت ، ثم أتى عيسى بن عمر فى مجلسه فقال : يا أبا عمر ما أجود المساويك عند العرب قال له الأراك رحمك الله قال : أفلا أهدى إليك منها مُثْمَئِرًّا عُجاراماً فقال له عيسى : احْبُ بذلك نفسك وعرسك ويلك من فَضَحَك قال له قتيبة أليس قد قال الشاعر وأنشده البيت قال له ويحك من أنشدك هذا الشعر وسخر منك قال أبو محمد اليزيدى ، فضحك عيسى بن عمر حتى فحص الأرض برجله ثم قال : قد علمت أن هذا من مُزْحَاته ، والمُخْرَنْطِمُ الغَضْبان يقال : اخرنطَمَ الغَضْبان يخْرَنْطِمُ اخرنطاماً شديداً إذا اعوَجَّ خُرْطومه وسكت على غضب قال الشاعر :

فاخرنطمَتْ ثم قالت وهى مُعْرِضة أأنت تتلو كتابَ الله يا لُكَعُ

ونيط ألصِقَ ، والحَقْوَانِ مَعقد الإزار من الانسان يقال أخذ فلان

(١) هذا الخبر فى الخزانة ٤ — ٤٢٧ والاغانى ١٨ — ٧٥

بحَقْوِى فلان إذا أمسك له (١) تلك المواضع ، والقَطِمُ الشهْوَان للحم فسُمّى كلّ ذى شهوة قَطِما يقال منه قَطِمَ الرجل يَقْطَمُ قَطْما شديداً ونحوه القَرِمُ والمصدر القَرَمُ . وقوله إلاّ طُرَّة العِذار يريد حافته وحرفه وطُرَّة الثوب موضع هدْبه وطرّة كل شىء حرفه والطرّة أيضاً القِطعة من الشىء ومنه طُرَّة من شَعَر أى قطعة مقطوعة من جمته ومنه قيل رجل طرّار أى قطّاع لِمَا وَجَدَ . والجِدُّ والغِوار من قوله — غداة الجِدّ والغِوار — فالجِدّ خلاف اللعب وهو أيضاً الانكماش فى الأمر وقد مر تفسيره . والغوار مصدر غاوَرَ يُغَاوِرُ مُغَاوَرَة وطراداً (٢) فهذه أسماء مصادر هذه الأفعال واسم الفاعل من غَاوَرَ مُغَاوِرٌ مثل مقَابِل ومُطَارِد . والمِغْوَار الكثير الاغارة وجمعه مَغَاوير يقال : أغار الرجل على القوم يُغير إغارة وغارة ، والغارة أيضاً الجماعة من الناس . والوِرْدُ أصله الحَظّ من المـــاء وكثر استعمالهم له حتى سمّى القوم الذين يردون الماء وِردا وكذلك الابل . والوِرد أيضاً العطش . والورد الجزْء من الليل من صلاة أو قراءة يقال : قام فلان لوِرده ، والوِرد الحُمّى وأهل اليمن يسمُّون المحموم المورود كأنّ الحُمّى وردته . والاصدار مصدر أصدر يقال : أصدرتُ الابل عن المـاء إذا ثَنَيْتَها عنه بعد رِيِّها وأهلها مُصدِرُون ، ومن أمثالهم للشىء الذى لا يكون لا أفعل ذاك حتى يَحِنَّ الضَّبُّ فى إثْرِ الابل الصادرة وذلك لا يكون لأنّ الضبّ لا يرد المـــاء أبدا . ومن كلام العرب على ألسنة البهائم قالوا : قال الحوت للضبّ وِرْداً يا ضبّ فقال الضبّ (٣) :

أصبح قلبى صَرِدَا لا يَشتهى أن يَرِدَا

---

(١) كذا موضع (به)

(٢) لعل الاصل وغوارا قاله الميمنى

(٣) اللسان م صرد الاولان لساجع والجمع فيه فى م عرد وهناك ملتبدا بدل ملبدا وفى الحيوان ٦ — ٣٨

إلاَّ عَرَاداً عَرِدَا   وصِلِّيَانًا بَرِدَا

وعَنْكَثًا مُلْتَبِدَا

وهذه كلها أسماء ضروب من النبت يقول الضب: (١) ولا أرد الماء ولا أشتهيه لكنّى أشتهى أن أرد هذه الضروب من النبت لا غير، ويوم الصَّدَر اليوم الرابع من أيَّام النحر وقوله — بمثل(٢) رمح البَطَل الكرَّار — فالبَطَل الرجل الشُّجاع وقيل فى تسميته بَطَلا ثلاثة أقوال: الأول سمِّى بطلا لأنه تبطل عنده دماء الأقران، ولا يكاد أحد يُدْرِك عنده ثأره، الثانى سمِّى بطلا لأنه تبطل عنده حِيَلُ مُنَازِليه فى الحرب، الثالث سمِّى بطلا لأنه تبطل جراحته فلا يكترث بها ولا تكفُّه عن نجده، ومصدره البُطُولة رجل بَطَل بيِّن البُطُولة، والكرَّار هو الفعَّال من كرَّ يَكُرُّ كرًّا اذا حمل فى قول الأغلب — تاح لها بعدك حِنْزَاب وأى — يقال: تاحَ الشىء يَتِيح نَيْحًا إذا تقدَّر. وأتاح الله له خيرًا أو شرًّا يُتِيحه إتاحةً إذا قدَّره والحِنْزَاب الديك. والحِنزاب أيضاً جَزَرُ البرِّ. والحنزاب ههنا الحمار الوحشى المقتدر الخَلْقِ شبَّه به الرجل. والوأى الصُّلبُ وكذلك الفرس يقال: هذا فرس وأى مثل وَغَى وفرس وآة مثل وعاة إذا كان شديداً صُلْبًا. والوأى أيضاً الطويل من الخيل. ويُروى - تاح لها بعدك حنزاب وزَى - (٣) والوَزَى القصير قال أبو العباس احمد بن الوليد بن ولّاد: هو مهموز مقصور يقال: هذا رجل وَزَأ وامرأة وَزَآة وهو القصير السمين الشديد الخَلْق وأنشد (٤):

---

(١) كذا بالاصل بالواو والصواب حذفها
(٢) كذا بالاصل ههنا وفيا سبق فى البيت كمثل
(٣) الصواب الوزى — قاله الميمنى
(٤) اللسان م وزأ لبعض بنى أسد

يَطُفْنَ حَوْلَ وَزْأَزٍ وَزَوْزَازِ

قال : وَالوَزْوَازُ الذى يُوَزْوِزُ استه أى يُحرِّكها و يلويها إذا مشى وقال غيره : هو غير مهموز رجل وَزَى قصير وهو من أسماء الحمار المِصَكّ النَّشيط يقال : رأيته مستوزياً أى منتصبا ، والملوَّح من قوله ـ ملوّح فى العين مجلوزُ القرى ـ هو المتغير يقال : لاحته الشمس والنار والسَّموم تلوحُه لوحاً إذا غيّرته . وقال أبو عبيدة إنّ قوله تعالى « لَوَّاحَةٌ للبَشَر » من هذا ، واللَّوح أيضاً العطش ، ورجل مِلْوَاح سريع العطش وكذلك الجمل الملواح والجمع المَلاَويح . ويقال : التَحْتُ أى عطشت . والمجلوز المشدود بالجَلْزِ وهو العقَب المشدود فى طرف السوط . وكل عقد عقدته حتى يستدير فقد جلَزْته تجلِزُه جلْزًا وهو الجَلْزُ والجلاز . والقَرى الظهر ، والفنيق الفحل من الإبل ، وأَنَى بلغ أَنَاهُ وأدرك من قوله فى شباب قد أنَى يقال : قد أنَىَ الشىء يأنِى إنَى شديداً إذا أدرك ومنه قوله تعالى : « إلى طعامٍ غيرَ ناظِرِينَ إِنَاهُ » أى بُلوغَه وإدراكه ، وكذلك قوله سبحانه فى صفة أهل النار نعوذ بالله منها « يطُوفُونَ بينَها وبين حميمٍ آنٍ » والآنى هو البالغ نهايته فى شدّة حرّه ، والواهنة من قوله — ليس بذى واهنةٍ ولا نَسَا — داء يصيب الانسان فى أخدعيه ويقال . أوهنت الشىء أوهِنه إيهانا إذا ضعفّته ، والنَّسا عِرق قال الأصمعى (١) لا تقول العرب . عرق النسا إنما تقول النسا واحتجّ بقول امرئ القيس (٢) .

فأنشبَ أظفارَه فى النَّسا ... فقلتُ هُبِلتَ ألا تَنْتَصِرْ

---

(١) وقد تبعه الزجاج فى مخاطبته ولم يفعل ابن خالويه فى انتصاره لثعلب شيئاً إلا أننى ولله الحمد قد وقفت على شاهد لعروة بن مسيك المرادى فى عرق النساء وهو

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالعرق خان الرجل عرق نسائها — قاله الميمنى

(٢) العقد الثمين ١٢٧

وأجاز غير الأصمعى أن يقال : عرق النسا وتثنيته نَسَيان وجمعه أنساء وقال الليث عن الخليل : النَّسا عرق من مَشَقّ ما بين الفخذين إلى الرجلين فيستمرّ فى الرِّجل ، وهما نَسَيَان اثنـان والجميع أنساء ، ويسمّى فى الساق الصافن ، وفى البطن الحالبين ، وفى الظهر الأبهر ، وفى الحلق الوريد ، وفى القلب الوتين ، وفى اليد الأكحل ، وفى العين الناظر ، ويقال : هو نهر الجسد لأنه يسقى العروق فيقول : هو سالم من الأدواء ، وصأى من قوله — إذا تَمَطّى بين بُرديه صأى — صوّت وأصله (١) الفَرْخُ يقـال : صأى الفَرخُ يَصْأى (٢) صَئِيًّا وصِئِيًّا إذا صاح ، ووَدَى من قوله ـ كأنّ عرق أيره إذا وَدَى ـ سَالَ يقال : وَدَى يَدِى وَدْيًا إذا سال ، ومنـه سمّى الوادى واديا ، والقُوَى جمع قوّة وهى طاقات الحبل ، والخَسَا الفَرْدُ ، شَبّهَ العِرق من عروق أيره بحبلٍ فُتِل على سبع طاقاتٍ وجعل أيره قائمة ثالثة له وهى الوسطى فى قوله ـ يَرفع وُسطاهن من برد النّدَى ـ فَانْتَشَغَتْ افتعلت من نَشَغَتِ النَّوَاشِغُ إذا جرَتْ والنواشِغُ مجارى المـــاء فى الوادى والشَّوَى الأطراف ، والأجياد جمع جيد وأجياد الحَبْل ما خرج منه فشَخَصَ نادراً عمّا وراءه وقُدّامه ، والكُلَى جمع كُلْيَة ، وكذلك الحُسَى (٣) جمع حُسْوَة ، والمُلَزَّزُ من قولها (٤) ـ أعور مُلَزّز ـ (٥) وهو المتدانى بعضه من بعض يقال : لزَزْتُ الشىء بالشىء ألُزُّهُ لَزًّا إذا قرنته به ، وكل شىء إذا دانيتَ بينه أو قرنتَه بغيره فقد لزَزْتَه قال الراجز :

كأنمـــا لُـــزَّ بصَخْرٍ لَـــزًّا

---

(١) الصواب الفرخ (٢) بالاصل يصي

(٣) بالأصل الحشى بالشين المعجمة ولعله خطأ اذ لم يسبق هــذه الكلمة وما سبق فى الشطر الأخير من ارجوزة الاغلب انما هو الحسى وهو جمع حسوة

(٤) من قول امرأة مرت بالدلال المخنث

(٥) كذا بالأصل بالواو والصواب عندى اسقاطها

وقال جرير (١) :

فابن اللَّبُون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يستطع صولة البُزْلِ القَنَاعِيسِ

والمتفخ والمتفج ســـواء لكنهم يعبّرون بالمتفج بالجيم فيما يحسُن وبالمتفخ فيما يَسمُج ، والعذل من قول الأعرابية — فنُبِّئْتُ أنَّ الشيخ يعذِل أهله ـ والعذل أحرّ العتاب وأمضه . ومنه قيل : أيّام معتدلات إذا اشتدّ حرّها يقال : عَذَلتُه عذْلاً وعَذَلا فأنا أعذِلُه وهو معذول وجمع عاذل عذّل والمرأة عاذلة وجمعها عواذل ، ومن أمثال العرب ـ سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ ـ وسبب هذا المثل فيما ذُكر أنه كان بالحرم رجل من العرب اسمه ضبّة وكان له ولد سافر عنه إلى ناحية ، فلقيه بعضهم في وجهه ذلك فقتله وأخذ سلَبه ثم إنّ ذلك القاتل دخل الحرم ومعه سيف ابن ضبّة المقتول فرآه ضبّة واسترابه . فسأله واستخبره عن السيف فأخبره أنه لقي صاحبه بمكان كذا فقتله وأخذ السيف فيما أخذه من سلَبه ، فقال له ضبّة أرِنيه وهو لا يعرفه ولا يشعُر أنه أبو المقتول . فدفعه إليه ليراه فاخترطه من جفنه وضربه به فاذا رأسه بين يديه ، فصاح الناس يا ضبّة الحرم وكانوا لا يَعْدُو بعضهم على بعض في الحرم . فقال ضبّة : سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ ، فأرسله مثلا . والعُرام من قولها ـ وفي بعض أخلاق الغلام عُرام ـ الجهل يقال : غلام عارِم أي جاهل بيّن العرامة وقد عَرُم الصبيّ يَعرُم ويَعرِم ، وعَرِم يَعرَم عَرَما اذا جهل وعرَم يعرُم عَرَمًا وعرامة وعُراما . والصَّمُلُ من قولها ـ ولكن صَمُلٌ ـ الشديد الصلب (٢) ومأخوذ من الصَّمل وهو الصلابة واليبس يقال : رجل صُمُلّ وامرأة صُمُلّة اذا كانت شديدة البَضْعَة والعضاه . والشَّزْرُ في حديث أبي النجم ـ ما أنظر اليهن الاّ شَزْرًا ـ

---

(١) الأغاني ٥ — ٨٩ وديوانه ١ — ١٤٩ ولسوبري ٣ — ٧٦
(٢) كذا بالأصل وهو أخذ بإثبات الواو والصواب سقاطها

هو النظر بمؤخر العين يقال: شَزَرَه يَشْزِرُه شَزْرًا، وكذلك الطَّعْنُ الشَّزْرُ هو إذا طعنه عن يمينه وشماله، والشزْرُ أيضاً الفتل الشديد، والكُرْهُ والكَرْهُ لُغَتَان، والدِّرع من قوله ـ نظرَتْ فأعجبها الذى فى درعها ـ مذكّر ودرع الحديد مؤنّثة وقد يُذَكّر فى بعض الأقوال والسِّربال الثوب أيضاً وجمعه سرابيل قال تعالى فى وصف أهل النار «سَرَابِيلُهُمْ من قَطِرَانٍ» والكَفَل يعنى به العَجُز وموضوع لفظ الكفَل للدابّة، وينوء ينهض مُتَثَاقِلاً، والوَعْث أصله الأرض السهلة الكثيرة الرّمْل والجميع وُعُوثٌ وأوعاث، فشبَّه العجز بها فى لينها ودَماثتها. والأختم من الأحراح العريض الكابس وكذلك الخَتَم فى الأنف هو عَرَضه يقال: رجل أخْتَمُ وامرأة خَتْمَاء، والعِجان ما بين الاست والخصيين، والرّكَبُ العظم الذى عليه شَعر العانة، والعقارب جمع عقرب. والأفاعى جمع أفعى. وذَكَرُ العَقارب عُقْرُبَانٌ وذَكَرُ الأفاعى أفْعُوَانٌ قال الشاعر (١):

قد سَالَمَ الحيّاتُ منه القَدَمَا   الأفْعُوَانَ والشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

وحُمَة (٢) العقرب وجمعها حُماتٌ سَوْرَةُ سَمّها وحِدَّته والتى تَلْسَعُ بها إبرَتُها يقال: لَسَعَتْه العقرب تَلْسَعُه. ولَسَبَتْه تَلْسبه، ولدَغَتْه تَلْدَغه، وأبَرَتْه تَأبُرُه، ونَهَشَتْه الحيّة ونَهسته ونشَطته ونكزَته، والنَّهْشُ والنَّهس والنَّشْط بأنيابها والنكْزُ بأنفها قالت الخنساء (٣):

تعرّقَنى الدهرُ نَهْسًا وحزًّا   وأوجعنى الدهر قَرْعًا وغَمزا

وأعظم الحيات الثُعبان، والحفّاث أيضاً حيّة عظيمة لكنّها تنفُخ ولا تؤذى وجمعها حفَافيث قال الشاعر (٤):

---

(١) انعيى ٤ — ٨٠ لأبى حيان القفسى والخزانة ٤ — ٥٧٠ واللسان م شجعم

(٢) لم يجر ذكر الحمة فى أبيات أبى النجم الا أنه ذكرها تبعاً لذكر الحيات

(٣) ديوانها ١٤٣ والعيون ١ — ١٩١ والسيوطى ٨٨ والكامل ٧٤٥

(٤) اللسان م حفث لجرير وديوانه ١ — ١٣١

إنّ الحفافيث منكم يا بَنِى لَجَـأٍ   يُطْرِقْنَ حيث يَسُورُ الحيةُ الذَّكَرُ

ونحوها العِرْبَدّ وهو أيضاً حية تنفُخ ولا تُؤذى ومنها أُخذت العَرْبَدَةُ واسم المُعَرْبِد قال ابن دريد : ويمكن أن يكون اشتقاق العرْبِيد والمُعَرْبِد من العَربَدِ وهى الأرض الخَشِنة الغليظة ، وفى الحيّة لغتان عِرْبِد بالتخفيف بكسر الباء وعِرْبَدّ بفتح الباء وتشديد الدال قال مالك [١] بن حريم فى التخفيف :

أبْصَرْتَ منّى عِرْبِدًا   يَقْطُو أمَام الخيل قَطْوَا

وقال الرَّقاشى فى التثقيل :

انقَضّ بازٍ [٢] غيرَ مُجْرَهِدّ   مثل انسِياب [٣] الحيَّة العرْبَدّ

والصِّلّ التى لا تنفع الرُّقية معها ، والحارية الأفعى التى قد صغرت من الكِبَرِ وقيل إنها أطول الحيوان عمراً تعيش أكثر من ألف سنة وسُمّيت حارية من حَرَتْ تحرِى حَرْياً فهى حارية إذا نقصت ، وكذلك كل شىء إذا نقص فقد حرَى يحْرِى حَرْياً قال الراجز :

حاريةٌ قد نقصَتْ مِنَ الكِبَرْ   داهيةُ الدهر وصَمَّاء الغِيَرْ

وقال الراجز [٤] :

ما زال مَجْنُوناً على است الدَّهرِ   فى جَسَدٍ يَنْمى وعَقْلٍ يَحرِى

فيحرى يَنْقُصُ . وقوله ـ على است الدهر ـ أى على مرور الدهر وعلى وجه الدهر ، والحية النَّضْنَاض الخفيف الجسم الكثير الحركة وسمى نضناضاً

---

(١) حيوان ٦ — ١٦١ وفى ضبط اسم أبى الشاعر أربعة أقوال فقيل حريم بالحاء المهملة والراء ككبير وقيل حزيم بالحاء المهملة أيضا والزاء المعجمة ككبير أيضا وقيل حزيم بهذين الحرفين على التصغير وقيل حريم بالحاء المعجمة والراء المهملة على التصغير كذا فى السمط

(٢) بالأصل انقض بدوا وكذلك فى حيوان ٦ — ١٦١ وهو خطأ فاحش

(٣) الانسياب خروج الأفعى من مكمنها

(٤) اللسان م است باختلاف لأبى نخيلة وم حرى بغير اختلاف من غير عزو وفى تهذيب اصلاح المنطق ١ — ١٥٧ له من قصيدة مدح بها يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى

لتحريكه لسانه يُوعد به يقال : نَضْنَضَ لسانَه يُنَضْنِضُ نَضْنَضَةً إذا حرَّكه ، ورُوى أنَّ رجلا من الصحابة رحمهم الله قال : رأيت الصدّيق أبا بكر رضى الله عنه قد أخرج لسانه يُنَضْنِضُه ويقول : ها إنّ ذا أوْرَدَنى المَوَارِدَ ها إنّ ذا أوردنى المَوارد ، ويُشَبَّهُ الرجل الخفيف الجسم النشيط المتوقّد بالنضناض قال طرفة (١) :

أنا الرجل الضَّرْبُ الذى تعرفونَه   خَشَاشٌ كراس الحية المتوَقدِ

يريد هذا الجنس من الحيّات قال أبو تمّام (٢) :

مَنْ أَبَنَّ البيوتَ أصبحَ فى ثَوْ   بٍ من العيش لَيْسَ بالفَضْفَاضِ

والفتَى من (٣) تعرَّقَتْه الليَّالى   فهو فيها كالحية النَّضْنَاضِ

وسمّى هذا الضرب من الحيّات شيطانا . وقول الله تعالى فى تَشَبُّه طَلْعِ شجرة الزقوم : « إنّها شَجَرَةٌ تخرُجُ فى أصل الجحيم طَلْعُها كأنه رُؤوسُ الشياطين » قال المفسرون شبهَ تعالى برؤوس الشياطين هذه الحيّات والسّدَامة فى قوله :

إنّ الندامة والسدامة كلّها   أنْ نال منه الطيبَ غيرُك خاليا

الحُزن يقال : إنّ فلانا لنادم سادم : فالنادم هو المتأسف على ما فاته ، والسادم الحزين ، والسّدَم الحزن مع الغيظ والسَّدِمُ والمُسَدَّم الفحل اللئيم الذى لا يُرتضَى للضِّراب الاّ أنه يُخلى فى الإبل فاذا تَحرّكَ وهاج وتحرّكَتْ معه كِرَام الفحول أُمسك عن الضراب ومُنع منه وضربت تلك الفحولُ الكرامُ فى الإبل . وهو المعنى أيضاً فضربت به العرب المثل قال المغيرة(٤)

(١) النقد الثمين ٥٩ واللسان م خش

(٢) بالأصل قول أبى تمام مصحفا والبيتان فى ديوانه ١٨٧

(٣) بالأصل تعرفه مصحفا

(٤) الخزانة ٤ — ٣١٤ للوليد بن عقبة وابن أبى الحديد ٢ — ٢٢٦ واللسان م سدم وفى هذه الكتب تهدر بالراء بدل تهدد

ابن شعبة لمعاوية رضى الله عنه :

قطعتَ الدهر كالسدِم المُعَنّى تُهَدِّدُ فى دمشقَ ولا تَرِيمُ

وقالت ليلى الأخيليّة (١) :

يا أيّها السّدِمِ المُلَوّى رأسَهَ لِيَنَالَ من أهل الحجاز بَرِيمَا

وقوله — وان عَمِرْت لياليا — أى وإن طال عمرك يقال : عَمِرَ الرجل إذا طال عُمْره وعَمَرَ منزلــه . وعَمَرَ المنزلُ نفسَه من العِمارة ، والمِسْعَر من قول الكلبىّ :

قد كان أبرى يا أُميم حُرًّا عند الهياج مسْعَرًا مِبـرًّا

هو الذى يَشُبُّ الحرب ويهيجها كما تُسْعَر النـار وتُوقَد يقال : سَعَر الرجل الحرب والنار إذا شبّهما وأوقدَهما ويقال : سَعر الرجل القومَ شَرًّا وأسعرهم إذا أكثَرَ الشَّرَّ فيهم . والمُبِر اسم الفاعل من أبَرَّ الرجل على القوم إذا غلبهم وتَقَدَّمَهم . واسْبَطَرَّ امتَدَّ يقال : اسبطرّ الشىء يَسْبَطِرّ اسْبِطْرَارا فهـــو مُسْبَطِرّ إذا امتدَّ وقوله — انْتَفَخَتْ أوداجُه ودَرًّا — إستعار له الأوداج وحقيقة الأوداج أن تكون فى عنق وهى ما أحاط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح أعنى ما عن يمين الحلقوم وشماله واحدها وَدَج بالتحريك . والخاسىء من قوله — عاد إلىّ خاسئًا مُزْوَرّا — الذليل المُبعَد بُعدَ الصَّغَار من قولك : خَسَأتُ الكلب إذا أبعدتَه فاذا قيل ذلك للانسان فانما يراد به الاهانة أى ابعد بعدَ الكلب قال ابن عباس رحمه الله فى قوله تعالى : « ينْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خَاسِئًا وهو حسير » أى ينقلب ذليلاً كما ينقلب من طلب شيئاً فلم يجده وأُبعدَ عنه . والمُزْوَرّ المائل المنحرف عن الشىء والازْوِرَار والتزاوُرُ الميل والانحراف ، وقوله تعالى

(١) حماسة ٢٠٤ و حبى ٢ — ٤٧ و هى ١ — ٢٥٢ فيها تسعة أبيات ، قال وكان الأصمعى يرويها لحميد

فى صفة أهل الكهف: «وتَرَى الشمْسَ إذا طلعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ» أى تميل وتنحرف ومنه قول عنترة (١) فى وصف فرسه:

وَازْوَرَّ من وَقْعِ القَنَا بلَبَانِه   وشكا إلىّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

وقوله ـ كأنما أسعطَ شيئاً مرًّا ـ يقال: لِمَا يُتَدَاوَى به السَّعُوط بالفتح والوَجُور واللَّدُودُ فالسعوط يكون فى الأنف، والوَجور فى وسط الفم، واللَّدود ما يُسقاه العليل فى أحد شِقّى الفم، وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّه قال فى مَرَضٍ لُدَّ فيه: «لا يبقَى فى البيت أحد إلاّ لُدَّ إلاّ عمّى العبَّاس»، واللّدود مأخوذ من اللدِيدَيْنِ وهما صفحتا العنق، وفى خبر أيمن آكُلُ الجفْنَةَ الدَّرْمَك. فالدَّرْمَك ما صُفّى من دقيق البر كالحُوَّارَى ونحوه، والعُرَاق جمع عَرْقٍ وهو ما عَرَقْته من اللحم عن العظم ولمْ تأت فعَال فى أبنية الجمع إلاّ فى أحرف يسيرة قالوا رِخْل ورُخَال وتَوْأمَ وتُؤَام. وشاة رُبّى وهى التى قد ولدت، وغنم رُبَاب، وفَرِير وهو ولد البقرة الوحشية وفُرَار، وعَرْق وعُرَاق، والرِّفْدُ القدَحَ العظيم الذى يُرْوى الجماعة، والغُمَـر القدح الصغير يُروى الواحد قال الشاعر (٢):

تكفيه حُزَّةُ فلْذَانٍ ألَمَّ بها   من الشِّواء ويُروِى شُرْبَه الغُمَرُ

وقال فى الرفد (٣):

رُبَّ رِفْدٍ هرقتُه ذلك اليَوْ   مَ وأسْرَى من مَعشَرٍ أقتَالِ

فالأقتال الأعداء واحدهم قِتْلٌ ويُروَى أفيــال، والأفيال واحدهم قَيْلٌ (٤) ومِقْوَلٌ وهم دون الملوك وقوله ـ وارْكُضُ المهر الأرِنِ مِلْ

(١) العقد الثمين ٤٨ والعكبرى ١ — ٣٠٧

(٢) اللسان م غمر لاعشى باهلة

(٣) القالى ١ — ٩٠ للاعشى والسيوطى ٢٣٤ والعينى ٣ — ٢٥١

(٤) فى اللسان م قول ان القيل بلغة اليمن هو المقول وجمع المقول مقاول وجمع القيل أقوال وأقيال — قال الميمنى كلام أبى طاهر فيه تجوز وإنما المقول واحد المقاول

حُضرِه ـ يقال : ركَضتُ الفرس أركُضُه رَكْضاً إذا أجريته وكذلك استحضرتُه وأحضرَ الفرسُ نفسه إذا عدَا ، وفرس مِحْضير وخيل محاضير إذا عَدَتْ عدواً شديداً والإحضار المصدر والحُضْرُ الاسم ، وقوله ـ ملء حضره ـ مأخوذ من ملأتُ الاناء أملأه ملئاً اذا لم تُبْقِ فيه موضعاً للزيادة فكأنه يَستخرج من المُهر غاية ما عنده من الجرى . والأرِنُ النشيط يقال : أرِنَ يأرَنُ أرَناً فهو أرِنٌ إذا نشِط ، والعُجاب فى قوله ـ لقيتُ من الغانيات العُجابا ـ يريد أمراً عجيباً يقال : عجيب وعُجَاب وعُجَّاب ككبير وكُبَار وكُبَّارٌ وعُجَّاب للمبالغة فى وصف الشيء بالكبَر [1] ، والعُجْبِ منه . وكُبَّار بالتشديد أشدّ فى المبالغة قال سبحانه : « ومكرُوا مكراً كُبَّارا » أى مكراً شديداً غاية فى معناه ، وقوله — يُبْرِقْنَ — يقال : أبرقت المرأة وأرعدت إذا تزيَّنَتْ وتهيَّأتْ . والحَوَرُ [2] شدّة بياض العين ، والكِذاب الكَذِبُ ، والخِلاط مصدر خالَطَ مُخالطة وخِلاطا ويُكنى به عن النكاح كما قال خوّات بن جُبَيْر الأنصارىّ :

شغَلْتُ يدَيْها إذ أردْتُ خِلاطَها ... بِنِحْيَيْن من سَمْنٍ ذَوَى عُجَرَاتِ

وهذا يقــوله خوّات لذات النِّحْيَيْنِ وهى امرأة من تيم اللات من ثعلبة وكانت تبيع السَّمْنَ فى الجاهلية ، وأتاها خوّات يبتاع منها سمنا ولم يرِ عندها أحدا فطمع فيها فساومَها . فحلَّتْ له نِحْيًا مملوءا فنظر إليه ثمّ قال امسكيه حتى أنْظُرَ إلى غيره ، فقالت له : حُلَّ نِحيًا آخر ففعل ونظر اليه فقال أريد غير هذا فامسكى هذا فأمسكتْه ، فلمَّا شغل يدَيْها ساوَرَها فلم تَقْدِرْ على دفعه حتى قَضَى ما أراد وهربَ وقال [3] :

---

(١) بالأصل بدون الواو بين بالكبر والعجب

(٢) ترتيب ليس بمرعى فى تفسير الكلمات فان البيت الذى فيه حور قبل الذى فيه يبرقن

(٣) الأبيات مع الخبر فى لسان م نحاو الميدانى ١ — ٣٤٤ وفى ثمار القلوب ٢٣٤ خمسة

وذات عيــال واثقين بعقلها خلجتُ لها جار استها خلجات
شغلتُ يديها إذ أردتُ خلاطها بنحيين من سمن ذوى عجرات
وكان لها الويلاتُ فى ترك سمنها ورجعتها صفرًا بغير بتات
فشدّت على النحيين كفًّا شحيحةً على سمنها والفتك من فعلاتى

ثم أسلم خوّات وشهد بدرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خوّات كيف شِراُدك وتبسّم عليه السلام، فقال: يا رسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر فهجا رجل [١] من بنى تيم اللات فقال [٢]:

لكلّ قبيلة قمــر ونجمٌ وتيم اللات ليس لها نجومُ
أناس ربّة النحيين منهــم فعدّوها إذا عُدّ الصميمُ

وفى قول أبى حُكيمة ـ ميل المرنّح ـ يشكو شدة السَّدَر المرنّح المتمايل يميناً وشمالا من سكر أو غيره والسَّدرُ ظلمة تغشى العين يقال: سَدِرَ البصير يَسْدَرُ سَدَرًا إذا أصابه ذلك ويقال أتى فلان الأمر سادرا إذا جاءه من غير وجهه، وقوله ـ وإن يقمْ قلتُ قُنّاة معقفة ـ فالقناء ممدود فيـــه لغتان قِنّاء وقُنّاء بكسر القاف وبضمها، والرساء الحبل وجمعه أرشية، والركية البئر الصغيرة ما لم تُطْوَ فاذا طُويت فهى البئر وأقحمت من قوله ـ يا أير لو كنت حرّا أقحمت فى كل هول ـ أى أدخلتَ نفسك فيه غير راجع عنه ولا متفكّر فى عاقبته يقال: فلان يَتقحّمُ فى الأمور إذا كان يدخل فيها بغير تثبت ولا رَوِيّة، ومنه قُحْمةُ الأعراب وهو أن يُجْدبوا فى البدو فيدخلوا الريف أنشد ابن الاعرابى [٣]:

(١) كذا بالأصل باثبات كلمة من بين الرجل وبنى تيم اللات وفى اللسان م نحا وهجا العديل بن الفرخ بنى تيم الله فالصواب على هذا اسقاط كلمة من

(٢) اللسان م نحا العديل بن الفرخ أربعة أبيات

(٣) اللسان م قحم وهناك علكم اسم ناقة وهو الصواب

أقول والناقةُ بى تقحّمُ　　وأنا منها مُكلئزٌ مُعْصِمُ
ويحك ما اسمُ أمّها يا علقمُ

قال القُتَبي مُكلئزٌ منقبض يقال: إكلأزّ الرجل إذا تقبّض، والمُعْصِم المستمسك قال وقوله ـ ما اسم أمها ـ قال ابن الاعرابى: كانوا يقولون إنه إذا ندّت الناقة فلم تُضبط فسُمّيت أمها وقفت وإن البعير إذا ندّ فسُمّىّ أب من آبائه وقف، وقوله ـ تخرّمت الأيّام من بدنى عضوا ـ أى أهلكته وذهبت به يقال: اخترمهم الدهر وتخرّمهم إذا أهلكهم وأفناهم، والآدَمُ من قوله خُرجان من أدم جمع أديم وهو الجلد، والرقمتان وذو سَلَم موضعان، ومن اسماء الحِرِ ونُعُوته وخَلْقِه وما قيل فيه هو الحر خفيف الراء والفرج والقُبُل وثلاثة أحراح وكان الأصل حِرْح فأسقطوا الحاء (١) من الواحدة قال الفرزدق (٢):

إنى أقود جملا مِمْرَاحا　　ذا قُبَّةٍ مُوقَرَةٍ أحراحا

والكَعْثَبُ هو الممتلىء الناتىء أيضاً والأكبر وهو الناتىء أيضاً، والأخثم وهو العريض الكابس (٣) وهو الجميش وهو المحلوق يقال: جمشته إذا حلقته ومنه سمّى الرجل جمّاشا كأنه يطلب ذاك. والمنهوش القليل اللحم، وفى الحر الإسْكتَانِ وهما جانبا الحر قال جرير (٤):

لها بَرَصٌ بأسفل إسْكتيها　　كَعَنْفَقَةِ الفرزدق حين شابا

ذُكر أن الفرزدق وقف على نادٍ فيه جرير يُنشد هذه القصيدة فلمّا بلغ إلى هذا البيت:

---

(١) كذا ثبتت (من) وهى من عادة النسخ لأن الحر مذكر فمفرده واحد لا واحدة — الميمنى
(٢) خزانة ٢ — ١٠٢ واللسان م حرح والمخصص ٢ — ٣٧
(٣) بالأصل الكابس بالسين
(٤) ديوانه ١ — ٣٢ ونقائض ٤٤٠ واللسان م است والمخصص ٢ — ٣٨ باختلاف

لها بَرَص بأسفل إسكتيْها

وقف كالمستريح فقال الفرزدق : وا عَنْفَقتاه فما استتَمّ قوله حتى قال جرير :

كعَنْفَقَة الفرزدق حين شابا

وفيه الأشعران وهما ممّا يلى الشُفرين من الشعَر . والكَيْنُ لحم الرَّكَب والرَّكَبُ العظم الذى عليه شعر العانة قال الشاعر[١] :

غَمَزَ ابْنُ مُرَّة يا فرزدقُ كَيْنَها   غَمْزَ الطبيب نَغَانِغَ المَعْذُورِ

وقالت عمرة[٢] بنت الحُمَارِس :

يا مَن يَدُلّ عَزَباً على عَزَبْ   على ابنة الحُمارِس الشيخَ الأزَبّ

محطوطةِ المتنَيْنِ خَشْماء الرَّكَبْ   كأن لحم كَيْنه إذا انقلَبْ

رُمّانة فُتّتْ لحموم وَصِبْ

مثل هذا التشبيه بالرُمَّان قول الفرزدق[٣] يصف نساء :

فبِتْنَ بجانبَىّ مصــدَّراتٍ[٤]   وبتُّ أفُضّ أغلاق الختامِ

كأن مَعالق الرُمّان فيــه   وجَمْرَ غضاً قعدنَ عليه حامِ

وقالت أخرى[٥] من الأعراب تصف رَكَبها :

إنّ حِرِى حَزَنْبلٌ حَزَابِيَهْ   كالقَدَح المملوء فوقَ الرابِيَه

---

(١) النقائض ٩٣٧ لجرير وديوانه ١ — ٨١

(٢) اللسان م عزب الأولان

(٣) البيتى ٢ — ٤٣ والعيون ٢ — ٢٧ و ٤ — ١٠٧ والميدانى ١ — ٣٧٩ والأول فى ابن أبى الحديد ١ — ٤٢٨

(٤) كذا بالأصل والرواية الشائعة مصرعات

(٥) اللسان م حزنبل وحزب الشطر الأول والثالث وم حزر الأول باختلاف كثير مع شطرين آخرين

إذا جلستْ فوقه تَبَابِيَهْ

وفى المرأة الرَّحِم وفى الرحم العنُق وهو ما استدقَّ منها فى أدناها مما يلى الحر وفى الرحم حلقتان فإحداهما على فم الفرج عند طرف الفرْج والأخرى التى تنضَمُّ على ماء الرجل وتنفتح للحيض ، وما بين الحلقتين المَهْبِلُ وكذلك يقال لما بين أعلى الجبل وأسفله مَهْبِل أيضاً . والقُرْتَان شُعبتا الرحم ، والمَلاَقى مَضايق الرحم مما يلى الفرج ، ومن عيوب النساء المَقَّاء وهى الطويلة الاسكتين الصغيرة الركَب الدقيقة الشفرين وذلك عيب فيها ، وإنما يُستحب من الركب العَرْضُ ومن الشُفرين الغِلَظ . وصَفَتْ امرأة من الأعراب أخرى فقالت : كأنَّ حِرَها دارة قمر وكأنَّ شُفريه أير حمار مَشْيٍ . ومنهن الرَّطُوم والغَيْلَمُ وهما الواسعتا الحر وذلك عيب فيه وإنما يستحب منه الضيق كما وصف اعرابى امرأة تزوَّجها فقيل له كيف وجدتها فقال وجدتُها رَصُوفا رَشُوفاً أنوفا : فالرَّصُوف الضيقة الفرج ، والرَّشوف الطيبة المُقَبَّل ، والأنوف التى تأنفُ من الدنايا ومما لا خير فيه ، ومنهن الغَلْفَقُ وهى الرَّطبة وهو عيب وإنما يستحب منها اليُبس والاستحصاف كما قالت أم وَرْد الأعرابية لشيخ صحبَ قومَها فى طريق الحجاز وكانت فيهم ومعها جماعة من فتيانهم فجعل ذلك الشيخ يُرِى أمّ ورد جَلَدَةً (١) وقد كانوا يتراوجون سَوق إبلهم فاذا ترك واحد من أولئك الفتيان ضمَّ الابل ومَلَك من سَوقها ما يريده ، وإذا ترك ذلك الأشمط لسوقها (٢) تفرَّقتْ عليه ولم يستطع أن يَضُمَّها وخرجت عن الطريق فقالت له أم ورد :

يا أيها الشيخ الكثير المُوقِ   إغمزْ بهنَّ وَضَحَ الطريقِ
غمزَك بالكَبْساءِ ذات الحُوقِ (٣)   بين حِفَافَىْ رَكَبٍ محلوق

---

(١) الصواب جلده أى صبره

(٢) كذا بالأصل والصواب إسقاط اللام من لسوقها

(٣) هذا الشطر والذى بعده فى اللسان م ركب وهما مع الذين قبلهما باختلاف فى التاج م فوق

أعانَه أســفَلُه بِضيــقِ سُخنِ السَّماطَين قليل الريقِ

فقولها — قليل الريق — إنما تريد استحصافه ويُبسه ، ومنهن اللَّخْوَاء وهى التى فى حرها عِوَج وهو عيب واللخاء فى البَظْر استرخاء أحد شِقَّيه ، ومنهن المتَوَهِّجَة وذاك محمود فيها قال الفرزدق (١) :

يا رُبَّ خَوْدٍ من بَنَاتِ الزِّنْجِ تَحْمِل تَنُّوراً شديد الوَهْجِ
أخثم مثل قَدَح الخَلَنْجِ

ومنهن المُسْتَحْصِفَةُ وهى التى تَيْبَسُ عند الغِشيان وذلك محمود ، ومنهن الشَفِرَةُ وهى التى تشتهى بين الشفرين ، ومنهن القَعِرَةُ وهى التى تشتهى فى القَعْرِ ، ومنهن العَظِمَةُ وهى التى لا تُحب إلاّ المبالغة مثل تشبيه الفرزدق الحر بقدح الخلنج قول الآخر :

قامت تَمَطَّى والقميصُ مُنْخَرِقْ (٢) فصادفَ الخرْقُ مكاناً قد حُلِقْ
كأنه قَعب نُضار مُنفلِقْ

وأتى بهذا التشبيه آخر وزاد فيه فقال :

قلتُ لذات الكَعْثب المِصَكِّ ولم أكن من أمرها فى شَكِّ
إذْ لبِسَتْ بُردًا دقيق السلكِ وعِقــد دُرٍّ ونظامَ سُكِّ
غَطِّى الذى أفتن قلبى منــكِ قالت وما ذلك قلتُ حِركِ
فكشفتْ عن أبيض حُبُكِّ كأنه قَعب نُضارٍ مَكِّى
أو جُبْنَةٌ من جُبْن بعلبَكِّ يُسمع فيه الدَّلك بعــد الدلكِ
مثل صرير القَتَب المنفكِّ أوحكِّ صفّارٍ شديد الحَكِّ

وشبَّهه آخر (٣) أيضاً فقال :

---

(١) العقد ٣ — ٢٧٤ وحماسة ابن الشجرى ٢٧٦ بزيادة ورسائل الجاحظ ٧٤
(٢) الحماسة ٨٠٥ (٣) الحيوان ٦ — ٣٠ للمعانى

إنى لأرجو من عطاء ربّى ومن وَلِىِّ العهد بعدَ الغِب

رُوميَّةً أوجُ فيها ضَبٌّ لها حِرٌ مُسْتَهْدِفٌ كالقَعْبِ

مُسْتَحْصِف نِعْمَ قِرابُ الزُّبِّ

وقال فيه سُتَيْم فشبّهه بالقدح أيضاً :

أبصرتُها تميل كالوَسنانِ من الظباء الخرَّد الحِسانِ

تمشى بمثل قدَح الحُبْشانِ

وجمع آخر (١) وصف الفرجين معاً فقال :

قام إلى عذراء جَعْفَلِيق قد أقبلت بكَعْثب محلوقِ

تمشى كمثل النخلة السَّحُوق مُعجَّرٍ مُبجَّرٍ مَعْروقِ

هامته كصخرة فى نِيقِ إحليلها شَقٌّ كشَقِّ الشِّيقِ

وحُوقها حوقٌ ولا كالحُوقِ لمَّا اعتلاها هَبَّ فى الشهيقِ

قاعَ عليها قَوْعةَ الفَنيقِ فشَقَّ منها أضيق المَضيقِ

طَرَّقَه للعمل المَوْمُوقِ يا حبَّذا ذلك من طريقِ

وقال آخر من الاعراب .

جاريةٌ أعظمها أجَمها (٢) ناتئة الرُّجل فما تَضُمُّها

قد سَمَّنَتْها بالجَرِيش (٣) أمُّها فهى تَمَنَّى عزَبا يَشُمُّها

---

(١) للسان م جعفلق لأبى حبية الشيبانى الارجوزة كلها غير الاشطار السادس والسابع والثامن والتسع إلا أن السدس فيه فى م شيق

(٢) المخصص ٢ — ٤٠ واللسان م يدد ثلاثة اشطار باختلاف ونقل فيه من التهذيب ان الشطر الاول هو جرية يدها أجمها

(٣) بالأصل الخيش مصحفا والتصحيح من المخصص والجريش دقيق فيه غلظ يصلح للخبيص نرمل وفى اللسان بدله : بالسويق

وقال آخــــر :

إنّ بحرّان مَهًا يمشينَ مِشْيَ البَقَرِ
فى قُمُص قُوهِيّةٍ وفى رِقاق الأُزُرِ
وفى المها جارية تُبْغِض أهل الحَفَرَ
قالت على هَيْلَتِها لنســوة كالصُّوَرِ
أنارَبُوخٌ وحِرِى يُحْمَدَ عند الخَبَرِ
إذا عــلاه رجل خَدِرَتْ كلُّ الخدَرِ
يَعَضُّه حرُ حِرِى بمثل حرّ الشَّرَرِ

مثل هذا البيت الأخير قول ابن الرومى :

له اذا ما القُمدُّ خالطه أزم كمثل الخناق بالعُنُقِ

ونحوه أو قريب منه قول أمّ الورد:

كأنّ حجّاما شديدا أبْهَرُهْ يُدارك المصَّ ولا يُفَتِّرُهْ
يَمَصُّ ماء صلبه ويُحدرُهْ

وهذا قول أم الورد العجلانية فى عمّارة امرأة السَّرِىّ بن عبد الله والى اليمامة وقد تظلّمت إليه فأنصفها وأمرها أن تمدح امرأته فقالت له أذكر هَنَها وأمدحه فقالت :

حِرٌ لعمّارة ناب مِنْبَرُهْ سُخْنٌ السَّماطين مَضيق حَنجرُهْ
مثل السَّنام جُزَّ عنــه وَبَرُهْ ظلّت به لاهيــة تُزَعفرُهْ
يَنفح ريّاه ويَنْدَى مِجْمَرُهْ يُشْهِى السرىّ فى القضاء ذِكَرُهْ
يُرضى السرىَّ فى اللمام خَبَرُهْ كأنّ حجّاما شديدا أبهرُهْ

يدارك المصّ ولا يفترُهُ يمصّ ماء صلبه ويحدرُهُ

عضّ الرِّباعِ جذعاً يُسكّرُهُ

فقال لها السريّ وأعجبه ما ذكرتْ وأعجب عمّارة امرأته كل العجب : هل تزوجتِ ، وهى حينئذ كا نهد ثدياها فقالت : لا والله وإنى جارية بكر ، وقال آخر من الاعراب (١) :

قالت له بالله ياذا البُرْدَيْن لمّا غَنِثْتَ نَفَسا أو اثنين
فى جُنْبُلٍ كالحوض بين الوَطْبَين وَادْخَل بنا أحد (٢) ذَين البيتَين
فاعتَركا (٣) ياقوم بين الكِسْرَيْن فكَسَرَ القُرْطَين والخلخالَين
والسَّوذَقَين مُنِعا من القَين وقَطَعَا بينهما الوشاحَين
للذّة تحدث بين الفرجين يَؤُزُها بمُشْمغِدٌ الجنبَين
كما دَحَسْتَ الثوب فى انوعاءيْنِ ليس به من ألمٍ ولا أين
فهى تُفَدّى نفسه بالجدَّين ووالدَيه مرّةً والعمّين

وقال ابن الرومىّ :

أحِبُّ كلّ غادة ألحاظُها تكلّمُ
فان أحارت طفقت ألفاظها ترنّمُ
ماءِ صِباها غَدَق وتارةً تَضَرّمُ
والوجه منها جنّة وحرُها جهنّمُ

(١) الشطر الأول فى اللسان م غنث

(٢) كذا بالأصل وفيه تصحيف — قاله الميمى

(٣) بالأصل ههنا فعركا وسيأتى فى ص ٣٠٨ فاعتركا وهو الصواب

وقال أيضاً (١) يصف سوداء :

غصن من الآبنوس ألتف من
مؤتزر مُعْجِب ومنتطق

أكسبها الحُبَّ أنها صُبغت
صبغة حبّ القلوب والحدق

فانصرفت نحوها الضمائر والأبصار يُعنقن أيما عنق

يفترّ ذاك السواد عن يقق   من ثغرها كاللآلئ النسق

كأنها والمزاح يُضحكها   ليلٌ تفرّى دجاه عن فلق

لها حِرٌ يستعير وقدته   من قلب صبٍّ وصدر ذى حنق

كأنما حرّهُ لذائقه   ما أوقدت فى حشاه من حُرَق

يزداد ضيقاً على المراس كما   تزداد ضيقاً أنشوطة الوهق

له إذا ما القُمُد خالطه   أزْم كأخذ الخناق بالعنق

أخْلِقْ بها أن تقوم عن ذكر   كالسيف يفرى مُضاعفَ الحلق

إن جفون السيوف أكثرها   أسود والحق غير مختلق

قد مرَّ فيما أفضينا اليه وأفضْنا فيه ما فى مثله بلغة ومقنع لقارئيه ، وهذا تفسير ما مر فى هذه الأبيات من الغريب : المِمراح من قول الفرزدق : — انى أقود جملا ممراحا — النشيط يقال : مَرِح الرجل يَمْرَح مَرَحاً ومِراحا فهو مَرِح ومارح ومِمْراحَ ومَرْحان أى نشيط من قوم مراحَى ، وناقة مِرحة بيِّنة المَسرَح أى النشاط ، واستعمله المتنبى (٢) فى وصف ناقته فقال لممدوحه :

---

(١) الحصرى ١ — ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ أحد عشر بيتا باختلاف بعض الكلمات واختلاف الترتيب وليس هنـاك التاسع من هذه وهنـاك بيت آخر ليس ههنا وفى النويرى ٢ — ٣٨ من الثانى الى الخامس أربعة باختلاف

(٢) ديوانه — ٣٣٤

إليك طعنًا فى مَدَى كلّ صفصف
بكلّ وآة كل ما لقيَتْ نَحْرُ
إذا ورمَتْ من لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لها
كأنّ نَوَالاً صَرّ فى جلدها النِّبْرُ

الوآة الناقة الصُّلبة الشديدة ويقال الطويلة أيضاً ، والصفصف المستوى من الأرض الذى كأنه على صفّ لاستوائه ، والنِّبْرُ دُوَيْبّة صغيرة تقع على الابل فتلسَعها فيرم موضع لَسعتها ، فجعل المتنبى قلق ناقته من أجل لَسعة النّبر إيّاها نشاطاً وشبّه ما يُوَرّمُ عن لسعته بنوالٍ صَرّ فى جلدها ، أسداه النبر إليها ، وجاد به عليها ، إذ كان سببه ففرحت به ومرحت له فأغرب وملّح ، وجعل قطعها البيداء ونفوذها فيها كنفوذ السنان فى حال الطعن إذا صادف نَحْرًا ولمّا ذكر الطعن ذكر معـــه النحر حِذْقًا وبراعة وتوفية لحقوق الصناعة كما قال عمرو بن قعاس (١) :

وكنتُ إذا أرَى زِقًّا مريضاً   يناح على جنـــازته بكيتُ

رجع والنغانغ فى قول جرير (٢) — غَمْزَ الطبيب نغانغ المعذور — ويُروى نعانغ (٣) المدغور اللحم المُتَدَلّى من بطون الأذنين فى الحلق ، والمعذور الذى أصابته العُذْرَة ، وكذلك المدغور الذى أصابه الدَّغْر وكلاهما وجع فى الحلق ، وأكثر ما يعرض للصبيان فيَعلق عليهم . والإعلاق رفع اللّهَاة ورُوِى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه وأمر بالقُسْط البَحرىّ والأزبّ فى قول ابنة الخمارس — هو الكثير شعر الجسد — ونحوه

(١) سبق لبيت
(٢) في سبق نـ ولم يصرح هناك باسمه
(٣) كذا بالأصل ولا نى بمعناه فسله النغانغ وإنما أراد بالتكرار ذكر الاختلاف فى رواية المدغور فقط لا فى الكلمتين

الأهلب ، والمتنان ما اكتنف الصُّلب عن يمين وشمال ، والصُّلب هو العظم الذى بين المتنين ، والأخثم من قولها — خثماء الركب — هو العريض وقد تقدَّم ذكرنا له ، والوَصب الوجع وإنَّ فلانا ليَتَوَصَّبُ أى يتوَجَّع قال ذو الرمة (١) يصف ناقته :

تشكو الخِشَاشَ ومَجْرَى النَّسعتَين كما
أنَّ المريضُ إلى عُوَّاده الوَصِبُ

والحزنبل الحَزَابِيَة من قول الأخرى - إنَّ حرى حزنبل حزابيه - القصير العريض الممتلئُ يقال : رجل حَزَابِيَةٌ إذا كان غليظا قصيرا فكأنَّها تصف نُتُوَّه وامتلائه ، وقوله : نبابِيَةً أى رفعني عن الأرض فلم أُصبها لكبَره ، والرابية والرَّباوة والرَّبوة ما أشرف من الأرض ويقال هى الرُّبوة والرِّبوة والرَّبوة ، والمُوقُ من قول أم الورد : يا أيها الشيخ الكثير الموق الحُمق يقال : مَاقَ يَمُوقُ مُوقا فهو مائق بيِّن المُوق إذا حَمُقَ ، ووَضَح الطريق بَياضه وكلّ شيء انكشف أو ابيَضَّ فقد تَوَضَّح يقال : هذا أمر واضح للمنكشف بيِّن الضَّحَة مثل الضَّعَة والقِحَة ، والرجل الوضَّاح هو الحسن الأبيض الوجه . والواضحة من الأسنان التى تبدو عند الضحك قال الشاعر (٢) :

كلّ خليل كنتُ صافَيْتُهُ لا تَرَكَ الله له وَاضِحَهْ
فكلّهم أرْوَغُ من ثعلب ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحَهْ

والوَضَح بياض الصبح قال الأعشى (٣) :

إذا أتتْكم شيبانُ فى وَضَح الصُّبْـح بكَبْشٍ تَرَى له قُدَّاما

---

(١) ديوانه ٨ والكامل ٤٥٢

(٢) العيون ٢ — ٣ لطرفة واللسان م وضح بغير نسبة والحيوان ٦ — ٩٩ باختلاف

(٣) ديوانه ١٧٤ واللسان م وضح

والوَضَح في الدابّة بياض الغُرّة والتحجيل . والوضَح أيضاً بياض البَرَص ، والمُوضحة من الشجاج التي تُوضح عن العظم وتُبدى وضَحه أي بياضه . والكبساء من قولها - غمزَك بالكبْساء ذات الحوق - الناتئة توصف بالنُّتُوء والاشراف كما قالت الآخرى لأبيها (١) وقد عَضَلَها وأخواتها عن التزويج :

أهمَّام بن مُرَّة حنّ قلبي   إلى قَنْفَاء مُشْرِفة القَذَالِ

تُوَرّى له عن الكَمَرة فلم يَفْقَـهْ عنها ما تُريده ولا عَنِ الآخرى حتى قالت الصغرى :

أهمّام بن مُرّة حنّ قلبي   إلى عَرْدٍ أسُدُّ به مَبالى

فقيل : إنه زوّجهن لمّا سمع هذا من صغراهن ، وعلى ذكر الإشراف من صفتها فرُوى أن أعرابيًا وقف على أبى حاتم السجستاني فأنشده (٢) :

ولقد غدوتُ بمُشْرِفٍ يافوخُه   رَابى المجَسّةِ ماؤه يتفصَّدُ

مَرِحٍ يمُجُّ من المِراح لُعابَه   عنـه يكاد إهابُه يتَقَدَّدُ

حتى علوتُ به مَشقَّ ثَنيّـةٍ   طوراً أغْور به وطوراً أنْجِدُ

ثم سأله عن معنى هذه الأبيات فقال يصف فرسا . فقال الأعرابى لأبى حاتم: حملك الله عليه أيّها الشيخ تهكّم به وإنما وصف ذَكَرا . وشبيه بهذه التوْرية ما ذكره الأصمعى قال : بينا نحن بطريق مكة إذ مرّ بنا أعرابى وهو يقول : مَن أحسّ لنا جملا بعنقه عِلاط وبأنفه خِزامة تتبعه بكراوان سمراوان

---

(١) بالاصل لابنها وهو غلط محش والخبر فى الغانى ٢ — ١٠٧ والكامل ٤٣٠

(٢) التبريزى ٤ — ١٧٦ باختلاف للأقيصر والاولان فى ابن أبى الحديد ١ — ٣٥ ؛ والخزانة ٢ — ٢٨١ والأغانى ١٠ — ٨٢ والمعاهد ٢ — ٨٣ وفى الحماسة ٨١١ بيتان باختلاف كلمات وقافية من غير نسبة

عهد العاهد به عند البئر قلنا: حفظ الله عليك ما أحْسَنْنا قال وُجَويرية من الأعراب على حوض لها تَمْدُرُه فأعاد الكلام عليها فقالت: لا حفظ الله عليك يا فاسق قلنا لها: ما تريدين من رجل يَنشُدُ ضالته فقالت: إنما يَنشُدُ أيره وخصييه فقبّحه الله من ذى خَنًا — رجع — والحفافان من قولها — بين حفافَىْ ركب محلوقٍ — هما الجانبان وحفافا كل شىء جانباه قال ابراهيم بن هرمة (١) فى المنصور من ولد العباس رحمه الله:

له نَظَرَات عن حِفافى سريره إذا كرّها فيها عِقاب ونَائِلُ

والواحد حِفاف والجمع أحِفَّة، قال طرفة (٢) يصف ناقته:

كأنّ جناحى مَضرَحىّ تكنّفا

حِفافَيه شُكّا فى العسيب بِمِسْرَدِ

والحُفاف أيضاً ما يبقى من شعر الأصلع كالطرة حول الرأس يقال: ما بقى من شعره إلاّ حِفاف. والسماطان من قولها — سخن السماطين قليل الريق — الصفّان. وأصل السماط فى كلام العرب الصف يقال: رأيت سماط القوم أى صفّهم، وقاتل الله أم ورد ما أشنع تهكّمها بهذا الأشمط الذى أراد أن يُريها جَلَده ولم تُسعده قوّته وأشدّ استجهالها له حتى مثلَتْ له كيفية سوق الإبل بما ذكرته منه. فقالت له: ضُمّ الإبل إلى الطريق وأدخلهن فيه إدخالك كمرة أيرك حراً هذه صفته، والخَود فى قول الفرزدق الجيِّدَةُ الخَلق، والزَّنج جنس من السُّودان وضرب من ضروبهم. والقعب من قول الآخر — كأنه قعب نُضار منفلق — القدَح والنُّضار خشب الأثل الذى تُعمل منه الأقداح. والنضار أيضاً الذهب، ونُضار كل شىء

(١) اغانى ٣ — ٤١ سبعة أبيات والعيون ٣ — ٢٩٤ والحصرى ٢ — ٢٣٨ والعقد ٣ — ٤٠٥ والنويرى ٤ — ٩٠

(٢) العقد الثمين ٥٥ واللسان م حفف

خالصه، والمِصَكّ من قوله — قلت لذات الكعثب المصكّ — نعت لمن كان به صَكَك، والصكك اصطكاك الرُّكبتين والعُرقوبين يقال: رجل مِصَكّ إذا كان كذلك فنقله هذا إلى الفرج فجعل احتكاك شُفريه اصطكاكا كما قال أبو فرعون (١) الأعرابى فى هجائه نَبَطِيّة استسقاها ماء فقالت له لَيْكا (٢) ولَيْكا بالنبطية ليس عندنا ماء فقال:

إذا طلبتُ الماء قالت لَيْكا　　كأنّ شُفْرَيْها إذا ما احتَكّا

حَرْفا بِرَامٍ كُسِرا فاصطَكّا

ويقال فتنت الرجل وأفتنته قال الشاعر (٣) فجمع بين اللغتين:

لئن فتنَتْنى فهى بالأمس افتنَتْ　　سعيدًا فأمسى قد قَلَى كلّ مُسْلِمِ

والحُبُكُ من قوله — وكشفت عن أبيض حُبُكٌ — هو من الحَبْك والحبك حُسن الصَّنْعَة فى الشىء واستواؤها، وفرس محبوك الظهر إذا استبان فيه الصقال وحُسن الصنعة، والمستهدِف من قول الآخر لها حر مستهدِف كالقعب — هو اسم الفاعل من استهدَف أى صار كالهَدَف الذى يُرمَى فيه، وأصل الهدَف فى اللغة القطعة من حائط أو جبَل والجمع أهداف، والقِراب أصله السيف (٤) وهو جلد يكون فيه السيف وليس بالغِمد واستعاره هنا للفرج إذ هو مما يولج فيه كما يُولج فى القراب السيف. وجمع القِراب قُرُب قال الشاعر (٥):

يا ربّة البيت قُومى غير صاغرةٍ

ضُمّى إليك رحال القوم والقُرُبا

---

(١) اللسان م فرد　　(٢) وهذا يشبه اليك بالعربية بمعنى تنح

(٣) اللسان م فتن لأعشى همدان والنويرى ٤ — ١٩٠

(٤) كذا بالاصل والصواب للسيف

(٥) الحماسة ٦٨٧ لمرة بن محكان التميمى والأغانى الدار ٣ — ٣٢٢ والأغانى ٣ — ١٠٢ و ٢٠ — ١٠ والحيوان ٢ — ١٢٨

والمستحصِف الذى ينبس عنـــد الغِشيان وقد مرّ ذكره من قبل والوسنان من قول سُحيم َ ـ أبصرتها تميل كالوسنان ـ هو فعلان من الوَسَن والوَسَن اختلاط النوم بالعين قبل استحكامه ، وهى السِّنَـةُ وقد وَسِنَ الرجل يَوْسَنُ وَسَنًا قال الشاعر (٣) :

وَسْنَانَ أقصده النُّعاس فرَنَّقَتْ ‌ ‌ فى عينه سِنَـةٌ وليس بنـائم ِ

وألَمَّ بهذا البيت أبو الحسن بن جيش الشيبانى فجاء به فى غاية الحسن فقال فيما أنشدنيه من قصيدة :

زارَتْه زائرةٌ بالبَين مُؤذنةٌ ‌ ‌ يا ليت زائرةً زارته لم تَزُرِ

باتت تُرَنِّقُ فى أجفانها سِنَة ‌ ‌ وبات يقظانَ جَفْنِ الهَمّ والسَّهَرِ

حتّى كأنَّ النَّوَى منه مُقَلِّبة ‌ ‌ قلباعلى الجَمْرِ أوجَفْناَعلى الإِبَرِ

رجع ـ والخُرَّد فى قوله (٤) ـ من الظباء الخُرَّد الحسانِ ـ جمع خريدة والخريدة من النساء الحَيِيَّـةُ الخَفِرَةُ ، والحُبشان من قوله ـ تمشى بمثـل قدح الحبشان ـ جمع الحَبَش فالحَبَش السودان والجميع حُبوش ، وقال ابن دريد قولهم : الحَبَشة على غير قياس ، والعذراء فى قول الآخر ـ قام إلى عذراء جعفليق ـ العذراء البـكر ، والجَعفليق العظيمة من النساء ، والسَّحوق من النخل الطويلة وجمعها سُحُق ونحوها الرَّقْلة ، والمَجْنُونة والعَيْدَانة كل ذلك الطويلة المفرطة الطول قال الشاعر (١) :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفَتْ

عَيْدَانَ نَجْرٍ ولم يَعْبأنَ بالرتَمِ

---

(١) اللسان م وسن لابن الرقاع وفى التبريزى ١ — ٧٢ بغير نسبة وسيجىء البيت مع بيتين آخرين

(٢) قول سحيم

(٣) النويرى ١ — ١٠٠ لأبى تمام والحصرى ١ — ٢٤٣

والمعجر من قوله ـ معجرٌ مبجرٌ معروق ـ المُعَقَّد ، والعُجَر (١) العُقَد وقد مرَّ ذكرها ، والمبجرّ نحو من المعجرّ مأخوذ من البُجْرَة والبَجَر وهو نُتُوء السُّرَّة وخروجها ، والنَّيق فى قوله ـ هامته كصخرة فى نيق ـ الجَبَلُ والإحليل مجرى البول وقد ذكرناه فيما سلف من الكتاب ، والشِّيق الشَّقّ فى الجبل ، والحوق إطار الحَشَفَة وقد تقدّم ذكره ، وقوله ـ قاع عليها قوعة الفنيق ـ أى علاها للنكاح كما يعلو الفحل الناقة . والفنيق الفحل من الإبل وقوله ـ طرّقه للعمل المومَوق ـ أى افتضّها وأذهب عُذْرَتَها وذلّلها للنكاح كما تُذَلِّلُ الطريقُ السابِلَةُ بكَرَّة وَطْءِ سالكيه ، وترادُف مشيهم فيه ، والمومَوق المحبوب ، وَمِقْتُه أَمِقُه وَمِقًا إذا أحببتَه فأنا وامق وهو مومَوق ووَمِقَ أحد الأفعال المعتلة التى جاء ماضيها ومستقبلها على فَعِلَ يَفعِل وهى ثمانية أفعال : وَلِيَ يَلِى ، ووَمِقَ يَمِقُ ، ووَثِقَ يَثِقُ ، ووَرِعَ يَرِعُ ، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ ، ووَفِقَ الأمر يفِقُ ، ووَرِثَ يَرِثُ ، ووَرِيَ الزَّنْدُ يَرِى ، ويَبُذُّها من قول الآخر (٢) ـ جارية يَبُذُّها أجمُّها ـ أى يفَرِّقُها من كِبَرِه وعظَمه ، والمها من قول الآخر ـ إنّ بحرّان مَهًا يمشين مِشْيَ البقَر ـ جمع مهاة وهن بقر الوحش ويُشَبَّهُ النساء بهن فى المشى والعيون ، والمِشْيُ (٣) جمع مِشْيَة ، والمها أيضاً البلّور ، وقال بعضهم : المها الدرّ ، والمها أيضاً النجوم ، والخَفَر من قوله ـ وفى المها جارية تبغض أهل الخفَر ـ الحياء يقال : خفِرَت المرأة تَخْفَرُ خفَرًا فهى خَفِرة إذا اشتدّ حياؤها ، وقوله قالت ـ على هينتها ـ الهيّنة السكون يقال : مشى فلان على

---

(١) بالاصل بإثبات الواو بين العجر والعقد

(٢) وبعده — جارية أعظمها أجمها — وقد نقله الشطر فى الحاشية هناك من اللسان بالرواية التى ذكرها الشارح هنا

(٣) هذا القول لا معنى له وإنما المشى كالمشى جمع مشية قال المتنبي: خوف وما بى حسن المشى — ومشى كمشى [illegible]

هينته أي على سكونه ، ونحوه الهَوَن قال مجاهد فى قوله تعالى : « والّذينَ يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً » أي بالسكينة والوقار ، والرَّبُوخ من قوله ـ أنا رَبُوخ ـ هو ممّا يوصف به المرأة عند النكاح وأصله من الرَّبْخ وهو الاسترخاء يقال : مشى حتى تَرَبَّخ أى استرخى ، والخدَر من قوله ـ خَدِرَتُ كلّ الخدَر ـ هو من خَدِرَ الرجل والعضو من الانسان إذا برد فيه الدم حتى يثقُل يقال : خَدِرَت الرجل تَخْدَر خدَرا إذا أصابها ذلك والنابى من قول أم الورد ـ ناب مِنبرُهْ ـ أى مرتفع مأخوذ من النَّبْوَة وهو المكان المرتفع من الأرض والحنجر من قولها ـ مَضيق حنجرُهْ ـ استعارته للفرج والتحنجر [١] والحَنجرة والحُنْجُور طرف المَرىء وجمعه حناجر . ويقال : حَنْجَرْتُ الرجل إذا ذبحته . وقولها ـ تَنفَحُ رَيّاه ـ من النَّفْح يقال : نَفَح الطيب يَنفَح نفحًا ونفحَانا ونُفوحا إذا شممت رائحته . والمجمر من قولها ـ ويَنْدَى بِجمرُهْ ـ هى التى يُجتَمَر فيها أى يُتَبَخَّر فيها . والأبهر من قولها ـ كأنّ حجّاما شديدا أبهره ـ عرق فى الظهر ويستدير فى البدن فهو فى الظهر الأبهر ، وفى اليد الاكحل . وفى الجوف الحالبان [٢] . وفى العين الناظر . وفى القلب الوتين . وفى الفخذ النّسا ، وفى الرِّجل الصافن ، وقال ابن عباس الوتين نياط القلب ، وقال مجاهد وقتادة فى قوله تعالى : « ثُمَّ لقطَعْنَا منه الوتينَ » هو عرق فى القلب متّصل بالظهر إذا قُطِع مات صاحبه . والرَّباع من قولها عضّ [٣] الرباع جذَعاً يُسكره وهو من ذى الحافر والخُفّ والظِّلف الذى سقطت رَباعيتاه يقال : للذكر رَبَاعٌ وجمعه رِبَاع والأنثى رَباعية والجميع رَبَاعيات . والجذَع من ذى

---

(١) هذه لغة مختلقة إن صحت لا وجود لها فى المعاجم والقياس يأباها قاله الميمنى

(٢) بالأصل الحالبين وهو خطأ فاحش

(٣) بالأصل ههنا عظ بالظاء المعجمة وفيما سبق كان عض بالضاد والعظ أيضاً بمعناه لكن فرق أهل اللغة بينهما راجع اللسان واذ كان عض صوابا ههنا اخترناه

الحافر الحولىّ ومن ذى الخُفّ الذى حُمل عليه ودخل فى السنة الخامسة وجمعه جِذاع، ثم إذا دخل فى السنة السادسة ألقى ثنيته وصار ثَنِيّا والجميع ثُنْيانٌ. وقوله فى صفة أم ورد وهى (١) حينئذ جارية بكر حين نهد ثديها أى ارتفع وبرز وعظم حجمه ولما يتكسّرْ ويقال: رجل نَهْد وفرس نهد للعظيم الخلق والأنثى نهدة، وغَنثْتَ من قول الآخر ـ لما غنثتَ نَفَسا أو اثنين ـ يقال: غَنثَ فى الإناء نَفَسا أو نفَسين إذا شرب منه، والجُنْبُلُ العُسّ العظيم من الخشب، والوَطْب زِقّ اللبن، وإذا كان فيه الخمر أو الدِّبْسُ فهو زِقّ وحَمِيتٌ، فاذا كان فيه السَّمْن فهو نِحىٌ، وإذا كان فيه الماء فهو سِقاء، والكِسر من قوله ـ فاعتركا يا قوم بين الكسْرَيْن ـ هو جانب الخَيمة، والأصل فى الكِسر إنما هو أسفل الشُقّة التى تلى الأرض من البيت وفيه لغتان كِسْر وكَسْر مثل بَرْز وبِرْز ونَفْط ونِفْط وجِسْر وجَسْر، والقرط (٢) هو ما يكون فى شحمة الأذن وهو مالانَ من أسفلها عند معلّق القرط، والشَّنْفُ ما كان فى الأعلى من الأذن وجمعه شُنوف، وجمع القُرط أقراط وقِرَطَة قال ذو الرمة (٣):

والقُرْطُ فى حُرّة الذِّفْرَى معلقة
تباعدَ الحبلُ منه فهو يَضطربُ

ويروى فى واضح الذفرى معلقة قول ذى الرمة ـ فى حرّة الذفرى ـ قال الأصمعى يريد فى أُذن حُرّة الذفرى، والحرّة العتيقة الكريمة، والذِّفريان ما عن يمين النُّقرة وشمالها والذّفرى للدوابّ ولكنه ضربه مثلا قال وقوله — تباعد الحبل منه فهو يضطرب — يريد حبل عاتقها لأنها طويلة العنق

---

(١) ليست العبارة هناك كما هى هنا
(٢) ورد القرط فى قول الآخر فكسر القرطين والخلخالين
(٣) ديوانه ٦

ليست بوَقْصَاء فتباعد حبل العاتق من قرطها وذلك من طول عنقها قال ومثل هذا ما أنشدنى الزيادى :

بعيداتُ مَهوَى كُلِّ قُرط عَقَدْنَه

لِطافُ الحَشَى تحت الثُّدِيِّ الفَوالكِ

رجع — وقوله — والسَّوْذَقَيْن مُنعامن القَين — قال بعض العلماء السَّوْذَقان القُلبان ولا أعرفه والمعروف فى السَّوْذَق أنه هو الشاهين وفيه لغات سَوْذَق وسَوْذَنِيق وسُوذَانِق وسَيْذَقَان وأنشد ابن الاعرابى :

إليك أشكو لزَّ بابٍ مُغلَقِ

وحاجباً (١) كالسَّيْذَقَان الأزْرَقِ

وسَيْذَنُوق وسَذَانِق قال ابن جنّى أبو الفتح النحوى : وشَوْذَق بالشين معجمة ، وقال الأصمعى هو بالفارسية سَوْدَانَه ، والقين ههنا الصائغ وجمعه قُيون . وقيل بل القين الحدَّاد خاصة ، وقيل بل كل صانع بيده عند العرب قين وإسكاف وقال الشماخ (٢) :

لم يَبْقَ إلاَّ منطقٌ وأطرافْ ورَيْطَتان وقميصٌ هَفّافْ (٣)

وشُعْبَتَا ميْسٍ بَرَاها إسْكافْ

يريد بالاسكاف النجّار ، والمَيْس شجر تُتخَذ منه الرحال الواحدة مَيْسة ، والوِشاح (٤) يكون من جوهر يُنظم فى سلك ويُخالف بين طرفيه يُرَدّ أحد النظمين على الآخر وتتوشّح به المرأة ومنه قيل : توشح الرجل

(١) اللسان م سوذق الشطر الثانى باختلاف

(٢) ديوانه ١٠٣ والشعراء ٢٧ و ١٧٨

(٣) وروى هفهاف وهو الهفاف بمعنى ، راجع اللسان

(٤) من قول الآخر أيضا : وقطعا بينهما الوشاحين

بثوبه وقد مرّ ذكره فيما قبل، وقوله — يؤزُّها بمُشْمَغِدِّ الجَنْبَيْن — المُشْمَغدّ والمُضْمَغدّ المتفَخ من شحم أو مرض أو غضب ويقال: مُضْمَغِدّ بالصاد والعين غير معجمتين ومُشْمَغدّ بالسين والغين معجمة والأينَ (١) الإعياء وفى قول ابن الرومى:

فانصرفت نحوها الضمائر

أى يمشين مشياً سريعا سَهْلا يقال: أعْنَقَتِ الناقة والاسم العَنَق والعَنيق وأصل هذا فى الدوابّ فاستعاره ابن الرومى ههنا، وقوله — يفترّ ذاك السواد عن يَقَق — يقال: افترّ يَفْترّ افترارا إذا تبسّم مأخوذ من فَرَرْتُ الدابة إذا نظرت إلى سنها، واليَقق الأبيض يقال: أبيض يَقق ولَهَق وناصع إذا كان ساطع البياض وأسود حالك وحانك، وأصفر فاقع، وأحمر قانئ (٢)، والمِراس المعالجة، وأنشوطة الوَهَق هى أنشوطة الحبل الذى يُطرح فى أعناق الدوابّ حتى تؤخذ، وجمع الوَهَق أوهاق، وأوهقت الدابّة إيهاقا إذا فعلت به ذلك، والأزم العضّ ومنه الأزَمات وهن الشدائد واحدتهن أزْمة. ويَفرى يَقطع يقال: فَرى يَفرِى فَرْياً إذا قطع على جهة الإصلاح، وأفرَى يُفرِى إفراء إذا قطع على جهة الافساد، كما تقول أفرى الذابحُ أوداج الشاة ونحوها، ورُوِى عن الحجّاج أنه قال فى كلام له: إنى لاَ أهُمّ إلاّ أمضيتُ ولا أخلق إلاّ فرَيْتُ: ففرَيْتُ على الوجه الذى ذكرناه آنفاً أعنى وجه الاصلاح، ومعنى أخلُق هنا أقدّرُ تقول العرب: اخْلُق لى من هذه الشقّة قميصا أى قدّره، والخلق فى لسانهم على ضربين ضرب بمعنى التقدير والتدبير وهو هذا الذى حكى عن الحجاج، وضرب منه بمعنى الابداع والاختراع وإخراج الشىء من العدم إلى الوجود وذلك الذى لا يصحّ من الخلق ولا يكون إلا لله جل ثناؤه

---

(١) من قوله: نبس به من أنّ ولا أين

(٢) فى القاموس مهموز ثم قال معرّبه بالهمز وهمّ الجوهرى

وقال أبو معاذ فى المشورة وهو من جيد شعره :

(إذا بلغَ الرأيُ المَشُورةَ فاستعِنْ ... برأى نصيحٍ أو نَصاحة حازمِ
ولا تَجعل الشُّورى عليك غَضَاضةً ... فريشُ الخوافى تابع [١] للقوادمِ
وخَلِّ الهُوَينا للضعيف ولا تكن ... نَؤُوماً فإنَّ الحزم [٢] ليس بنائمِ
وأَدْنِ من الشُّورى الكَتومَ لسِرّه ... ولا تُشْهِدِ الشورى امرءًا غيرَ كاتمِ
وما خيرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الغُلُّ أُختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ
فانك لا تستدرك الرأىَ بالمُنَى ... ولا تبلُغ العليا بغير المكارمِ [٣])

يقال : شاورت الرجل أشاوره مشاورة وشِوارًا فأنا مشاور والشُّورى فُعلى من المشاورة قال الفراء : هم القوم يتشاورون فالشُّورى مصدر سمّى به مثل النجوى وهم القوم يتناجَون سمّى بها الرجال فهى مصدر . والنصيح اسم الفاعل من نَصح يَنْصَح نُصْحًا أو نصيحة ونَصاحة ، والنصيحة [٤] والنُصح بذل المودّة والاجتهاد فى المشورة . ويقال : نصحتك ونصحت لك بمعنى فأنا ناصح ونصيح ، ويقـــال : نصحت الثوب إذا خِطتَه . والإبرةُ المِنْصَحة والنَّصَّاح الخياط . والشىء المخيط منصوح . والنِّصَاحُ الخَيْطُ وبه سُمّى الرجل نَصَّاحاً . والغَضاضة ما يُغَضُّ من الانسان يقال : ليس عليك فى هذا الأمر غضاضة أى ما يُغَضُّ له طرفك حيـــاءً وَاسْتِخْذَاءً ، وغَضَّ الرجل بصره يَغُضُّه غضًّا إذا أطرق وضَمَّ أجفانه ومنه قول جرير [٥] :

(١) المعروف : فريش الخوافى قوة القوادم
(٢) المحفوظ فى كثير من النسخ فأن الحر ليس بنائم
(٣) بالاصل بغير مكارم بدون الالف واللام على المكارم ولا بد منهـا كما فى الأغانى الدار ٣ — ١٥٦
(٤) بالأصل بدون الواو بين النصيحة والنصح ولا بد منها عندى
(٥) ديوانه ٣١ والنقـائض ٤٤٦ والعيون ٢ — ٢٠٣ و ٤ — ٨٥ والحصرى ١ — ١٤ والنويرى ٣ — ٢٧١ والكامل ١٩٢

فغضَّ الطرفَ إنك من نُمير   فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاَبا

وقال الفراء: تقول غضّ الرجل بصره وأغضّه وأغضاه بمعنًى. ويقال هذا شجر غَضّ بيّن الغضاضة والغُضوضة إذا كان ناضراً وكل شيء ناضر مثل الشباب فهو غَضٌّ. ويقال غَضّ فلان من فلان إذا نقص منه ومن هذا قول الله تعالى: «وَاغْضُضْ من صوتك» أي انقُصْ منه وقوله سبحانه: «وقُلْ للمُؤمنينَ يَغضُّوا من أبصارِهم» أي ينقُصُوا من نظرهم إلى ما حرّم الله عليهم فقد أطلق لهم ما سوى ذلك ومنه أيضاً قول الفقيه ابن أبي عتيق للقرَشيّ في محاورته إيّاه: تَغَضُّ من قولك يا ابن أخي أي تنقُص منه وذلك أنه لمّا ذُكرَ بحضرة[1] ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة، والحارث بن خالد المخزومي، فقال رجل من وَلَدَ خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة: صاحبنا الحارث أشعر، فقال له ابن أبي عتيق تَغُضُّ[2] من قولك يا ابن أخي فلِشِعْر ابن أبي ربيعة لَوْطَةٌ بالقلب، وعَلَقٌ بالنفس، ودَرْكٌ للحاجة ليس لشعر، وما عُصِيَ الله تعالى بشعرٍ قطّ أكثر مما عُصِيَ بشعر ابن أبي ربيعة فخُذْ عنّي ما أصف لك: أشعر قريش من رقّ معناه، ولَطُف مَدخله، وسهُل مخرجه وتعطّفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن صاحبه فقال الذي من ولد خالد بن العاص صاحبنا الذي يقول:

إني وما نحرُوا غَداة مِنًى   عند الجِمار تؤُودُها العُقُلْ

لو بدّلت أعلى مَنــازلها   سفلاً وأصبح سُفلها يَعْلو

فيكاد يعرفهـــا الخبيرُ بها   فيرُدّه[3] الإقواءُ والمَحْلُ

---

(١) خبر ذلك مع ابن [illegible] أبي ربيعة في [illegible] ٢ — ١٢ والأغاني ١ — ٤٥ و ٤٦ و ٣ — ١٠١ و [illegible] ١ — ١٠٩ و ٣ — ٣١٢ وحصري ١ — ٢١٥ و [illegible] ٤٦٤ و ٤٦٥

(٢) أي [illegible]

(٣) الصواب [illegible]

لعَرَفتُها بقديم ما احتملَتْ ... منّى الضلوع لأهلها قَبلُ

فقال له ابن أبى عتيق : يا ابن أخى استُرْ علَى صاحبك ولا تُشاهد المَحَاضِر بمثل هذاء أما تَطَيّر عليها الحارث حين قَلَبَ رَبْعَها فجعل عاليه سافله ما بقى إلاّ أن يسأل الله فى حجارةٍ من سجّيل وعذاب أليم . ابن أبى ربيعة كان أحسن للربع مُخاطبةً وأجملَ محاورة إذ يقول (١) :

سَائِلاَ الرَّبْعَ بالبُلَىّ وقُولاَ ... هِجتَ شوقا لِىَ الغَداةَ طويلا
أين أهلٌ حلُّوكَ إذ أنت مَحفُو ... فٌ بهم آهِلٌ أراك جميلا
قال سارُوا وأمعنُوا واستقَلّوا ... وبُودِّى لو استطعتُ سبيلا
سَئِمُونا وما سَئِمْنا مُقَاماً ... واستحبّوا دَمَاثَةً وسُهُولا

رجع ـ وقوله ـ فريش الخوافى رافد (٢) للقوادم ـ ضرب ذلك مثلا فى المَشُورة ، ومعناه أنه لا ينبغى أن يستنكف الرجل عن مشاورة من له رأى وإن كان دونه فى المنزلة والقدر ؛ فذلك تقوية له ومَعُونة على أمره كما إن الخوافى وإن كانت دون القوادم فانها رافدة لها ومعينة ومقوّية للطائر على الطيران ، والقوادم والخوافى معاً فى جناح كل طائر يكون له ريش ، وقيل جملة جناح الطائر عشرون ريشة : فأربع قوادم ، وأربع مناكب . وأربع أباهر وأربع خوافٍ ، وأربع كُلًى ، هذا فى كل جناح له وقوله ـ وَخَلِّ الهوينا للضعيف ـ فالهُوينا مِشْيَةٌ فيها تأنٍ وتراخٍ . يقول : فخُذْ فى أمرك وَاحزِمْ ولا تراخَ فانما ذلك للضعيف ، وذو الحزم إنما يكون متيقّظا غير نؤوم ونشيطا غير كسِل . والغُلُ هو المعروف الذى يكون فى عنق الأسير من حديد أو قِدٍّ . والمثل السائر : فلان غُلٌّ قَمِلٌ ، يضرب لمن يكرَه ويُستثقل : وذلك أنهم كانوا يَغُلّون الأسير بالقِدّ فيجتمع القملُ فى غُلّه

(١) ديوانه ٢ — ١٤٦

(٢) كذا بالأصل هنا وفيما سبق فى الابيات تابع

فيشتدّ أذاه له ، وقوله — وما خير سيف لم يؤيّد بقائم — أي يُقوّى من الأيد والآد وهو القوة والمُنى جمع مُنْية وهو ما يتمنّاه الانسان . يقال : تمنّى الرجل من التمنّى مُنْيَةً وأُمْنِيَّةً على وزن أُفعُولة ، وجمع هذه أمَانِىّ بتشديد الياء ويجوز تخفيفها ، فيقال : أماني (١) ومن هذا قول أبي (٢) صخر الهذلي :

تمنّيتُ من حُبّي عُلَيّةَ أنّنا على رَمَثٍ في البحر ليس لنا وَفْرُ
فنقضي همُومَ النفس في غير ريبة ويُغْرِقَ مَن نَخْشَى نميمته البَحرُ

ويروى على رمث في الشَّرْمِ وهي اللُّجّة والرمث (٣) [ويجمَع على] أرماثٍ وهي أعواد يُضَمّ بعضها إلى بعض فتُشَدّ ثم يُركب عليها في البحر للصيد ولغير ذلك . والأماني أيضاً التـلاوات يقال تمنّى الرجل الكتابَ يتمنّاه تمنّيا إذا تلاه ومنه قوله تعالى : « وما أرسلْنا من قبلك من رَسُولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذا تمنّى ألقَى الشيطانُ في أُمْنيّته » أي إذا تلا ألقى الشيطانُ في تلاوته ، ومنه قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه :

تمنّى (٤) كتابَ الله أوّلَ ليلِه (٥) وآخرَه لاقَى حِمام المقادِرِ

والأماني أيضاً الأكاذيب ومنه قوله تعالى : « ومنهم أُمّيُّونَ لا يَعلمون الكتابَ إلاّ أمانيَّ » أي يتكذّبون ويَتخرّصُونَ من عند أنفسهم لا عن حقيقة علم ولا يقين . والعرب تقول : أنت تمنّيتَ هـذا أم اختلقْته ، ورُوي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : ما تغنّيتُ ولا تمنّيتُ ولا شربتُ

---

(١) كذا بالأصل والصواب [illegible] بإسقاط [illegible]
(٢) اللسان م رمث الأول مع سبعة أخرى ليس فيهما [illegible] و شعر الهذليين ٩٤ باختلاف والحصري ٢ — ٥٨ كلاهما بزيادة بيت
(٣) بالأصل والرمث جمع أرمات
(٤) الزهرجي ١٤ واللسان م منى
(٥) بالأصل ليلة والصواب على ما في اللسان [illegible]

خمرا فى جاهلية ولا إسلام، فقوله تمنّيت يريد أنشأت حديث الكذب وتحدّثتُ به، وروُى أن أعرابيـا سمع من آخر حديثاً أنكره فقال له: أهذا شيء رَوَيْتَـه أم تمنّيتَـه أى افتعلته من تلقاء نفسك، وقد قيل أيضاً فى معنى قول الله تعالى: «لا يَعْلَمُونَ الكتابَ إلاّ أمانِيَّ» أى إلاّ تلاوةً لا غير، قال أبو اسحاق ابراهيم بن السّرىّ الزّجّاج: ويجوز أن يكون أمانىّ نُسِبَ إلى أن القـائل إذا قال ما لا يعلمه فكأنه إنما يَتَمَنّاه قال: وهذا مستعمل فى كلام الناس تقول للذى يقول ما لا حقيقة له وهو يُحبه: هذا مُنًى وهذه أمْنيّة قال وفى لفظ الأمانى وجهان، العرب تقول: هذه أمانٍ وأمَانِىُّ يا هذا بالتخفيف والتشديد، فمن قال أمانىُّ بالتشديد فهو مثل أحدُوثة وأحاديث، ومن قال: أمانٍ بالتخفيف فهو مثل أحدوثة وأحادِثَ وقرْقُورٍ وقَراقِرقال إلاّ أنّ التخفيف فيما اجتمعت الياءان فيه أكثر لثقل الياء. والعربُ تقول فى أُثفيّة أثافِىّ وأثَافٍ والتخفيف أكثر لكثرة استعمالهم أثافٍ والأثافىُّ الأحجار التى تُجعل تحت القِدْر، وذُكر أن بشّارا كان يقول: المشاور بين إحدى الحُسنَيَيْن: إما صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يُشارِك فى مكروهه، وذُكر أن المنصور كان كثيراً ما يتمثّل بأبيات بشّار هذه وكان حينئذ يكْثِرُ المشاورة قال علىّ بن عيسى الوزير: ما زال المنصور يشاور فى أمره حتى قال ابراهيم بن هرمة (١):

إذا ما أراد الأمرَ ناجَى ضميرَه فناجى ضميراً غير مختلف العَقلِ
ولم يُشْرِكِ الأُدْنَيْنِ(٢) فى جُلّ أمره إذا اختلفت بالأضعفين قُوَى الحَبْلِ

فأمسك عن المشاورة، وقول ابن هرمة هذا كقول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة قال: لو لم يكن فى المشورة إلاّ استصغار صاحبها لك وظهور فقرك اليه لوجب اطّراح ما تفيده المشاورة وإلْغاء ما يكسبه الامتنان

(١) الحصرى ٣ — ٢٣٨ والشريشى ٢ — ٢٨١
(٢) كذا فى الاصل وفى الحصرى الادنين بالدال

وما استشرتُ أحداً قطّ إلاّ تكبّر عليّ وتصاغَرتُ له ودخلتْه العزّة ودخلتنى الذلّـــة فى الحاجة اليه، فايّاك والمشورةَ، فان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستهام (١) إلى الخطأ الفـادح (٢) فانّ صاحبها أبدا مُستَذَلّ مستضعف، وعليك بالاستبداد فانّ صاحبه أبدا جليل فى العيون مَهيب فى الصدور، ولن تزال كذلك ما استغنيت عن العقول فاذا افتقرتَ إليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بُنيانك وعُرفت بالفقر إليهم، واشتهرت بالنقص والحاجة إلى رأيهم، وتَالله ما عزّ سلطان لم يُغنِه عقله عن عقول وزرائه وذوى نصائحه. قال اسمعيل بن أحمد التُّجيبى: قول ابن صالح هذا وأضرابه وإن لم يكن صواباً محضاً ولا صدقاً بحتاً بل هو مجانب للصواب وفى حيّز الخطأ والكـذاب، فانه من مستحسن احتيال الشعراء والخطباء فى تهجين الراجح وتحسين الخطأ الفادح، وناهيك بمن تُصوّر بلاغتُه الباطلَ بصورة الحق، وتُخرِج براعتُه الكذِب البحت مُخرَج الصدق ولا سيما فى المشورة التى هى مأمور بها ومندوب إليها ومرغّب فيها نطق بذلك القرآن ووضح به البرهان قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين لنبيّه محمد صلى الله عليـــه وسلم وهو الأسوة الحسنة للأولين والآخرين: «وشَاوِرْهُمْ فى الأمر فاذا عزمتَ فتوكّلْ على اللهِ إن الله يُحبُّ المتوكّلين» وقال الشاعر (٣):

وإن تأتيك نائبةٌ فشاوِرْ فكَمْ حَمِدَ المُشَاوِرُ غِبَّ أمرِ

وقال أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن العَميد: إلى الذلّ عاقبة المُسْتَبِدّ العزيز، وإلى العزّ عاقبة المستشير الذليل، فتعوّذْ من مُوبقات الكبر بمُنجيات التواضع، ومن مطغيات الغِنَى بكافيات التقنّع، ومن سَكَرات الاستبداد بصَحَوَات الاشارة، ومن عَثَرات البغى باستقالة

(١) كذا وانظر — قاله الميمنى (٢) بالاصل هنا وفيما بعد القادح بالقاف

(٣) العريشى ٢ — ٢٨١

الإستخارة ، ولمـّا خلع المأمون أخاه محمدا الأمين ووجـّه لمحاربته طاهر بن الحسين فظفِر به قال لطاهر : صِفـْ لى أخلاق المخلوع فقال له : كان واسع الصدر ، ضيـق الأدب ، يُبيح نفسه ما تأنَفُـه هِمَمُ الأحرار ، ولا يُصغى إلى نصيحة ، ولا يقبـل مشورة ، يستَبِدّ برأيه فيرى سوء عاقبته ، فلا يَزَعُـه ذلك ولا يَرْدَعُـه عمّا يَهُمّ به ، قال : فـكيف كانت حروبه قال : كان يجمع الـكتائب بالتبذير ويُفرّقها بسوء التدبير ، فقال المأمون لذلك ما حلّ محلّه : أما والله لو ذاق لذّات النصائح ، واختار مشورات الرجال ، وملك نفسه عن شهواتها لمَا ظُفِر به

مثل البيت الأول من أبيات بشّار قول الأول (١) :

وأنْفَعُ مَن شاورتَ مَن كان ناصحا شفيقًا فأبْصِرْ بعـدها مَن تُشاورُ
وليس بشافيك الشفيق ورأيُـه غريب ولاذو الرأى والصدرُ وَاغِرُ

ومثل عجز البيت الأخير ولا تبلغ العليا بغير المـكارم قول عون (٢) بن أيوب من بنى النجّار (٣) :

ونحو هذا قول العباس بن الأحنف (٤) :

أمسَى بُـكاك على هواك دليـلا فَازْجُرْ دموعك أن تَفيض هُمُولا
دَارِ الجليسَ عن الدموع فان بَدَتْ فانظُرْ إلى أفـُق السماء طويلا

ونحو من هذا الاعتذار فى التورية عن الاسرار فى قولِ الآخر (٥) :

شيَّعتُهم فاسترابُونى فقلتُ لهم إنى بُعِثتُ مع الأجمال أحدُوها

(١) العيون ١ — ٣٢
(٢) فيا سبق ورد بيت لعـدى بن أيوب من بنى النجار وههنا عون بن أيوب فلا أدرى أهما رجلان أم واحد ووقع الاختلاف بتصحيف الـكاتب
(٣) بالأصل بياض بمقدار ورقة واحدة لفقدانها
(٤) ديوانه ١٣١
(٥) القالى ١ — ٧٩ لأبى الطريف سبعة أبيات وفى اللآلى ٤٩ لخالد الـكاتب

قالوا فما نفس يعلو(١) كذا صعدا ... وما لعينيك لا ترقى مآقيها
قلت التنفس من إدمان سيركم ... والعين تذرف دمعا من قذى فيها

وهذا كله مولد وأصله قول بعض (٢) لصوص العرب الاسلاميين :

يقول خليلى يوم أكثبة النقى ... وعيناى من فرط الأسى تكفان
أمن أجل داع بين لوذان والنقى ... غداة النوى عيناك تبتدران
فقلت له لا بل قذيت وإنما ... قذى العين ما قد هيج الطللان

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(يا حامد القول ولم يبله ... سبقت بالسيل مجىء السحاب
دع حسن قول وانتظر فعله ... يثنى على اللقحة ما فى العلاب)

اللقحة الناقة التى لها لبن والجمع لقاح ولقح ، والعلاب جمع علبة وهى إناء من أدم يكون مع الرعاة يحلبون فيها قال الشاعر (٣) :

صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد فى الضرع ما قرى فى العلاب

ويجمع علبا أيضا قال الآخر (٤) :

لم تتلفع بفضل مئزرها ... دعد ولم تغذ دعد فى العلب

البيت الأول من بيتى بشار نقيض قوله (٥) :

(١) كذا بالأصل وفى القالى يعلوك ذا صعد

(٢) القالى ٢ — ٣٥ أربعة أبيات وليس هناك الأول من هذه الأبيات

(٣) اللسان م حلب والخزانة ٤ — ١٩ وهو بيت سائر قيل فى الشعر الاول وفى الأغانى ٤ — ١١٩ لاسمعيل بن يسار من قصيدة — وقال الميمى رأيت فى التيجان ٢٠٠ وعنه فى الروض ١ — ٩٣ وعن الروض فى الف با ٢ — ٨٤ أنه من قطعة فى خمسة أبيات وجدت فى لوح على رأس نفيلة بن عبد المدان من جرهم والبيت فى الاشتقاق ٢٠٠ بلا عزو

(٤) اللسان م دعد لجرير مع بيتين آخرين

(٥) سبق البيت

ولولا الذى ذَكروا لم أكن لأحمَد رَيحانةً قبـــل شَمّ

وقريب من معنى بيته قول الآخر :

لا يكن وعدك برقا خُلبًا إن خير القول[1] ما الفعل مَعَـهْ

ومنه قول الشريف[2] النقيب الموسوى :

لا تجعلنّ دليل المرء صورته كم مَخبر سَمِج من منظر حَسَن

إن الصحائف لا يغريك باطنها نقش الطوابع موشوما على الطين

ومنه قول الآخر :

فلا تغترر برُواء الرجال وما زخرفوا لك أو موّهوا

فكم من فتى يعجب الناظرين له ألسُنٌ وله أوجهُ

ينام إذا حضر المكرمات وعند الدنيّة يَستَنْبِـهُ

ومنه قول كُثَيِّر[3] :

ويعجبك الطرير إذا تراه فيُخلِف ظنَّك الرجلُ الطريرُ

وهذه الأبيات التى أوردتها نظائر لبيت بشار إنها وإن اختلفت ألفاظها فى الظاهر لاختلاف أغراض شعرائها ومقاصدهم فيهـا ، فإن معانيها متفقة فى الباطن ، ومحصولها النهى والتحذير من الثقـة بقول لا يصدقه فعل وخَلق لا يُحَمِّلُــه خُلُق ومنظر لا يؤيّده مخبر . رجع — وقالت عاتكة[4] بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل تؤبّن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

---

(١) البيت أحفظه وهو من قطعة معروفة وحفظى : إن خير البرق ما الغيث معه قاله الميمنى

(٢) الغيث ١ — ٨٢ للشريف الرضى أول البيتين وثانيهما لغيره من غير عزو وهما فى ديوانه ٢ — ٩٤٨

(٣) الحماسة ٥١٣ للعباس بن مرداس باختلاف والحصرى ٢ — ٦١ والسيوطى ٢٥ واللسان م طرر للعباس أو المتلمس

(٤) الحصرى ١ — ٣٥ ثلاثة وفيه أنها رثت بها زوجها عمر بن الخطاب

حتى ما يقل لا يخلف القول فعلُه   سريع الى الخيرات غير قَطوبِ

وقال النجاشى (١) :

انى امرؤٌ قلَّ ما أثنى على رجل   حتى أرى بعض ما يأتى وما يَذَرُ
لا تحمدنَّ امرءً حتى تُجرّبه   ولا تَذُمَّنَّ [مَن] لم تبلُه الخِبَرُ

وأنشدنى فى هذا المعنى أبو الحسن على بن جيش الشيبانى من قصيدة له :

ورُبَّ فتى يُبدى المودّة نطقه   ويُكذب دعواه مواصلة الحقدِ
وأنى إذا استنصرته قلَّ نصره   وظنَّ ولم يُسعف بقول ولا وعدِ
وإن فعال المرء ما خولقت به   حلاوة ماء النطق كالسم فى الشهدِ
وليس صديق بالذى أستريبه(٢)   فيُكدى وأستَعدِى إليه ولا يُعْدِى
ولا بالّذِى إن جئتُه فى ملِمّة   أقام فلم يبلغ مدَى الوسع والجهدِ
ولكن صديق مَن إذا ما عرفتُه   رعانى على قرب من الدار أو بُعدِ

وسلكت أنا أسلوب معنى هذا البيت الأخير من هذه الأبيات ، فقلت فيما كتبت به إلى محمد بن على بن الحسن التيمى ثم الغوثى (٣) من قصيدة جعلتها صدر الكتاب اليه :

فعِشت حميداً فى حُبور وغبطة   تخطّاك أحداث الرّدى وطوارقُهْ
ولا زلتَ فى سِتر من الله مُسبَل   يُطَنِّبُ بالنُّعمى عليك سُرَادقُهْ
ولا زال للمجد المُؤَثَّل عاتق   تسنّمه بالفضل ما طال عاتقُهْ

---

(١) حماسة البحترى ٢٣٣ والخزانة ٤ — ٣٦٨ العقد ٢ — ٢٩٤ والشعراء ١٩٠ والثانى فى العيون ٣ — ١٧٠

(٢) بالاصل استريسه قال الميمنى إنه يشك فى صحة كلتا الروايتين

(٣) بالاصل القوتى ولعله القوتى بالفتح والسكون ومثلثة الى الغوث كما سيأتى وكما فى لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى وقال الميمنى لعله القونى وقونية موضع مدينة القيروان ولكن يأتى من الأصل بلفظ الغوثى فالله أعلم أيهما صحيح

فانك مُصْفٍ فى إخائك مخلص ... ولست كدخول الاخاء منافقُهْ
يُماذقنى فى الوُدّ حين أرافِقُهْ ... ويذكرنى بالسُّوء حين أفارقُهْ
ولكنك الخِلُّ الذى قد بلوتُه ... فكان كما يستنشق المِسك فاتِقُهْ
خبرتُك عوداً بعـــد بدء فلم أجد ... سوى كرم لا يسبق الغيب(١) بارقُهْ
فما عاقنى بعد التفرّق بعـــد ما ... تيقّنتُ أن الودّ لا شىء عاتقُهْ
وليس تنائى الخلّ عندى بضائر ... إذا وضحت لى بالصفاء طرائقُهْ
كما قُربه بالشخص ليس بنافع ... إذا ما تنـــاءت بالوداد خلائقُهْ

أنشدنى الربعى أبو الحسن فى معنى هذا البيت الأخير من قصيدة له :

مَن لم تُدانِك مِنْ قلبٍ مودّته ... لم يُدْنِه مِنك قربُ الدار بالدار

وأعاده أيضاً من قصيدة له :

لا ينفع الجيرانَ أن يتجاوروا ... ما لم يكن بين القلوب جِوارُ

وله أيضاً من قصيدة :

أخوك إذا ما لم يكن لك قلبه ... أخاً كان أدنى منه ناءٍ أخو وُدّ

وقول أبى معاذ من أبيات :

(خليلىَّ إنّ العُسر سوف يفيقُ ... وإن يسارا فى غدٍ لخليقُ
ذرانى أُشُبْ همّى براح فاننى ... أرى الدهر فيه فرجة ومَضيقُ
وما أنا إلاّ كالزمان إذا صحا ... صحوتُ وإن ماقَ الزمان أموقُ)

العسر ضد اليسر وفى الحديث « لن يغلب عسر يُسرين » يراد به قوله تعالى : « إنّ معَ العُسر يُسرًا ، إنّ معَ العُسر يُسرًا » قال العلماء لمّا وقع

(١) الصواب الغيث

وقع العسر فى أول وَهلة معرّفا بالألف واللام وأعيد ذكره معرّفا أيضاً كما ذُكر أولا كان واحدا ودلّ على أن العسر الثانى هو العسر الأول كما تقول: قال الرجل كذا وفعل الرجل كذا إذا أخبرت عن رجل بعينه بقول أو فعل قالوا: ولمّا وقع اليسر أولاً منكورا ثم أعيد ذكره وهو منكور أيضاً دلّ تنكيره ثانياً على أنه ليس بالأول وأنه يُسر ثان (١)، ولو كان الأول لتعرّف باعادة ذكره وكان يكون: إن مع العسر يسرا إنّ مع العسر اليسر لأن مذهب العرب فى النكرة إذا ذكرت أولا ثم أعادوا ذكرها عرّفوها بالألف واللام كقول قائل مخبرا عن رجل لا يعرفه: رأيت رجلا صنع كذا وسمعت الرجل يقول كذا يريده بعينه ، لمّا أعاد ذكره عرّفه بعد أن كان منكورا فذلك معنى قوله عليه السلام: لن يغلب عسر يسرين - رجع . ويقال: إن فلانا لخليق بكذا وقَمِن وقَمِين وحَرِىّ إذا كان حقيقا به ، ويقال: ذَرْنى أفعَل كذا ودَعْنى أى اتركنى ولا يُتَكَلّم بماضيهما ولا باسم الفاعل فيهما ولا يقال وَذَر فلان كذا ولا وَدَعه ، ولكن يقال: هو عالم بما يأتى وما يذر وما يأخذ وما يَدَع ، ولا يقال: هو وادع ولا واذر ، ولكن يقال: آخذ وتارك ، وقوله - أشُبْ همّى أى أخلطه يقال: شُبْتُ كذا بكذا إذا خلطته ، وأشبْتُ الشىء بالشىء إذا خلطت جيّدا بردىء أشيبه أشْبًا فأنا آشبّ وهو مأشوب وقد أشِبَ فلان فلانا بشَرّ إذا لطخه به قال أبو ذُؤيب (٢):

وَيأشِبُنى فيها الأُلى لا يَكُونُها ... ولو علموا لم يأشِبُونى بباطِلِ

وقال الحارث بن ظالم (٣):

---

(١) بالاصل ثانى باثبات الياء

(٢) اللسان م أشب باختلاف

(٣) اللسان م شذب وقبل الشطرين: أنا أبو ليلى وسيفى المعلوب

هل يُخرِجَنْ ذَوْدَكَ ضربٌ بشَذِيبْ ونَسَبَ فى الحَىّ غير مأشُوبْ

والفَرْجَة بفتح الفاء الواحدة من الفرج ، والفُرجة بضمها خَصاص ما بين الشيئين قال الشاعر (١) :

رُبّما تجزَع النفوسُ من الأمـــر لها (٢) فَرَجةٌ كحلّ العِقالِ

ذُكر أنّ أبا عمرو بن العَلاَء قال : كنتُ مستخفيا من الحجّاج فسمعت مُنشدا يُنشد هذا البيت ـ لها فرجة كحل العقال ـ بفتح الفاء ، وآخر يقول : مات الحجاج فلم أدر بأيّهما كنتُ أشدّ فرَحاً أبموت الحجاج أم بقول الآخر لها فرجة

ويقال : صحا السكران فهو صاح يصحو صَحْوًا إذا أفاق من سكره ، وماق يَمُوقَ والمُوق الحمق . البيت الأول من أبيات بشّار مأخوذ من قول نُويفع (٣) ابن لقيط الفقعسى :

واسترزقِ الله خيراً وارضَينّ به فبينما العسر إذ دارت مياسيرُ

ويروى ـ فاستقدر الله خيرا ـ ومثله ما يروى عن عثمان بن عفان (٤) رضى الله عنه .

وما عسرة فاصبر لها إن تتابعت بيـــاقية إلاّ سيتبعها يُسرُ

---

(١) حماسة البحترى ٢٢٣ لامية بن أبى الصلت والسيوطى ٢٤٠ له أو الحنيف بن عمير اليشكرى والعينى ١ — ٤٨٤ لنهار بن أخت مسيلمة الكذاب أو لمسيلمة الكذاب نفسه والخزانة ٢ — ٥٤١ والمرتضى ٢ — ١٣١ والادباء ١ — ٢٧١

(٢) كذا بالأصل وهذه الكلمة مختلفة فى الكتب فنى بعضها له وفى بعضها لها والاولى له ولها وجه بعيد

(٣) السيوطى ٨٦ لعتير بن لبيد العذرى أو حريث بن جبلة سبعة أبيات والتاج م دهر لأبى عيينة المهلبى

(٤) الحصرى ١ — ٣٧ بيتان وفى حماسة البحترى ٢٢٥ بغير عزو

قال بعض أهل اللغة : العَضّ (١) من الحيوان كله بالضاد وعظّ الدهر بالظاء ونحو قول عثمان رضى الله عنه قول الآخر (٢) .

ولا تحسبنّ الخير لا شرّ بعده ولا تحسبنّ الشرّ ضربة لازبِ

وقول أبى الحسن التهامى (٣) :

لا تَحْمَدِ الدهر فى باساء يكشفها فلو أردتَ دوام البؤس لم يَدُمِ

وقال النابغة الجعدى :

وأعلَمُ أنّ الخير ليس بدائم علينا وان الشرّ لاهو يرتُبُ

ومنه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن من قصيدة له فى الأمير تأييد الدولة

لا تفرحنّ ولا تَحزَنْ لنائبة عليك بالخير أو بالشر لم يَدُمِ

فى كل أمر وإن طالت نجاحته حكم التعاقب فى الأنوار والظلمِ

وأعاده أيضاً فى أخرى فقال له .

أرى كل شىء له دَولة لحكم التعاقب فيها عَمَلْ

ولا تفرحنّ ولا تحزنَنّ لشىء إذا ما تناهى انتقَلْ

وأنشدنى أيضاً قوله من أخرى فى الامير مستخلص الدولة .

خَفّضْ عليك مساءة ومسرّة تلقاهما فلكل شىء آخِرُ

ومن هذا المعنى ما كتب(٤) به ابن المعتز الى عبد الله بن عبد الله بن طاهر وقد وَلِيَ ابنه الشرطة .

فرحتُ بما أضعافه دون قدركم وقلت عسى قد هبّ من نومه الدهرُ

فترجع فينا دولة طاهريّة كما بدأت والأمر من بعده الأمرُ

---

(١) لم يجر ذكر العض أو العظ فى شىء من الأبيات فلا أدرى وجه شرحهما

(٢) حماسة البحترى ١١٨ للنابغة الذبيانى باختلاف

(٣) ديوانه ٧ (٤) المعاهد ١ — ١٤٧

عَسَى الله ، إنَّ الله ليس بغــافلٍ ولابُدَّ من يُسرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

وقريب منه قول أبى العجّاج الفزَارى :

يعيش الفَتَى بالفقْرِ يوماً وبالغنى وكلّ كأن لم يلقَه حين يَذهبُ

ومعنى البيت الآخر مأخوذ من قول دُريد بن الصمّة (١) :

وما أنا إلاَّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَويتُ وإن تَرشُدْ غزِيَّةُ أرْشدِ

وشبيه به ما يُروى عن الشافعى رحمه الله من قوله (٢) :

لقد وضعَتْ منّى الحوادثُ جانباً بطيئاً على رَيب الزمان تُجامِلُه (٣)

وأنزلَنى طولُ النَّوَى دار غُربَةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أشاكلُه

فحامقْتُه حتّى يَراها سَجيَّــةً ولو كان ذا عقل لكنتُ أعاقِلُه

واستعمله أبو الطيّب (٤) أيضاً فقال :

وخَلَّةٍ فى جليس أتقيــه بها كيما يُرَى أنَّنا مثلان فى الوَهَنِ

يقول : ربَّمــا اضطُرِرتُ إلى مجالسة الغبىّ والجاهل فأتخلّق معه بأخلاقه وأظهر له أنى مثله تقيّة له وخوفاً منه ، ونحوه قول أبى الفتح البستى (٥) :

إذا أحْسَسْتَ فى نفسى فتوراً وحفظى والبــلاغةِ والبيانِ

فلا تَرْتَبْ بفهمى إنّ رَقْصِى على مقدار إيقــاع الزمانِ

---

(١) الخزانة ٤ — ٥١٣ والسيوطى ٣١٧ والبيت من قصيدة دريد فى الحماسة والأصمعيات وغيرهما

(٢) ابن أبى الحديد ٤ — ٢٤٥ الأخيران بغير عزو وكذلك فى البيان ٢ — ١٢٢ باختلاف وهما فى عقلاء المجانين ٣٦ والعيون ٣ — ٢٤ والاخير فى العكبرى ٢ — ٤١٨ باختلاف والاخيران فى الأدباء ٦ — ٣٨٦ للشافعى

(٣) بالاصل تحامله بالحاء المهملة

(٤) ديوانه ٢ — ٤١٨

(٥) الحصرى ١ — ١٣٩ ولابن المعتز فى ديوانه ٣٢٦

وقول أبي معاذ في صفة مُنتشٍ :

(دارَتْ له الكأس حتى زاح باطلُه ... فطرفُه نائم في عين يقظانِ
ريحانةُ القلب لو كانت تُساعدني ... إذاً رَضيتُ بها من كل ريحانِ)

عجز البيت الأول مأخوذ من قول عديّ بن الرقاع (١) :

لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثَا ... فيه المشيبُ لزُرت أم القاسمِ
فكأنّها بين النساء أعارَها ... عَينيه أحورُ من جآذر عاسِمِ
وَسْنَانُ أقصده النُّعاس فرنَّقَتْ ... عينَيه في سِنَةٌ وليس بنائمِ

وهذا في ضَعف النظر ومرض الطرف كقول أبي نواس (٢) :

ضعيفة (٣) كرّ الطرف تحسب أنها ... قريبة عهد بالافاقة من سُقمِ

وأخذه أبو نواس من قول الآخر وهو جرير (٤) :

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتَلْنَنَا ثم لم يُحْيينَ قتلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللبّ حتى لا حَراكَ به ... وهنّ أضعف خلق الله أركانا

ونحوه قول ابن المعتز (٥) :

قل لمِراض الحدَقِ ... بطُرَرٍ كالحلَقِ

---

(١) الاغانى ٨ — ١٧٤ والشعراء ٣٩٣ والاخيران فى القالى ١ — ٢٣٢ والمعاهد ١ — ١١٣ والسيوطى ١٦٨ والمرتضى ٢ — ١٥١ والنويرى ٢ — ٥٠ والكامل ٨٥

(٢) كذا بالأصل ويروى جاسم وعاسم كلاهما وعاسم أيضاً اسم موضع انظر اللسان م عسم وجسم

(٣) الحصرى ١ — ١٤٨ والنويرى ٢ — ٥١ وحماسة ابن الشجرى ١٩٥ والعكبرى ١ — ٢٠٤

(٤) ديوانه ٢ — ١٦١ والاغانى ١٤ — ١٧٠ والنويرى ٢ — ٤٦ والعقد ٣ — ٤٤٨ والاول فى الكامل ١٦١ والثانى فى العكبرى ١ — ٧

(٥) ديوانه ١٠٩

ان لم تُرَوُّوا عطَشى بُخْلاً فبلُّوا رَمقى

وقوله أيضاً (١) :

وتَجرحُ أحشائى بعينٍ مريضة كما لان مَتن السيف والحدّ قاطعُ

ومنه قول ابن دريد (٢) :

ليس السليم سليمَ أفعَى حَرَّةٍ لكن سليم المقـلة النَّجْلاء

نَظَرَتْ ولا وَسَن يُخالط عينَها نظرَ المريض بسَورة الإغفاء

وأخذه ابن دريد من قول النابغة (٣) :

نظرَتْ إليك بحاجة لم تَقضها نظرَ المريض إلى وجوه العُوّدِ

وقال آخر فى قينة فجاء بهذا المعنى :

حَسَنٌ والله فى عَيْنِى وفى كلّ العيون

قَينَةٌ بيضاء كالفضـة سَوداء القُرونِ

لم أصفْها بجمالٍ لِهَوًى بى أو جنونِ

بل بحُسْنٍ وكمالٍ فوق حقٍّ ويقينِ

لم يُصبها سَقَم قَطْـطُ سوى سقْم الجفونِ

ومنه قول أبى العباس الناشىء (٤) :

وشادنٍ ما تولّى وصفَه أحد إلاّ أقرَّ له بالعجز مُعْترفا

يلوح فى خدّه ورد على زَهَر يعود من حُسنه غَضًّا إذا نطقا

لا شىء أعجب من جفنَيْه إنهما لا يُضعفان القوى إلاّ إذا ضَعُفا

---

(١) ديوانه ١٠٧ والقالى ١ — ٢٣٢ والحصرى ٢ — ٢٣٨

(٢) القالى ١ — ٢٣١ و ٢٣٢

(٣) العقد الثمين ١٠ والعيون ٢ — ١٨٩ والمعاهد ١ — ١١٣ والحصرى ١ — ١٦

(٤) تكملة الفهرست لابن النديم (طبعة الرحمانية بمصر) ٥ باختلاف

أخذه من قول القاضي التنوخي (١) :

وكم ظِباءٍ رُعْنَنا ألْحاظُها … أسرع في الأنفُس من حدّ الظُّبا

وكلّما ازدَدْنَ قُوَى أجفانها … ضَعفًا تقوّيْنَ على ضَعف القُوَى

وهو كثير

وقول (٢) أبي معاذ من قصيدة :

(قل للأمير إذا نزلتَ به … إنّ المَباخل ذَمُّها عَجِلُ

بئس المروءة من ذَوى حسبٍ … جاعت قَرابَتُهم وقد ثَمِلُوا

شِبعَ الأمير وجوع صاحبه … عار الحيـاة فأطعموا وكُلُوا)

المَباخل جمع مَبْخَلة رُوِى في الحديث عن النبي صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « الولد مَبْخَلة مَجهلة مَجبنة » أي يحمـــل والده حبّه إياه وشدّة إشفاقه عليه وفرط نظره له على ذلك كله ، وتكلم الناس في معنى المروءة ما لو جمع لـكان كتابا ضخما ، وسأذكر ههنا طرفا منه بقدر ما يحتمله هذا الـكتاب : فمنه ما رُوِى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مروءة الرجل عقله وكرمه تقواه ، وحَسَبه دينه » ورُوِى عنه صلى الله عليه وسلم أنه سأل رجلا من ثقيف فقال له : ما المروءة فيكم قال : الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة وسخاء النفس ، وصلة الرحم قال صلى الله عليـه وسلم : « كذلك هي فينا » وقام إليه عليه السلام رجل من مُجاشِع فقال : يا رسول الله ألستُ أفضلَ قومي قال : « إن كان لك عقـل فلك فضل ، وإن كان لك مال فلك حسب وإن كان لك دين فلك تُقَى ، وإن كان لك خلُق فلك مروءة » وقال علي رضي الله عنه لابنه الحسَن : ما المروءة قال العفاف ، وإصلاح المال ، وقال عمر

(١) من مقصورته التي سبق منها البيتان والأول من هذين في مروج الذهب ٨ — ٣٠٦

(٢) بالأصل قال أبي معاذ من قصيدة

رضى الله عنه : مروءة الرجل عفافه ، وحسبه دينه ، وأصله عقله ، وقال : تعلّموا العربية فانها تزيد فى المروءة ، وقال معاوية : المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة ، وسأل معاوية الحسن رضى الله عنه عن المروءة فقال : هى حفظ الرجل دينه ، وإحرازه نفسه من الدَّنَس ، وإكرام ضيفه ، وأداء الحقوق وإفشاء السلام ، وقال عبد الله بن عمر رحمهما الله : ما حمل الرجل حِملاً أثْقَلَ من المروءة فقيل له : صِفْ لنا ذلك فقال : ما لذلك عندى حدٌّ يَحْصُره غير أنى ما استحييتُ شيئاً قطّ علانيةً إلاّ استحييتُ منه سِرًّا وقال عبد الله بن جعفر : المروءة ترك إعطاء النفس لذّتها قيل له فما اللذة قال : ترك المروءة ، وقال جعفر بن محمد . ثلاث من كنّ فيه فقد تمّت مروءته : من تَفَقَّهَ فى دينه ، واقتصد فى معيشته ، وصبر على النائبة إذا نزلت به . وقيل لبزرجمهر أىّ شىء أشد تهجينا للمروءة فقال : للملوك صغر الخَطَر ، وللفقهاء الهوى ، وللعلماء الصلَف ، وللعامة ، الكذب ، وللنساء قلة الحياء . قال اسمعيل بن احمد وجلة القول فى المروءة : أنها كل ما قرّب من طاعه تَزِينُ وبعَّد عن معصية تشين كما قال بعض الشعراء :

الملك والعز والمروءة والسّؤ ددُ والنُّبل واليسار معا
مجتمعات فى طاعة العبد لِلّه إذا العبد أعمل الورعا

وأما اشتقاق لفظ المروءة فقال أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله النَّجِيْرَمِىُّ الكاتب . المروءة أخذت من المرء كأنه مصدر قولك امرؤ بيّن المروءة قال : وإن كان لم يأت على هذا فلا مَعْدِلَ به عنه ، ومنه قولهم : فلان يَتَمَرّأ بنا أى يظهر مروءته بتَنَقُّصِنا أى رُجلته ورجوليته ورُجولته ، وقال الخليل : المروءة كمال الرُّجْلِيَّة ولا فعل له ، وقالوا : رجل مَرِىء أى ظاهر المروءة وقالوا : استمرأتُ الطعام وهنانى ومرانى أى استسغته فى مَرِيِّى وساغ لى ويوشك أن يكون ساغ فى مريِّى وجرى فيه بسهولة وكأنّ المرىْ

سمى مَرِيئًا لأن به قوام المرء . قال أبو اسحاق النَّجِيرمى وإنما ذكرتُ هذا على مذاهب النحويين فى الاشتقاق لا أنى سمعته قال : فكان (١) أبو اسحاق الزجّاج يجعل المروءة من استمرأت الطعام أى أنّ فعله يُهتَمْرَأ ويُستَخَفُّ هذا المعنى ونحوه ولم يزد على هذا شيئاً فيما سمعته منه وقوله — وقد ثَمِلوا — أى سكِروا يقــال : ثَمِلَ يَثْمَلُ ثَمَلا إذا سكِر والثَّمَل السُّكر مَثَلُ قوله — إن المباخل ذمّها عَجِلُ — مَثَلُ قول الأحمر (٢) بن سالم المرادى :

مُقِلٌ رأى الاقلال عارا فلم يزل ... يجوب بلاد الله حتى تموّلا
ولم يَثْنِه عمّا أراد مَهــابة ... ولـكن مضى قُدْماً وما كان مرتسلا
فلمّا أفاد المــالَ عاد بفضله ... لمن جاءه يرجو نداه مؤمِّلا
وأعطى جزيلا من أراد عطاءه ... وذو البخلِ مذموم يَرى البخلَ أفضلا

ومثله بل أشدّ إغراقا فى الذمّ منه قول الآخر .

أتجمع لُؤْما فاحشـا وتـكبّراً ... وما جرّ ذمًّا كالتكبّر والبُخلِ
فلو كان غطّى الجهلَ منك تواضعٌ ... أوالـكِبرَ جُودٌ كنتَ من ذاك فى عدلِ

والبيت الثانى من أبيات بشّار مأخوذ من قول الأعشى (٣) .

كلا أبوَيكم كان فَرْعاً دِعامَةً (٤) ... ولـكنهم زادوا وأصبحتَ ناقصا
تبيتون فى المَشْتَى مِلاءً بطونكم ... وجاراتكم غَرْثَى يَبِتْنَ خمائصا

أو من قول القتّال الـكلابى (٥) .

يا أيهـــا البَطِن السمين وقومه ... هَزْلَى تُجَرِّرُهُمْ ضِباعُ جَعارِ

---

(١) كذا موضع وكان
(٢) الحماسة ٧٦٥ البيتان الأول والثالث باختلاف من غير عزو
(٣) ديوانه ١٠٩ والنويرى ٣ — ٢٧٤ والثانى فى العيون ٣ — ٢٦١
(٤) بالاصل دماعة
(٥) الأول فى الحيوان ٦ — ١٥١ بغير عزو

أطْعِـمْ ولستَ بمطعم وتعلـمَنْ   أنّ الطعام يحور كل مَحارِ .

يقال للضبع : جعار وهو اسم من أسمائها على وزن حَذَامِ وقَطَام غير مصروفة ، ويحور يرجع يقول : لا تبخل بالطعام فانه يرجع قذِرا ، وأخذ هذا المعنى (١) ابن أخى المهلّب بن أبى صفرة فقال :

وكلّـكُـم قد نال شِبْعًا لبطنه   وشِبْعُ الفتى لُـؤم إذا جاع صاحبُهْ

فوقع دون بشار ، والتقى بشار بعقبة بن رؤبة بن العجّاج فى مجلس عقبة ابن مسلم (٢) وأنشده عقبة بن رؤبة أرجوزة مدحه بهـــا فاستحسن بشار الارجوزة ، فقال له عقبة بن رؤبة . هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ ، فقال له بشار : ألمثلى (٣) يقول هذا أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدّك ثم إنه غدا على عقبة بن مسلم بأرجوزته التى أولها :

(يا طلل الحى بذات الصَّمْدِ   بالله خَبِّرْ كيف كنت بعدى)

يقول فيها فى ذكر المُشَبَّب بها :

(واهاً لأسماء ابنــة الأشَدّ   قامت تراءى إذا رأتنى وحدى
كالشمس تحت الزِّبْرِجِ المُنْقَدّ   ضَنّتْ بخدّ وجلَتْ عن خدّ
ثم انثنت كالنفَس المرتدّ)

يقول فيهـــا :

الحُرّ يُلْحَى والعصا للعبدِ   وليس للمُلْحِف مثل الردْ

(١) العيون ٣ — ٩٠ لبشر بن المغيرة بن أبى صفرة كتب به الى عمه والحماسة ١٢٩
(٢) كذا والصواب سلم كما فى الشعراء ٤٧٧ — قاله الميمنى
(٣) كذا موضع تقول وفى الشعراء يقال

. وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ حَمَلْتُه فى رُقْعَةٍ من جِلدى
وما درَى ما رَغبَتِى من زُهدى)

الطلل واحد الأطلال قال الأصمعى : الأطلال ما شَخص من آثار الديار ، والرسوم الآثار وإن لم تكن لها شخوص ، والمَغانى المنازل يقال: غنينا بمكان كذا إذا أقمنا به فى نعمة وسرور والواحد مَغنًى ، والرِّباع الدُّور يقال : هذا رَبع بنى فلان لمنزلهم ، والدار المنزل مبنيّة كانت أو غير مبنيّة ويقال : دار آل فلان لمنزل جماعتهم ، والمربع المنزل فى الربيع ، والمَشتى المنزل فى الشتاء ، والمصيف المنزل فى الصيف ، والصَّمْدُ من الأرض الصُّلب وجمعه صِماد ، والصَّمْدُ أيضاً مصدر صمدتُ إليــه إذا قصدَته ، والصامد القاصد بحوائجه ، ويقال : صَمَدْتُ القارورة أصْمِدُها صمدًا إذا سددتَ رأسها ، وقوله — واهاً لأسماء — تعجّب منها ، والعرب إذا تعجّبت من شىء قالت واهاً له ، والزِّبْرِجُ السحاب فيه ألوانٌ حُمرة وبياض وغيرهما وضنَّتْ بَخِلَتْ ، ويُلْحَى يُلَام يقال : (١) لَحَيْتُ الرجل إذا لُمتَه ، ولحيت العُود إذا قشرته ونزَعت لِحَاءه عنه ، واللِّحاء القِشْرَ ، ومنه لحاه الله أى قشره ، ويقال : إن فلانا ليدخل بين العصا ولِحَائها يُضرب مثلا للمتلطّف قال الشاعر :

لا تَدْخُلَنْ بين العصا ولِحَائها

وقال الليث . اللَّحى مقصور فى لغة (٢) ممدود وهو ما على العصا من قشرها ، واللِّحاء أيضاً ممدود أن يَتَلَاحَى الرجلان ، والمُلحِفُ المُلِحُّ أَلْحَفَ السائل يلحِفُ إلحافاً إذا ألحَّ ، وكان أبو الأسود الدُّؤَلىّ يقول : ليس للسائل المُلحِف مثل الردّ الجامس وهو البارد يقال : جَمَس الماء إذا

---

(١) بالأصل قال

(٢) كذا وأرى وجه الكلام (لغة فى الممدود) — قاله الميمى

برد ويقال : جمد الماء وجمس السَّمْن ونحوه . هذا قول الأصمعي وكان يعيب ذا (١) الرمّة في قوله :

ونَقْرِي سَدِيفَ الشَّحمِ والماءُ جَامِسُ

أي جامد

في قولـــه (٢) .

قامَتْ تَرَاءى يَزِينُ لَبَّتَهـــا   نَضْخُ عَبيرٍ بجِيدِها شَرِقُ

تُرِيكَ حُرًّا عَذْبًا مُقَبَّــله   لا كَسَسٌ عابَــه ولا رَوَقُ

كأقحوان الكثيب باكَرَهُ الطَّـــلُّ   فأضحى بالنَّور يأتَلِقُ

وقوله — كالشمس تحت الزِّبرج المُنْقَدِّ — (٣) والبيت الذي يليـــه مأخوذ من قول قيس (٤) بن الخطيم .

تَبَدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامة   بَدَا حاجب منها وضَنَّتْ بحاجبِ

وقوله — الحر يلحى والعصا للعبد — من قول ابن (٥) مفرّغ الحميرى

العبد يُقرع بالعَصا   والحرّ تَكفيه المَلَامَهْ

أخذه ابن دُريد فقال (٦) :

---

(١) حماسة ابن الشجرى ٥٤ وديوانه ٣٢٣ وأوله : تثار إذا ما الروع أبدى على البرى

(٢) كذا ولعل في الكلام سقطا والأصل والله أعلم (وقوله قامت تراءى كما في قوله قامت تراءى يزين لبتها . الأبيات) ولا أجزم هل هذه الأبيات لغير بشار أو لبشار نفسه

(٣) بالأصل بدون الواو

(٤) العقد ٣ — ١٥١ والخزانة ٣ — ١٦٥ والمعاهد ١ — ٦٨ لقيس بن الخطيم كما هنا وفي الشعراء ١٧٤ باختلاف والعيون ٣ — ١١٠ للنمر بن تولب

(٥) بالأصل مفـزع والبيت في الشعراء ٢٠٦ والكامل ١٥٤ والزجاجى ٣٠ وفي الأغاني ١٧ — ٥٥ مع عشرة أبيات أخرى وفي الحيوان ٦ — ١٦٤ لخليفـة الأقطع قال الميمنى الصواب في اسم الشـاعر خلف الأقطع وهو ابن خليفـة وانظر التبريزى برن ٧٦٩ والشعراء ٤٤٨

(٦) بالأصل ههنـا اخطأ الناسخ فقرن كلمة فقال مع واستعمله والبيت من مقصورة ابن دريد (طبعة ١٣١٩ هـ) ٢٦

واللوم للحـــرّ مقيم رادعٌ والعبد لا يَرْدَعُه إلاّ العصا

واستعمله أبو الطيب (١) فى هجاء كافور فقال :

العبــد ليس لحرّ صالح بأخ لو أنّه فى ثياب الحر مولودُ

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ والعصا معه إن العَبيد لأنجاسٌ مَناكِيدُ

ومنه قول الآخر (٢) :

إنى رأيتُ الفتى الكريم إذا رغّبْتَه فى صنيعةٍ رَغِبا

والعبد لا يحسن العَلاء ولا يُعطيك شيئاً إلاّ إذا رَهِبا

مثل الحمار المُوَقّعِ السّوء لا يُحْسِنُ مَشْيًا إلاّ إذا ضُربا

وقوله — حملتُه فى رقعة من جلدى — مأخوذ من قول الآخر (٣) :

يوَدُّون لو خاطُوا عليك جلودهم ولا يَدفع الموتَ النفوسُ الشحائحُ

فأما معناه ومعنى البيتين اللذين بعده فانّ بشّارا يقول : رُبّ صاحبٍ لى مؤذٍ شديد أذاه لى كأذَى الدُّمل الحافل بالمِدَّة صحبتُه على ذلك فدارَيته وصبرت على أذاه حتى استَبْهَمَ أمرى عليــه فى صحبتى إيّاه إلى أن فارقنى وانصرف عنّى ، ولم يدر أراغباً (٤) كنتُ فيه أم زاهداً فى صحبته ، يصف نفسه بالصبر والجَلَد وشدّة التحمّل وأنه من السُّوّاس وجَبِذِى المِراس

وقول أبى معاذ من قصيدة :

(عِيُّ الشريف يشين مَنصبَه وتَرَى الوضيع يَزِينُه أَدَبُهْ

والصدق أفضل ما حضرتَ به ولَرُبّما ضَرّ الفتى كَذِبُهْ

(١) ديوانه ١ — ٢٦٣

(٢) الحماسة ٥٣٥ للحكم بن عبدل والزجاجى ١٦٢

(٣) الحصرى ٢ — ١٢١ والنقد ٢ — ٥١

(٤) بالأصل أراغب بالرفع وقد خبط الناسخ فى هذه الأوراق كثيرا

خذْ من صديقك غير متْعبِه   إنّ الجـواد يؤُودُه تعَبُهْ
يَرِدُ الحريصُ على متَالِفِه   والليث يبْعَثُ حتْفَه كَلَبُهْ)

منْصِبُ الرجل مُرَكَّبُه وأصل منْبَتِـه وكذلك نِصابه أيضاً أصله ومرجعه الذى يرجع إليه وأرُومته وجُرثومته ومَحتِده وعيصُه وعُنصُره وضِنْضِئُه ونجَارُه كلّ ذلك أصله ، ويؤوده يُثْقِـله ويبْهَظُه ويغلبه يقال : آدَه يؤُودُه أوْدًا إذا أثقله وبَهَظه وغلبـــه ، وكذلك فُسّر قوله تعالى : « ولا يَؤُودُهُ حِفظهما » ، والحَتْف وجمعه حُتوف هو الموت والمنيَّة وليس له فعل متصرّف فلا يقـال : حَتَفَ الرجل ولا رجل محتوف والكَلَب أصله داء يصيب الانسان كالجنون عن عضّة الكَلْب الكَلِب الجيع الكَلْبَى قال الشاعر [(١)] :

دِماؤهُمْ من الكَلَب الشفَاء

وتُوُسّعَ فيها فصار يضرب مثلا فى البخل وشدة الحرص وكلاهما من شأن الكلب وخُلُقه الذى جُبِل عليه ، وقوله — عىّ الشريف يشين منصبه — البيت من قول عبد الله بن المبارك [(٢)] :

العـــلم زين وتشريف لصاحبه   فاطلُبْ « هُديتَ » فنون العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصل بلا أدب   حتى يكون على مافاته حَدِبا
كم من شريف أخى عِىّ وطَمْطَمَةٍ   فَدْمٍ لدَى القوم معروفٍ إذا انتَسَبا
فى بيت مكرمة آباؤه نُجُبٌ   كانوا رُؤوساً فأمسى بعدهُم ذَنَبا
وخاملٍ مقْرَفِ الآباء ذى أدبٍ   نال العَلاء به والجاهَ والنَّسَبا

---

(١) الحماسة ٥٢٢ لأبى البرح القاسم بن حنبل المرى وأوله : بناة مكارم وأساة كلم ، وفى الحيوان ٢ — ٢ لبعض المزنيين والصواب لبعض المريين والبيت فى ابن أبى الحديد ٤ — ٤٤٠

(٢) القالى ٣ — ١٢٤ للحكم بن قنبر باختلاف وهناك سبعة أبيات

ونحوه قول الآخر (١) :

كم من خسيس وضيع القدر ليس له في العزّ بيتٌ ولا ينمى الى حَسَبِ
قد صار بالأدب المحمود ذا شرفٍ عالٍ وذا حَسَبٍ محْض وذا نَشَبِ
يُعلى التـأدُّبُ أقواما ويرفعهم حتى يُساووا ذوى العَلياء فى النسبِ

ومنه أيضاً قول الآخر :

إن كنت (٢) عالما زادك العلـم عُلُوًّا أو كنت خاملا رَفَعَكْ
وإنمـا تَفْضُل البهائمَ بالعلـم فان كنت عالمـا نفعَكْ
تجَنَّبِ الجهلَ ما استطعت فان كنتَ جهولا وعاليًا وضعَكْ

وقول الآخر (٣) :

رأيتُ العزّ فى أدب وعلم وفى الجهل المذلّـة والهوانُ
وما حُسْنُ الرجال لهم بزَيْنٍ إذا لم يُسْعِدِ الحُسْنَ البيانُ
كفى بالمرء عيبـا أن تراه له جسم وليس له لسـانُ

ونحوه أو قريب منه قول الآخر (٤) :

تَعَلَّمْ فليس المرء يُخلق عالما وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنـده صغيرٌ إذا التفّتْ عليه المحافلُ

ومنه فى الحثّ على طلب العلم والأدب ما أنشده المبرِّد :

---

(١) غرر الخصائص ٨٩.
(٢) كذلك هذا البيت فى الأصل وبالحاشية هناك صوابه
فان تكن عالياً فقـد زادك العلـم علوا أو خامـلا رفعـك
وكلاهما غير متزن والصواب
انك ان كنت عالمـا زادك العلـم علوا أو خامـلا رفعـك
(٣) غرر الخصائص ١٠٣ الأخيران
(٤) ابن أبى الحديد ٤ — ٢٧٨ والأول فى العقد ١ — ٢٠٠

العلم زين فكن للعلم ملتمسا وكن له طالبا ما عشتَ مقتبسا
واركن إليه وثِقْ بالله وَاغْنَ به وكن حليما رصين العقل محترسا
لا تَسْأمَنَّ فاملَّ ظَـلْتَ منهمكا فى العلم يوما وإمّا كنت منغمسا
وكن فتى ناسكا محض التُّقى وَرِعا للدين مقتنصا للعلم مفترسا
ومن تخلق بالآداب ظلَّ بها رئيس قوم إذا ما فارقوا الرُّؤَسا

وقوله — الصدق أفضل ما حضرت به — البيت من قول مسكين الدرامى (١) :

إصحب الأخيار وارغب فيهمُ رُبَّ من صاحبتَه(٢) مثل الجَرِبْ
واصدُق النـــاس إذا حدَّثتهم ودَعِ الكذب فمن شاء كَذَبْ
رُب مهزول سمين عِرْضُه وسمين الجسم مهزول النَّسبْ

وقال العُتبىّ فيما حكاه عن العلماء فى ذمّ الأخلاق اللئيمة : قالوا عجبنا من الكَذوب المتزيّن بكذبه وإنما يدُلّ النـاسَ على عيبه مع التعرّض فيه لسَخَط ربّه ، فالآثام له عادة ، والأخبار منه متضادّة ، فان قال حقًّا لم يُصَدَّق ، وإن أراد خيراً لم يُوَفَّق ، فهو الجانى على نفسه بفعاله والدالّ عليها بمقاله ، فما صحّ من صدقه نُسِب إلى غيره ، وما صحّ من كذب غيره نُسِب إليه فهو كما قال الشاعر (٣) :

حَسْبُ الكَذُوب من البليّـــة بعضُ ما يُحْكَى عليـــهِ
مَن إنْ سمعتَ بكَذْبَةٍ من غيره نُسِبَتْ إليـــهِ

ونحو هذا قول بعضهم لآخر يخاطبه :

---

(١) القالى ٢ — ٢٠٧ الأول والثانى باختلاف وزيادة بيتين من غيرنسبة والخزانة ١ — ٤٦٨

(٢) بالأصل صحبته وفى الخزانة أيضاً كذلك

(٣) العيون ٢ — ٢٨ والحصرى ٢ — ١٢٤ باختلاف

كذبتَ ومن يكذب فان جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصَدَّقا

وقال آخر ما هو أقرب الى بيت بشّار وأشبه به من قول الدارمىّ :

إن الكريم إذا ماكان ذا كَذِب شَانَ التكرُّمَ منهُ ذلك الكَذِبُ

الصدق أفضل شىء أنت فاعله لاشىء كالصدق لافخر ولا حَسَبُ

وأخْر بيتَيْهِ أن يكون مأخوذا من هذا ، ومنـــه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن بن الخيّاط من قصيدة :

لا شىء أنْفَذُ فى رَمِيَّتِهِ مِن صادقٍ فاذا رَمى أصْمَى

ومنه قول آخر :

الكذب عارٌ وخير القول أصدقه والحقّ ما مسّه من باطل زَهَقا

وقال آخر (١) وذكر عِلَل الكذب :

لا يَكذبُ المرء إلاّ من مَهانته أو عادة السّوء أو من قلة الأدبِ

لَعَضُّ جيفـــة كلب خير رائحةٍ من كَذْبة المرء فى جِدٍّ وفى لَعِبِ

وشبيه بقوله — خُذْ من صديقك غير متعبه — البيت قول ابن الزِّبْرِقَان بن بدر التميمىّ (٢) :

أخوكَ الذى لا يَنْقُضُ الدهرَ عهدَه ولا عند صرف الدهر يَزْوَرُّ جانبُه

وليس الذى يلقَاك بالبِشْرِ والرِّضَا وإن غبتَ عنه تابَعَتْكَ عقاربُه

فخُذْ من أخيك العفوَ واغفرْ ذُنوبَه ولا تَكُ فى كلّ الأمور تعَاتبُه

أردت البيت الأخير من أبيات الزبرقان (٣) ، وما أحسن قول الآخر

---

(١) ابن أبى الحديد ٢ — ١٢٥ والأول فى الحصرى ٢ — ١٢٤

(٢) كذا بالأصل باثبات الابن قبل الزبرقان والايات فى القالى ٢ — ٢٣٤ للمغيرة بن حبناء إلا أنها هناك أربعة باختلاف وفى السمط انها فى الشريشى ١ — ٢٠٨

(٣) كذا بالأصل ههنا وفيما سبق منه لابنه

فى ذكر شرائط الاخاء وان لم يكن من معنى بشار :

أخوك الذى إن سرَّك الدهرُ سرَّه ... وإن غبتَ يوما ظل وهو حزينُ
يقرّب من قرّبتَ من ذى مودّة ... ويُقصى الذى أقصيتَه ويُهينُ

ومن معنى بشار قول الآخر :

أصْفِ ودادًا لمن تعاشرهُ ... واسكن الى ناصح تشاورهُ
وارضَ من الخِلّ بالوداد بما ... ينقل عنـــه إليك ظاهرهُ
من كشف الناس لم يجد أحدا ... تصحّ منـــه له سرائرهُ

وقد تقدّمت له نظائر فى أول الكتاب ، فأما قوله — يرد الحريص على متالفه — البيت فنحو قول الآخر :

كم من حريص على شىء ليدركه ... لعـــل إدراكه يُدنى إلى عَطَبِهْ
يغدو الذى يطلب الدنيا وقد سبقت ... إلى مطالبه الأرزاق فى طَلَبِهْ

ومثله قول الآخر (١) :

كم أكلة داخلت حشا شَرِهٍ ... فأخرجت روحه من الجسدِ
لا بارك الله فى الطعام إذا ... كان هلاك النفوس فى المِعَدِ

ونحوه قول الآخر (٢) :

والحرص فى الرزق والأرزاق قد قسمت ... بغىٌ ألاَ إنّ بغى المرء يَصرعهُ

وقريب منه قول الآخر :

المرء ما عاش عامل نَصِب ... لا ينقضى حرصه ولا أملُهْ
يرجو أمورا عنـــه مغيّبة ... جهلا ومن دون مارجا أجلُهْ

---

(١) حياة الحيوان م هر لابن العــلاف يرثى ابن المعتز أو المحسن بن الوزير على بن الفرات وكنى عمن رثاه بالهر

(٢) ذيل ثمرات الأوراق ٤٤ من قصيدة لابن رزيق الكاتب البغدادى وهناك القصيدة عاما

وقال آخر ينهى عن الحرص :

أخا الحرص ليس الحرص فى الرزق زائدا ولا الرزق مصروفا عن المتوانى
تذلّلتَ للحرص الذى لو تركتَه أتاك بلا ذُلٍّ ولا بهوانِ

وأحسن الآخر فى هذا المعنى فقال :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبق
ما رأينا الحرص أدنى من حريص قطّ رزقا
لا ولكنّ قضاء اللّه أن تُغنى (١) وتشق
قد رأينا الموت أفنى قبلنا خلقا فخلقا
دَرَجُوا قرنًا فقَرْنًا وبقى ما ليس يَبْقَى

وقال آخر :

سئمتُ من حَلٍّ وترحالِ وطول إدبار وإقبالِ
ومن أطاع الحرص أجراه فى ميدان إطماع وإقلال

ونحو هذا البيت قول الآخر :

وإذا طَمعتَ لبستَ ثوب مذلّة وبذا اكتسى ثوبَ المذلة أشعبُ

وقال آخر (٢) :

رأيتُ مخيلة فطمعت فيها وفى الطمع المذلّة للرقاب

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الانصارى (٣) :

لا تُهْلِكِ النفس إشرافا على طمع إنّ المطامع فقر والغنى يأسُ

---

(١) كذا وأرى الصواب أن تمى من العناء — قاله الميمى
(٢) حماسة البحترى ١٣٣ لأبى العطاء السدى وابن أبى الحديد ٤ — ٢٣٩ بغير عزو
(٣) حماسة البحترى ١٣٣

ومثله قول الآخر :

إن السعادة يأس إن ظفرتَ بها ... بعض المراد وتعس الشّقوة الطمعُ

ومن المختار قول أبى معاذ :

(إذا المرء لم يُفضِل وقام بكلِّه ... فليس به باس وليس بكامل

وإن كان ذا فضل وقام بكله ... فسام به أهل العلى والفضائلِ

وإن كان لا فضل ولم يُغن كلّه ... فنَادِيه فى الناس هل من مُنازلِ

ومنه قوله أيضاً .

(إنّ الطبيب بطبّه ودوائه ... لا يستطيع دفاع مقدورٍ أتَى

ما للطبيب يموت بالداء الذى ... قد كان يُبرِئ مثلَه فيما مضى

إلاّ لأنّ الخلق يحكم فيهم ... من لا يردُّ ولا يُجاوز ما قضى)

وقوله أيضاً من قصيدة .

(إذا غدى المهدىّ فى جنده ... أو راح فى آل الرسول الغضابْ

بدا لك المعروف فى وجهـه ... كالظَّلْم يجرى فى الثنايا العِذابْ)

الظَّلْمُ رِقّـة فى الأسنان وشدّة بياض يُخَيِّل لرَائيها أنّ الماء يجرى فيها كفرِنْدِ السَيف وجمعه ظُلُوم قال الشاعر (١) :

إذا ضحكت لم تبتهر وتبسمت ... ثنايا لها كالبرق غُرٌّ ظُلُومُها

والثنايا جمع ثنيّة والانسان أربع ثنايا ، وأربع رَباعيات الواحدة رَباعية مُخَفَّفَة وأربعة أنياب ، وأربعة ضواحك الواحد ناب وضاحك ، واثنتا عشرة رَحًى : ثلاث فى كل شقّ ، وأربعة نواجذ وهى أقصاهن حكى ذلك

(١) اللسان م ظلم والعكبرى ٢ — ٣٠٩

العتبى عن أبى زيد (١) عن الأصمعى ، وقال إلاّ أنّ الأصمعى جعل الأرحاء ثمانيا : أربع من فوق ، وأربع من أسفل ، وترتيبها فى الفم أنّ الثّنيّتَيْن والرّباعيتين اللواتى فى مقدّم الفم من فوق ومن أسفل يقال لهن : الثغر ثمّ يلى ذلك النسابان ثم يلى النابين (٢) الضواحك ، والعربُ تُسَمّى الضواحك العوارض ، ثم يلى الضواحك الأرحاء وهى الأضراس ، ثم النواجذ وهى أقصى الأضراس مثل قوله :

بدا لك المعروف فى وجهه كالظَّلْم يجرى فى الثنايا العِذَابْ

قول الآخر :

قومٌ لماء المَعَالى فى وجوههم وللمَكَارم تصويبٌ وتصعيدُ

وقال البحترى (٣) :

تُرِيك تَألُّقُ المعروف فيه شُعَاعَ الشمس فى السَّيْفِ الصَّقِيل

وقوله أيضاً (٤) :

رأيناك فى كُلّ السَّماحة مُشْرِقا بوجهٍ أرانا الشمسَ فى ذلك الظّلّ

وقول الآخر :

بوجهٍ رَقَّ ماءُ الجُود فيه على العِرْنِين والخَدّ الأسيل

وأخذه على بن محمد التهامى (٥) ونقله من الوجه إلى اليد فقال :

إن كنتَ تطلب بَحْراً لا يَغِيض فَزُرْ محمد بن الحسين الآن أو فَـذَرِ
فَمَجْدُه ونَدَاه المَحض فى حَضَرٍ ومَالُه ونَشَاه الغَضّ فى سَفَرِ

---

(١) كذا بالأصل لكنه لا يصح اذ أبو زيد لم يأخذ عن الأصمعى فلعل الصواب وعن الأصمعى

(٢) بالاصل النابان فى حالة الرفع

(٣) ديوانه ١ — ٣١ ولعل الصواب يريك

(٤) ديوانه ١ — ٢٣٤ باختلاف فى المصراع الأول

(٥) ديوانه ٢٦ الثلاثة الأخيرة

يزيد معـــروفه بالسير منزِلةً ... كما يزيد بهـــاء الخَوْد بالخَفَرِ
تَرَى مياهَ النَّدَى تجرى بأنمُله ... تَرَقْرقَ الماء فى الهنديّة البُتُرِ

ومن هذا المعنى ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن من قصيدة له يرثى بها الأمير مستخلص الدولة ويذكر امرأة من بنى أبى الحسين من جزيرة صِقِلّية ويُسلّيهم عنها :

لِيُسْلِكُمُ أنّ الجزيرة بعدكم ... كما قيل فى الأمثال لحم على وَضَمْ
تركتم بقايا حسنكم فى خرابها ... كما ذَبل النَوّار فى خَلَل الحُمَمْ
وجوه كأنّ الله قال لمـــائها ... تَرَقْرَقْ حياء وامزِج الحسن بالكَرَمْ
كأنهمُ فوق الأسرّة أنجُمٌ ... سعود وفى الهيجا ضراغمة بُهُمْ

ألَـمّ أبو الحسن فى هذا البيت بقول مسلم بن الوليد أو وارده [1] :

كأنّ فى سرجه بدرا وضرغاما

وقوله فى الثنايا العذاب قال اسمعيل بن احمد : أطيب الافواه وأشدّها عذوبة أفواه الزنج يقال : ليس فى الناس أطيب أفواها من الزنج ، ولا فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ، ولا فى الوحوش أطيب أفواها من الظباء ، وقد قالت الشعراء فى طيب الأفواه وعذوبتهـا فأكثرت وأطالت وها أنا أذكر منـه فى هذا الديوان ما يصلح له بهذا المكان فمن ذلك قول أوس بن حجر [2] :

كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتبقَتْ ... من ماء أدكَن فى الحانوت نشّاحِ
أو من معتّقةٍ وَرْهَاء نَشْوَتُها ... أو من أنابيب رُمّان وتفّاحِ

---

(١) ديوانه ٥٤ والكامل ٥١٨ وأوله : تمضى المنايا كما تمضى أسنته
(٢) ديوانه الرقم ٤ والكامل ٤٥٩ له ولعبيد بن الابرص فى حماسة ابن الشجرى ١٩٢ وفيهما نضاح بدل نشاح

وقال آخر (١).

كأن على أنيابهـا الخمرِ شابها   بماء الندى من آخر الليل غابقُ
وما ذقتُـــه الا بعينى تَوَسُّما   كما شيمَ فى أعلى السحابة بارقُ

قوله — وما ذقتُه إلا بعينى — توسُّع فى الكلام لأن الحواس الخمس كل حاسة منها مخصوصة بعضو مخصوص لا توجد بغيره: فالنظر بالعين والشمّ بالأنف، والذوق بالفم، والسمع بالأذن، واللمس باليد، فاربع منها بالرأس وواحدة باليد وسائر الجسد، فاذا ذكر منها شيء بجارحة هو لأخرى فانما يستعملون ذلك على طريق الاستعارة والتَّوسعة، وذلك من مذاهبهم فاشٍ فى شعر القدماء والمحدثين قال مزاحم العقيلى (٢):

وما عِنَب جَوْنٌ بأعلى تَبَالَـةٍ   خضيدٌ أمالته الأكفّ العواطفُ
بأطيب من فيهـا وما ذقتُ طعمه   ولـكننى بالناس والطيب عارفُ

ونحوه قول ذى الرمة (٣):

أسيلةُ مجرى الدمع هيفاء طَفْلَـة   رَداح كإيمـاض الغمام ابتسامُها
كأنّ على فيهـــا وما ذقتُ طعمه   زُجاجة خمرٍ طابَ منهـا مدامُها

وأخذه ابن الرومى فقال:

وما ذُقتُه إلا بشَيم ابتسامهـا   وكم مَخْبَرٍ يُبْدِيه للعين مَنْظَرُ

ويقول ابن الرومى (٤) هذا فى شعرٍ وصف فيه ثَغْرَ امرأة وطيبَ فيها

(١) الأغانى ١ — ١٧٢ ثلاثه والأغانى الدار ٢ — ٣٢ للمجنون ولنصيب والمعاهد ٢ — ١٢٠ لنصيب والنويرى ٢ — ٦١ لابن ميادة والخزانة ٢ — ٥٥٩

(٢) ديوانه ٢٩ والعينى ٢ — ٩٨ و ٩٩ وفيهما الطير بدل الطيب

(٣) ديوانه ٦٤٣ والنويرى ٢ — ٦١

(٤) المعاهد ٢ — ١٢ من البيت الثـانى الى الخامس والنويرى ٢ — ٦٢ الرابع والثامن والتاسع والعاشر باختلاف الترتيب والرابع فى حماسة ابن الشجرى ١٩٣ قال المنى والأولان مع الرابع فى اللآلى ١٢٤ والبيتان الثامن والعاشر فيه وانظر ما كتبته فى السمط

وأنفاسها فأجاد ما أراد قال :

ثُغَنّتُ بالمسواك أبيضَ صافياً ... تَـكادُ عذَارَى الدُّرِّ منه تَحَدَّرُ
وما سَرَّ عِيدَانَ الأراك بِرِيقِها ... تَأوُّدُها فى أيكها تَهصُّرُ
لئن عدمَتْ سُقيا الثَّرَى إنَّ رِيقها ... لأعذب من هاتيك سُقيا وأخضَرُ
وما ذقتُه إلاَّ بشَيم ابتسامها ... وكم مَخْبَر يُبديه للعين مَنْظَرُ
بَدا لى وميضٌ شاهدٌ أنّ صَوبَه ... غَريضٌ وماعندى سوى ذاك مُخْبِرُ
ولا عيب فيها غيرَ أن ضجيعها ... وإن لم تُصبه السامريّةُ يَسْهَرُ
تَذُود الكَرى عنه بنَشْر كأنما ... تَضوّعُه مِسك ذكيّ وعَنْبَرُ
وما تَعتريها آفة بَشَرِيّة ... من النوم إلا أنّه تَتَحيَّرُ (١)
وغيرُ عجيب طيبُ أنفاس روضة ... منوَّرةٍ باتت تُراح وتُمطَرُ
كذلك أنفاس الرياض بسُحرةٍ ... تَطيبُ وأنفاس الوَرَى تَتَغَيَّرُ

وعلى ذكر تغيّر الأنفاس أنشدنى أبو الحسن الطوبىّ الكاتب لنفسه فى أبْخرَ وصنَعه بَديهاً :

مُنيتُ ولكن أرتجى عفو خالق ... بأبْخرَ ملعونِ الحديث مُذَمَّمِ
إذا هَمَّ بالقول الذى ليس نافعى ... سمعتُ بأنفِى منه قبل التكلّمِ
هو الكلب إلا أنّ فى فيه ريحةً (٢) ... وإن لم أر كلبا قبلها مُنْتِن الفمِ

والحديث ذو شُجون يَجُرُّ بعضُه بعضا ، ومن المعنى الأول فى الطيب قول العطَوىّ (٣) :

ذاتُ خدَّيْنِ ناعمين ضَنينَيْن بما فيهما مِنَ التُّفَّاح

---

(١) كذا وهو تصحيف تتخثر وانظر السمط ١٢٥ قاله الميمنى
(٢) الصواب ريحه
(٣) حماسة ابن الشجرى ١٩٣

وثنايا وريقة كغدير من عُقَار وروضةٍ من أقَاحِ

وقال النَّمِرُ بن تولبَ :

كأنّ مدامة من أذرعات وماء المزن والعنَب القطيفا
على أنياب جرةَ (١) بعد وهنٍ إذا ما خالط النَّسَم الرشيقا

وقال آخر فى وصف الثنايا وطِيب الفم :

ومصقولٍ عليه الظَّلم غرٌّ عِذاب لا أكسُ ولا خلوفُ
كأنّ رضيض رُمّان جَنىّ وأُترُجّ لأيكته حفيفُ
على فيها إذا دنت الثريّا دُنوّ الدلو أسلمها الضعيفُ

الكسس قِصَرِ الأسنان يقال : رجل أكسُ، وامرأة كسّاء فان كان مع قصر الأسنان إقبال على باطن الفم فهو اليَلَل- رجع - وقال ذو الرمّة (٢) :

وتَبسِمُ عن عَذْب كأنّ غرُوبه أقاحٍ تَردّاها من الرمل أجرعُ
جرَىَ الإسحل الأحوَى برَخص مُطرَّف على الزُّهر من أنيابها فهى نُصَّعُ
كأنّ السُّلاف المحض منهن طعمة إذا جعلت أيدى الكواكب تخضعُ
علي خَصِرات المُستقَى بعد هجعة بأمثالها تَروَى الصوادى فتنقعُ

الغُروب هنا حدّة الأسنان وغرْب كل شيء حدّه ، والإسحل شجر يُتّخذ منه المساويك ، والأحوى الأخضر الشديد الخضرة تضرب خضرته إلى السواد ، وعنى بالرخص المطرّف بَنانها ، والزُّهر البيض وكذلك النُّصّع هى الشديدة البياض التى لبياضها تلألؤ وبريق ، والسُّلاف مُجاجة العنب وما جرى منه بغير اعتصار ، والمحض الخالص منه ومن كل شيء ، وقوله — إذا جعلت أيدى الكواكب تخضع — يريد آخر الليل إذا جنحت النجوم للغروب واستعار الأيدى للكواكب كما قال [ذو الرمة] (٣) :

(١) اسم صاحبة النمر
(٢) ديوانه ٣٤٣ و ٣٤٤
(٣) اللسان م يدى لذى الرمة وأوله : ألا طرقت مى هيوما بذكرها

وأبدى الثريّا جنح فى المَغارِبِ

والخَصِرات البـاردات ، والصوادى جمع صادية وهن العطاش ، رجع

وقال عمر بن أبى ربيعة (١) :

يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ منهـا مفلَّج   رقيقُ الحواشى ذو غُرُوب مؤشَّرُ

يَرِقّ إذا تفْتَرُّ عنـه كأنه   حَصَى بَرَد أو أقحوان منوَّرُ

فجمع أوصافا كثيرة فى هذين البيتين وهى : طيب النكهة، ورقة الأنياب وأُشُرها (٢) وفلَجها ، وتشبيهها بحصى البرد فى بياضه وخَصَره وعُذوبته أو بنَوْر الأقحوان فى بياضه أيضاً وشدّة تضوّعه ، وقال عمرو بن معدى كرب (٣)

وأبكارٍ لهوتُ بهنّ حينًا   نواعم فى أسِرَّتها الرُّدوعُ

كأن على عوارضهن راحًا   يُفَضّ عليه رُمَّان يَنِيعُ

وقال النابغة الجعدى :

فمـا نطفة كانت صَبِير غمامة   على متن صفوانٍ تُزعزعه الصَّبا

على مَجّة من صفوِ أرْيٍ أتى بها   حريص يرَى فى الحق أن يَتكسَّبا

بأطيب من فيهـا ولا طعم ريقها   إذا النجم أصغَى للمغيب وصوّبا

ومن هذا القبيل ما أنشدنيه الربعى بن الخيّاط من أبيات له تقدَّم ذكرها :

ليت شعرى ما طعم ريقك قل لى   أخليطان سُكّر ورحيقُ

وأنشدنى أيضاً من قصيدة له :

كأنّ على لبّاتهم وخُدودهم   وَذائِلَ مُلْسًا من لُجَيْن وعَسجدِ

تَرَى كبرياء الحُسن فى لَحَظاتهم   يُشاب برهْبانيـة المتهجدِ

إذا قبّلوا صُلبانهم رشفَتْ بهم   حَصَى بَرَد فيه مُجاجة صَرخدِ

(١) ديوانه ١ — ٣ باختلاف والكامل ٣٨٢ والحصرى ١ — ٢١٢
(٢) أشر الأسنان ضم الهمزة والشين وضم الهمزة مع فتح الشين التحريز الذى يكون فيها خلقة   (٣) الاصمعيات ١ — ٤٣

وقال أبو حيّة النُّميرى وذكر المسواك(١) :

إذامضغت بعدامتناع (٢)من الضحى   أنابيبَ من قُضْب الأراك المخلقِ
سقَتْ شعَثَ المسواك ماء غمامة   فضيضا بخرطوم المُدام المُرَوّقِ

وقال آخر فى مثل هذا الوصف :

أهلاً وسهلاً بمَن فى النوم ألقاها   وحبّذا طيفُها أو كان إيّاها
يا حبّذا شعَثُ المسواك من فمها   إذا سقته رُضابًا من ثناياها

وعلى ذكر المسواك يُروى أنّ كُشاجم(٣) أهدى إلى قينة مسواكا وكتب إليها :

قد بعثناه لكى يُجْلَى به   واضحٌ كاللؤلؤ الرَّطْب أغرّْ
طاب منه العِرقُ حتى خِلتُه   كانَ من ريقك يُسْقَى فى الشَّجرْ
وأما واللهِ لو يعلم ما   حظُّه منك لأثنَى وشَكَرْ
ليتَنِى المُهْدَى فيروى عَطَشِي   بَرَدُ أنيابك فى كل سَحَرْ

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر (٤) :

وإذا سألتكِ رشفَ ريقك قلت لى   أخشى عقوبة مالك الأملاكِ
ماذا عليك دُفِعْتُ قبلك لِلثَّرَى   من أن أكون خليفة المسواكِ
أيجوز عندك أن يكون متيّم   صبٌّ بحبك دون عود أراكِ

رجع — وقال ابن الرومى فيما كنا أفضنا فيه من ذكر طيب الأفواه :

تَعُلُّك ريقا يطرد النومَ بردُه   ويشفى القلوب الحائمات الصواديا

---

(١) الحصرى ١ — ٢٠٥ وهناك أربعة أبيات والمرتضى ٢ — ١٠٣
(٢) قد تشتبه هذه الكلمة على النساخ فينسخونها بالتاء والنون والصواب بالتاءين
(٣) ديوانه ٩٩ باختلاف والحصرى ١ — ٢١٤ و ٢١٥
(٤) الحصرى ١ — ٢١٤ والوشى ١١٩ لمحمد بن عبد الله بن طاهر

وهل نقب(١) حصباؤه مثل ثغرها   يُصادف إلاّ طيّب الطعم صافيا

وقال :

ألا ربّما سُوّت الغيورَ وساءنى   وبات كلانا من أخيه على وحر
وقبّلتُ أفواهًا عِذابا كأنها   ينابيع خمرٍ حُصّبَتْ لؤلؤ البحر

وقال محمد بن عبد الملك :

قام بقلبي وقعَدْ   ظبيٌ نقى عنّى الجَلَدْ
يا صاحب القصر الذى   أرّق عينى ورقَدْ
واعطَشَا إلى فم   يَمُجُّ خمرًا من بَرَدْ
إنْ قَسمَ الناس فحسبي   بك من كلّ أحَدْ

وقال آخر :

كأنّ المُدَامة والزنجبيل   وريح الخُزّامى وطعم العسَلْ
يُعَلُّ به برد أنيابها   إذا النجم وسط السماء استَقَلْ

وهذا صُبٌّ على قالَب امرىء القيس فى قوله (٢) :

كأنّ المدام وصوب الغمام   وريح الخُزامى ونشر القُطُرْ
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها   إذا طرّبَ الطائر المستَحِرْ

وأين الأرض من السماء واللؤلؤ الرطب من الحصباء ؟ وقال بعض أصحاب المعانى هذان البيتان لامرىء القيس فى معناها كقوله (٣) :

تنوّرتُها من أذرِعات وأهلها   بيثربَ أدنَى دارَها نظرٌ عالِ
نظرتُ إليها والنجوم كأنها   مصابيح رُهبانٍ تُشَبُّ لقفّالِ

قالوا : أراد أنه نظر إلى هذه النار فرآها من أذرعات وهو مكان بالشام

---

(١) كذا وانظر   (٢) العقد الثمين ١٢٦ والعكبرى ٢ — ٣٠٩

(٣) العقد الثمين ١٥٢ والمعاهد١ — ٢٠٨ الأول والسيوطى ١١٧ والخزانة ١ — ٢٦

بيثرب وهى بالحجاز فرآها فى آخر الليل وهو وقت خمود النيران مشبوبةً غير خامدة فناسب قوله :

يُعَلّ به بَرد أنيابهـــا إذا طرّب الطائر المستَحِرْ

يريد أن فاها طيّب فى هذا الوقت الذى يتغيّر فيه الأفواه كما تُشَب هذه النار فى الوقت الذى تخمد فيــه النيران . وكأنه رأى هذه النار كرؤية الذى يقول (١) :

ألَيس بصيرا من رأى وهو قاعد بمكّة أهل الشام يَخْتَبِزُونَا

كأنّه رآهم بقلبه توهمّا ، رجع قال الأعشى (٢) :

ظَبيةٌ من ظبـاء وَجْرَةَ أدما ءِ تَسَفـهُ الكَبَاثَ تحت الهدَالِ
حُرّةٌ طفْلَةَ الأنامــل تَرْتَـــبُّ سخاما تَكُفّه بخِلالِ
وكأنّ السُّموط عَكّفَهَا السِّلْـــكُ بعِطفَىْ جَيْدَاء أمّ غزالِ
وكأنّ الخمر العتيق من الإسْـــفِنْط ممزوجةٌ بمـــاء زُلالِ
بَاكَرَتْهَا الأغرابُ فى سِنَة النَّوْ م فتجرِى خِلالَ شوك السَّيَالِ

قال بعض العلماء قال أبو عبيدة يعنى بالأغراب بيـــاض أسنانها ومنه سمّيت الفضّـة غرَبا ، وقال غيره أراد الأقداح من الفضّة يقول : با كرتْها الأقداحُ وفيها الخمر فجرَتِ الخمرة خلال شوك السيال أى بين أسنانها إذا شربتها ، والسَّيال شجر له شوك أبيض فشبّه الثغر به لبياضه ، وقوله — فى سنة النوم — أراد فى الوقت الذى يتغيَّر فيه الأفواه ، وقال آخر : الغَرَبَ اسم من أسماء الخمر لأنها تُغرب بعقل شاربها ومنـه قول خداش (٣) [ابن زهير] :

---

(١) الخزانة ١ — ٢٨ (٢) ديوانه ٥ والعينى ١ — ٢٠٧ الأولان

(٣) الألفاظ ٢١٧ لخداش بن زهير وفى اللسان م غرب بغير عزو

دَعِينى أصْطَبِحْ غَرَبًا فأغْرِبْ مع الفتيان إذ تَبِعُوا ثَمودَا

وقال العباس بن الحسن العلوىّ (١) :

صادَتْك مِن عَيْن القصورِ بِيضٌ أوانس فى الخُدورِ
حُورٌ تَحور إلى صِبا كَ لأعيُنٍ منهنّ حُورِ
وكأنمـــا برُضابهن ّجَنَى الرحيق من الخمورِ
يَصبغْنَ تُفّاح الخُدُو دِ بماء رُمّان النحورِ (٢)

وقول أبى معاذ فى العِناق :

(فبتنا معا لا يخلُص المـاء بيننا إلى الصبح دونى حاجبٌ وسُتُورُ)

أخذه منه على بن الجهم فقال (٣) :

سقَى الله ليلاً ضَمَّنَا بعد هَجعة وأدنَى فُـؤادا من فؤاد معذّبِ
فبِتْنَا جميعا لوتُراق زُجَاجة من الراح فيما بيننَا لم تَسَرَّبِ

وقال فيه ابن الرومى (٤) :

طالمـــا التَفَتْ إلى الصُّبـــح لنـــا ساقٌ بساقِ
فى نقـــاب من لِثَامٍ وإزار من عِنـــاق

وقال ابن المعتزّ (٥) :

---

(١) المصرى ١ — ٨٤ للعباس بن الحسين باختلاف وهناك ترجمته قال الميمنى الصواب الحسين لا الحسن وانظر الأغانى ٤ — ١٦٦ وما بعدها والصواب من بيض القصور كما فى الزهر

(٢) فى الحاشية لعله الصدور

(٣) النويرى ٢ — ١٠٤ وحماسة ابن الشجرى ١٩٦ والشريشى ٢ — ٨٥

(٤) ديوانه ٣٤١

(٥) ديوانه ٩٥ والقالى ١ — ٢٣٠ والنويرى ٢ — ١٠٣ وفى حماسة ابن الشجرى ١٩٦ لعبد الصمد بن المعذل

كأنّنى عانقتُ ريحانةً تنفّستْ فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدُّجى حسبتنا فى جسد واحد

ونحو هذا البيت الأخير أو قريب منه قول العباس بن الأحنف (١) :

إذا ما شئتَ أن تَصنعَ شيئاً يُعجب الناسا
فَصوِّرْ ههنا فوْزًا وَصوِّرْ ثَمَّ عبّاسا
فإن لم يَدْنُوَا حتى تَرَى رأسَيْهما راسا
فكذِّبْها بما قاستْ وكذِّبْه بما قاسا

والشىء يَجُرُّ غيره بذاته ، إذا ناسبه من أدنى جهة من جهاته

وقول أبى معاذ .

(أيها الساقيان صُبَّا شرابى واسقيانى من رِيق بيضاء رُودِ
إنّ دائى الصّدَى وإنّ شفائى شَرْبة من رُضاب ثغرٍ بَرُودِ
عندها الصبر عن لقائى وعندى زَفَرات يأكُلْنَ قلب الجَليدِ
ولها مبسِم كغُرِّ الأقاحى وحديث كالوَشى وَشْىِ البرودِ
نزلَتْ فى السواد من حبّة القلب ونالت زيادة المستزيدِ
ثم قالت نلقاك بعد ليال والليالى يُبلين كلّ جديدِ)

الرُّود الناعمة ، والصّدَى ههنا العطش وهو فى غير هذا أشياء أخر قد مرّ ذكرها فيما سلف من الكتاب ، والرُّضاب الريق ، وبَرود بارد . مثل البيت الأول والذى بعده أو قريب منهما قول الآخر (٢) :

---

(١) ديوانه ٩٤ والقيث ١ — ٢٦
(٢) المناهد ١ — ٢٢٧ لأبى بكر الخوارزمى

إذا ما ظمئتُ إلى ريقه جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقه ولكن أُعَلِّلُ قلبا عليلا

وقوله — عندها الصبر عن لقائى — البيت شبيه بقول الناشىء :

عيناكِ شاهدتان أنك من حرِّ الهوى تجدين ما أجدُ
بك مابنا لكن على مَضَض تتجلّدين وما بنا جَلَدُ

وأخذه الناشىء من قول الآخر(١) :

كلانا سواء فى الهوى غير أنها تَجَلَّدُ أحيانا وما بى تَجَلُّدُ
تخاف وعيد الكاشحين وإنما أحِنُّ عليها (٢)حين أُنْهَى وأُبْعَدُ

وقول أبى معاذ من أبيات .

(إن الوداع من الأحباب نافلة للظاعنين إذا ما يَمَّموا بلدا
ولستُ أدرى إذا شَطَّ المزار غدا هل تجمع الدار أم لا نلتقى أبدا)

النافلة : ما يعطيه الرجل تفضّلا من غير واجب عليه والجميع نوافل والنوافل أيضاً العطايا والفواضل والنفل واحد الأنفال يقال : نفل السلطان فلانا إذا أعطاه سَلَبَ قتيل قتَله فهو يُنَفِّله تنفيلا وواحد الظاعنين ظاعن والظعْن ضد المقام ، وكذلك فُسِّر قوله تعالى : « يوم ظَعنِكم ويومَ إقامتكم » والظعينة المرأة فى هودجها والجمع ظعائن وظُعُن وأظعان ولا تسمى ظعينة حتى تكون فى الهودج ، ويمموا بلدا أى قصدوه يقال : أمَّ يَؤُمُّ أمًّا إذا قصد ، ويَمَّمَ وتَيَمَّمَ ، والأمُّ القصد وأمَّ فلان أمرا أو طريقا إذا قصد قصده ، والتيمم يجرى مجرى التوخى يقال : تَيمَّمَ فُلان أمرا حسنا إذا توخّاه ويقال : تَيَمَّمْ أطيبَ ما عندك وأطْعِمْناه أى تَوَخَّ ومنه قوله تعالى :

(١) أخبار النساء لابن الجوزى ٩٢ ليوسف بن القاسم وزير المأمون
(٢) الصواب اليها

« ولا تيمّمُوا الخبيثَ منـــه تنفقون » أى لا تَتَوَخّوْا أردأ ما عندكم فتَتصدّقون به ، والتيمم للصعيد من هذا أى تيمموا أطيب صعيدا وأنظفه أى توخّوه وتَعَمّدُوه ُ ومنه قول خُفَاف بن نَدْبَةَ (١) :

فان يك خيلى قد أُصِيبَ صَميمُها فعمدًا على عيْنى تَيمّمتُ مالِكا
أقول له والريح يَأطِرُ مَتنَــه تأمّلْ خُفَــافا إنّنى أنا ذالِكا

يقول : هذا خُفاف فى غزاة كان فيهـا مع عشيرته بنى سُليم مَرؤُوسا فقتل رئيس العشيرة وأقْسَمَ خفاف أن لا يبرح مكانه أو يثْأر برئيسه واتّفق له أن بَرّ قسمه بأن قتـل صميم أعدائه فعاد فى تلك الغزاة رئيس بنى سُلَيم ، وأمّا معنى بيتَى بشّار فانه يقول : كما أنّ النـافلة من البرّ الذى هو التطوّع لا تجب على الانسان ، فكذلك الوَداع لا يجب للمفارقين المحبّين على الأحباب ؛ لأنهم مختارون لمفارقة أحبابهم ثمّ لا يدرون بعـــد تلك المفارقة أيكون لهم بهم اجتماع أم لا فهم الجانون على أنفسهم والظالمون لأحبابهم لاختيارهم شِقْوة الفراق ومَرارته على نعيم التـلاقى (٢) وحلاوته فهم كما قال الشاعر (٣) .

ستَطوِى المَراحِلِ عن حبيبك دائبًا وتَظَلُّ تبكيـــه بدمع ساجمِ
كذبتْـك نفسُك لست من أهل الهوى تشكو الفراقَ وأنت عين الظالمِ
هلاّ أقمتَ ولو علَى جمر الغضا قُـلِّبتَ أو حدّ الحُسام الصارمِ

قال اسمعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبى : وسأجُولُ جولة فيما قيل فى التفرّق والوداع وذكر التشوّق والالتياع قال أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ .

---

(١) الشعراء ١٩٦ والـكامل ٥٦٩ والحزانة ٢ — ٤٧٠ والأغانى ٢ — ١١١ و ١١٢ والأغانى الدار ٢ — ٣٢٩ والعقد ٣ — ٧٥

(٢) بالأصل التلاق بدون الياء

(٣) القالى ١ — ١٦٩ واليتيمة ٢ — ١٢ الأول والثالث

ولمّا توافقْنا غداة وَداعنـــا أشَرْنَ إلينا بالعيونِ الفواترِ
ولاشيء أقوى شاهدًا عند ذى هوًى من اللحظ يأتيه بما فى الضمائرِ
كأنّ دموعا قصّرَتْ عن مسيلها حِذارَ الأعادى من عيون الجآذرِ
بقايا رَشاش فوق روض منُوّرِ تحمّله عن صائبات البواكرِ
إذا غفَلوا رَقرَقْنَها فى جفونها وإن رُقِبُوا غيَّضْنَها فى المَحاجِرِ

مثل قوله — بقايا رشاش فوق روض منوّر — قال البحترى :

سقى[1] الغيثُ أكنافَ الحى من محلة إلى الحِقف من رمل اللوى المتقاودِ
فلا زال مُخضَرّ من الروض يانع عليه بمُحْمَرّ من النَّوْر جاسدِ
يُذَكّرنا ريَّا الأحبّــة كلّما تنفّسَ فى جنح من الليل باردِ
شقائقُ يحملْنَ النّدَى فكأنّهُ دموعُ التصابى فى خُدود الخرائدِ
ومن لؤلؤ فى الأُقحُوان منظَّم على نُكَت مصفرّة كالفرائدِ

ونحوه قول ابن الرومى[2] :

لو كنتَ يوم الوداع شاهدنا وهُنّ يُطفين لَوعة الوجدِ
لم تَرَ إلاّ دموع باكيةٍ تَسفح من مُقلة على خدِّ
كأنّ تلك الدموع قَطْرُ نَدًى يَقطُرُ من نَرْجِسٍ على وَرْدِ

وفى قول الرومى هذا زيادة حسنة على قول البحترى والناشىء جميعاً لايراده فى المعنى المأخوذ تشبيهين واقعين بغير آلة التشبيه وهما قوله ، يقطرُ من نرجس على ورد — فشبّه العيون بالنرجس ، والخدود بالورد ، وعكس الربعى أبو الحسن هذا التشبيه فقال فيما أنشدنيه من قصيدة له :

---

(١) ديوانه ١ — ٣٤ والحصرى ٢ — ٢١٥ عير الثالث والأخيران فى العقد ٣ — ١٧٧

(٢) ديوانه ٤٣١ وفى الحصرى ٢ — ٢١٦ لعلى بن جريج قال (الميمى هو ابن الرومى) والنويرى ٢ — ٢٤٨ للصولى والأخير فى العكبرى ٢ — ٣٠٢

ومَنابِتُ الورد التى وَردَتْ سَحَراً عليك بوَجنة الخَجِلِ
للطلّ فى ورقاتـــه نُقَطُ كالدمع حار بمُقلة الوَجِلِ

فأخذ (١) التشبيه الأول ومعناه أبو الطيب فقال (٢) :

تَرنو إلىّ بعين الظبي مُجهِشةً وتمسح الطلّ فوق الورد بالعَنَمِ

فجاء بأربعة تشبيهات بلا آلة تشبيه أربعة بأربعة: شبهّ عَيْنَيْها بعينَ الظبى، ودموعها بالطلّ وخدّها بالورد. وتطريف بَنانها بالعَنَم، والعنم دود أحمر يكون فى الرمل تُشَبَّه به أصابع النساء ويقـال: إنه شىء ينبت ملتفّا على الشجر يَبدُو أخضر ثم يحمرّ، وقيل: إنه ينبت على أغصان السَّمُرُ وهذا الأخير قول أبى عبيدة وأنشد للنابغة (٣) :

عَنَـم (٤) على أغصانه لم يُعقَدِ

وقوله: مجهشة أى متحيّرة قد تغيّر وجهها وتهيّأت للبكاء ولم تبك، هذا أصله، ويقال: جهشت نفسُه وأجهشت إذا رجعت إليه بالحنين قال لبيد (٥) :

جاءت تَشَكّىَ إلىّ النفس مُجهِشَةً فقد حَمَلتُك سبعا بعد سبعينا

ـ رجع ـ وأعاده أبو العباس الناشئ فقال (٦) :

بكت للفراق وقد راعَنى بكاء الحبيب لبُعد الدّيَارْ
كأنّ الدموع على خدّها بقيّة طلّ على جُلّنَارْ

وأخذه سعيد بن حُميد الـكاتب فقال (٧) :

---

(١) كذا بالأصل بالفاء والصواب عندى بالواو
(٢) ديوانه ٢ — ٣٠٢ (٣) بالأصل وأنشد النابغة
(٤) العكبرى ٢ — ٣٠٢ واللسان م عنم وأوله: بمخضب رخص كأن بنانه
(٥) الخزانة ١ — ٣٣٩ والمعمرين ٦١
(٦) الحصرى ٢ — ٢١٦ والشريشى ١ — ٣٩ واليتيمـة ١ — ٤٥٨ الاخير للناشى الاوسط (٧) الحصرى ٢ — ٢١٦

عَذُبَ الفراق لنا قُبيل وَداعنا ثم اجترعناه كسمّ ناقعِ
وكأنما أثر الدموع بخدّها طلٌّ سقيطٌ فوق وَرد يانعِ

وشبّه ذو الرمة ما يسقط من النّدَى على النّبت بالتُّوم وهو حَبّ يُعمل من الفضّة كاللؤلؤ فقال (١) :

وَحْف كأنّ الندى والشمس ماتعَةٌ إذا تَوَقّد من أفنانه التُّومُ

يصف نبتا وأفنانه فروعه، ومنه قول البحترى وذكر نهرا :

حتى بدا فى روضة تَطَوّلُهُ أنفٌ تَرَى ذِبّانُه تُعلّلُهْ
من زَهَر الروض الذى يُكلّلُهْ يَهمى تَرَدّى بالندى وتُهمِلُهْ

ومنه ما أنشده أبو عمرو فى صفة نبات (٢) :

تخال الحبابَ المرتقِي فوق نَورها إلى سُوق أعلاها جُمانا مُبدّدا

وأمّا قول الناشى فى صفة الدمع — إذا غفلوا رقرقتها فى جفونها — البيت (٣) فمأخوذ من قول الأول (٤) :

ومّما شجانى أنهـا يوم ودّعت تولّت ودمع العين فى الخدّ حائرُ
فلمّا أعادت من بعيد بنظرة إلىّ التفاتًا أسلمته المحاجِرُ

وأخذه البحترى فقال :

وَقفْنا (٥) والعيون مُشْعَلاتٌ يُغالب دمعَها نظر كليلُ
نَهَتْه رِقبَة الواشين حتى تعلّقَ لا يغيض ولا يَسيلُ

وأخذه كُشاجم فلخ وأحسن فقال (٦) :

---

(١) ديوانه ٥٨٣ (٢) التاج م حبب
(٣) بالأصل ما بدون الفاء
(٤) الحصرى ٤ — ٨٢ والعقد ٢ — ٢٣١ — قال الميمنى وهما فى الحماسة بون ٥٤٩ بولاق ٣ — ١٢٣ بلا عزو
(٥) ديوانه ١ — ١٩٤ والنويرى ٢ — ٢٥٥ والحصرى ٤ — ٨٢
(٦) ديوانه ٦٠ باختلاف

أشكو إلى الله دمعا حائرا أبدا   لا يستقلّ ولا يَجرى فينحدرُ
الخوف ينهاه والأشجان تأمره   فقد تكافأ فيه الخوفُ والحذَرُ

رجع ما انقطع ، وقال سعيد بن حُميد (١) :

ودّعتُها والدمع يقطر دائبًا   وكذاك كل مودّع لفراقِ
شَغَلَتْ بتغييض الدموع شمالها   ويمينها مشغولة بعِناقِ

وأملح من هذا قول الآخر :

صافحتُه بدموعى يوم ودّعنى   ولم أُطق جزَعا للبين مدّ يدى
فقال لى هكذا توديع ذى أسَفٍ   بلا عِناق ولا ضمّ إلى جسَدِ
فقلتُ كفّى برَشف الدمع فى شُغُل   من الصبابة والأخرى على كبِدى

وقال ابراهيم بن المهدى (٢) :

قامت تُودّعنى والدمع يغلبها   كما يميل نسيمُ الريح بالغُصُنِ
ثم استمرّت وقالت وهى باكية   يا ليت معرفتى إيّاك لم تكنِ

وقال الصمّة القشيرى (٣) :

قِفَا ودّعا نجدًا ومن حلّ بالحى   وقلّ لنَجْدٍ عندنا أن يُودّعا
وأذكرُ أيّام الحمى ثمّ أنثنِى   على كبدٍ من خشيةٍ أن تَصدّعا
فليس عشيّات الحمى برواجعٍ   إليك ولكن خلّ عينَيْك تَدمَعا

وقال إسحاق الموصلى (٤) :

---

(١) العقد ٣ — ١٧٩
(٢) العيون ٣ — ٣٣ بغير عزو والعقد ٣ — ١٨١ لاعرابى
(٣) القالى ١ — ١٩٤ مع أبيات أخرى والحماسة ٥٣٩ والاغانى ٥ — ١٢٦ الاخيران مع أبيات أخرى قال الميمنى قوله فليس الصواب والرواية فليست
(٤) الحصرى ٣ — ١٤ القصيدة تماما

تقضّتْ لُبانات وجدَّ رحيـــلُ ... ولم يُشْفَ من أهل الصفاء غليل
ومُدّتْ أكُفٌّ للوَداع فصافحت ... وفاضَتْ عيون للفراق تسيلُ
ولا بُدّ للأُلاف من يوم لوعة ... إذا ما خليل بَانَ عنـــه خليلُ
وكم من دَم قد طُلّ يومَ تحمّلَتْ ... أوَانسُ لا يُودَى لهن قتيـلُ
غداة جعلتُ الصبر شيئاً نسيتُه ... وأعولتُ لو أجْدَى علىّ عويلُ

وقال مسلم بن الوليد (١) :

ومكورةٍ رُود الشباب كأنّها ... قضيب على دِعْصٍ من الرمل أهْيَلِ
خلوتُ بها والليل يقظانُ قائم ... على قدَم كالراهب المُتَبتِّلِ
فلمّا استرُدَّت من دُجى الليل دَوْلةٌ ... وكاد عَمود الليل بالصبح ينجلى
كررنا أحاديث الوداع ذميمةً ... ليبلغ كلٌّ حاجةً غيرَ مُعجَلِ
فلم تر إلاّ عبرةً بعـــد زفرةٍ ... مُوَدّعة أو نظرة بتـــأمُّلِ

وقال أبو تمّام فى الفراق (٢) :

لو كان فى البين إذ بانوا لهم دَعَةٌ ... لكان فقدِى لهم من أعظم الضَّرَرِ
فكيف والبين موصول به تَعَب ... تعسُفُ البيد بالإدلاج والبُكَرِ
لو كان ما تبتليني الحادثاتُ به ... يكون بالماء لم يُشرَب من الكَدَرِ
أو كان بالعِيس ما بى يوم رحلتهم ... أعيَتْ على السائق الحادى فلم تَسرِ
كأنّ أيدى مطاياهم إذا وَخدَتْ ... يقَعْنَ فى حُرّ وجهى أو على بصرى

وقال المتنبى (٣) :

هو البين حتى ما تأنّى الحزَائقُ ... ويا قلبُ حتى أنت ممّن أفارقُ

---

(١) ديوانه ١١٧ باختلاف فى الرابع

(٢) لم أجدها فى طبعة (بيروت سنة ١٨٨٩ م) من ديوانه — قاله الميمنى وأنا أيضا لم أجدها

(٣) ديوانه ١ — ٤٥١

وقفنـــا وممّا زاد بثًّا وقوفُنا ... فريقَيْ هوًى منّا مَشوق وشائقُ
وقدصارتِ الأجفانُ قَرْحَى من البكا ... وصار بَهارًا في الخــُدود الشقائقُ

وقال معقل أخو أبي دُلَف (١) :

لعمري لئن قرَّتْ بقربك أعيُنٌ ... لقد سَخِنَتْ بالبين عنك عيونُ
فسِرْ أو أقِمْ وقفٌ عليك مودّتي ... مكانُك من قلبي عليك مصونُ

وقال أعرابيٌّ :

لعمرك (٢) إني يوم بانوا فلم أمُتْ ... خُفَاتًا على آثارهم لَصبورُ
غداة المُنَقَّى إذ رميتُ بنظرة ... ونحن على متن الطريق نسيرُ
ففاضت دموع العين حتى كأنها ... لناظرها غُصن يُراح مَطيرُ
فقلت لقلبي حين خَفَّ به الهوى ... وكاد من الوجد المُبير يَطيرُ
فهذا (٣) ولمّا تَمْضِ للبيْن ليلةٌ ... فكيف إذا مرَّت عليك شهورُ
وأصبح أعلام الأحِبّة دونها ... من الأرض غَوْلٌ نازح ومَسيرُ
عسى الله بعد النأي أن يُسعف النوى ... ويُجمَع شمل بعدها وسرورُ

وقال العَرْجيّ :

إنّ الخليط الذين كنتُ بهم ... صبًّا دُعُوا للفراق فافترقوا
يا نظرةً ما نظرتُ في فلق الصُّبْــــحِ إليها إذ قيل ينطلقُ (٤)

وقال ابن الرومى :

ولمّا أجمعوا بينًا وشُدَّت ... حُدُوجهم بأثنـــاء النُّسوعِ

---

(١) العيون ٣ — ١٠ والنويرى ٤ — ٢٣٠ والعقد ٢ — ٢٣٨
(٢) القالى ٢ — ٢٧١ والمرتضى ٢ — ١٤٢ و ١٤٣ وحماسة ابن الشجري ١٦١
(٣) وكذا فى نسخ الامالى أيضا والوجه أهذا قاله الميمنى
(٤) كذا ولم أقف على البيتين فى موضع آخر ولعل الصواب (تنطلق) قاله الميمنى

وشيَّعنا على التوديع وَجْدٌ تَحرَّقَ منه أحناء الضلوعِ
فما افترّت شِفَاهٌ عن ثُغور بل افترّتْ جفون عن دموعِ

وقال عليّ بن الجهم (١) :

وارحمتا للغريب فى البلد النّـازِح ماذا بنفسـه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا
كان عزيزا بقرب دارهم حتّى اذا ما تباعدوا خَشَعَا

وقال بعض الاعراب :

ألا يا لَقومى لِلهوى المتزايدِ وطول اشتياق النازح المتباعدِ
دخلتُ لكى أحظَى إذا أبْتُ سالما فأوردَنى التَّرحال شرَّ الموارِدِ
كأنّى لديغ حاد عن كُنه دائه طبيب فداواه بسُمّ الأساوِدِ

مثل هذا البيت الاخير قول أبى بكر بن داود القياسى: من تَداوَى بدائه لم يَصل إلى شفائه ، ونحوه قول أبى الفضل بن العميد فى نعت معذرة (٢) :

داوت جوى بجوًى وليس بحازِمٍ مَن يَستكِفُّ النـار بالحَلْفَاء

ونحوه قول العلوىّ (٣) :

متى أرتجى يوما شفاء من الضنَى إذا كان جانيـه علىّ طبيبى

وقال آخر (٤) :

أتظعن عن حبيبك ثم تبكى فقُل لى مَن دعاك إلى الفراقِ

---

(١) الأغانى ٩ — ١١٢ الاولان باختلاف والعقد ٣ — ١٨٢ كذلك مع بيت آخر وتكررت فى ٢٢٦

(٢) النويرى ٣ — ١١٢

(٣) المعاهد ٢ — ٢١٦ واسم الشاعر على بن محمد العلوى الكوفى والحصرى ٣ — ١٧٠ خمسة عشر بيتا

(٤) القالى ١ — ١٦٨

كأنك لم تذق للبين طعْما ... فتعلمَ أنّه مُرُّ المذاقِ
أقِمْ وانعَمْ بطول القرب منه ... ولا تَظْعَنْ كئيبًا ذا اشتياقِ

وقريب منه قول الآخر :

هممتَ بفُرقة والموت فيها ... كأنك حتْفَ نفسك تستثيرُ
فلا تَجْسُرْ على أمرٍ قويٍّ ... عليك فرُبّما هَلَكَ الجَسُورُ

وقال أعرابىّ يصف سَحابةً ويتذكّرُ أوطانه (١) :

أحِنُّ إلى أرض الحجاز وحاجتى ... خيام بنجدٍ دونها الطرفُ يقصُرُ
وما نظرى نحو الحجاز بنافعى ... أجَلْ لا ولكنّى على ذاك أنظرُ
أفى كلّ يوم نظرة ثم عَبرة ... لعينَيْك يجرى ماؤُها يتحدّرُ
متى يستريح القلب إمّا مُجاورٌ ... حزين وإمّا نازح يتذكّرُ

وقال آخر يتشوّق (٢) :

لم استرَاحَ إلى صبرٍ فلم يُرَحِ ... صَبٌّ إليكم من الأشواق فى ترَحِ
تركتم قلبه من حزن فرقتكم ... إن يُرزَقِ الوصلَ لم يقدر على الفرَحِ

وأنشدنى علىّ بن جيش الشيبانى لنفسه فى هذا المعنى وهذه القافية والوزن من قصيدة افتتحها بذكر الخيال وهو :

أنّى اغتدَى عجِلاً والفجر لم يَلُحِ ... طيفٌ ألَمَّ بنا عن نيّةٍ طُرُحِ
أهدى التحيّة مِن مُغْفٍ لواحظَه ... عن ليل مغتبقٍ بالهمّ مُصطبحِ
إن قيل رُمْ سَلوةً أنّتْ جوانحُه ... أو قيل بُحْ باسم من تهواه لم يَبُحِ
وليلةُ الجِزع إذ باتت تُؤَرِّقه ... ورْقاءُ مهما تَنُحْ فى أيكها يَنُحِ
سقى العقيقَ عقيقًا من مدامعه ... وجادَ سفْحَ الحمى من أدمعٍ سُفُحِ

(١) الحصرى ٢ — ١٠٩ لاعرابى من بنى عقيل
(٢) الحصرى ١ — ١٨٥ لبعض المحدثين

قد قلتُ لمَّا استحرَّ الشوق والتهبَتْ جوانحٌ سُجِّرتْ بالبثِّ والترَحِ
ما بالُ راميـــةٍ قلبي بنافذةٍ من أسهُم البين لم تُجهِزْ ولم تُرِحِ
وليلةٍ بتُّ أنهى القلبَ عن شجَنٍ يَمتَارُ من لهَبٍ(١) بالخوف مُفتَضح
لمَّا استمرَّ على العصيان قلتُ له هل أنت ذاكرُ عهدِ اللهو والفرَحِ
ما كان عهد الحمى لو كنتَ ذاكرَه إلاَّ مُجَاجةَ صفو العيش والمَرَحِ

قال اسمعيل بن احمد: وكان أبو بكر محمد بن عليّ بن الحسن التميمى ثم الغوثى عقد لى على نفسه بمصر سنة خمس عشرة وأربعمائة أنه يسافر معى فى بعض المراكب من الإسكندرية إلى المغرب وفارقتُـــه على ذلك وانحدرت إلى مدينة الإسكندرية، واتفق له بعـــد مفارقتى أن صحب فتيانا من أهل القيروان فألِفَهُمْ وآثر صحبتهم وسُهل عليـه حلُّ ذلك العقد، وقُدِّرَ أن أقلعنا من الإسكندرية فى يوم واحد بريح طيِّبة شرقيَّة وتغيرت مِن بَعْدُ فدخلنا مَرْسًى يُعرف بمَرسَى الشقَّراء وأرسَتْ السفينة التى هو بها قريباً من سفينتنا فنظرتُ نحوها فرأيتُه وهو يُشير إلىَّ بالســلام فرددتُ عليه إشارة وحرَّكنى صنيعه فصنعتُ بديهاً أبياتا أنفذتُها إليه:

يا غائباً فَضَّتْ نواه ضُلوعى فضَّ الوَداع فؤاد كُلِّ مَرُوعِ
كيف اشتياقك بين صَحْبكَ إنَّنى صَبٌّ إليك مضرَّجٌ بدموعى
الوجد خُلقى والتذكر مؤنسى والدمع إلفى والسُّهاد ضجيعى
أما اشتياقى لو ذهبتُ لوصفه فى قرب تأدية وحسن صنيعِ
لم أبلغ المعشار فى صفتى ولو أعطيت كلَّ بلاغة وبديعِ
أفردتَنى ورضيتَ غيرى مؤنسا بئس البـديل هشيمهم بربيعى
وأطعتَ عُذَّالا أشاروا بالنَّوَى وأصَخْتَ نحوهم بأذن سميعِ

(١) طمس البلل بالأصل هاتين الكلمتين وقرأهما صديق العلامة الميمنى

لو أنّ عاذلكم إلىّ سعَى بما ألقَى إليك لكنتُ غير مطيعِ
لكننا شتّانَ بين مُوَكّلٍ بالعهد يحفظه وبين مُضيعِ

واستدعيت جوابه فى الورقة فأعجله الإقلاع وافتراق السفينتين عن ذلك، والتقينا بعد الوصول بمدينة المهدية فقضى كل واحد منّا من حق صاحبه ما انبغى له أن يقضيه، ثم أخرج إلىّ درجا كان معه وقال هذا جوابك وقرأته فاذا فيه بعد البسملة :

يا فاتناً بيديه روِيّة البلغاء إعذر فهذا جوابى يمشى على استحياء

ثم كتب تحتهما :

يا معدن التسجيع والتصنيعِ ومَظِنَّة الترصيع والتصريعِ
ومحل كل غريبة وعجيبة وملاذ كلّ مُقلَّد وبديعِ
يا من إذا جُعل الأفاضل حلبة كان المقدَّمَ قبل كل سريعِ
جاءت نوادر بل جواهر منك قد أرْبَتْ على المطبوع والمصنوع
دَاوتْ فؤادا بالفراق مروّعا وشفت غليل المُدنَف المفجوعِ
ما زلتُ مذ وافَتْ أُرَدّد خاطرى فيما حوت من مُذهَب التوشيعِ
أُنْسِي بها وكأنّ بين سطورها مَنْ بُعْدُه عنّى أطار هجوعى
ومَنِ اشتياقِه اشتياقُ مُتَيَّمٍ صَبٍّ رمتْه يد النوى بفظيعِ
متبَلِّدٍ متلدّد متحيّرٍ مُتلَهّف متوجّعٍ ممنوعِ
فالوجد منّى لو ذهبتُ لوصفه ومعى بيان البحترى وصريعِ
لرجعتُ لم أبلُغ مدَى مِعشاره بلسان عِيٍّ مُفحَمٍ مقطوعِ
هذى سبيل أخيك بعدك إنه مذ غبتَ خِدنُ أسًى حليفُ دموعِ
وزعمتَ أنّى اخترتُ غيرك مؤنساً وأتيتُ فى أهل الصفا بشنيعِ

والله ما أرضَى الورَى بك كلّهم بَدَلاً وفيهم أسْرَتى وجميعى
لكنّه أمـــر قضاه مُقَدّرٌ ما يَقْضِ يوما ليس بالمدفوعِ
فاعْذِرْ أخاك وثِقْ بما لكَ عنده من محض وُدٍّ ليس بالمصنوعِ

وقول أبى معاذ فى وصف قينة :

(وصفراء مثل الزعفران شربتُها على صوت صفراء الترائب رُودِ
حسدتُ عليها كل شىء يمسّها وما كنت لو لا حُبّها بحَسُودِ
كأنّ مليكا جالسا فى ثيابها تُؤَمّل رؤياه عيـــونٌ وُفودِ
من البيض لم تَسْرَحْ على أهل ثَلّةٍ سَوَاما ولم ترفَع حِدَاجَ قَعُودِ
تُميتُ به ألبابَنــــا وقلوبَنا مِراراً وتُحييهن بعــدَ هُمودِ
إذا نطقت صِحْنا وصاح لنا الصَّدَى صِياحَ جنــودٍ وُجِّهَتْ لجنودِ
ظَلِلْنَا بذاك الدَّيْدَنَ اليومَ كلّه كأنّا من الفردوس تحت خُلودِ
ولا بأس إلاّ أنّنا عند أهلنا شُهودٌ وما ألبابنــا بشُهودِ)

الترائب جمع تريبة وهى معلّق الحَلْى على الصدر قال امرؤ القيس (١) :

ترائبُهـــا مصقولةٌ كالسجنجل

والسجنجل المرْآة ويقـــال للمرْآة أيضاً العِناس والوذيلة والماويّة والزّلَفة، والزّلَفَة أيضاً الروضة، ويقال : تريب أيضاً بغير هاء قال المثقّب العبدىّ (٢) :

ومن ذَهبٍ يلوح على تريبٍ كلون العاج ليس بذى غُضونِ

(١) العقد الثمين ١٤٧ وأوله : مهفهفة بيضاء غير مفاضة
(٢) ديوانه الرقم ٥

والرود بلا همز الناعمة ، والثَّلَّة هنا القطعة من الغنم وربما خَصُّوا به الضأن ومنه قول الشاعر :

آليتُ بالله ربى لا أسالمهم حتى يسالمِ ربُّ الثلَّة الذيبُ

وذلك لا يكون أبدا أى فلا أسالمهم أبدا كما لا يسالم الذئبَ ربُّ الغنم والثلَّة أيضاً الصوف يقال : هذا كساء جيِّد الثَّلَّة أى جيـــد الصوف ولا يقال للشعر ولا للوبر ثلّة وإذا اجتمعا واختلطا قيل لهما ثلة يقال : عند فلان ثلة كبيرة يراد به ذلك ، ولا يقال للمعز ثلّة فاذا اجتمعت والضأن قيل عند فلان ثلَّة وجمع الثلة ثِلَل ، وهـذا رجل مُثِلٌّ إذا كان كثير الثلة والثلة أيضاً هو التراب الذى يُخرج من البئر ومنـه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلاَّ فى ثلاث : ثلَّة البئر ، وطِوَل الفرس ، وحلقة القوم » ومعنى ذلك هو أن يحتفر الرجل بئرا فى موضع لا ملك لأحد فيه فيكون له موضع مُلْقَى ترابها من حولها لا يدخل عليه فيـه أحد ويكون ذلك حريما للبئر ، وطِوَل الفرس موضع استدارته وذلك أن يكون الرجل فى العسكر فيكون له إذا ربط فرسه موضع استدارته ، وحلقة القوم هو أن يجلس القوم حلقة فيحمون من أراد الجلوس وسـطهم ولهم أن يمنعوه من ذلك والثلَّة أيضاً كهيئة المنارة وتُجعل من الطين فى الفلاة

وقوله : سواما السوام المـــال الراعى وهو السائمة أيضاً يقال : سامت السائمة تسوم سَوْمًا إذا رَعَتْ وسُمْتُها أنا وأسَمتُها إذا رعيتهـا فأنا سائم ومُسِيم قال يزيد بن الحكم الثقفى (١) :

والمرء يَبْخل فى الحقو ق وللكلالة ما يُسِيمُ

والحِداج جمع حِدْج وهو مركب من مراكب النساء كهيئة المِحَفَّة ويجمع أيضاً حدوجا وأحداجا ويسمى أيضاً حِداجة والجمع حدائج ، ويقال :

---

(١) الحماسة ٥٣١ وهناك القصيدة بتمامها

حَدَجْتُ البعير أحدِجُه حَدْجا وحِداجا إذا شددتَ عليه الحِدج ، والقَعود والقعودة التى يقتعدها الراعى ويركبها ويحمل عليها زاده ومتاعه والجميع قِعْدَان يقول بشار : فهذه القينة من أهل الكفاية والترفة والخفَر (١) وليست ممن يمتَهنُ ويبتذل فى رعى الغنم والابل والخدمة وتصحب ، الرِّعاء والألباب العقول واحدها لُبّ ، والهمود السكون يقال : هَمَدت النار تهمد هُمودا اذا سكن لهبها وخَمَدَتْ تَخْمَدُ خمودا إذا ماتت وصارت رَمادا ، فقوله — ويحيين بعد خمود (٢) — أى تُحيى أطرابهم وتُجَدِّدُ أفراحهم بعد سكونها بما تُورده عليهم من حسن غنائها وظرف لسانها ، وقوله ظَلِلْنَا يقال : ظلّ يفعل كذا إذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا ، والدَّيدن العادة يقال : هذا ديدنه أى عادته وقوله — وصفراءَ مثل الزعفران — يريد حمراء صفراء اللون كما قال ابن المعتز (٣) :

رُبّ صفراء عَلَّلَتْنِى بصفْرَا ءِ وجنح (٤) الظَّلام مُرْخى الإزارِ
بين ماء وبِركةٍ وكُرومٍ ورَوَابٍ منيفة وصحارى

وقال مسلم بن الوليد (٥) :

وبنتِ مجوسىّ أبوها حليلُها إذا نسبَتْ لم تَعْدُ نسبتُها النهرا
بعثتُ إلى خُطَّابها فأتوا بها وسُقْتُ بها عنهم إلى ربِّها المَهْرا
فجاءتهم بكراً بخاتَم ربِّها مُخَدَّرَةً قد عتِّقَتْ حِجَجاً عشرا
إذا مسَّها الساقى أعارت بنانَه جَلابيبَ كالجادِىّ من لونها صُفْرا

الجادىّ الزعفران . مثل هذا البيت الأخير من أبيات ابن المعتز

(١) بالأصل الخفر مصحفا (٢) وفيما مضى همود
(٣) الحصرى ٣ — ١٧٥
(٤) الجنح بالكسر الجانب والكنف والناحية ومن الليل الطائفة ويضم
(٥) ديوانه ٤١ باختلاف المصراع الأول من الثالث وفى الشعراء ٥٣١ الأول قال الميمنى والمجوس ينبزون بنكاح بناتهم وأخواتهم من زمان الجاهلية ورأيتهم فى هذا العصر ينكرون ذلك ظلما وعدوانا — ويريد بالبنت هنا الخمرة

ما أنشدنيه الربعي أبو الحسن من قصيدة له ووَصَفَ كرمة :

وكأنّ أقرِطةً على قُضبانها منظومةً سَبَجًا بها وعقيقا
وكأنّ قاطفها يُميت بكفّه من مائها بالزعفران خَلُوقا

ونحوه أيضاً قوله من قصيدة له أنشدنيه :

مُلاحِيَةً بِيضًا وسُوداً حَوَالكا وحُمْرًا وصُفراً مُلْبسات مَجاسِدا
كأنّ على أيدى القواطف تحتها بما قَنَأتْ منها عُروقا مفاصدا

وفيها يقول ابن المعتز اعنى الخمرة الصفراء (١) :

يا حُسْنَ يوسف غادياً أمسِ بمُدامة صفراء كالوَرْس
والصبح حىٌّ فى مَشارقه والليل يلفظ آخرِ النَّفسِ
وكأنّ كفَّيه تُقَسّم فى أقداحنا قِطعًا من الشمسِ

وقال آخر يصفها بالصفرة :

تراها (٢) فى الاناء لها حُمَيًّا كُميتٌ مثل ما فقَعَ الأديمُ

ومنه قول أبى نواس (٣) :

والكأس أهواها وإنْ رَزَأتْ بُلَغَ المَعاش وقَلَّلَتْ فضلى
صفراء مَجّدَها مَرازِبُها جلّت عن النُّظَرَاء والمِثلِ

وقوله أيضاً :

قالوا كَبِرتَ فقلتُ ما كَبِرَتْ يدى عَن أن تُحَثَّ إلى فمى بالكاسِ
صفراء زَانَ رُوَاءها مَخبورُها فلها المهذّب من ثناء الحَاسي (٤)

(١) ديوانه ٢٣١ والقريشى ١ — ١٦٠
(٢) الحماسة ٥٦٢ للبرج بن مسهر الطائى ومجموعة المعانى ١٩٩
(٣) ديوانه ٣١١ والحصرى ٢ — ١٥٢
(٤) بالأصل الخاس

وقال ابن المعتز (١) :

سعَى إلى الدَّنّ بالمِبْزَالِ يَنقُره ساقٍ توشّحَ بالمنديل حين وَثَبْ
لمَّا وَجَاها(٢) بدت صفراء صافيةً كأنما قَدَّ سيرًا من أديم ذَهَبْ

وقال أيضاً (٣) :

غَدَا بها صفراء كرخيّةً كأنها فى كأسها تتّقِدْ

وأنشدنى الربعى أبو الحسن من قصيدة له فى هذا الوصف :

جئنا بهـــا صفراء دُرّيّةً كأنهـــا فى البيت قِنديلُ
تَسْعَى بهـــا هيفاء مجدولةٌ كأنهـــا أهيف مجدولُ

وأوصافها كثيرة ونعوتها غزيرة ، وإنما ذكرت منها فى هذا الوصف الواحد ما مرّ من هذه الابيات ، لأجل ذكر بشار الصفرة لا غير ولذكرها وأوصافها موضع غير هذا ، وأما قوله ـــ حسدت عليها كل شىء يمسها — فقريب منه قول أبى الطيب (٤) :

نافستُ فيه صورةً فى سِتره لو كنتُها لخَفيتُ حتى يظهرا

وقولـــه (٥) :

تشكو روادفَك المطيّةُ فوقَها شَكوى التى وجدَتْ هواكِ دخيلَا
ويُغيرنى جذبُ الزِّمام لقلبها فمَهَا إليك كطالبٍ تقبيلا

ونحوه قول ابن وكيع :

وعذّبنى قضيبٌ فى كثيبٍ تَشَارَكَ فيه لين واندِمَاجُ
أغَارُ إذا دَنَتْ من فيه كأسٌ على دُرّ يُقَبّـلُهُ زجاجُ

(١) الحصرى ٤ — ٢٩ والأدباء ٥ — ١٧١ والاخير فى قراضة الذهب ٤٧
(٢) مهموزة الأصل وقد خففها خلافا للقياس كقوله : سالتانى الطلاق أن رأتانى البيت قاله المينى (٣) ديوانه ٢١٩ (٤) ديوانه ١ — ٣٣٧
(٥) ديوانه ٢ — ١٦٩ والمشاهد ١ — ٢٥ الاخير

وأعاد أبو معاذ معنى قوله :

من البيض لم تسرح على أهل ثلة　　سواما ولم ترفع حداجَ قعودِ

فقـــال :

(وصفراء مثل الخيزرانة لم تَعِشْ　　بيُؤْسٍ ولم تركب مطيّةَ راعِ
جرى اللؤْلؤُ المكنون فوق لسانها　　لزُوّارها من مِزْهَر ويَرَاعِ
إذا قلّبت أطرافُها العُودَ زلزلَتْ　　قلوبا دَعاها للصبّابة داعِ)

وقول أبى معاذ أيضاً :

(ليس كلّ النعيم يُبْقِي سروراً　　رُبَّ هَمٍّ يَدِبُّ تحت السرورِ)

هذا قريب من قول ابن أبى زرعة (١) :

لا يُؤْيسنّكَ أن ترانى ضاحكا　　كم ضَحْكَةٍ فيها عُبوس كامنُ

وشبيه به قول الآخر (٢) :

- كم فَرجةٍ مَطوِيّةٍ　　لك بين أثنـــاء النوائبْ
ومَسَرّةٍ قـــد أقبلَتْ　　من حيث تَنْتَظِرُ المصائِبْ

وقول الآخر (٣) :

وقد يَهلكُ الانسان من وَجه أمنه　　وينجو بحمد الله من حيث يَحذَرُ

وقول الآخر (٤) :

---

(١) النويرى ٣ — ٨٩
(٢) ابن أبى الحديد ١ — ٤٨٦ لسعيد بن حميد
(٣) الكامل ١٨٣ لأبى العتاهية والخزانة ٣ — ٥٠٧ له وفى حماسة البحترى ٢٥٧ بغير عزو
(٤) الغيث ٢ — ١٧٤ والكنز المدفون ٣٥ بزيادة بيتين

كُن عن زمانك مُعرِضًا وكِلِ الأمورَ إلى القضا
فلَرُبَّ أمــرٍ مُسْخِطٍ لك فى عواقبــه الرِّضَا

ونحوه قول الآخر (١) :

رُبَّ أمرٍ تَتَّقيهِ جرَّ أمراً تَرتَجِيهِ
خَفِيَ المحبوبُ فيه وبَدَا المكروهُ فِيهِ

ومنه قول الحسين (بن) يعقوب الذاكر النحوى (٢) :

لا يَشغلنَّك عن تَدَّى ما قد طرا وثِقَنْ بربِّك مالكِ الجبروتِ
فلرُبَّمـا سَرَّ الفتى ما سـاءه وأتاه بالمحبوب من ممقوتِ
ولرُبَّمـا فَرَجٍ أتى من ضاغطٍ فهَفَا بنفس الحاسد المكبوتِ
والشمس تُحجَبُ بالكسوف ونُورها متألِّق فى فارع الملكوتِ

وقوله من قصيدة :

(وأرضٍ تَهبُّ الريح فيها مريضةً حَسُورٍ لطرف الناظر المتأمِّلِ (٣)
إذا احترقت مجّت سرابًا كأنه من المَنظر الأعلى مُلاء الغواسلِ

قوله — حسور لطرف الناظر المتأمل — يريد أن هذه الأرض لطولها وسعتها تعي عين سالكها والنـــاظر فى أقطارها حتى يَكِلّ بصره كما قال رؤبة (٤) فى صفة خَرْق من الأرض :

يَحسِر طرفَ عينه فَضاؤُهُ

والحَسَر الإعياء ويقال : حسرت الناقة تحسِر وحَسَرَها طولُ السير

(١) لابن المعتز فى ديوانه ٣٤٢
(٢) زيادة كلمة ابن منا اذ لا نعرف اسما مثل هذا
(٣) فى البيتين عيب من جهة القافية (٤) ديوانه ٣

فهى حسير ومحسورة والجمع حسرى وكذلك العين يَحسِرها بُعد ماحدقت نحوه ، ومجّت سراباً ألقته يقال : مجّ الماء من فيه يَمُجُّه ألقـاه فهو ماجّ واسم الماء الملُقى مُجاج قال الشاعر (١) :

وماءٍ قديم العهـد أجْنٍ كأنّه مجاجُ الدَّبَى لاقَى بهَاجِرَةٍ دَبَى

والسراب هو ما يراه الانسان نصف النهار كأنه ماء قال الله تعالى وشبّه به أعمـال الـكفّار : « والّذِينَ كَفَرُوا أعمالُهم كسَرَابٍ بقيعَةٍ يَحسَبُه الظّمآن مَاءً » وأمّا الآل فهو غير السراب لأن الآل إنمـا يكون فى طرفى النهار ، أول النهار وآخره ، وهو الذى يرفع الشخوص ، والشخص هو الآل فسمّى الآل آلا لرَفْعِـه الشخص والشخص الآل قال الشاعر (٢) :

حتّى لحقنا بهم تَعدُو فوارسُنا كأنّنا رَعْنُ قُـفٍّ يَرفَعِ الآلاَ

وقال العلماء : هذا من المقلوب وإنما أراد الشاعر كأننا رعن قفّ يرفعه الآلُ ، والرّعن أوّل كلّ شيء ، والقُـفّ ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبـــلا ، والمُلاء جمع مُلاءة ، والغواسل جمع غاسلة فشبّه بشّار السراب فى هذه الأرض بمُلاء الغواسل ونحو من هذا التشبيه قول الاخر :

ودون(٣) يد الحجّاج من أن تنالنى بساط لأيدى الناعجات عَرِيضُ

مَهَامِهُ أشباهٌ كأنّ سرابَهـــا مُلاَءٌ بأيدى النـاسجات رحيضُ

وقريب منه قول الاخر (٤) :

وقاطعةٍ رِجْلَ السبيل مخوفةٍ كأنّ على أرجائها حدّ مبردِ

(١) اللسان م مجج باختلاف

(٢) القالى ٢ — ٢٣٢ للنابغة الجعدى باختلاف واللسان م أول

(٣) الـكامل ٢٨٧ الأول مع بيت آخر باختلاف للعديل بن فرخ العجلى واللذان ههنا فى الخزانة ٢ — ٣٦٨ والبيان ١ — ٢٠٨

(٤) النويرى ١ — ٢١٥ لصريع وفى ديوانه ٦٢

مُؤَزَّرَةٍ بالآل فيها كأنه ... رجالٌ قعودٌ فى مُلاءٍ معمَّدِ

وقال عديّ بن الرقاع فشبّه مَثار الغبار بالمُلاءة أيضاً (١) :

يتعاوران من الغبار مُلاءة ... بيضاء مُحدثة هما نسجاها

تُطوَى إذا علَوَا مكانا جاسياً ... وإذا السنابك أسهلت نَشرَاها

وقول الآخر — كأنّ على ارجائها حدّ مبرد — أرجاؤها نواحيها واحدها رجا قال الله تعالى : « والمَلَكُ على أرجائها » أى على نواحيها وجوانبها ، وألف الرجا منقلبة عن واو لأنك تقول فى تثنيته رَجَوَان قال الشاعر (٢) :

فلا يُرْمَى بِيَ الرَّجَوان أنّى ... أقلُّ القوم مَن يغنِي مَكانى

وشبّه سرابها بالمبرد ، وأكثر ما يستعملون هذا التشبيه فى الماء إذا ضربته الريح فدَرَّجَتْه وصيّرَتْ له حُبُكا أو كان جاريا فى جدول أو على حَصْباء ونحوها ، فقد يشبهونه تارة بالمبرد وأخرى بالدرع وطورا بتغبين (٣) الثوب المَوْشِيّ ، وبتعكين (٤) البطن ، وببطون الحيّات ، وبالسلاسل ، وبالجواشن وما أشبهها قال النهشلى عبد الكريم بن ابراهيم ووصف ماجِلاً فشبّه جدوله بالمبرد وبغيره (٥) :

وحلّ فيــه الغمامُ أدمعَه ... دُرّا وروّاه جدول غَمْرُ

يَجِيشُ فيه كأنما رعشت ... إليك منــه أنامل عشرُ

---

(١) المصرى ٤ — ٦٨ والخزانة ٣ — ٢٧٧ والمرتضى ١ — ٧٠ ومجموعة المعانى ٢٠٣ والمعاهد ١ — ١٩٢

(٢) اللسان م رجا والمقصور والممدود لاحمد بن محمد بن ولاد ٥٢

(٣) كذا بالأصل ههنا وفيما بعد فى شعر ابن وكيع الثوب المغبن ولم أجد فى اللسان التفعيل من الغبن وغبن الثوب كفه وثناه وعطفه أى إذا طال فثناه

(٤) العكن والأعكان الأطواء فى البطن من السمن وجارية عكناء ومعكنة ذات عكن كذا فى اللسان

(٥) الأولان من هذه الأبيات فى قراضة الذهب ١١

او مُسْلسِلَتْ فضّة به فجَرَتْ　　إن كانْ يجرى من فضّة نَهْرُ
ينْسَاب فى مبرد أغرّ كما　　جُعِّدَ فى رأس أشمط شعْرُ

وقال ابن المعتز فى تشبيهه بالدرع ووصف دارا :

لا مثل (١) منزلة الدوَيرة منزل　　يا دار جادكِ وَابِلٌ وسقَاكِ
بُؤْسى لدهر غيَّرتكِ صُروفه　　لم يَمْحُ من قلبى الهوى ومَحاكِ
لم يَحْلَ بالعينين بعدك منزل　　ذُمَّ المنـــازل كلهن سواكِ
أىّ المعاهد منك أندُبُ طيبَه (٢)　　مُمْساك ذا الآصال أم مَغداكِ
أم بردظلك ذى الغصون وذى الندى　　أم أرضك الميثاء أم رَيَّاكِ
وكأنمــا سطعت مَجامر عنبرٍ　　أو فُتَّ فارُ المسك فوقَ ثَرَاكِ
وكأنما أيدى الربيع ضُحَيَّةً　　نَشَرتْ ثيابَ الوَشىفوق رُبَاكِ
وكأنَّ درعا مُفرعاً من فضّة (٣)　　ماء الغدير جرت عليه صبَاكِ

وقال احمد ابن محمد الصنوبرى فى التشبيه بالدرع وبغيره (٤) :

سقَى حلباً سافكٌ دَمعُهُ　　بطىء الرُّقُوء إذا ما سفَكْ
مَيَادينُها وسطَهُنَّ الرياضْ　　وساحَاتها وسطهن البِرَكْ
ترى الريح تَنْسِجُ من مائها　　دُروعا مضاعفة أو شبَكْ

ونحوه قول آخر فى صفة أحواض :

إذا صافحتَ لُجَّتها اقشعَرَّتْ　　لها حُبُكٌ كأمثال الدروعِ
تجول العين منهــا فى أديم　　صقيل الخدّ رقراق الدموعِ

---

(١) الحصرى ١ — ١٦٦ و ١٦٧ بزيادة بيت وديوانه ٢٧٩
(٢) الصواب ان شاء الله طيبه قاله الميمنى
(٣) الصواب مفرغا بالغين وقد تذكر الدرع قاله الميمنى
(٤) الحصرى ١ — ١٧٠ ثمانية أبيات

وقال البحتري فى التشبيه بالجوشن ووصفَ بِركةً (١) :

تنصبُّ فيها وفود الماء مُعجلةً　　كالخيل خارجةً من حبل مُجريها

كأنما الفضّة البيضاء سائلة　　من السبائك تجرى فى مجاريها

إذا علتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكا　　مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجِب الشمس أحياناً يُضاحكها　　ورَيّقُ الغَيث أحيانا يُباكيها

إذا النجوم تراءت فى جوانبها　　ليلا حسبتَ سماء رُكِّبَتْ فيها

وعكس الربعى أبو الحسن هذا التشبيه فقال وأنشدنيه من قصيدة له(٢) :

ليلا حسبت به المجرّة جدولا　　وحسبت أنجمها حصًى مرصوفا

ومنه أيضاً ما ملّح فيه وشبّه الماء فى حين اجتماعه فى الجدول بالسيف وفى استقراره فى البِرْكة إذا ضربته الريح بالدرع وأوجز فيه وأحسن كل الاحسان ، فقال ووصف عين ماءٍ جُلبت إلى بِركة بدار الامارة :

حتى استقرّت لديه فى قرارتها　　ثم استمرّت به فى مَرمرٍ سَرِبِ

لها على الجمع والتفريق أمثلة　　فى الدرع مسرودةً والسيف فى الشُّطُبِ

وهذا إن لم يكن أبو الحسن أخذه من الصَّنَوبرى فقد أحسن مواردته فيه قال الصنوبرى :

برَكٌ تُوصف الجواشن فيها　　وسواقٍ تسيل سَيل السيوفِ

يُرعَد الماء فيه خوفا إذا ما　　لَمَسَتْه يد النسيم الضعيفِ

قال ابن وكيع فى التشبيه بالعُكَن وبتغبين الثوب المغبّن :

سقانِىَ كاسَ الراح جدولُ شاطئٍ　　تداريجه يحكين بطانـا معكّنا

---

(١) ديوانه ١ — ١٧ والنويري ١ — ٢٨٥ أحد عشر بيتا وليس هناك الرابع من هذه والحصرى ١ — ١٦٨ عشرة أبيات

(٢) سبق البيت

إذا صافَحَتْه راحتا الريح خلتَه بتكسيرها إياه ثوباً مُغَبَّنـــا

وأعاد التشبيه بها أيضاً وزاد فيه وذكر خمرا فقال :

خُذها بكفَّى فاتر الجفون مُدامةً كدمعة ِ المحزونِ

على غدير أملس المتون مثل فِرِنْد الصارم المسنونِ

أمواجه كعُكَن البطونِ ذى زَرَدٍ كالزرد الموضونِ

كسَلْخ أيم أو كمَسْك نُون

وقال ابن المعتز فى تشبيهه بالسلاسل :

وأنهار ماء كالسلاسل فُجِّرَت(١) لِتُرْضع أولاد الرياحين والزَّهْرِ

وشبَّهه تارة أخرى برداء مطيّر فقال :

ومُمتدّ غُدْرَانٍ ترى الطير وسطها وقوعاً كما امتدّ الرداء المطيّرُ

وتشبيهه هذا ماء الغدير بالرداء المطيّر إنما هو فى حال سكونه لا فى حال تحرّكه وتكسّره ، وشبّهَ البحترى تكسيره بطرائق الفضة واللازَورد فقال :

والمـــاء حاشيتاه خَضـــراوان من آس ووَرْدِ

تحبوه أيدى الريح إن هبَّت على قرب وبُعدِ

بطرائق من فضة وطرائق من لا زَوردِ

وقال عبد الكريم النهشلى فيه وأورد عدّة من التشبيهات منها قوله :

ترقص أمـــواجه فتحسبها أحشاء صبّ قد شقّه الهجْرُ(٢)

ومنهـــا :

كأنّها والصبا تلاعبهـــا صفائح من زُمُرُّدٍ خُضْرُ

---

(١) ديوانه ١٣٩

(٢) كذا والصواب شفه قاله الميمنى

تَستَنُّ فى طامح كأسنمة البُخْـــتِ يُرامى عِبْرٌ بهـا عِبرُ (١)

ومنهـــا :

مُصرَّف بالرياح إن سكنت سَجا ويعروه ن سطت ذُعُرُ

مجزَّع المتن مُرتدٍ حُبُـكا كأنها كُثُبُ رمـــلة عُفُرُ

كأن سَلخ الحيَّات جوشنه مشمرٌ فـــوقه ومُنجرُ .

قول النهشلى عبد الكريم فى تشبيه حُبُك الماء بكُثُب الرملة تشبيه واقع وإنما يريد إذا ضربته الريح فدرَّجته . ونحوه ما أنشدنيه بعض أدباء مدينة الاسكندرية لنفسه فى صفة جمل قصد عليه ممدوحه :

تَرَى أثر المِقْراض حول سنامه كما نمنمت سفح الكثيب قبولُ

وأما قول البحترى فى صفة البركة :

إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء رُكّبت فيها

فانما يريد أن النجوم إذا ألقت أجرامها ليـلا على مائها ورؤِيَتْ فيها أشخاصُها كما تُرى فى السماء صارت كالسماء لتشبهها بهـــا ، ونحو هذا قول آخر (٢) فى صفة بِركة أيضاً :

كم ليلةٍ ساهرتُ أنجمها لدَى عرَصات أرض ماؤها كسمائها

قد سُيِّرَت فيهـا النجوم كأنما فلَك السماء يدور فى أرجائها

أحْسِنْ بها لُجَجاً إذا التَبَس الدجى كانت نجوم الليل من حصبائها

وإذا تنفَّست الصَّبا فى متنها حكت الدروع بحسن وشى ردائها

ريحٌ رُخاء وُكِّلَتْ بنجومها ليـــلا تُنَبِّهُها لدَى إغفائها

وتبيت تَنْشُرُها وتطويهـا لنا طورا وتُصديها بعُقْب جِلائها

(١) كذا والصواب عبرا بها عبر والعبر بالضم وبفتح طرف النهر — قاله الميمنى

(٢) النويرى ١ — ٢٨٦ ستة أبيات الثلاثة الاولى والثلاثة الاخيرة لابن طباطبا

وإذا استمرّ بها المحبوب تطايرت ... زُهرُ النجوم على بسيط هوائها

وترَجَّجَتْ فيها السماء فلم تزل ... خَضراؤها تَرتَجُّ فى خضرائها

أدنو [١] إلى الجوزاء وهى غريقة ... تبغى النَّجاء ولاتَ حين نجائها

تطفو وترسُبُ فى اصطفاق مياهها ... لا مستغاث لها سوى إيمائها

والبدر يخفِق وسطها فكأنه ... قلب لها قد رِيعَ فى أحشائها

وقول أبى معاذ :

(نارى محرّقة وفضلى واسعٌ ... للمعتفين ومجلسى معمورُ

فاذا أقلّ لى البخيل عذَرته ... إن القليل من البخيل كثيرُ)

مثل هذا قول الآخر [٢] :

أليس قليلا نظرةٌ إن نظرتُها ... إليكِ وكلاٌ ليس منك قليلُ

ومثله أيضاً :

لا تحقرنّ قليل من أحببته ... إن القليل من الحبيب كثيرُ

وقريب منه قول ذى الرمة :

فان لا يكن إلاّ تعَلُّلُ ساعةٍ [٣] ... قليلا فانى نافع لى قليلُها

وقول أبى معاذ أيضاً .

(متَى تعرف الدار التى بان أهلها ... بسُعدى فان الدمع منك قريبُ

---

(١) كذا بالاصل

(٢) الحصرى ٤ — ٥ لأبى كبير الهذلى أو ابن الطثرية ثلاثة عشر بيتا والحماسة ٥٨٩ لابن الطثريه وله فى المعاهد ١ — ٢٢٧ والعكبرى ٢ — ١٧ والاغانى ٥ — ٧١ لاعرابى من بنى عقيل ثلاثة أبيات

(٣) ديوانه ٥٥٠ والعيون ٤ — ٢٢ والعكبرى ١ — ١٨٣ والمعاهد ٢ — ٨٨ والحماسة ٦٢٤ باختلاف والعقد ٣ — ٤٣٢

وتذكر من تهواه إذ أنت يافع   غلام فمغناه إليك حبيبُ)

المَغنى المنزل وجمعه مغانٍ وقد تقدّم القول فيه ، واليافع الغلام فوق الحَزَوَّر ودون الحالم ، والحَزَوَّر الغلام إذا قوِى واشتدّ وخدَم وهو البَدْر أيضاً يقال : إنه لبدر من الغلمان ، والحالم المحتلم ويقال : غلام يافع ويَفَعَة وغلمان يَفَعَة أيضاً يكون اليفعة للواحد والجميع ويقال : هؤلاء غلمان أيفاع أيضاً وقال الشاعر .

كهولٌ ومُرْد من بنى عمّ مالك   وأيفاعُ صدقٍ لو تَمَلَّيتَهم رِضا

وقد أيفَعَ الغلام إيفاعاً . مثل البيت الأول من بيتى بشّار قول الاخر (١)

لعمرك ما ميعاد عينَيك والبكا   بصَنعاء إلاّ أن تَهبّ جَنوبُ

أوَاصِلُ فى صنعاء من لا أحبّه   وبالرمل مهجور إلىّ حبيبُ

ومثل البيت الأخير من هذين البيتين قول الشريف الموسوىّ (٢) :

إن يَدْنُ قوم إلى دارى فآلفُهم   وتَنْأَ عنّى وأنت الروح فى بدنى

فالمرء يَسْرَحُ فى الافاق مضطربا   ونفسه أبداً تَهْوَى إلى الوطنِ

والبُعد عنــك بلانى باستكانهم   إنّ الغريب لمضطرّ إلى السَّكَنِ

أنت الكرَى مُؤنِساً طرفى وبعضُهم   مثل القذَى مانعاً عينى من الوَسَنِ

ونحو البيت الأول قول الاخر (٣) :

أستَودِعُ الله حبيباً نأى   ميعادُ عينى أبداً ذِكرُه

---

(١) الحماسة ٥٨٥ ثلاثة أبيات باختلاف والثالث هو الذى سبق

(٢) ديوان الرضى ٢ — ٩٤٨

(٣) لابن المعتز فى ديوانه ١٠٢

ومثله أو قريب منه قول المَرْيَمِيّ :

سُهادٌ حين يَسْرى الطيف يَسْرى ... ودمع حين يجرى الذكر يجرى

وقريب منه قول الاخر :

لا عهد لى بعد أيّام الحِمى بهم ... سقَى المهيمنُ أيّام الحمى المطرا

ما إن تذكّرْتُ أيام الشباب به ... إلاّ عصى الدمعُ أمرَ الصبر فانحدرا

وأنشدنى علىّ بن جيش لنفسه من قصيدة :

هل تُبصِر الدِّمَنَ اللاتى قد احتجبَتْ ... عن مُغْرَمٍ غَرِقٍ فى دمعه البَصَرُ

إذا بدا طَلَلٌ منها استهَلّ له ... سُحْبٌ تغيض إذا ما فاضت النُّظُرُ

ونحو هذا قول الآخر (١) :

وما شَنَّتَا خرْقاء واهِيَتَا الكُلَى ... سقَى بهما ساقٍ ولمّا تبَلّلا

بأضيع مِن عينيك للماء كلّما ... تَخَيَّلْتَ رسمًا أو تذكّرتَ منزلا

وقول أبى معاذ :

(ومثلكَ قد سَيّرْتُه بقصيدة ... فسار ولم يبرح عِراصَ المَنازلِ

رميتُ به شرقا وغربا فأصبحت ... به الأرض ملأى مِن مقيمٍ وراحلِ)

البيت الأول من هذين البيتين كقول أبى تمّام (٢) :

جاءتك من نظم اللسان قِلادةٌ ... سِمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ

إنسيّةٌ وحشيّة كثُرَتْ بها ... حرَكات أهل الأرض وهى سَكونُ

وكقوله أيضاً للحسن بن وهب (٣) :

---

(١) الحصرى ٤ — ٨٢ لعيلان وفى المعاهد ٢ — ٨٩ وعنوان المرقصات والمطربات ٢٢ لذى الرمة وهو وفى الحماسة ٦٠١ بغير عزو

(٢) ديوانه ٣٣٠ والتبريزى ٢ — ٩٩ (٣) ديوانه ٢١٥

سَأسقِي الرَّكبَ من ذِكراك صِرفًا ... وممزوجاً من الكَلِم البواقى
إذا ما قُيِّدَتْ رَتَكَتْ وليست ... إذا ما أُطلِقَتْ ذاتَ انطلاق

مثل قول أبي تمّام من الكلم البواقى قول ابن هرمة (١) :

عقدتَ فى مُلتَقَى أوساط لَبَّته ... طوقَ الحمامة لا يَبلَى على القِدَمِ

ونحوه قول الآخر :

هم قَادُوا سفيهم وخافوا ... قلائدَ مثل أطواق الحَمامِ

وقول بشر [بن أبي خازم] (٢) :

حَبَاك بها مولاك عن ظهر بِغضَةٍ ... وقَلَّدَها طوقَ الحمامة جعفرُ

وأخذه المتنبي فقال فى صفة ممدوحه (٣) :

أقامت فى الرِّقاب له أيادٍ ... هى الأطواق والناس الحَمَامُ

وقريب منه قول أبي الحسن عليّ بن جيش الشيباني من قصيدة له :

خُذْهَا فقد أخَذَتْ عُليَاك من فِكَرِى
بالوُدّ ما لم يكن يُبتَاع بالبِدَرِ
زَهراء لم تَجتَلِ الأفهامُ زَهرتَها ... إلاّ اجتلَيْنَ أنيق الوشى والزَّهَرِ
تظلّ منها نُحور المجد حالِيَةً ... بجوهرٍ لنُحور المجد مُدَّخَرِ
لها علائق تبقى فى القلوب إذا ... ما مَحّ منها الذى فى الصُّحف والزُّبُرِ

وأصل هذا كله ما حُكى عن حاتم الطائيّ وقد لامه أبوه على إفراطه فى إعطائه لقومٍ استضافوه ومدحوه ، فقال : يا أبت إنهم قلّدُونى مثل طوق الحمامة ، ومثل بيت بشّار الثانى قول أبي العتاهية :

---

(١) الاغانى ٤ — ١٠٦ سبعة أبيات
(٢) مستقصى الأمثال للزمخشرى تحت تعلدها طوق الحمامة
(٣) ديوانه ٢ — ٣٢٧

في كل أرض ترى من منطق أثرًا بين المَشاهد أو يبكى به وَتَرُ
ما ذَرَّت الشمس إلاّ جاء يقدمها وفى المغارب منــــه خلفها أثرُ

وقال يزيد بن فكهة الحارثىّ (١) :

سيعلم مالكٌ أنى سأهدى إليه إذا دُعيتُ إلى التهادى
مُؤَبَّدَةً تَطَلَّعُ كلَّ نجْد صواعقُها وتَهبِط كلَّ وادى

ومنه قول أبى تمّام (٢) :

وسيّارةٍ فى الأرض ليس بنازح على وفدها حَزْنٌ سحيق ولا سَهْبُ
تَدُرُّ ذرُور الشمس فى كلّ بلدة وتمضى نُفُوذا ما يُرَدُّ لها غَرْبُ
عَذَارَى قواف كنتُ غيرَ مُدافَع أبا عُذرها لاظُـلم ذاك ولا غَصْبُ
إذا أنشدت فى القوم مرّت كأنها مُصِرّةُ كِبْرٍ أو تداخلَها عُجبُ
مفصَّلة باللؤلؤ المُنتَقَى لهــــا من الشعر إلاّ أنّه لؤلؤ رَطبُ

وأحسن فيه علىّ بن الجهم فقال (٣) :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعانى إلى ما قلتُ فيه من الشعرِ
فسَار مَسيرَ الشمس فى كلّ بلدة وهبَّ هُبُوب الريح فى البرّ والبحرِ

وقول أبى معاذ أيضاً .

(دعينى أُصِبْ من مُتعة قبل رَقدة تكاد لها نفس الشقيق تزولُ (٤)
وإنّى لآتى الأمر أعرفُ غيّه مِرارًا وحلمى فى الرجال أصيلُ

(١) لعله والله أعلم فـكيهة — قاله الميمنى
(٢) ديوانه ٣٣ وفيه فى الرابع مسرة كبر وما هنا تصحيف
(٣) المكبرى ١ — ٢٩٦ والشريشى ٢ — ٩٩
(٤) كذا والصواب الشفيق

ولمّا رأيتُ الدار وحشاً بها المها ... تَرُودُ وخيطَان النعام تجولُ
ذكرتُ بها عيشاً وقلتُ لصاحبي ... كأن لم يكن ما كان حين يزولُ
بَدَا لِيَ أنّ الدهر يقدحُ فى الصفا ... وأنّ بقائى حين شبتُ قليلُ
أقول لقلبى وهو يرنو إلى الصبّا ... علامَ التصابى والحوادث غولُ
لعلّك ترجو أن تعيش مخلّدا ... أَبَى ذاك شُبّانٌ لنا وكهولُ)

المها هنا بقر الوحش وهى أيضاً أشياء أُخر قد مرّ ذكرها فى الكتاب، وقوله: تَرود أى تذهب وتجىء متردّدة فى مَرعاها، والموضع الذى ترود فيه يسمى المَراد، وخيطان النعام جماعاته الواحدة منهـا خِيطةٌ فكأنه جَمَعَ اسم الجمع، ويقدح فى الصفا يؤثّر فيه، والصفا جمع صَفَاة يقال: صَفَاةٌ وصفًا مثل نواة ونوًى، والصفا الحجارة الصُّلبة المُلْس الصَّلدَة التى لا تنبت شيئاً وكذلك الصفْوَان أيضاً وهو الحجر الأملس الصلد.

مثل قوله — دعينى أصب من مُتعة قبل رقدة — قول أبى الطيّب (١):

تَمتّعْ من سُهـاد أو رُقاد ... ولا تَأمُلْ كرًى تحت الرِّجامِ
فإنّ لثـالث الحالين معنًى ... سوى معنى انتباهك والمَنامِ

الرِّجام القبور واحدها رَجَم قال أبو الفتح عثمان بن جنّى عند ذكر هذا البيت: أرجو أنه لا يكون أراد أن نومة القبر لا انتباه لها يعنى بذلك المتنبّى، وكأنه علّق عليه أنه نَفَى بهذا البعث ولا يلزمه عندى (٢) ما ظنّ به وعلّق عليه لأنه ليس فى بيته ما يدلّ على ذلك وإنما قال:

تَمَتّعْ من سُهـاد أو رُقادِ ... ولا تأمل كرى تحت الرجامِ

---

(١) ديوانه ٢ — ٣٧٦

(٢) يلزمه على مذهب العرب وقد تفلسف أبو الطاهر — قاله الميمنى

أى تمتّع من دنياك فى حال يقظتك ومنامك ، ولا تَرْجُ أنّك إذا مِت تكون كالنائم على ما يقوله بعض الناس إنما هو الموت فهناك تكون مَيْتا لا نائما ولا مُنتبها وهو ثالث الحالين ، ومعناه غير معنى النوم والانتباه جميعاً لأن الحياة موجودة بالنائم والمُنتَبه ولا حياة لميت فأفترقا واختلف المعى بعدم الحياة ، وقريب منه قول أعرابىّ (١) :

تَمتَّعْ من شَميم عَرار نَجْد فما بعد العَشِيَّة من عَرَارِ

وقول يزيد بن معاوية :

خذوا ما صفا من عيشنا قبل فوته فكلّ وإن طال المَدَى يتَصرَّمُ

وقول بعض المحدثين (٢) :

تَمتَّعْ من الدنيا إذا هى ساعدَتْ فانك فى أيدى الحوادث عانِ
ولا تنتظر باللهو يومًا إلى غَدٍ ومَن لِغَدٍ مِنْ حادث بأمانِ
فانى رأيتُ الدهر يُسرع فى الفتى ويَنْقُلُهُ حالانِ مختلفانِ
فأما التى تمضى فأحلام نائم وأمّا التى تبقَى له فأمانى

وهو كثير ومثل قوله — وإنى لآتى الأمر أعرف غيّه — قول ابن أبى ربيعة وذكر صاحباً له (٣) :

وخِلٍّ كنتُ عينَ النُصح منه إذا نظرَتْ ومستَمِعا سميعا
أطاف بغَيَّةٍ فنُهِيتُ عنها (٤) وقلت له أرَى أمراً شنيعا

---

(١) المعاهد ٢ — ٨٥ للصمة القشيرى ستة أبيات والحماسة ٥٤٨ والحصرى ٣ — ١٠٤ والعكبرى ١ — ٢٩٩

(٢) القالى ٣ — ١٧٢ باختلاف كثير لسعيد بن حميد والنويرى ٤ — ١١٧ باختلاف يسير لديك الجن

(٣) ديوانه ٢٣٨ والشعراء ٣٥٠ والعيون ٣ — ١٥ و ١٦ والحصرى ١ — ٢٢٧ والاغانى الدار ٣ — ٧٢ لعروة بن الورد وفى مجموعة المعانى ١٠٤ وحماسة البحترى ٧٧ لعبد الله بن مالك الطائى

(٤) كذا بالاصل وفى النسخ فنهيت وهو ظاهر

أردتُ رَشاده جهـــدى فلمّا أبَى وعصَى أتيناها جميعـــا

وهو من دُريد بن الصمّة (١) :

وما أنا إلاّ من غَزيّة إن غوت غويتُ وإن ترشُدغَزيّة أرشُدِ

ومثل قوله — ذكرتُ بها عيشا — والذى قبله قول أبى الطيّب (٢) :

فَدَيناكَ مِن ربع وإن زدتَنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وكيف عرفنا رسم من لم يَدَعْ لنا فـؤادًا لعرفان الديار ولا لُبّا

نزلنـــا عن الأكوار نمشى كرامةً لِمَن بانَ عنـه أن نُلِمَّ به رَكبا

نَذُمُّ السحاب الغُرّ فى فعلهـــا به ونعرض عنها كلّما طلعت عَتْبا

ومَن صحِبَ الدنيا طويلاً تقلّبت على عينه حتى يَرَى صدقها كذبا

وكيف التدانى بالأصائل والضحى (٣) إذا لم يَعُد ذاك النسيم الذى هبّا

ذكرتُ به وصلا كأن لم أفُزْ به وعيشاً كأنى كنت أقطعه وَثْبا

تَعَلُّق المعنى إنما هو بهـذا البيت الأخير، وسائر الأبيات فضل يمتع القارى ويونق المتوسّم ويروق المتصفّح، وكل ما يرد من هـذا فالغرض فى إيراده ما ذكرته، ولم تزل الشعراء قديماً وحديثاً تذكر مَعاهد لهوها ومَغانى أنسها، وتتشوّق إليها وتتلهّف عليهـــا، وتندُب شبابها وتذكر أحبابها، وما بكت العرب على شىء أكثر من بكائهـا على الشباب وما بلغَتْ كُنْـهَ استحقاقه، وهذه قطعة من أشعارهم تمتع القارئ وتقوم بشرط الكتاب، قال طلحة بن الطيّب بن محمد بن طاهر بن الحسين :

لهفى على الزّمن الذى وَلّى ولم يَتَلَبّثِ

وَلّى بكُلّ محَاسنٍ لمحدّثٍ ومحـــدّثِ

(١) الحماسة ٣٧٨ (٢) ديوانه ٣٨

(٣) تصحيف والصواب التدانى كما فى طبعات الديوان

ما ضَرَّه لو عاد لى عَوِدَ المُلِمِّ المحدِثِ
وأظُنُّ ذاك وَداعه حتى وُرودِ المبْعَثِ

وقال أعرابىّ :

خليلىّ ذُمّا العيشَ إلاّ ليـــاليا بذى ضَبُعٍ سقْيًا لهن ليـاليا
وليـــلةَ أعلَى ذى الحَسِيِّ فإنّها صفَتْ لِيَ لو أنّ الزمان صفاليا
وليـلةَ غارِ السَّلع لا تَنْسَيَنَّها إذا لم تكن عن صالح العيش ساليا
على أنهـا لم يلبث الليـل أن مضى وأن طلع النجم الذى كان تاليا
ألا هل إلى ريَّا سبيلٌ وساعةٌ تُكلِّمُنى ريَّا من الدهر خاليا
فأشفِيَ نفسى من تباريح ما بها وإنّ كلامِيَا شفاء لِمَا بيـــا
لعمرى لئن سرَّ الوشاةَ افتراقُنا لقد طال ما سؤْنَا الوشاةَ الأعاديا

وقال محمود الورّاق :

لمّا طوتك الأربعو ن وآن للعمر انقراضُ
جاد الشباب بنفسه وبدا بعارضك البياضُ
فمتى أطمْتَ بلَذّةٍ فلعارض فيها اعتراضُ
سقْيًا لأيّامٍ مضَتْ وكأنّ أوجهها الرياضُ
أيّام يدعونا الهوى وتقودنا الحدَقُ المراضُ

وقال آخر (١) :

ولو أنى أعطيتُ من دهرى المُنَى وما كلّ من يُعطى المُنى بمسدّد
لقلتُ لأيام مضين ألا ارجعى وقلتُ لأيام أتين ألا ابعُدِى

وقال شبيب بن عُقبة بن كعب بن زهير :

---

(١) الزاهد ١ — ٢٢١

رعى الله دهرا أخرس العذلَ عذْرُه وشَرخَ شباب لم يَشُبْ صفوه كَدَرُ
أنال المُنَى فيـــه بغير ملامة ولا لوم فى شىء إذا وضح العُذرُ
إذ العيش حلو والحيـــاة لذيذة وإذ نحن لا ندرى بما صنع الدهرُ

وقال مُزاحِم العُقَيلىّ (١) :

وددتُ على ما كان من سرف الهوى وغىّ الأمانى أن ما شئتُ يُفعَلُ
فترجع أيّام مضين وعيشـــة تَوَلّتْ وهل يُثْنَى من الدهر أوّلُ

وقال آخر:

ألاَ هل لأيّام الشباب رجوعُ وهل لى إلى تكرارهنّ شفيعُ
زمان قضيتُ اللهو نامِ غُصونه ووادى الصِّبا للآلفين مَرِيعُ
ولَيْلَى فتاة تحسد الشمسُ حسنَها خَلوب لألباب الرجال خَدوعُ

وقال أشجع :

سَقْيًا لأيّامنا اللّوَاتى كنتُ بلهوى لها نسيبا
أشرعُ فى منهل رواءٍ وأرتعى جانباً خصيبا
وأركب الدهر لا أبالى أمخطئاً كنتُ أو مصيبا
نهانِىَ الشيب عن مَلاَهِ كانَ شبابى لها مجيبا

وقال (٢) :

ومجالسٍ لك بالحِمَى وبها الخليط نُزُولُ
أيّامهن قصيرة وسرورهنّ طويلُ
وسعودهن طوالعٌ ونحوسهـــن أفولُ
والمـــالكيّة والشّبا بُ وقَينة وشَمُولُ

---

(١) الاغانى ١٧ — ١٤٩ و ١٥٠ باختلاف والحماسة ٣ — ٤٥
(٢) الصناعتين ٢٤٦ للنمرى

وقال آخـــر :

إذا احتواكَ الشيبُ فى ثوبه عافتْكَ أطراف الثنايا العِذابْ
لهفى على أيّام يَلحَيْنَنى مُوَشّحاتٌ قانياتُ الخضابْ
أيّام لم يَخْلَقْ جديدُ الهوى منّى ولم يُطْفَأْ سراج الشباب

وقال الأحوص بن محمد الأنصارى (١) :

أوْدَى الشباب وأمسَتْ عنك نازحةً جُمْلٌ وبُتَّ جديدُ الحبل فانبترا (٢)
فاصبرْ فمالك إلاّ أن تهيم بها وأن تهيجك أطلال فتدّكرا
أمسَى وقد شاب لا يَنسى تذكُّرَها لا بل يزيد إذا ما اسمُها ذُكرا
أن لا يُغيّرَ وُدًّا فى شبيبته للمالكيّة ما قد غيّر الشَّعَرا

وقال آخر (٣) :

بشاطئ نهر تَيْرَى فالمصلَّى فما والاهما فالقريتَيْنِ
مَعاهد لهوِنا والعيش غَضٌّ وصرفُ الدهر مقبوض اليدين

وقال آخر :

يا حبَّذا الدهر إذ نُسْقَى مسرّته صِرفًا ونَمزج إنجازاً بميعادِ
وإذ نبيتُ وقَلْبانا قد اتّفقا جارَىْ عِناقٍ وإسعاف وإسعادِ
بسُرَّ مَرَّا سقاها الله ما شربت من رائحٍ ضاحكٍ بالمُزن أو غادِ
فليت دهرى بها عادت بشاشته حتى يُموّهَ إصلاحاً بإفسادِ

وأول من بكى الشباب عمرو بن قميئة صاحب امرئ القيس الذى يقول فيـــه (٤) :

---

(١) حماسة البحترى ١٩٠ ثلاثة أبيات الاول مع بيتين آخرين
(٢) جمل : اسم المرأة (٣) الحصرى ٣ — ٨٧ لابن بسام
(٤) العقد الثمين ١٣٠ والعيون ١ — ٢٣٦ والمعاهد ١ — ٥ والخزانة ٣ — ٦١٠

بكى صاحبي لمّا رأى الدَّرْبَ دونه   وأيقَن أنا لاحقـانِ بقيصرا

وهو القائل (١) :

قد كنتُ فى مَيْعَةٍ أُسَرّ بهـا   أمنع ضيمى وأنزل العُصُما

يا لهف نفسى على الشباب ولم   أفْقِدْ به إذ فقـدتُه أُمَما (٢)

وقال أيضاً (٣) :

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حِجّة   خلعت بهـا عنّى عذار لجامى

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى   فكيف بمن يُرْمَى وليس برامى

فلو أنهـا نَبل إذَنْ لا تَّقيتُها   ولكنّما أرمى بغير سهـامِ

على الراحتين مرّة وعلى العصا   أنوء ثلاثا بعدهن قيـامى

وقال دِعبِل (٤) :

أين الشباب وأيّـةً سلكا   لا أين يُطلب ضلّ بل هلكا

لا تعجبي يا سَلْمَ من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى

وقال على بن محمد العلوى الكوفى :

سَاءك الزمانُ بكرّ الزمانِ   وأفنـاك من مَرّه كلٌّ فأن

إسـاءة دهرك محفـوفة   بمـا لم يكن للفتى فى ضَمان

---

(١) حماسة البحترى ١٨٠ والمعمرين ٨٩

(٢) بالأصل أفقده لما ، مصحفا

(٣) الاغانى ١٦ — ١٥٩ وحماسة البحترى ٢٠٠ والشعراء ٢٢٣ والمرتضى ١ — ٣٥ فى الجميع لعمرو بن قميئة وفى مجموعة المعانى ٥ الثانى والثالث لبيد وفى العقد ١ — ١٤٩ لزهير

(٤) الحصرى ٤ — ١١٨ والأدباء ٤ — ١٩٧ والمعاهد ١ — ١٩٩ والمرتضى ٢ — ٩٢ والعقد ٣ — ١٦٥ أربعة أبيات

ألا مُسعِد فيُبكّى الشبا ... بَ فى مأتمٍ صحِلٍ أرْوَنَانِ(١)
وأيّامهَ الغُرّ مثــل الخُطُو ... طِ بالمسك فوق خدود الحسانِ
لَيَالِىَ لا يَشبعُ النـاظرانِ ... إذا قابلاك ولا يَروَيانِ
صغير وتِربَاىَ مُستَصغَرَانِ ... تَرَامَى الثّمانى بنا والثّمانى
فان يك ذاك الزمان انقضى ... وبُدّلتُ أخبــارَه بالعيانِ
فــلا بالقِلَى يَتَنَاسَى الصّبا ... ولا بالرّضَى رَضِىَ العاذلانِ
ألا عَلِّلانى بمــا شــتّما ... بزَخْرَفَةٍ بين كانٍ وكانِ
كأنى لم أدر أنّ الرّدَى ... بهتك ستور الصبا قد رآنى
وذاك له بِيــاض المشيــب فى كلّ سالفة مِخْلَبَانِ

وقال أبو مُحَلّمٍ(٢) :

بان الشبابُ فلا شبابَ جُمَانا ... وكانّ ما قد كان لم يك كانا
قَصَر الليالى خَطْوَهُ فتَدَانَى ... وحَنَيْنَ قائم صُلبه فتَحَانَى
ولَوَيْنَ كفّى ياجُمَان على العصَا ... وكَفَى جُمَانُ بِلَيّها حَدَثانا
ما بال شيخ قد تقادم عهدُه ... أفْنَى ثلاث عمــائمٍ ألوانا
سوداءَ حالكةً وسَحْقَ مُفَوَّف(٣) ... وأفاد لوناً بعــد ذاك هِجَانا
ثم البليّة بعــد هذا كله ... وكأنمــا يُعْنَى بذاك سوانا

(١) الصحل حدة الصوت مع بحح ، والاروبان مشتق من الرون وهو الشدة ومنه يوم أرونان وأرونى راجع اللسان

(٢) الكامل ١١٦ بزيادة بيت واختلاف من غير عزو والمعمرين ٨٢ و ٨٣ الثلاثة الأخيرة والعيون ٢ — ٣٢٥ من الثانى إلى الاخير والثلاثة الأخيرة فى حماسة البحترى ٢٠٧ باختلاف للنابغة الجعدى قال الميمنى الذى أرى أن الأبيات عادية قيلت فى الدهر الأول ولايصار إلى مقال البحترى

(٣) بالأصل مفوق بالقاف

وقال الأحوص بن محمد الانصارى (١) :

إن الشباب وعيشنا اللذ الذى (٢) كنا به زمنا نسر ونجذل
ذهبت بشاشته وأعقب بعده حزناً يعل به الفؤاد وينهل
أودى الشباب وأخلقت لذاته وأنا الحزين على الشباب المعول
أبكى لما قلب الزمان جديده خلقا وليس على الزمان معول

وقال آخر :

يا ويح من فقد الشباب وغيرت منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو عمارة وجهه بخضابه ومصير كل عمارة لخراب
إنى وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الأحباب

وقال اسمعيل (٣) بن احمد التجيبي فيما مر من هذه القطع فى هذه المعانى كفاية وبلغة ، ونرجع إلى شعر بشار الذى قطعناه بما عن لنا فيه إن شاء الله تعالى فقوله — وان بقائى حين شبت قليل — مأخوذ من قول الآخر :

إن الشباب إذا ما الشيب حل به كالغصن يصفر منه ناعم الورق

ومثله قول النابغة الجعدى :

وما البغى إلا على أهله وما الناس إلا كهذى الشجر
ترى الغصن فى عنفوان الشبا ب يهتز فى بهجات خضر
زماناً من الدهر ثم التوى فعاد إلى صفرة فانكسر

وروى أن إياس بن معاوية رأى شعرة بيضاء فى لحيته ، فقال : أرى

---

(١) الأغانى ١٨ — ١٩٦ وهناك القصيدة بتمامها وهى مشهورة مطلعها
يا بيت عاتكة الذى أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل
(٢) كذا والصواب بان الشباب بصيغة الفعل بدل إن قاله المحشى
(٣) بالأصل احمد بن اسمعيل مصحفا

الموت يطلبني وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا ربّ من فجآت الامور، يا بني سعد قد وهبتُ لكم شبابي فهبُوا لي مشيبي ولزم بيته.

ونحو من معنى بشار قول حمّاد عجرد:

جدّ المشيبُ وأنت في لعبٍ ... مَن شاب لم يَحسُن به لعبهْ

فاحفظ لشيبك حقّ صحبته ... وابكِ الشباب فقدمضَت حقَبُهْ

تغترّ (١) والأيّام تُعقبه (٢) ... والموت مقرون به سببُهْ

ونحوه قول احمد بن أبي دُؤَاد:

إنّ المشيب نعَى إليّ شبابي ... وحدَت بموتي موتَةُ الأتراب

طوراً أُعادُ وتارة أنا عائد ... أو دافن حِبًّا من الأحبابِ

فالي متى أنعي وأسمع ناعيــاً ... أوشِكْ بقَرع يد المنيّة بابي

وقريب منه في التخوّف لحلول الشيب وتوقّع الموت به قول بعض الأعراب:

إن عصاني الدمع وَكّلْتُ به ... حُرَقاً بين فؤادي والحشا

كيف لا يجزَع يا شمسَ الضحى ... من رأى في رأسه شمسَ الضّحى

ومنه قول ابن طاهر:

ولقد رأيتُ حظيّةً (٣) ... مسحَتْ مشيبي بالخِمارِ

قالت غبُــار ما أرا ... هُ فقلتُ ذا غير الغُبارِ

هذا الذي نقــل الملو ... كَ إلى القبور من الديارِ

ومنه أيضاً قول الآخر:

فيا أسفًا أسِفْتُ على شبابي ... نعاه الشيبُ والرأس الخضيبُ

(١) بالأصل يغتر على صيغة الغائب مصحفا

(٢) كذا ولعل الأصل معقبة أي تعقب حالا بحال، قاله الميمني

(٣) بالأصل حفية مصحفا

ويتطرّفه قول أبي يعقوب الخُرَيمي ، وكلّ هذه المعاني وإن تداخلت فقريب بعضها من بعض إنما هي تأسّف على الشباب ، وتحزّن للشيب ، وتخوّف من الموت ، وتوقُّع لنزوله بحلوله ، وإيذان للنفس بقرب وقت ذلك قال الخُرَيميّ (١) :

تَقَضَّى مُزَاح واستفاق طَروبُ وأعقب من بعد الشباب مشيبُ
ألا ليس من داء المشيب طبيب وليس شباب زال عنك يَؤُوبُ
لعمرى لقد بان الشباب وانّنى عليــــه لمحزون الفؤاد كئيبُ
وقلتُ لضيف الشيب لمّا ألَمّ بى نصيبك منى جَفوة وقُطوبُ
حرام علينا أن تنالك عندنا كرامةُ بِرّ أو يَمَسّك طيبُ

وهذا البيت الآخر ضدّ قول الآخَر (٢) :

ولى صاحب ما كنتُ أهوَى اقترابه فلمّا التقَينا كان أكرم صاحبِ
عزيز علىّ أن يُفارق بعــــد ما تمنّيتُ دهرا أن يكون مُجانبى

يعنى الشيب يقول : لم أكن أشتهى اقترابه فلمّا حلّ كان أكرم صاحب علىّ ولم أحبّ مفارقته : لأنه لا يفارق الاّ بالموت . ونحو هذا قول مسلم ابن الوليد (٣) :

الشيب كُرْه وكُرْه أن تفارقه اعجِبْ بشىء على البغضاء مودودِ
يمضى الشباب وقد يأتى له خلَف والشيب يذهب مفقودا بمفقودِ

ونحوه ما أنشدنيه الربعى أبو الحسن لنفسه وقد تقدّم (٤) فيما مرّ من

(١) بالأصل الخزيمي بالزاى المعجمة مصحفا وهو مما كثر فيه تصحيف الناسخين
(٢) الحصرى ٤ — ٤٥
(٣) المعاهد ١ — ٢٠٠ والنويرى ٢ — ٢٢ والحصرى ٤ — ٤٤ والبيتان هناك :

الشيب كره وكره أن أفارقه فاعجب لشىء على البغضاء مودود
يمضى الشباب فيأتى بعده بدل والشيب يذهب مفقودا بمفقود

(٤) ليس البيت فيما هو موجود من الكتاب فلعله سبق فيما ضاع منه

الكتاب مقروناً ببيت له آخر ولم أشرح هنا معناه وهو قوله :

ولم يُبْكِكَ فِقدانُ الشباب لعلة سوى أنه داعٍ لفقد مشيبِ

يقول : إنما بكى الناس فِقْدَان الشباب من أجل أنه إذا فقِد حلّ الشيب مكانه عقيبه ، وكان حلول الشيب سبباً لفقده ، وفقده انما يكون بالموت وفقد الحياة ، وأين من هذا قول مسلم وقد أعاده فقال (١) :

لا يَرحل الشيب عن دارٍ أقام بها حتى يُرَحِّل عنها صاحبَ الدارِ

وأخذه ابن الرومى فقال (٢)

اذا حلّ جارَى المرء شأوَ حياته الى أن يَضُمّ المرءَ والشيبَ مُلحَدُ

وأخذه البحترى فجوّده بقوله :

يعيب (٣) الغانياتُ علىّ شيبى ومن لى أن أمتّع بالمعيبِ

ووجدى بالشباب وإن تَقَضّى حميداً دون وجدى بالمشيبِ

ومنه قول آخر (٤) :

والمرء إن حلّ شيب فى مَفارقه فما يفارقه أو يرحلان معــا

وأحسب أن أصل هذا المعنى قول اعرابىّ (٥) :

أستغفر الله وأستقيلُهُ ما أنا ممّن شيبه يَهولُـهُ

أعظمُ من حلوله رحيلُهُ

ومن الأول قول المُقنّع الكِندىّ (٦) :

نزل المشيبُ فأين تذهب بعــده وقد ارعويتَ وحان منك رحيلُ

كان الشباب خفيفةً أيّامه (٧) والشيب مَحْمِلُه عليك ثقيلُ

(١) المعاهد ١ — ٢٠٠   (٢) ديوانه ٣٩٢
(٣) ديوانه ١ — ٢٥٠ والمعاهد ١ — ٢٠٠
(٤) المعاهد ١ — ٢٠٠   (٥) المعاهد ١ — ٢٠١
(٦) الحماسة ٧٥٦ ثلاثة أبيات والسيوطى ١٢٨
(٧) بالأصل حقيقة مصحفا

وأنا أستحسن قول الآخر فى الرضا بالمكروه والتسليم إذا نزل وتوطين النفس على الصبر عن المحبوب إذا حلّ وقال (١) :

ولمّا رأيتُ الشيب حلّ بياضه ... بمَفرق راسى قلت للشيب مرحبا

ولوكنتُ أدرى لوكففتُ تحيّتى ... تَنَكّبَ عنّى رُمتُ أن يتنكبا

ولـكن إذا ما حلّ كُره فسامحت ... به النفس كان الصبر للكُره أذهبا

وهذا مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه رُوى عنه أنه قال : إذا وقعتم فى مكروه فقَرْدِحوا له فان اضطرابكم أشدُّ لرسوخكم فيه ، وقاله أيضاً عبد الله بن خازم لبنيه فى وصيّته إياهم : يا بَنِىّ إذا وقعتم فى خُطة ضَيم فقَرْدِحُوا لها ، ورُوى عنه أيضاً أنه قال : من كَابَرَ الذُلّ بلا منعة صرعه ومن تَقَرْدَحَ له تخطّاه ، وقال الليث فى كتاب العين يقال : مَنْعَة ومَنَعَة يخفف ويثقل ، وقال ابن الاعرابى القَرْدَحَة الصبر على الضيم والصبر على الذلّ ، والرسوخ الثبات رسخ يَرسَخ رُسوخا إذا ثبت فى موضعه ، وأرسختُه أنا إرساخا كالحبر يَثبُت فى الصحيفة والعلم يرسَخ فى القلب ، ونحو من هذا المعنى قول الصابى :

اذا مرّ يوماً من نحوسك واحد ... على هُدنة منها فأنت على رِبح

فما هى الا جِنح ليل مُحَنْدِس ... عليك فنَمْ فيه الى مطلع الصبح

ولا تتخبَّط كادحاً فى ابتدائها ... فانك منها مستزيد على الكَدْح

ولـكن اذا قَلّتْ وذلّت صعابها ... ورَقّت حواشيها على المَرى والمَسح

هنالك فاصنَعْ كلّ ما أنت صانع ... فانك مهدىّ الى الرشد والنُجح

وأما قوله :

أقول لقلبى وهو يدنو الى الصبا (٢) ... عَلام التصابى والحوادث غولُ

(١) الحماسة ٤٩٨ ليحيى بن زياد والحصرى ٤ — ٤٠ لاحمد بن زياد الـكاتب

(٢) كذا بالأصل هنا وفيما سبق فى الأبيات يرنو بالراء

فشبيه بقول الخُرَيمي :

أفالآن اذا أدَّيتَ عاريّة الصِبا ... وأعقبَ من بعد الشباب مشيبُ

وقنَّعَت الأيامُ رأسَك بُرنُسا ... مُبينًا به الإخلاق وهو قشيبُ

وأصبحتَ كهل الحيّ بعد فتاهم ... تلوم على امثــالها وتعيبُ

تَصَابَى وهل يصبو كبيرٌ قِناعهُ ... تَغَام بماء الأرجُوان خضيبُ

وقول أبي معاذ من قصيدة :

(حَسبُ قلبي ما به من حُبّها ... ضاق من كتمانه حتى عَلَنْ

لا تَلُمْ فيها وحَسّنْ حُبّهـــا ... كلّ ما قَرّتْ به العينُ حَسَنْ)

وهذا من قول توبة (١) :

وأغبَط من ليلَى بما لا انالُـه ... بلى كلّ ما قرّتْ به العينُ صالحُ

ونحوه قول الآخر (٢) :

حسَنٌ فى كل عين مَن تَوَدّ

ومثـــله (٣) :

وأحسن شيء ما به العينُ قرّتِ

وقول أبي معاذ من قصيدة :

(سَمَوتَ وأوقدتَ للجهل نارا ... وردّ عليك الصِّبا ما استعارا

---

(١) اغانى ١ — ٢٠٠ ثلاثة أبيات والحماسة ٥٧٧ ثلاثة أيضاً وفى العكبرى ١ — ٢٢١ هذا البيت وحده

(٢) الوسيط ٢ — ١٢٧ لعمر بن أبي ربيعة وأوله فتضاحكن وقد قلن لها والبيت فى امعد ٣ — ١٢٩ لحماسى لعبد الله بن المبارك قال الميمنى هو فى ديوان عمر الرقم ١٥٥ البسيك

(٣) أغانى ١ — ١١٣ الاحوص بن محمد الأنصارى وأوله : فقر بعيني ما قر عينها
وأيضاً و العاليى ١ — ٢٢٩

وأصبحت بَسْلا على كاعب أشارت بكفٍّ وهزّت سِوارا)

قوله ـ واوقدت للجهل نارا ـ معنى صحيح رقيق ، والأصل فيه أن العرب كانت إذا استضافه بها مَن تكره نزوله من ضيف وغيره تحمّلت إقامته عندها على مَضَض ، فاذا رحل عنها سُرّت برحيله وأشفقت من رجوعه فأوقدت بعده النار ، وقالت أسحقه الله وأوقد ناراً أثَرد . فضرب بشّار المثل بهذا عند ذهاب جهله وكراهة رجوعه اليه كما كانت العرب تفعل بمن لا يحبّون رجوعه اليهم ، وقد افتخر شاعر من شعراء الجاهلية بترك هذا الفعل فقال (١) :

وجُمّة أقوام حملتُ ولم أكن لأوقدَ نارا خلفهم للتندُّم

الجُمّة الجماعة يمشون فى الدم ليرضوا صاحبه عنه بما يعطونه من الدية ويستعينون فى ذلك بما يستوهبون يقول هذا الشاعر . فلم استثقل نزولهم بى ولم اندم على ما اعطيتُهم فأوقِدَ خلفهم النار لئلاّ يرجعوا ثانية وقوله — فاصبحتَ بسلا — اى حراما والكاعب والكَعاب الجارية حين كَعَب ثديها . قال اسمعيل بن احمد بن زيادة الله الى ههنا انتهى اختيارنا فيما وجدناه من المختار من شعر بشّار من صنعة الخالديين والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا



بلغ مقابلة وتصحيحا ، فصح بصحة الأصل المنقول منه

غفر الله لمصححه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) النويرى ١ — ١١٠ باختلاف كبير واللسان م نور باختلاف يسير والسيوطى ١٠٦ والحيوان ٤ — ١٥١



فهرس قوافى الابيات والمصاريع

تنبيـــه

(١) القوافى مرتبة على حركات الاعراب وما يناسبها من الحروف ، فأوردت أولا المرفوعات وما آخره الواو، ثم المنصوبات وما آخره الألف، ثم المجرورات وما آخره الياء ، ثم السواكن ، ثم المتعلقة بضمير المذكر على هذا الأصل ، ثم بضمير المؤنث وهكذا . والترتيب فى نوع واحد مبنى على الوقوع فى الكتاب ، فما جاء أولا فى الكتاب جاء أولا فى الفهرس أيضاً

(٢) قوافى الأبيات غير المنسوبة معلمة بهذه العلامة • وقد استخرجت النسبة فى كثير منها ، ويمكن الاطلاع على التخريج فى فهرس الشعراء ، وأما القوافى الغير المعلمة فهى التى وردت فى الكتاب منسوبة

(٣) أهملت بعض القوافى المكررة مما لاحاجة اليه

(٤) قوافى المصاريع معلمة بالميم

فهرس أسماء الشعراء مع قوافي ابياتهم ومصاريعهم

تنبيهـــات

(١) اعتمدت فى ذكر الأعلام على الأسماء المشهورة للرجال ، فان كان لرجل علمان وضعت القوافى تحت الأعرف ، ونبهت القارىء عليه تحت غير الأعرف ليجده الطالب بأى علم يعرفه

(٢) الأعلام الموضوعة بين القوسين هى التى لم يجر ذكرها فى الكتاب أصـــلا وقد استخرجت من الكتب نسبة الأبيات غير المعزوة إليها ، وأما القوافى الموضوعة بين القوسين فهى التى وردت فى الكتاب بغـــير عزو ، واستخرجت نسبتها من الكتب

(٣) وضعت الأعـــلام كما وردت فى الكتاب بما يكتنفها من الكنى والألقاب ، وقد أضفت إلى بعض الأعلام مايوضحها بين القوسين ، والزيادة مستندة إلى مااستخرجت من الكتب ، ويمكن الاطلاع عليه فى تعاليق

(٤) الترتيب فى القوافى مبنى على الأصل الذى بنى عليه الترتيب فى فهرس القوافى : —





فهرس اسماء الرجال والنساء والقبائل والأصنام والافراس والجمال

تنبيـــه

راجع فهرس الشعراء لأسمائهم مع الأبيات

ا

فائدة جليلة

الأصل مرتب على الكراريس والموجود منه يبتدىء من أول الكراسة الخامسة ، ومنه يبتدىء الواحد من أعداد صفحاته ، فكنت نبهت عليها بالهامش من نسختى ، وجعلت النجم على أول كل كلمة من صفحة الأصل ، والداعى لهذا التنبيه انى احلت عليها فى تعاليق حيثما احتجت ، فأهمل التنبيه عليها فى الطبع وأهمل كثير من الإحالات ، وبقيت الإحالات على سبع صفحات فالواجب تطبيق هذه الصفحات السبعة بصفحات المطبوع لئلا يقع الناظر فى التشويش :

صفحة الأصل	ابتداء هذه الصفحة	صفحة المطبوع التى وقع عليها الكلمة الابتدائية	سطر المطبوع	صفحة المطبوع التى جرى الاحالة فيها
٥	وقد أومأ	٥	١	٤٣
٣٣	ونحوه قول عبد المطلب	٢٧	٤	٦٥
٨٠	بعنان فرسه	٦٥	١٨	٢٧
١٠٩	مريضة مابين الجوانح	٨٩	١٩	٨٣
١٢٣	قوله صاتان يفتك	١٠١	١٥	٥٨
٢١٠	بنى عمنا الادنين	١٧٢	١٨	١٠٩
٣٠٨	من قوله عض الرباع	٢٥١	١٨	٢٤١

فهرس الكتب التى جرى بها الالماع فى تعاليقى

معارف التهامى
ديوان جرير
ديوان حاتم الطائى طبعة لبزك
« الحارث بن حلزة
« حسان بن ثابت طبعة ذكرى حبيب
« الخنساء
ديوان ذى الرمة
« رؤبة بن العجاج مع ذيله
« الرضى
« ابن الرومى
« الشماخ
« صريع الغوانى ليدن
« العباس بن الاحنف
« ابى العتاهية
« العجاج
« عمر بن ابى ربيعة
« ابى فراس
« الفرذوق
« القطامى
« قيس بن الخطيم
« ابن قيس الرقيات
« كشاجم
« لبيد بن ربيعة طبعة دين ولائيدن
« المتنبى مصر سنة ١٣٠٨ ﻫ
« المتنخل المخطوط
« المتقب «
« المجنون
« مزاحم العقيلى

ديوان ابن المعتز
« النابغة الشيبانى المخطوط
ديوان ابى نواس
« ابن هانى

ذ

ذيل ثمرات الاوراق

ر

الرسائل للجاحظ مصر سنة ١٣٢٤ ﻫ
الروض الانف للسهيلى

ز

الزجاجى اماليه

س

سمط اللآلى للعلامة عبد العزيز الميمنى
لم يطبع الى الآن
السهيلى « الروض الأنف
السيوطى شرح شواهد المغنى

ش

الشعراء لابن قتيبة
شفاء الغايل للخفاجى

ص

الصناعتان

ع

ابن عساكر مختار تاريخه
العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة
الجاهلين استعملته لشعراء المعلقات

العقد الفريد القاهرة سنة ١٣٠٢ هجرية
عقلاء المجانين
العكبرى مصر سنة ١٣٠٢ ه
عنوان المرقصات والمطربات
العينى شرح شواهد شروح الألفية
عيون الأخبار لابن قتيبة طبعة الدار

غ

غرر الخصائص مصر سنة ١٣١٨ ه
الغفران القاهرة سنة ١٩٢٥ م
الغيث المسجم شرح لامية العجم
طبعتاه بثغر اسكندرية سنة ١٢٩٠ ه
وبمصر سنة ١٣٠٥ ه

ف

الفائق

ق

القالى اماليه طبعة بولاق سنة ١٣٢٤ ه
القاموس للفيروزابادى
قراضة الذهب

ك

الكامل طبعة لبزيك
الكنز المدفون

ل

اللآلى شرح امالى القالى للوزير ابى عبيد البكرى :
اعتنى بنسخه وتعليق الفوائد عليه العلامة عبد العزيز الميمنى وهو غير مطبوع الى الآن وسماه سمط اللآلى
لب اللباب فى تحرير الانساب
لسان العرب
اللطائف والظرائف

م

مجمع الامثال للميدانى طبعة المطبعة البهية بميدان الازهر بمصر
مجموعة المعانى
المحاسن والاضداد للجاحظ
محاضرات الراغب
المخصص
المرتضى اماليه
المزهر
المستطرف مصر سنة ١٣٠٢ ه
مستقصى الأمثال للزمخشرى المخطوط
المسعودى مروج الذهب
مصارع العشاق طبعة الجوائب
معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص مصر سنة ١٣١٦ ه
المعمرين للسجستانى مصر
المفضليات بيروت
المقصورة لابن دريد طبعة ١٣١٩ ه
المقصور والممدود لابن ولاد
مقطعات مراث عن ابن الأعرابى
الموشح للمرزبانى
الموشى طبعة أوربا
الميدانى = مجمع الأمثال

ن
نثار الازهار
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
ليدن
ه
النقائض
النويرى نهاية الارب

و
الواحدى برلين
وصايا ملوك العرب فى الجاهلية للوشاء
ى
يتيمة الدهر وغيرها من الكتب
والمجاميع التى هى مذكورة فى محالها

تصويبات

وقعت بعض أخطاء مطبعية — مع شدة الحرص على سلامة الكتاب منها — ونحن نتداركها هنا ليصححها القارىء فى مواضعها قبل مطالعة الكتاب وهى :

و ح علامة للحاشية

ص ح س ٧ محمد بن شفيع
ص ط س ٣ لم يجتمع
ص ل س ١ ح ايضاً

ص	س	
٨	١٩	نزواً
١٤	٩	يَرى
١٥	١٨	كأنها جثث
١٧	٢	قائدٌ
٢٠	١	دُجنّته
٢٢	١٥	كلفَ
٢٥	٧	صرّمتِني
٣٣	٨	ملوكَ
«	ح ١	علاقة قائمه
٤٤	٣	لِحائه

ص	س	
٤٨	٥	له من شعره الجمّ إذا ماشاء أشعارُ
٦٨	١٥	لم تَشِبْهُ
٦٧	١٥	يُولغ
٧٢	١٨	تُنصف
٧٨	١٣	مَغْاسِ
٩٢	٨	عذل
٩٦	١٣	فلما أحلت
٩٧	١٦	إذا ماشئتَ
١٠٠	١٧	لزائرِ
١٢١	١٧	عذره فى هواك
١٢٤	ح ١	بالاصل يحدونى
١٣٥	٣	بينا الفتى
١٣٦	٢٠	ومنه قول الآخر

ص	س	
١٤٢	١	وتدرُّ
١٤٣	٥	يكسبك الأثاما
١٤٤	٧	لانهنّ غنين
١٤٥	٩	كلحظ الحبِّ
١٤٨	ح ٢	صدره
١٥٩	١٢	فوْرَكَ
١٦٦	٨	عقارا
١٦٨	٣	اذا تحققتَ منه
١٦٩	١	ان نسأله فقال
١٧٣	٣	جاوزت الدارمي
»	١٣	مُغنيَ حرب
١٧٩	٣	جلَبتهم
»	١٥	قذّى
١٨١	ح ١	الى الحق
١٨٣	ح ٢٤	ديوانه ٨
١٨٤	٩	شاهدًا لمَلْك
١٨٨	٥	عَرِدٌ نساهُ
»	١٣	الاميرَين
١٩٧	٥	جحاجحة
١٩٩	٢و٣	من بيتيه اوواورده
٢٠٢	١٤	فيلسوف
»	ح ٣	جمع الذكر
٢٠٣	٩	الغزير
»	١٢	خلقته
٢٠٥	٥	المهرُ
»	١٤	ذروق
٢٠٦	١٤	بعرْد
٢٠٨	٥	اللجينيين

ص	س	
٢٠٨	٧	فتلتَ
٢٠٩	٦	ضعفتُ
٢١٠	١٣	مسعرا
٢١١	١٨	من بعدُ
٢١٢	ح ٢	قاله الميمنى
٢١٧	٧	بعد عزّ
٢٢٢	١	يُجَنّ
٢٣١	٩	تعرّقته الليالى
٢٣٣	١٥	فلذ إن ألمّ
»	١٩	ملء
٢٣٦	١٣	هو المهتلئ الناقىء والأكيس وهو النانى ايضا
٢٣٨	٢١	غمزك
٢٤٣	ح ٢	ديوانه ١ – ٣٣٤
٢٤٤	ح ١	حماسيين لم يصرح باسمه
٢٥٠	ح ٢	بين ٢٤٠ وهناك
٢٥٣	ح ٣	وهو والهفافُ
٢٥٤	ح ٥	الا ببصار يضعفن ايما عنق
٢٦٥	١٩	لما وقع العسر فى
٢٦٦	١	اول وهلة
٢٦٧	ح ١	او لحنيف بن عمير
٢٧٠	٦	ضع رقم ٢ على عـ
»	٧	فى عينه سنة
»	٨	امح رقم ٣ من الى
٢٨١	٥	ومن تخلقَ
»	٧	الدارمى
٢٨٣	١٨	عاما نصبُ
٢٨٤	ح ٢	لابى عطا السندى
٢٨٥	٦	فناديه

س	ص	
٢٩٠	١٧	النُّصُّعُ
»	ح ٢	و٣٤٤
٢٩١	١	• جُنَّحٌ فى المغارب
٢٩٦	٤	أن تَصْنَعَ
٢٩٧	١	منه بديلا
٢٩٨	٢	أطيب صعيدِ
٢٩٩	١٦	ابن الرومى
٣٠٨	١٧	متبلّد
٣٠٩	٥	على صوت
٣١١	٣	والتَّرَفُّه
»	٧	وتحييهن

س	ص	
٣١٩	١٠	استقراره
٣٢٢	ح ١	سبق فى ص ٨٤
٣٢٤	١٠	لما تبالا
»	ح ٢	وهما فى الحماسة
٣٢٥	١٦	مامُحَّ منها
٣٢٩	٢	وهو من قول دريد
»	ح ٢	ديوانه ١ - ٣٨
٣٣٠	١٨	من يُعطَى المنى
٣٣٢	ح ٢	اسم امرأة
٣٣٤	٩	ببياض

تم الكتاب والكمال لله وحده